

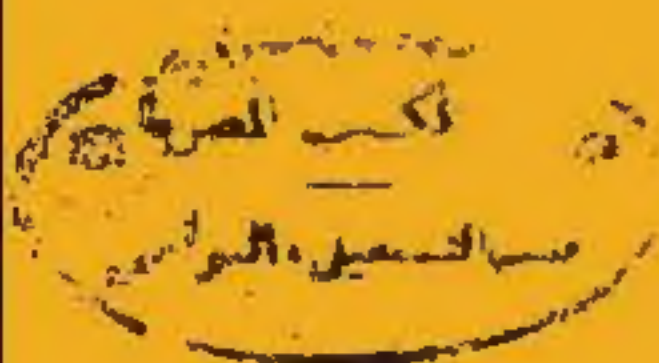
يَاسُجْ

# الْبَنَفَائِصُ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ

تأليف

أحمد البنايت

الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة



الطبعة الثانية

١٩٥٤

ملازمة الطبع والنشر  
مكتبة المتحف القبطي  
مكتبة المتحف الإسلامي

## الأهداء

إلى . . . .

الأستاذ أنثوني أشلي ييخان ناشر نقائص جرير والفرزدق ،  
والأستاذ الأب أنطون صالحان اليسوعي ناشر نقائص جرير والأخطل ،  
والأستاذ الدكتور طه حسين باعث درس النقائص في الجامعة المصرية .

أهدى هذه الفصول .

أحمد الشايب

## مقدمة الطبعة الثانية

منذ ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب أخذت العناية تشتهد ، في الجامعة وخارجها ، بدراسة فن النقائض وما لابسه من فنون وموضوعات ، وعكف طلاب الدراسات العليا على هذا الكتاب يتخذون من فصوله مجال بحوثهم للدرجتي الماجستير والدكتوراه ، فكأنه كان - في مادته ومنهجه - رائداً دراسياً يستوجب علينا لله الحمد والثناء .

ولما نفذت طبعته الأولى استمر الباحثون في مصر وغيرها يطلبونه من المكاتب ؛ فاضطرت إلى إعادة طبعه كما هو استجابة لهذه الرغبة

أحمد الشايب

الكرامة ؟

أول يوليو سنة ١٩٥٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

- ١ -

لم تكن النقائض معروفة في البيئات العلمية معرفة صحيحة إلى أوائل القرن العشرين حين أخذ الأستاذ أنتوني أشلي بيثان Anthony Ashley Bevan ينشر نقائض جرير والفرزدق (١٩٠٥ - ١٩١٢ م) وحين تبعه الآب أنطون صالحاني اليسوعي فنشر نقائض جرير والأخطل سنة ١٩٢٢ م ، وكل ما كان يعرف من النقائض هو ما كان وارداً في بعض الدواوين أو المراجع الأدبية العامة ، فكان نشر هذين الديوانين نعمة كبرى على الدراسات الأدبية في الشرق العربي .

ومع ذلك ، لم تلق نقائض هؤلاء الفحول بمصر أو غيرها العناية التي تستأهلها ، وسارت الدراسة في المعاهد العلمية سيرتها المألوفة من تلخيص النظريات التاريخية ونقل الآراء والملاحظات النقدية دون تدقيق واستقصاء .

فلما دعيت للتدريس بكلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ثلاثين وتسعمائة وألف ، على ما أذكر ، كان الأستاذ الدكتور طه حسين يدرس نقائض جرير وصاحبيه مع طلاب قسم اللغة العربية دراسة تاريخية أدبية قيمة ، ويسلك في ذلك مسلكاً علمياً ممتازاً ، ويشرك معه الطلاب في البحث ، فكانت دراسته هذه فذة معاهد مصر والبلاد العربية جميعاً .

لما ترك الجامعة بعد ذلك بقليل ، تابعت هذه الدراسة مع الطلاب في فترات متفرقة ، تبعاً لنظام القسم وجداوله الدراسية ، وتعلقاً بهذا الفن الخطير ، على ما يستوجب من الجهد ، والآناة ، وسعة الأفق ، ويشمر بذلك ثماراً عظيمة ، بعيدة الأثر في تاريخ الأدب العربي ، وتقده ، ومقوماته .

وكنت أشعر بما يحتمل الطلاب من مشاق في هذا الدرس مع إدراكهم جليل خطره ، وعظيم أثره ، لما يلقام به من غريب اللغة ، والعبارات ، والصور ، وما يقتضيه من ثقافة متنوعة عميقة حتى يفقهوا أدباً أنشئ في مكان وزمان بعد بهما العهد ، وكان تعبيراً عن عناصر ، وعوامل ، ومواهب وبيئات خاصة غريبة لا بد من تمثيلها وتعمقها لفقه هذا الأدب ، وتبين ما فيه من خصائص موضوعية ، وممنوية ، وأسلوبية عجيبية ، حتى كانت النقائض مثال الأدب الصعب المحبوب ، وحتى قضيت مع الطلاب شهوراً عدة في دروس تقيضتين ... لهما ساعتان كل أسبوع .

ولما فرضت منذ سنتين لدراسة الأدب القديم ، والإسلامي منه خاصة ، بدا لي أن أنشر بعض هذه الدراسة ، فطبعته «تاريخ الشعر السياسي» ووجدت في آخره أن آخذ في تاريخ النقائض ، وهنا ضمنت ملاحظاتي السابقة إلى ما تيسر لي أخيراً فكان منها هذه الفصول التي أقدمها للقراء .

ولم يكن من الطبيعي أن يظهر التاريخ الأدبي على فن النقائض قوياً راثماً في زمن الأمويين دون أن تكون له مقدمات وسوابق فتحت طرقه ، وأعدت أصوله ، ومهتت لاستحالاته ، فرجعت إلى ماضي الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام فظفرت منه بحلقتين في هذه السلسلة أو عصرين متمازين : عصر الجاهلية وعصر البعثة المحمدية ، ووجدت لكل عصر من

الثلاثة طوابع خاصة وأخرى مشتركة بينها جميعاً ، إذ كان تطور الأدب بطيئاً ولا سيما في جانبه الفني ، وعلى هذا الأساس قام المنهج الدراسي لهذا الفن الخطير .

وكان أمامي ، مع ذلك ، طريقان :

أحدهما أن أتبع المذهب الفني الغالب ، وأسأير ابن سلام في طبقاته ، فأضيف فترة البعثة إلى العصر الجاهلي إذ كان التعبير فيها جاهلياً بعامية ، وتكون فترة الأمويين هي عصر النقائص الثاني .

وثانيهما أن أعترف بفترة المخضرمين فأعدها عصرأ مستقلاً من عصور النقائص ، كما صنعت في تاريخ الشعر السيي ، وكما أشار ابن رشيق في عمدته وهذا الطريق الثاني هو ما اتبعته هنا لامتياز عصر البعثة بتغير موضوعات النقائص ، ومعانيها ، وغايتها ، وبأنه عصر تحول وانتقال ظهر أثره في أسلوب الشعر ما بين جاهلي محافظ ، وآخر مضطرب ، وثالث مبعوث بعدما كان خافتاً هو شعر قريش بمكة خاصة . على أن عصر البعثة امتاز في النقائص بتدخل اليهود ، وتغير مواقف الشعراء بين مكة والمدينة ، وظهور أثر الاسلام في الشعر ، وهذه النهضة التي لا بدت الدعوة الاسلامية الجديدة .

ومادام الموضوع جديداً فلا بد فيه من اختلاف وجهة النظر ، ولا بأس بسلوك أحد الطريقين ما بقي خالياً من الخطأ الأساسي ، قائماً على أصل نافع مقبول .

وبجانب هذا الجانب التاريخي في منهجنا راعيت الجانب الفني أيضاً ، لحاولت بيان الخصائص الفنية لكل عصر من عصور النقائص ، وذكرت موايا الشعراء البارزين في كل عصر وبخاصة فحول الأمويين لما امتازوا به من تمثيل هذا الفن تمثلاً واضحاً ، ونهوضهم به نهوضاً خيلاً للناس أنهم مبدعوه وأنهم أربابه الأولون .

وكانت فصول كل باب ، أو كل عصر ، خاضعة في تنسيقها وترتيبها لأقيسة منطقية حسبها تراءى لى ، كالقول فى نشأة النقائص الجاهلية وفنونها ومقوماتها وعناصرها ، وصلاتها بأيام القحطانية ، فأيام العدنانية ، فالخوادر الاجتماعية ثم خواصها الفنية ، ومثل ذلك فى عصر البعثة ، فإذا كان انعصر الاموى زادت الفصول للبحث فى شعراء النقائص ، والوقوف عند نقائص جرير وزميليه وهى التى دعوتها النقائص الخاصة ، ثم البحث فى قيمة النقائص الاموية وخصائصها الادبية .

وقد عمدت فى عصرى الجاهلية وصدر الاسلام إلى أن عرض قسماً كبيراً من نصوص النقائص لعدم جمعها فى ديوان خاص مع الإشارة إلى مراجعها ، ولم أعمد إلى نحو ذلك فى نقائص جرير والفرزدق والاختل لجمعها فى دواوين منشورة فاكفيت منها ببعض الشواهد .

ولما كانت هذه الدراسة جديدة فقد مهدت لها بالتعريف بالنقائص وما يقابلها من فنون أخرى ثراً ونظماً ، وبيان الطرق التى سلكها الشعراء فى نقض المعانى ، واضطرت حينئذ إلى وضع مصطلحات تميز بينها كالقلب ، والموازنة ، والتوجيه ، والتسليم ، والوعيد . ولست ، مع ذلك ، متشبثاً بها ولا مغلوطاً ، فقد يوضع أدق منها إذا لزم ذلك ، ولا مشاحة فى الاصطلاح كما يقول السابقون .

درس النقائص نافع من وجوه : فهو كشف عن فن جديد من فنون الشعر العربى له خطره ، وله شعراؤه ، وله آثاره فى تهذيب النفوس ؛ وهو معونة قيمة فى تاريخ الأدب العربى بعامة والقديم منه بوجه خاص . ودرس النقائص هو فى الواقع درس الشعر العربى القديم فى أرقى صورته ، وأهم فنونه ، وعند أشهر فحولته وخاصة بعد الإسلام ، وبذلك يفيض على العقل ، والشعور



والنوق من جلاله وجماله ، وبعد الدار من الحياة في عصور الحضارة العربية الأصيلة والعيش مع رجالها ، وهم يصورونها أدباً رائعاً قوياً ، ويتلاحون في ظلالها خاضعين لعوامل خاصة وعامة ... أليس في ذلك إطالة للعمر ، وتهذيب للنفس ، وترقية للحياة ؟

على أن هناك فنونا من الشعر ثلاثة ظفرت في ظل الأمويين بتجديد قوي ونشاط واضح جعلها أشبه بالفنون المستحدثة ، هي النقائض ، والشعر السياسي ، والعشر الغزلي .

وكان الغزل في الحجاز ، والأخزان في العراق ، وكان الغزل بصور شعور الأفراد ، والنقائض تمثل مواقف القبائل وشخصياتها ، والشعر السياسي يمثل الأحزاب المختلفة ... هذا هو الغالب العام .

وقد استأثرت النقائض بفحول الشعراء وطبقتهم الأولى ، وتركزت للغزل والسياسة شعراء الطبقات الأخرى ، وكان أسلوب النقائض غمماً جليلاً ، كما كان أسلوب الغزل رقيقاً جميلاً ، وأسلوب السياسة واضحاً مختلف الصفات فكانت هذه الفنون خليقة بالعناية . وقد كنت معترفاً تأريخ الغزل في كتاب خاص إتماماً لدراسة هذه الفنون الطاغية على الشعر الأموي . ولكنني تركته - ولو إلى حين - لأحد طلاب ( الماجستير ) الذي أخذ يدرسه مع إشرافي .

ومهما يكن ما لقيت في هذه الدراسة من عناء ، فإنني معترف من الآن بأن النقائض في حاجة إلى استئناف البحث سواء في جوانبها السياسية ، والاجتماعية ، والفنية ، أو في ما يلابسها من عوامل ومقومات ،



(ح)

وما استدعت من نقد وشروح ، وأرجو أن يعنى الباحثون بدرس هذا الفن  
لعلمهم واجدون فيه من النتائج القيمة الخطيرة كفاء ما يبذلون في سبيلها من  
أوقات ومشاق .

أحمد السائب

القاهرة في { ٢٧ من المحرم سنة ١٣٦٥ هـ  
لؤلؤ يناير سنة ١٩٤٦ م }

# الفهرس

## تحرير

صفحة

النقائض في أذهان الناس - نشأتها العامة - التعريف بها لغويًا  
وإصطلاحياً - أركانها وقيمة المعنى بينها - الفرق بينها وبين  
المعارضة ، والمفاخرة ، والمعاظمة - تكون النقائض شعراً ورجزاً  
وشراً وقد تجمع بين الشعر والنثر - فنونها الرئيسية والثانوية -  
تكون بين شاعرين أو أكثر وبين الشاعر ونفسه ، وبين الرجل  
والمرأة ، وبين امرأتين ، وبين الحى واليت ، وبين مدرستين -  
تكون بشعر أصيل وآخر يتمثل به - البادى ، والنقض - طرق

النقائض : القلب والمقابلة والتوجيه ، والتكذيب والوعيد ، والتسليم ١ - ٣٤

## الباب الأول

### النقائض في الجاهلية

الفصل الأول : نشأة النقائض وفنونها :

البداءة وظاهراتها : الفقر الحسى والغنى النفسى - النظام القبلى  
والعصبيات - الحروب فى سبيل المادية والتشرف - الشعر بنشأ  
حماسياً هجائياً - النقائض تنشأ من هذين الفئتين - تاريخها - تدريج

النقائض فى النحر وأمثلتها الأولى - صلتها بالأيام والحوادث الاجتماعية ٣٥ - ٥٢

الفصل الثانى : فى مقومات النقائض وعناصرها .

الأنساب والحاجة إليها والآراء فى قيمتها الجاهلية - الأنساب  
والإسلام - الأنساب والعصبيات - الأنساب والوضع - أيام العرب  
جاهلية وإسلامية - مصادر الأيام والفرق بينها - أسبابها - مواقف  
القبائل فيها - حد الجاهلية والإسلام - الأيام ووضع الشعر

والقصص - الحياة الاجتماعية والنقائض . . . . ٥٣ - ٧٠

صفحة

الفصل الثالث : النقائص والأيام القحطية .

قصص البائدة - أيام اليمن الأولى والنقائص - أيام الأوس والخزرج

والنقائص - أيام القحطانية والعذانية والنقائص - أهم الشواهد ٧١ - ٩٣

الفصل الرابع : النقائص والأيام العذانية .

أيام ريعة ونقائصها - ريعة وعيرم - أيام قيس والنقائص - أيام

قيس وكساعة في نقائص - بين قيس وعيم في النقائص . ٩٤ - ١٠٥

الفصل الخامس : النقائص والحياة الاجتماعية .

أصول الحياة الاجتماعية - بين امرئ القيس وسبيع بن عوف -

أمية الخزاعي وحسان - حسان ويزيد بن طعمه - بين حسان

وأبي سفيان بن الحارث - بين حسان وزوجته - تأبط شراً

وحاجز الأزدي - بين البرج وابن الحلاس والحصين بن الحمام

المرى - بين خفاف بن الثريد السلمي والمباس ابن مرداس -

بين أبي ذؤيب الهذلي وخالد بن زهير - بين الباذة الدياني

وغيره - بين عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد الدان ١٠٦ - ١٢١

الفصل السادس : في حواص النقائص الحاهلية .

نشأت تراثاً وحواراً اجتماعياً - وصارت رجزاً - نقص المعاني

أولاً دون الترام الجانب اللوسقي - ترقى النقائص ترقى مقوماتها

- قامت في سبيل القبيلة والإمارة - دون النقائص الأموية

- حلوها من المعش - تمثل عصرها . . . ١٢٢ - ١٢٥

## الباب الثاني

### النقائص في صدر الإسلام

الفصل الأول عصر النقائص الإسلامية الأولى .

الإسلام ورسالة العرب أمة ودولة الدعوة الإسلامية مهمة تصطبغ

صفحة

فيها العواطف - مكة والندية والشاعرية القرشية - ظهور  
النقائص الإسلامية الأولى - النقائص الإسلامية تنعبر معانيها ،  
وموضوعاتها ، وأساليبها وعلاياتها - ولكنها تشبه الجاهلية من  
وحده أخرى - القرآن والنقائص - النقائص إلى عصر معاوية ١٢٦ - ١٤١  
الفصل الثاني : النقائص والعزوات .

عروة بدر الكرى ونقائصها - تدخل اليهود - عروة أحد  
والنقائص - شعراء النقائص عصر الحثة - النقائص حول إحقاء  
بن البصر - بدر الآخرة والنقائص - عروة الخندق والنقائص  
أمر الحديبية والنقائص - حير والنقائص - فتح مكة والنقائص  
حديبية والنقائص - الوفود والناقضة . . . . . ١٤٢ - ١٧٣  
الفصل الثالث : في خواص النقائص الإسلامية الأولى .

الإسلام موضوع النقائص - المعاني جاهلية وإسلامية - اضطراب  
الألب - مواقف الشعراء - فسر مدة النقائص - لاغش فيها  
قلة نوعها الاجتماعي . . . . . ١٧٤ - ١٧٦

## الباب الثالث

### النقائص في العصر الأموي

الفصل الأول : عصر النقائص الأموية .

السياسة الأموية والنقائص - مواقف القبائل والشعراء - ملك  
وراثي - مواهب ملكية - ولاية وأنصار مخلصون - الحياة  
الاجتماعية والنقائص - الأقطار الإسلامية وطوابعها وصلاتها بالنقائص -  
المصيئات الكبرى والنقائص : العصية والدين - اليمن وعدنان  
قيس واليمن في النقائص - قيس وتقلب في النقائص - نعيم وعيرها  
والنقائص - العرب واللواالي - الحياة الأدبية وعناصرها في النقائص ١٧٧ - ٢١٢  
الفصل الثاني . نشأة النقائص الأموية وقوتها .

، فترة حمود - عوامل وبث : الاقتصاد ، والياسة ، والعصية ،

والمناخ الأدبية ، والبركات الشعرية ، وأمور خاصة به ،  
النقائض ومدنها والأقوال في ذلك - فنون النقائض الأموية - عاداتها ٢١٣ - ٢٣٢  
الفصل الثالث : شعراء النقائض الأموية .

الروايات في عديم - من اتصلوا بحريز في المهجاء - كيف التحموا  
به - ستة عشر مائقة لجريز - نقائض خاصة وأخرى عامة - من  
شعراء : نقائض : حريز ، والفرزدق ، والأخطل ، والراعي ،  
والبعث ، وابن لجأ ، والمهرانى ، واللتع وغيرهم . . . ٢٣٥ - ٢٥٦  
الفصل الرابع : مقومات النقائض الأموية .

الأيام التي ذكرها الشعراء في النقائض - أيام كل قبيلة - الأسباب  
ودخولها النقائض - الأحساب : معاصر كل قبيلة ومثالها - أشهر  
المعاني التي تناولها المصنوع - حوادث حربية تقوم النقائض - فن  
اشهر من مقومات النقائض - السياسة . . . ٢٥٧ - ٢٨٨  
الفصل الخامس : في النقائض العامة .

بين هدية بن خشرم وزيادة الرقائض - ابن المصينة وأميعة - بين  
قتادة وأبي كلدة الجشمي - أرطاة بن سوية ورميل - ابن ميادة  
وإسحاق بن معمر المحاربي - بين حارثة بن بدر وأنس بن رنم -  
سنان المحمل والأبرد - المعيرة بن حياء وأخوه صخر - بين  
الكبيش وحكيم بن عياش - حاتم بن علقمة الدارمي وسويد بن  
كراع الصعلبي . . . . . ٢٨٩ - ٣٠١

الفصل السادس : نقائض حريز والفرزدق  
ناشرها وروايتها - ترتيبها التاريخي وعدم تواريخها - محاولات  
في ذلك - عرض النصوص وأهم معالمها الوضوعية والفنية - حريز  
والفرزدق يتفحصان في سبل غيرهما - شرحها وفوائدها - أهمها  
تحليل ، ودراسة ، التبعات في مصرع قديمة بن مسلم تحليلها معصلا  
إشارة إلى غيرهما - توجيهات . . . . . ٣٠٢ - ٣٥٧  
الفصل السابع : نقائض حريز والأخطل .

ناشرها ومؤلفها - محتوياتها إجمالاً - ترتيبها - عرض نصوصها  
وأهم معالمها الوضوعية والفنية - نشأتها - تحليل ودراسة الرائيين

صفحة

بالتهصيل - توجه - موارنة بين الديوانين . . . ٣٥٨ - ٤٠٤  
الفصل الثامن : هن الثنائس الأموية .

سمات إسلامية - إحتش وإقتداع - واقعة مكشوفة - حسب الجبل  
استقصاء - تكرار - احتلاط الفون - الجرالة - اللعاني وتبينها  
العواطف وصدقها - قوة الجدل - الأخذ والسرقات - للوازيق  
مقومات كل من جرير وصاحبه في الثنائس - موارنة بينهم في

هذا الفن . . . . . ٤١٤

الفصل التاسع : قيمة الثنائس الأموية .

ووائدها اللعوية - مكاتبا الأدية ، واليالية ، والاحتناعية - مصورها

العصر الأموي - شروحيها وما أفادت - مأخذ عليها . ٤١٥ - ٤٦٥

الفصل العاشر : خاتمة .

إبحار الماضي - لماذا انتهت الثنائس قديماً - معرض للدارسين

نهاية . . . . . ٤٦٦ - ٤٧٠

إذا سمع الناس كلمة ( النقائض ) تبادر إلى ذهنهم ، أول الأمر ، هذه القصائد الطوال التي تاشدها جرير والفرزدق أيام بني أمية ، وقد يذكرون معها ماتاشد جرير والأحطل كذلك ، إذ كانت كلها نوعاً من الجدل والمهارة التي شعلت لحول القرن الأول ، وأمم عصور الأدب العربي القديم ، كأن هذا الفن الشعري حديثُ النشأة لم يعرفه الشعر العربي إلا في منتصف القرن الأول ، وكأن فضل اختراعه راجع إلى هذه المدرسة الأموية ورجائها المشهورين والمفصورين .

والناس ، حين يفهمون ذلك ، معذرون ، لأن هذه ( النقائض ) الأموية امتازت بأمور جعلتها تحجب ما سبقها من نوعها ، وتُخَيِّلُ للناظر أنها أول صورة للمناقضة في تاريخ الشعر العربي ، ولعلها ، في رأينا ، آخر صورها القوية الهامة التي تؤرخ هذا الفن في طور نضجه واكتناه ، لا في عهد نشأته وابتدائه إذ قد كانت كثيرة العدد ، بعيدة الصيت ، شغلت كبار الشعراء وكثرتهم ، ومعظم القبائل أو أعظمتها ، واستغلتها السياسة الأموية ، والمصيبتُ القبلية ، وأثارت ضروباً من النقد واليوارية ، وأحييت الماضي : أيامه وتقاليدَه الجاهلية ، وأساءت إلى الحياة الاجتماعية والسياسية بقدر ما أحضت إلى الحياة الأدبية ، وبلغت بالفن الشعري القديم ذروته ، وخلفت لنا آثاراً ضخمة جديرة بالدرس العميق .

أما الحقُّ التاريخي فيرجع بنشأة النقائض إلى طفولة هذا الشعر العربي في



حواس هذه المصحري والتمار ، فلم تكذب مستقيم أوراثة وتفرز بين الشعراء حتى  
صارت أداة لهذا الحد الشعرى الذى تتحد موسيقاه وموضوعاته وإن تقالبت  
معانيه ووجاهاته ، وكانت المناقصة ، فيما أرى ، ظاهرة نفسية طبيعية ، نشأت عنه  
عن مسكة الشعر وموهبته التى تزكو فى نفوس الشاعر فتتحوّل أصدائها على  
الستهم أوزاناً وقوافى ، وأخيلة ومعاني ، وتنقل هذه العمدة بصريق ( العنوى )  
من نفس الأول إلى نفس الثانى ، فإذا بهنا صدق ذلك ، وإذا بالثانى يلتزم موسيقا  
الأول ، ويرد عليه معانيه بنفس الألحان والأوزان ، فينقض عليه قوله ، ويصير  
نظيره ، وتصبح كل قصيدة تقيضة للأخرى أى مخالفة لها ، وإن كان النقص  
فى الأصل من صفات القصيدة الثانية اتقى نهضت مارد على الأولى ونقض معانيها .

لذلك رأينا هذا الفن ينشأ فى حظيرة الشعر الجاهلى طفلاً يحمو ، ثم تستقيم  
قدماء فينبو صريعاً حتى نراه شاباً قوياً ولا سيما فى ظلال السيوف وبين ( الأيام )  
فلما جاء الإسلام نظف به فناً مؤسلاً الأكاف ، كثير الأبواب فاستعمله فى سبيل  
قوله ، حتى إذا جاء الأمويون أشعلوه ماراً موقدة كانت ، فى نزعها ، رجة  
بهاضية عاصفة فى ظل الدولة الإسلامية .

ويمكن أن نتقدم إلى التعريف بهذا الإصطلاح ( القائنات ) والإمام عما  
يتصل به تمهيداً لتأريخ هذا الفن ، والقول فى أطواره : الجاهلى ، والإسلامى ،  
والأموى ، إذا كان ذلك تقديماً محتوماً .

القائنات جمع تقيضة مأخوذة ، فى الأصل ، من نقص الباء إذا هدمه ،  
والجبل إذا حله ، وصدء الإبرام يكون للبناء ، والجبل ، والمهد ، ونافضه فى

الشيء مناقضة ونقاصاً خالفه ، والمناقضة في القول أن يُتكلم بما يقتضيه معناه ،  
والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ماقاله الأول حتى يجيء بهجر  
ماقال ، والنقيضة الاسم يجمع على الناقض ، وتلك قالوا : نقائص جمرير  
والفرزدق<sup>(١)</sup> .

هذا المعنى اللغوي ، كما رأيت ، له طوران : أحدهما حتى يتمثل في نقض  
الباء أو الحبل بعد عقده وإيرامه ، والثاني معنوي يبدو في نفس العهود ،  
والمواثيق ، وفي نفس القول والإتيان بما يفارقه ، وبناصل إلى فن النفاض  
أو المناقضة بين الشعراء .

أما الصورة الاصطلاحية التي انتهى إليها هذا الفن منذ الجاهلية فالأصل فيها  
أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً أو مفتحراً ، فيمضد الآخر إلى الرد عليه  
هاجياً أو مفتحراً ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول ، ومعنى هذا  
أنه لا بد من وحدة الموضوع حرّاً أو محمداً أو سياسة أو رثاء أو سباً أو جملة من  
هذه الفنون المعروفة إذ كان الموضوع هو مجال المناقضة ومادة النقائص ، ولا بد  
من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه  
الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول . ولا بد من وحدة الروي فلذلك هو النهاية  
الموسيقية المتكررة التي تمد حرّاً من النظام الموسيقي العام للمناقضة . بقيت حركة  
الروي ، ولا بد من وحدتها أيضاً إنعاماً لذلك التنسيق الوزني ، وإن اختلفت في  
بعض النفاض كما في اللاميتين : الأولى لفرزدق ومطلعا :

إن الذي سمكت السماء بني لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول<sup>(٢)</sup>

(١) راجع لسان العرب والقاموس المحيط مادة قس . (٢) النفاض ١٨٢ .

والثانية لحرير ومطلها :

لَيْنِ اللَّيَّارُ كَأَنَّهَا لَمْ تُحَلَّلِي بَيْنَ السِّكَنَاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْرَاسِ<sup>(١)</sup>

الأولى صفة والثانية كسرة : وهاتان أول ما حى بين الشاعرين من المناقصة . أما المعاني فالأصل العام فيها المقابلة والاختلاف لأن الشاعر الثانى هم أنه يقصد على الأول معانيه فيردها عليه إن كانت هجاء ، ويزيد عليها بما يعرفه أو يحترعه ، وإن كانت طعناً كذبه فيها ، أو فسرهما لصالحه هو ، أو وضع إراءها مفاخر لنفسه وقومه وهكذا عما يمر لك تفصيله فيما يلي .

جانب المعنى ، إذا ، هو نشاط الفاعل ومحورها الذى عليه تدور ، يتخذ عناصره من الأحساب ، والأسباب ، والأيام ، والمآثر ، والمناصب ؛ يقول الشاعر الأول قصيدة يهجو فيها آخر أو يفخر عليه ، ويختار لها بحر البسيط مثلاً ، وقافية الراء المضمومة ، فيضطر الثانى أن يرد عليه فخره وهجاءه ، وأن يلتمس السيط وقافية الراء المضمومة ، ويكون موقفه من زميله موقف الخصم الصيد الذى يهجو صريحاً ، ويسبّه ، ويكذبه فيما يدعيه وينشر بخاريه ، ويغازى قومه ، ورعاً نال من شرفه وتناول حُرُماته ، وقد تكرر هذه المناقصة بأى بحر وقافية ، وقد يبدأ الثانى فرداً عليه الأول .

هذا الأخطل يقول فى قصيدته التى يمدح بها عبد الملك بن مروان هاجياً  
بنى كليب بن ربوع رهط جرير ، ومفضلاً عليهم بى دارم عشيرة الفرردق  
خصم جرير الألد :

أَمَّا كَلِيبُ بْنُ رَبُوعٍ فَلَيْسَ لَمْ عِنْدَ التَّفَارُطِ إِزَادٌ وَلَا حَدَرٌ

مُحَلِّقُونَ وَيَقْصِي النَّاسُ أَرْحَمُ      وَهُمْ نَصِيرٌ فِي عِمْيَاءٍ مَاظَرُوا  
مُلْطَمُونَ بِأَعْقَارِ الْخِيَاضِ فَمَا      يَنْتَكُ مِنْ دَارِيهِمْ أَثَرُ<sup>(١)</sup>  
فَيَرِدُ عَلَيْهِ جَرِيرٌ يَقُولُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَرْحُو لَتَغْلِبَ إِنْ عَتَبْتَ أُمُورَهُمْ      أَلَا يُبْلِزُكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي اتَّشَرُوا  
حَابَتِ بَنُو تَغْلِبَ إِذْ ضَلَّ فَارِطُهُمْ      حَوْضٌ لِلْكَارِمِ ، إِنْ الْجَدَّ مُبْتَدَرُ  
الْفَنَاعُونَ عَلَى الصِّيَارِ إِنْ ظَلَعُوا      وَالسَّائِلُونَ بِظَاهِرِ الْغَيْبِ مَا انْظَرُ<sup>(٢)</sup>

فالمرسوع واحد هو الهجاء ، والحر واحد هو السبط ، والقافية راء مضمومة في النقيصتين ، وأما المعاني فمن باب واحد هو الصفة والموان ، إلا أن كلاً من الشاعرين ألصقها برهط الآخر . يقول الأخطل . في البيت الأول : إن كليب ابن يربوع لا مداح لم يقعون بها بين الناس ؛ فيرد عليه جرير في بيته الثاني بأن تغلب لا تعرف الكارم التي يستبق إليها الناس . ويقول الأخطل في البيت الثاني عن قوم جرير إهم لا يدبرون شئون أنفسهم ، إذ كانت مسندة إلى الناس يقضون فيها دون أن يكون لأصحابها علم ، فيقول جرير في بيته الثالث : إن بني تغلب يسرون على غير هدى ، ولا يعرفون من أمورهم شيئاً حتى يسألوا عنها الناس الذين يدبرونها في عيابهم لموان شأنهم ، وفي بيت الأخطل الثالث ترى قوم جرير ملطمين عند مؤخر الخياض يضرهم أكل دارم امتها نأ لهم وإذلالاً ، وفي بيت جرير الأول ينتظر لتغلب ، وقد فسدت أمورهم ، ألا يجعوا في شيء .

وطريقة المناقصة هنا أن جريراً رد على الأخطل معانيه ، واغرد الأخطل بتصوير مذلة كليب ، كما أن جريراً لم يأمل من بني تغلب صلاحاً ، ومن هذا

المثال الحرفي تعلم أن ترتيب الآيات في القصيدة لا يلزم أن يكون على وفق ترتيب الأولى .

هذا الوصف الاصطلاحي قال به شعراء القائلين أنفسهم ، وذكره السعدي حين قال : « وقد قضى دِعْبِل بن علي الخزازي هذه القصيدة على السكيت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها . . » <sup>(١)</sup> وصرح به عِقال بن هاشم مناقصاً ابن ميادة الرَّماح بن أبرد المرمي فيما كان بين اليمن ومضرم من ملاحة أيام الوليد ابن يزيد ، قال ابن ميادة :

تَجَرُّنا يَنابِيعَ الكلامِ وبحرٍ      فأصبحَ فيه ذو الرُّويَّةِ يَسْبَحُ  
وما الشعرُ إلا شِعْرُ قيسٍ وخندفٍ      وقولُ سواهم كُفَّةٌ وتَمَلَحُ  
فقال عِقال يحميه :

ألا أبلغ الرَّماحَ ( قُضَ ) مَنالَةٍ      بها خَطَلُ الرَّماحِ أو كان يَمْزَحُ  
لئن كان في قيسٍ وخندفٍ أَلُنُّ      طوالٍ وشعر سائر ليس يَفْدَحُ  
لقد خَرَّقَ الحَيُّ اليمانيونَ قِلَمَهُم      بحور الكلامِ تُسْتَقَى وهي تَطْفَحُ  
وهم عَفَّوا مَنْ يَهدُمُ فَعَلُوا      وهم أعرىوا هذا الكلامَ وأَوْضَعُوا  
فلسابِقينَ الفضلُ لا يُجْعِدُونَهُ      وليس لخلقٍ عليهم تَبَجُّحُ <sup>(٢)</sup>

هذه الصورة الاصطلاحية للمناقضة تذكرنا بصورة أخرى شبيهة بها هي ( المعارضة ) من عارضه في السير إذا سار حياله وحاذاه ، وعارضه بمثل ما صنع أي أتى بمثل ما أتى به ، وفعل مثل ما فعل ، وهذه المسألة عَرَّضَ هذه أي نظيرها ،

(١) عروج الذهب للسعدي ج ٣ ص ١٦٢ .

(٢) الأغاني ج ٢ ص ٣٠٩ طبعه دار الكتب المصرية والتقاوى ص ٦٢٩ حيث يدعو القروني جريراً إلى تخش قصيدته :

ومعارض الكلام ومعارضه كلام يشبه بعضاً والمعارضة المباشرة ، هذه خلاصة المعنى اللغوي<sup>(١)</sup> وهو حتى أولاً في السير والسل ، ومعنى في القول ونحوه .

والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها المبتكرة ، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها ، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير ، حريراً على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفرقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سببه ، ودون أن يكون غرضه صريحاً علانية ، فيأتي بعملي أو صور براء الأولى تبينها في الجمال الفني أو تسرع عليها بالصق أو حسن التعليل ، أو جمال التمثيل ، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة ، وبذلك نجد فروقا بين الفنيين وإن لم تكن حاسمة تماماً ، فالمعارض يقف من صاحبه موقف التقدير للعجب ، أو المعترف ببراعته على كل حال ، ومناط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء وليس فيها هذا التناوب القبيح ، ولا يدم أن يكون للتعارض متعاضدين بخلاف المناقضة في ذلك ، وإن اتفقت في وحدة الحر والقافية ثم الموضوع غالباً ، وفي أنها هنا المنافسة والمباشرة بوجه عام .

وإذا صح ما يروى عن المباشرة بين امرئ القيس وعلقمة أمام (أم جندب) فإن (المعارضة) ترجع إلى الجاهلية بين الفحول ، ونجد فيها مثالا لهذه المباشرة الفنية التي لاحظت ثمرتها (أم جندب) وبها قدمت علقمة على شيخ الشعراء لأنه وصف فرسه بقوله :

فَأَقْبَلَ يَهْوَى ثَانِيًا مِنْ عِنَاءِ      يَمْرُ كَمَرٍ الرَّائِحِ لَشَحْلَبِ

وقال امرؤ القيس في فرسه :

والساق أهوبة ، والموط ديرة ، والحر منه وقع أهوج بمنعبر

فكانت لامرؤ القيس : فرس ابن عبدة أجود من فرسك ، قال : وماذا ؟  
قالت : سمعتك رحرت ، وضربت ، وحركت ، وقد أدرك فرس عنقة ، يا من  
عماه ، فعصب امرؤ القيس<sup>(١)</sup> ثم عهد أمثلة المعارضة في أطوار التاريخ الأدبي إلى  
اليوم ، وكانت مسرحاً للمناعة والأحد ، وترقى معهن اللون الأدبية ، وكانت  
بين حميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة ، وبين البارودي والناطقة الديباني ، وبين  
شوقي وجماعة من السابقين أمثال أبي تمام ، والبحتري ، وابن زيدون ، والبوصيري  
فهناك معارضة بين السنين للحنى وشوقي ، والنوئين له مع ابن زيدون  
والدائنين له مع أبي تمام . وهناك ( نهج البردة ) لشوقي مع البوصيري وهكذا  
يرجع إلى الإعجاب المعنى وبمحاولة التفوق أو التعلق بالماضين .

وهذه معارضة القرآن الكريم عند من نصبوا فيها ، فلم تكن إلا محاولة  
إشياء فصول بلاغية في مستوى هذا الكتاب ، قوامها التجويد انتهى ، وتجرى  
مصاهراته في أساليبه ، وإن سقطوا جميعاً دون الناية تأمد بعيد .

وهناك المعاصرة والسعة : والأولى من الفخر وهو التمدح بالحصال وادعاء  
العظم والكبر والشرف ، وتعاخر القوم فخر بعضهم على بعض ، والأصل في هذا  
الفن أن يفخر شاعر أو مازيد بذكر مآثره ومآثر قومه ، فيرد عليه آخر بمثل ذلك  
دون التزام السحر والقافية ، أو هجته وسلبه ، أو الالتجاء إلى حكم وإن كان  
ذلك يقوم في المحافل كثيراً والمفخرة فن قديم كان له شأن جليل في الحياة

(١) راجع القصة في شعراء الصرافية ج ١ ص ٩٢



الأدبية منذ الجاهلية . فكان بين العرب والفرس ، وبين عدنان وقحطان ، وبين الأوس والخزرج ، وبين القبائل المدنية ، وقد دخلت المفاخرة من النقائص على أمها عنصر من عناصره الأساسية بجانب المحبة ، والنسب والسياسة وغيرها<sup>(١)</sup>

والمفاخرة من النبر وهو التبرق ، والتبر الرهط ، وناورت الرجل مفاخرة إذا قاضته ، والمفاخرة المفاخرة والمحاكة ، أو المحاكاة في الحسب ، قال أبو عبيدة : المفاخرة أن يفخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكم بينهما رجلا كفعل عقيقة من علاتة مع عامر بن الطفيل حين تنافرا إلى هريم بن قطة الفراري<sup>(٢)</sup> وتمتاز عن المفاخرة ، إذا ، بلزوم التحكيم فيها ، وكان كل من جرير والفردق يستأنس ، أثناء المناقصة ، بحكام قريش الذين يعصون بهما فيما يتلاحيان به من الأحساب والأنساب<sup>(٣)</sup> .

وهناك المعاطلة في المصائب حين تدعى المرأة أنها أعظم العرب مصيبة كما حدث بين الحساء وعند بنت عتبة ، إذ سوّمت الحساء هودحها في الموسم وعاطمت العرب بمصبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صحر ومعاوية وقالت : أنا أعظم العرب مصيبة وعرفت لها العرب بعض ذلك ، فقالت همد : أنا أعظم من الحساء مصيبة وموّمت هودحها برانة وشهدت الموسم بمسكاظ وقالت : أقرنوا حملي بحمل الحساء وعاطمتها بأبيها عتبة بن ربيعة ، وعمها شبة بن ربيعة ، وأخيها الوليد بن عتبة الذين قتلوا في ( بدر ) ثم قالت كل منهما شعراً تذكر به من فقدت ، فيه وحدة البحر والقفية<sup>(٤)</sup> .. فهذا نوع من المفاخرة أيضاً .

(١) راجع أدلة المفاخرة في بلوغ الأثر في الأوسى - ١ من ٢٧٨

(٢) بيان العرب مادة نمر : (٣) راجع الأوسى : بلوغ الأثر - ١ من ٢٨٧

(٤) الأعالي ج ٤ من ٢٩٠ دبر الكتب .

من كل هذا رى أن (الناقصة) سلب عليها تقابل المعاني . وشيوع الهجاء الصريح . وذكر الوعيد . والفخر بالأنساب والأحساب . وتجاوز ذلك التحدى إلى القائل والأحزاب بخلاف المعارضة .

وتكون القائص شعراً كما رأيت ، وقد تكون رحرأ ، وتسمى المراجعة أيضاً ، ولكن نوع المراجعة الذى نغصد إليه هنا هو ما توافرت له شروط الناقصة الموسيقية والموضوعية والمنوية السالفة . وذلك راء فيما قيل يوم (الدار) حين حمل للفيرة بن الأحنس التفتى على الرمح الذين هجموا على دار عثمان بن عفان وهو يرتجز :

قد عمت جارية عَطْبُولُ لما وِشاح ولها حُجُولُ

أنى بنصلي السيفِ خَشِيلُ

لحمل عليه عبد الله بن بَدَل بن ورقاء الخراعى وهو يقول :

إنْ تَكُ بالسيفِ كما تقولُ فاثْبُتْ لِقَرْنِ مَا جِدَّ يَصُولُ

يَمْشُرْفِي حَدُّهُ مَصْقُولُ

فصر به عبد الله فقتله<sup>(١)</sup> . ادعى الأول الشجاعة والبراعة فى الصال ، فتعداه الآخر وأفسد عليه دعواه قولاً ثم عملاً .

وتكون الناقصة شراً كذلك . وتتوافر فيها وحدة الموضوع . وتقبل المعاني ، تتضمن الفخر والهجاء ثم الوعيد أيضاً ، وإذا صح ما روى من مفاوضة امرئ .

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ق ٣ ص ٣٠٠ طعة أوربه .

القيس وبنى أسد بعد مقتل حُجر كان فيها مثال قديم للتقاضي الثرية حين عرص عليه الأسديون الانتقام أو اللدبة ، أو النظرة ، فرد عليهم : أن لا كفاء لحجر في دم ، وأن من العار أن يتقاضى بأية فداء . ولكنه انظر<sup>(١)</sup> . وهذا تقدماً إلى الإسلام طقرباً لهذه التقاض الثرية بين علي ومعاوية فيما ترأسلاه حول الخلافة الإسلامية أو من أحق بالعرش الملكي بعد عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup> وهي عدة رسائل قيمة أدلى فيها كلاهما ، يؤيد موقفه ويسلط حجج صاحبه ، كأن يقول علي لمعاوية إن يعنى لرمك بعد ما بايعى المهاجرون والأنصار ، يرد عليه معاوية لو بايعك هؤلاء . وأنت ترى من دم عثمان لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان . ويقول علي إن طلحة والزبير بايعاى ثم قضا بينهما فجاهدتها بعد ما أعذرت إيهما ، فيقول معاوية : ليست حجتك على كحجتك على طلحة والزبير كان بايعاك فلم أباعك أنا ، وطال بينهما التلاحى حتى انتهى إلى الحرب . ومن أمثال ذلك ما دار بين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس من جهة وبين الخوارج الخرورية من جهة أخرى وكان احتجاج علي وصاحبه قوياً حاشته الخوارج<sup>(٣)</sup> .

ومن أم هذا الصرب وأقواء ما ناقص به المنصور العباسى ومحمد بن عبد الله المهدي الذي خرج على المنصور بالمدينة ، فهي مناقضة دارت بين الطالبين والعباسيين ، وهما شعبتا البيت الهاشمي ، واختلطت فيها الآراء السياسية والدينية . يقول محمد بن عبد الله إن الخلافة حقهم ورثوه عن النبي لأن أباهم علياً وصي الرسول وأمههم فاطمة زوجة بنت النبي ، وأنه ابن خير الأخيار ، وحير الأشرار — يريد أبا طالب الذي مات ولم يعلم وقد روى أنه أقل أهل النار عذاباً — وأن المنصور

(١) الأغاني ج ٩ ص ١٠٣ دار المكتب . (٢) العدد الجديد ج ٧ ص ٢٠٠ المصحة المصرية .

(٣) الكامل الجديد ج ٧ ص ١٢٠ ، ١٢٨ .

نقض العهد وحار الطالين قتلًا وسجاء، وأن العاسيين أحنوا حقهم بعدما استظفوا  
مكائهم ثم نفوهم عنه .

فرد عليه المصور هادما مقاهر الطالين مقيما على أنقاصها مقاهر العاسيين . فان :  
إن العاسيين أولاد العباس عم النبي . والعلم أحق بالوراثة من النسب ، وأن بني علي  
ابن أبي طالب قد نزلوا عن حقهم في الخلافة مد باعه الحسن بن علي معاوية عام الجماعة  
وأن بني العباس هم الذي تاروا مظالم الشيعة العلوية من الأمويين ، وأن الطالين  
بشوراتهم يعدون جاحدين للشيعة ، إلى غير ذلك مما ذكرناه وذكره معهم شعراء  
السياسة<sup>(١)</sup> .

وقد تجمع المفاضلة بين قبي الشعر والثرما كما كان بين حفاف بن عجير  
السامي وعباس بن مرداس ، فقد قال حفاف في ملا من بني سلم . إن عباس بن  
مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أس ، ويأبى ذلك خصال قصدت  
به ؛ اتقاؤه بحيلة عند الموت ، واستهاته سببا العرب ، وقله الأسرى . ومكالة  
الصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمينا موته ، فما علم بذلك  
العباس قال :

حُفافُ ما تزالُ نحرُ ذبلا	إلى الأمر المارق للرشاد
إذا عانتك بو سليم	تبيت لها بدهية نادر
وقد علم المعاصر من سليم	ماني فيهم حسن الأيادي
فلورده يا حفاف قد يليت	بني عوف محبة بطن واد

ثم أصبح ماني حفاقا وهو ملا من بني سليم فقال له : إنك لتعلم أي أحي

(١) راجع السكامل العدد ٢ - ٢٩٣ وتاريخ شعر السياسي لأحمد الشيب الفصل الثاني  
من الباب الثالث .

للصّف وأطلق الأسير ، وأصون السيّة . وأما رعمك أنى أتقى بحملى الموت صحت  
من قومك رجلا اتقيت ه . وأما استهانتي بسببا العرب فإبى أحدو القوم فى  
سأهم معالهم فى نسلنا . وأما قتل الأسرى فإبى قتل الزبىدى بحالك إاد عجرت  
عن تارك . وأما مكالتي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط  
إلا لمتّ سائبه ، وأما تحيك موقى فإبى مت فأغن عاتى . . إلى نحو ذلك ثم  
انصرف فقال خفاف أياتا منها :

ولم تقتل أسيرك من ربيد بحالى بل عدرت بمساة  
فزادك فى سليم شررد وزادك فى سليم شرزاد  
وقد أدت الملاحاة بينهما إلى القتال فالتافضة ، وشط بينهما أهل الفساد  
حتى طال اللجاج شعرا ونثرا . كقول خفاف : —

يأبها المهدى لى الشتم ظللا ولست بأهل حين أذكر للشتم  
أبى الشتم أنى سيد وابن سادة مطاعين فى الهيجا مطاعيم للجرم  
هم سعو العرا أهلك وطاعسوا وذلك الذى يرمى ذبلا ولا يرمى  
فقال العباس :

يأبها المهدى لى الشتم ظللا تبين إذا راميت هصبّة من ترمى  
أبى الذم عرضى ، إن عرضى طاهر وأنى أبى من أباق ذوى عشم  
وإبى من القوم الذين دماؤهم شفاء لطلاب التراث من الرعم<sup>(١)</sup>

على أن ما يتجادل به الكتاب اليوم حول المواقف والأحزاب السياسية ،  
والاجتماعية ، والأدبية ليس إلا نوعا من النقائص الثرية ، يحاول به كل فريق  
إبطال آراء الآخر وإقامة آرائه مكانها .

(١) راجع القصة كاملة فى الأعانى ج ١٦ ص ١٤٠ بلاق :

وإذا رجعت إلى نمادج الفاعلة ، والمنافرة ، والمطاعة التي أشرنا إليها فيما مضى رأيت منها قسماً كبيراً يقوم على الترفيق قيامه على الشعر .

بقيت المعارضة ، والأمر فيها يسير واضح ، فقد سلك الكذب فيها سلك الشعراء ، وكان منها رسائل ، ومقومات ، ظهرت بين الحوار بيني وبين الرمان في الرسائل ، وبين الحريري والديبع ومن تابعهما في المقدمات ، وقد قام ابن الأثير في كتابه ( المثل السائر ) بمعارض بعض الكتاب السابقين بما أتت من رسائل وفصول معتزاً بآثاره ، ممجياً نفسه ، من ذلك ما عارض الصابي في تقليد بنقابة الأشراف العلويين ببيعداد ، فكتب ابن الأثير تقليداً بنقابة الأشراف العلويين بالموصل<sup>(١)</sup> وغيره كثير في نضاعيف كتابه . ونرى هنا أيضاً أن المعارضة لثرية متصلة على الجواب القوي ، والتحويد فيه ، دون انقضاء إلى جواباتها التي ترد في المناقصة الثرية أيضاً ، وكانت المعارضة في الرجز كذلك .

\*\*\*

وإذا كان الفخر ، والهجاء ، والحماسة ، هي المنون الرئيسية لمن ( القائص ) الشعرى فقد تناول أيضاً الرثاء ، والسب ، والسياسة ، والمدح ، أو كانت هذه المنون الفرعية من عوامل المناقضة وعناصرها منذ وجد هذا الصرب في الجاهلية ، وعليها أن تشير هنا إلى شيء من شواهد ذلك إتماماً لهذه النقطة الدراسية .

رأيت فيما مضى أمثلة الهجاء بين جرير والأحطل ، والفخر بين ابن ميادة وعقيل بن هاشم ، والحماسة متصلة بالفخر والهجاء وإن كانت أشد انصالاً بالأيام والحروب ، من ذلك ما قال العزرق في قتل وكيع بن أبي سود قتيبة بن مسلم الباهلي بحرامان :

(١) المثل السائر ص ١٢٢ بلاى ١٢٨٢ هـ

فَدَيُّ لُيُوفٍ مِنْ تَمِيمٍ وَى بِهَا      رَدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وُجُوهِ الْأَهَاتِمِ  
شَعْبٌ حَرَا زَاتِ الْعُوسِ وَلَمْ تَدْعُ      عَلِيَا مَقَالًا فِي وَقَاهِ لِلْأَنَامِ<sup>(١)</sup>  
فِيرِدْ عَلَيْهِ جَرِيرَ قَوْلِهِ :

فَمِيرُوكَ أَدَّى الْحَلِيفَةَ عَهْدَهُ      وَعِيرُوكَ حَلَّى عَنْ وَجُوهِ الْأَهَاتِمِ  
فَارًّا وَكَيْدًا حِينَ حَارَتْ بِجَاشِعٍ      كَفَى شَعْبًا صَدْعَ الْفَتَةِ لِلتَّفَارِقِ  
نَدَافِعُ عَسْكَمُ كُنَّ يَوْمَ عَظِيمَةٍ      وَأَتَتْ قُرَاحِي بِسَيْفِ الْكُوَاطِمِ<sup>(٢)</sup>

وكان لقائل من يربوع رهط جرير ، وكان أول بالفجر ، من الفرزدق ولكن الفرزدق تناول المسألة من أفق أعلى فذكر الفصل لتيميم كلها . وكان موقفه موقف الزعيم على تميم كلها لأعلى مجشع رهطه الأدين ، وهذا الشاهد متصل بالسيسة العليا للنولة الأموية إذ كان قتيبة منهما يجمع طاعة سليمان بن عبد الملك . وحدث أن تحابى يزيد بن الطثيرة وَوَحْشِيَّةَ الْجُرْمِيَّةِ وكان بينهما تزاور ، فثار لذلك ( فديك ) الجرمي زعيم أسرة وحشية ، ولكنها لم يبال ثورته وانصت بيزيد ، فاتخذ رُبِيَّةً وأضرم فيها ماراً حليفة سقطت فيها وحشية وهي سائرة للقائه صاحبها واحتقرت راحتها وردّها غلمان فديك إلى بيتها ، وتهاجى الرجلان لذلك فقال فديك :

شَقَى النَّفْسَ مِنْ وَحْشِيَّةِ الْيَوْمِ أَسَا      تَهَادَى وَقَدَّ كَاتٍ سَرِيماً عَنِيْقَهَا  
فَالْأَنَدُغُ حَبِطَ الْفَوَارِدِى الدَّجَى      تَكُنْ قَيْسًا مِنْ غَشِيَّةٍ لَا تُفِيْقَهَا  
دَوَاهٍ طَيِّبٍ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ      يَدَاوِي الْمَجَانِينَ الْحَلَّى طَرِيقَهَا  
فَأَجَابَهُ يَزِيدُ :

سَتَبْرَأُ مِنْ بَعْدِ الصَّمَانِ رِجْلَهَا      وَتَأْتِي الذِّى تَهْوَى مُحَلَّى طَرِيقَهَا



على هديا البدن إن ألقاها      وإن لم تكن إلا فديك يسوقها  
يحصنها مني فديك سعة      وقد ذهبت فيها الكياس وحوقها  
تذيقونها شيئا من السار كلها      رأت من بني كعب علاماً يرقها<sup>(١)</sup>

فقد دارت المناقصة هنا على أصل اجتماعي ، هو ما كان بين هذين الحبيبين من صلات ، وكان النسب أداته التي تحدى بها يزمد خصمه فديكا ، وقل هذين اعتمدت التقائهم على السبب بين حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم فيما قالوا يوم (الريج) من أيام الأوس والمخرج ، فقد شبَّ حسان (بلحى) أخت قيس حيث يقول :

لقد هج نفسك أشجنتها      وعودها اليوم ديابا  
تذكرت ليل وأن بها      إذا قطعت منك أقرامها  
القصيدة<sup>(٢)</sup> فأجابه قيس مشمًا (بقرة) زوج حسان إذ يقول :

أجسد بقرة غنياتها      فتهجر أم شانا شأنها  
وإن تمس شطت بها دلرها      وراح لك اليوم هجرانها  
فما روضة من رياض القفا      كان للصايح حودانها  
أحسن مني ، ولا مزنة      ذلوح تكشف أوجانها

إلى آخر ما قال

وكانت السياسة أيضاً مادة للمناقض داخله فيما دار بين شعراء الجاهلية والإسلام حول الأيام ، ومكانة القبيلة ، والإمارة ، ثم نظام الدولة وتكوين الأمة العربية وقد أفردها للشعر السياسي دراسة خاصة فيها شواهد المناقض

(١) الأغاني ج ٨ ص ١٧١ دار الكتب

(٢) الأغاني ج ٣ ص ١٢

(٣) ديوان قيس ص ٧

السياسة<sup>(١)</sup> وذكّر هنا مقال كتب بن جُمَيْل نصير معاوية بن أبي سفيان فيما كان بين عليٍّ ومعاوية من خلاف على الحكومة الإسلامية :

أردى الشام تكرهُ ملكَ البراء      قِ ، وأهلُ العراقِ له كارهوا  
وكلُّ لصاحبه مُبغضٌ      يرى كُلُّ ما كان من ذلك دسا  
وقالوا : على إمام لنا      قصدا : رصينا ان هد رصينا  
الآبيات ، فرد عليه النجاشي قوله :

دَعَنْ معاوى مالى يحكموا      قد حقق الله ما تحذروا  
أناكم على بأهل البراء      قِ وأهل الحجاز ، فما تصنعوا  
فإن يكره القوم ملكَ البراء      قِ فَيَقْدِمَا رصنا الذى تكرهوا<sup>(٢)</sup>  
ورقص كلُّ ما رأى الآخر من الولاء لصاحبه ، على أن تناقض العهول  
الإسلاميين متصلة باليسة اتصالاً قوياً .

ولما ماتت زوج حرير ، خالدة بنت سعد أم ابنه خَزْرَة ، قال فى رثائها :  
لولا الحياءُ لما جئنى استِغْبَارُ      ولرُدت قبركُ واحبيبُ يُرَارُ  
نعمَ القرينُ وكُنتِ علقَ مَصِينَةٍ      وارى بسفِ (سُلَيْمَةٍ) الأحجارُ  
عَمَرْتُ مُسْكِرَمةَ المسكِّ وفارقتُ      ما مَشَا صَلَفُ ولا إقْتِدارُ<sup>(٣)</sup>  
إلى آخر ما بكأها به ، فرد عليه الفرزدق بعد معاوية من قبضة :

كانت مُدْرِقةَ الحياةِ وموتها      خِرىٌ علاميةٌ عليكِ وعارُ  
فلئن مكبتِ على الأندى لقد بكى      جرعاً غداةَ فراقها الأعيارُ  
تسكى على امرأه وعندك مثلها      قصدا ليس لها عليكِ بخارُ<sup>(٤)</sup>

(٢) الاحبار الطوال لالديورى ص ٦١٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٧٩

(١) تاريخ الشعر السياسى للمؤلف .

(٣) النفاثين ص ٨٢٨ .

وكان من الرثاء من معارض النفاثين ووسائلها المقررة .  
 وكان الفردق يهجو قيس عيلان في قصيدته التي قالها في مصرع قيسه :  
 لقد شهدت قيساً في كان مصرها قبة إلا عصها بالأباهر  
 فين تقعدوا نعد انام أدلة وإن عذتم عدا سيص صوارم  
 تحرك قيس في رموس لثيمة أوقاً وأدائاً لثام المصلح<sup>(١)</sup>  
 فيرد عليه حرير مادحاً قيس عيلان معترفاً بها :

وما زارني قيس فرارس مصدق حجة وتحلون يقبل المعارم  
 فين شئت من قيس دوى مستمع وإن شئت طوداً حديفي المحارم  
 وقس هم الكهف الذي نستعده ادع الأعدى أو لجل العظام<sup>(٢)</sup>  
 وهكذا كانت فنون الشعر العربي وسائل المناقصة وأدواتها غلفت لنا عما  
 من أهم فنون الشعر العربي .

#### - ٤ -

وتكون المناقصة بين شاعرين ، كما رأيت ، وقد يشترك فيها ثلاثة ، فهذا  
 حسن بن ثابت يقول في يوم بني قريظة : -

تعاقد معشر نصرروا قريشاً وليس لهم سديتهم بصير  
 هم أوتوا الكتاب فصيحرة وهم نعى من التوراة بوز  
 فهان على سراق نى لوى حريق نابورة مستطير<sup>(٣)</sup>

فأجاب أبو سميان بن الحارث بن عبد المطلب فقال : -

أدام الله ذلك من صبيع وحرق في طرائفها السعير

(١) نظم من ٢٧٤ (٢) ح من ٨ .

(٣) حيرة بن هشام ٢ من ٢٨٤ طعة الأولى .

سئل أيما ميسا يرئ وتصلب أي أرضيا تضير  
فلو كان لحيل بها ركبا فهاوا : لا مقام لكم فيروا<sup>(١)</sup>

وأجابه أيضا حنبل بن حوَال التلبي قال من أبيات : —

وأقرت الثورية من سلام وتسفة واسأطب هي نور  
وقد كانوا سلايتهم ثقلا كما تقلت بميطان الصحور  
أقيموا يا سرافة الأوس فيها كأسكم من الحرة عور<sup>(٢)</sup>

وكذلك ما تناقص به عبد الله بن الزبير وحسان بن ثابت وكعب بن  
مالك يوم الخندق<sup>(٣)</sup> .

وقد تكون المقام في الملحمة الواحدة أكثر من اثنين مع المحافظة على  
أصول المقابلة المعروفة ، كما حدث بين عباس بن مرداس وحوات بن جبير في  
جلاء بني الضير وقد اشترك في هذه الملحمة ثلاثة شعراء ، قال عباس بن مرداس  
السلي يمدح بني الضير :

لو أن أهل الدار لم يصدعوا رأيت جلال الدار ملهى وملقى  
إذ جاء بأعي الخير قلن فحاة له بوجوه كاللداير : مرقحا  
وأهلا فلا مروع خير طلة ولا أمت تحشى عدنا أن تؤنبا  
فأجابه حوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف قال من أبيات : —  
تبسكى على فتنى يهود وقد ترى من الشجر لو سكى أحب وأقر  
هلا إلى قوم ملوك ممدحهم تموا من العر المؤئل منصبا  
أوشك أخرى من يهود عذخه تراهم وفيهم عرة الحيد ترسا

فأجابه عيسى بن مرداس من أبيات :

هَجَوْتُ صَرِيحَ الْكَاهِنِينَ وَفِيكُمْ لَمْ يَجِدْ كَأَنَّكَ مِنَ الدَّهْرِ تَرْبِيًا  
أَوْلَتْكَ أُخْرَى لَوْ بَكَيْتَ عَلَيْهِمْ وَقَوْمُكَ لَوْ أَدَّوْا مِنَ الْحَقِّ وَاحِدًا  
مِنَ الشُّكْرِ إِنْ الشُّكْرَ حَيْرٌ مَعْنَى وَأَوْفَى مَعْنَى لَدَى كَانَ أَصَوِّدُ

فأجابه كعب بن مالك أبو عبد الله بن رواحة ، فقال من أبيات : —

لَعَمْرِي تَدْحَكْتُ رَحَى الْخَرْبِ بَعْدَمَا أَطْلَرْتُ لُؤْيًا قَبْلُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا  
بِقِيَّةِ آلِ الْكَاهِنِينَ وَعَرَّهَا فَمَادَ دَلِيلًا مَعْدَمًا كَانَ أَعْلَى  
فُبْدَا وَمُحَقَّقًا لِلصَّيْرِ وَمِثْلَهَا إِنْ اعْتَقَ فَحُجَّ أَوْ إِنْ لَمْ يَنْتَقِبْ (١)

وقد حدثت للماتصة بن الخطيئة العمري وصبيه روى صاحب الأغانى (٢)

أن صحر بن أعبي الأسدي رن بالخطيئة ، فقام شربة بن ، فلما شره قال  
من أبيات :

لَمَّا رَأَيْتُ أَنْ مَنْ يَنْتَقِبُ الْقَرَى وَأَنْ ابْنَ أَعْبَى لَأَمَلَةٍ فَاضِحِي  
شَدِدْتُ حِيَارِي مِنْ أَعْبَى شَرْبَةٍ عَلَى ظُلُمَاتِ أَصُولِ الْخَوَارِجِ  
الْأَبْيَاتِ ، فَأَجَابَهُ صَحْرُ بْنُ أَعْبَى قَالَ : —

أَلَا قُبْحَ اللَّهِ الْخَطِيئَةُ بِهِ عَلَى كُلِّ صَيْفٍ صَاهٍ هُوَ مَارِحٌ  
دُفِئْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحَقِّ كَلْبِهِ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَأَمَلِكْ ، نَارِحٌ  
بَكَيْتَ عَلَى مَذْقٍ خَيْثَ قَرِينَةٍ أَلَا كُلُّ عَيْبِيٍّ عَلَى الرَّادِ شَانِحٌ  
كَذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَ لَرٍّ وَأَخِيهِ ، فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ لِأَخِيهِ هَاشِمُ : —

أَعْرَ هَاشِمًا مِنْ أَخِيهِ ابْنِ أُمِّهِ قَوَادِمُ ضَسَانٍ أَقْبَلَتْ وَرَبِيعُ  
وَهْلَى تَخْلُفُ الضَّنَّ الْعِرَارُ أَحَا الْفَتَى إِذَا حَلَّ أَمْرٌ فِي الصَّدُورِ فَظَلَمِ

فأجابه هشام : —

إذا بَانَ مَالِي مِنْ سِوَايَكَ لَمْ يَكُنْ      إِلَيْكَ ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ رُجُوعُ  
فَأَسْتَ الْعَتَى مَا لَهْتَ فِي الزَّهْرِ التَّنْدَى      وَأَنْتَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ قُفُوعُ<sup>(١)</sup>  
وَكَاثِبِينَ ثَمَرٍ وَهْوَ ، رَوَى أَوَّالُ الْخَرْجِ فِي أَغَابِهِ أَلْ عَيْنَةَ بَنِ مَرْدَاسِ  
الْتِمِصِي قَدَمَ عَلِيٍّ ابْنِ عَامِرٍ بَنِ كَرِيزٍ ، وَكَانَ حَوَادُّ ، فَلَمَّا اسْتَوْدُنَ لَهُ عَلَيْهِ أَرْسَلَ  
إِلَيْهِ إِنْكَ ، وَاللَّهِ ، مَا تَسْأَلُ بِحَسْبِ وَلَا دِينَ وَلَا مَنَزَلَةَ ، وَمَا أَرَى لِرَحْلِ مَنْ قَرِيشِ  
أَنْ يَعْطِيكَ شَيْئًا ، وَأَمْرُهُ فَكَّرَ وَأَهْمِنَ فَقَالَ : —

وَكَاثِبِينَ تَحَطَّتْ بَاقِي وَزَمِيلُهَا      إِلَى ابْنِ كَرِيزٍ بَنِ نَحُوسٍ وَأَسْمَدِ  
وَأَغْبَرَ مَسْحُولِ التُّرَابِ تَرَى لَهُ      حَبًّا طَرَدَهُ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَطَرِدِ  
لَعْنَتِكَ إِنْ عِنْدَ بَلْبِ ابْنِ عَامِرٍ      لِكَالْفُلِيِّ ، بَعْدَ الرَّمِيَةِ الْمَتَرَدِ  
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا مِثْلَهُ إِنْ تَكَشَّفَتْ      ضِيَابُهُ عَنِّي وَلَمَّا أَقْبَدِ  
فَبَلَغَ قَوْلُهُ ابْنَ عَامِرٍ خَافَ لِسَانَهُ وَمَا يَأْتِي بِهِ بِمَدِّ هَذَا وَرَجَعَ لَهُ وَأَحْسَنَ الْقَوْمِ  
رَدَّهُ وَقَالُوا هَذَا شَاعِرُ فَارِسٍ وَشَيْخٍ مِنْ شِيُوخِ قَوْمِهِ وَالْقَلِيلُ بِرُصِيهِ فَقَالَ رَدَّوهُ ،  
فَرُدُّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَيْنِيَّةَ ، ارْجِعْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ ، فَقَالَ : —

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ      نَعَمْ ، فَرَمْتُكَ الشُّوقَ قَبْلَ التَّجَلُّدِ  
فِيَالِكَ مِنْ شُوقٍ وَبِالِكَ عَصِيرَةٍ      سَوَاغَهَا مِثْلُ الْجَبَانِ الْمَبْدُودِ  
وَكَاثِبِينَ تَحَطَّتْ بَاقِي وَزَمِيلُهَا      إِلَى ابْنِ كَرِيزٍ بَنِ نَحُوسٍ وَأَسْمَدِ  
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ التَّنْصَاءِ بِمَالِهِ      وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلرَّءِ غَيْرُ مُخْلَدِ  
إِذَا مَا مِيلَاتُ الْأَمُورِ اعْتَلَيْتُهَا      تَحْلِي الدُّجَى عَنْ كَوْكَبِ مَتَوَقَّدِ

فقسم ابن عامر ، وقال : لعمرى ما هكذا قلت ، ولكنه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رضى .

وصفه أولاً بالسل و إهمال قاصده و إذلاله ، ثم عاد فوصفه بالكرم و مصاب  
البرية ناقصاً بقوله الثانى ما قال أولاً .

ومحو ذلك ما حدث حين كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم أن يصله  
فلما مدح داود جعفر بن سليمان - وكان بينه وبين الحسن تناهد شديد - أعضب  
ذلك الحسن فقدم من حجج أو عمرة فدخل عليه داود مسلماً فقال له الحسن : أنت  
القاتل فى جعفر ؟ -

وكما حديثاً قبل تأمير جعفر وكان الثانى فى جعفر أن يؤمر  
الآيات ، فقال داود جعفى الله فداءكم ، فكتم خير اختياره ، وأما الذى  
أقول :-

لعمرى لئن عاقبت أو حدثت ممها معو عن الجاني وإن كان مُعذراً . الخ  
هاد الحسن إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله و يحض إليه إلى أن مات <sup>(١)</sup> .  
وكذلك ما قال عبد الرحمن بن الحكم لما ادعى معاوية ريادة حتى غصب  
عليه معاوية وحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى عنه ريادة ، فقال عبد الرحمن شعراً  
يتقضى به ما قال أولاً فرضى عنه ريادة ثم معاوية <sup>(٢)</sup> .

وكانت المناقضة بين الحى وائيت . كما حدث « يوم سَحَبِل » بين جعفر  
ابن عتبة الحارثى وبين ( معاذ ) العقيلي ، فقد كان جعفر قال :-

ألا ، لا أبلى بعد يوم سَحَبِلِ إذا لم أعذب أن يحى إجماليا



القصيد ، فلما قُتِلَ أجابه معاذ بأبيات أولها : —

أبا خعفرٍ سَمِّ بِحِرَانٍ وَاحْتَسِبْ      أبا علمٍ وَلِلْغَنَاتِ الْعَوَالِبِ

وسأبني ذكر ذلك في الباب الأول .

وكانت بين امرأة وحدها ؛ فقد هوى ابن الدُمَيْشِ امرأة من قومه بعد ما لها أُمَيَّةٌ مهم بها مدة . فلما وصلته تحى عليها ، وحسن ينقطع عنها ، ثم رآها ذات يوم فتعانتا صوبلا . ثم أقصد عليه فقالت له : —

وَأَتِ الْهَى أَحْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي      وَأَشْمَتُ فِي مَنْ كَانَ بَيْكَ يَوْمُ

وَأَرَرْتَنِي لِلْهَاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي      غَمَّ عَرَصَا أَرَمِي وَأَتِ سَيْمُ

هَلُو أَنْ قَوْلَا يَكْلِمُ الْجَسْمَ قَدْ بَدَا      يَجْمَسُ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كَلُومُ

فأجابها ابن الدُمَيْشِ فقال :

وَأَسْتِرَاقِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَرَارَةً      وَمَرَّقْتَ قَرْنَحَ الْقَسْبِ هُوَ كَلِيمُ

وَأَسْتِرَاقِي كَلَفِي دَلَجَ الشَّرَى      وَحَوْنُ الْقَطَا بِالْجِلْبَتَيْنِ جُنُومُ

وَأَسْتِرَاقِي أَحْفَلْتُ قَوْمِي فَكَلَّمُ      بَمِيزِ الرِّصَادِ دَامِيَ الصَّدُورِ كَلُومُ<sup>(١)</sup>

وبين امرأة وخصمها في يوم المردت ، تحسم على عامر قال يريد بن عمرو

ابن الصَّمِيقِ : —

أُورَادَةٌ عَلَى سَوِ رِيَّاحٍ      سِيرِمُ وَقَدْ هَلُّوا بِحَيْرَا

فمالت العوراء أخت بني رباح ترد عليه من أبيات : —

قَعْدَكَ يَا يُزَيْدُ أَنَا قَبِيئِسُ      أَنْفَذِرُوا كِي تَلَاقِنَا النَّدُورَا

وَتَوْصِيعُ تَحِيرُ الْأَقْوَامِ أَنَا      وَجِدْنَا فِي ضَرَامِ الْحَرْبِ حُورَا

أَلْبَسِمُ ، قَعْدَكَ ، يَا بَنِ عَمْرُو      أَنَا نَهْمُ الشَّيْخِ الْمَجُورِ<sup>(٢)</sup>

و بين امرأين ؛ هذه هدت عتبة روج أنى مفايا تقول يوم أحد -  
 نحن جريباكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سمر  
 ما كان لي عن عتبة من صبر ولا أنى وعمسه وبكرى  
 شعيت نسي وقصيت نذرى شعيت وحشى غليل صدرى  
 وشكر وحشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى فرى  
 فتحبها أروى ست الحارث بن عبد المطلب : -

يا ست حبار كثير الكفر حُرست فى بدر وبدر بدر  
 صعدت الله قتيل الفخر بالهشمين الطوال الرهبر  
 بكل قطاع حمار يعرى حمرة لى وعلى صبرى  
 إذ رام شيت وأبوك عدى حصبا منه صواحي البحر<sup>(١)</sup>

وأخيراً نجد المناقصة بين طائفتين من الشعراء أو مدرستين من مدارسهم ، فقد  
 طلب الخطيئة من كعب بن زهير - وكان الخطيئة راوية زهير وآله - أن يقول  
 شعراً يذكر فيه أنه لأن الناس أروى لشعر آل زهير وإليه أسرع ، فقال كعب :

من للقوافي شاتها من يحوكها إذا ماتوى كعب وفور جزول  
 كعبتك ، لا تنقى من الناس واحدا تنحل منها مثل ما تنحل  
 نقول بلا عيبا شىء نقوله ومن قائلها من يسي ويحمل  
 شفعها حتى تلين مؤمها فيقصر عنها كل ما يتمثل

فاعتزله مَرَرْد أخو الشماخ ، فقال يدكر رهنه من الشعراء : -

و باستث إد خنقى خلف شاعر من الناس لم أ كفى ، ولم أتجمل

وَإِنْ تَحْتَبَا حَشَبٌ وَإِنْ تَعْمَلَا      وَإِنْ كُنْتَ أَفْقَى سَكَا أَمْعَلُ  
فَلَسْتَ كَحَارِ الْحَامِ إِنْ تَابْتَ      وَلَسْتَ كَشَّاحٍ وَلَا كَالْحَجَلِ<sup>(١)</sup>  
وقد أتى الكيت بعد ذلك بمدة ورد على كعب بن زهير<sup>(٢)</sup>.

وكما حدثت المناقصة بشعر أصيل من قول للتافضين ، حدثت أيضاً بالنش  
شعر الشعراء الآخرين ، فقد نظر الحجاج إلى يزيد بن المهملر فحضر في مشيته  
فقال : لمن الله الميرة من حباء ، حيث يقول : —

حَمِيلُ الْحَبَاءِ يَمْتَرِي إِذَا مَشَى      وَفِي الدَّرْعِ صَعَمُ الْمُسْكِينِ شِاقُ  
فالتفت إليه يريد فقال : إنه يقول فيها : —

شَدِيدُ الْقُوَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِذَا وَهَى      مِنْ الدِّينِ قَتْقُ تَحْتَلُوا فَطَاقُوا  
مَرَا حَبِيعُ فِي اللَّأْوَاءِ إِنْ نَزَلْتُ بِهِمْ      مَيَامِينُ قَدْ قَادُوا الْجِيُوشَ وَسَاقُوا<sup>(٣)</sup>  
وفي الأغانى<sup>(٤)</sup> حُجْجَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هَيْبَةَ (الفرارى) يسير بالكوفة فأنهى  
إلى مسجد بني عاصرة وقد أقيمت الصلاة فنزل يصلي واحضج الناس لمكانه في  
العاريق ، وأشرف النساء من الطوح ، فلما قصى صلاته قال : من هذا المسجد ؟ قالوا :  
لبني عاصرة ، فتمثل قول الشاعر :

مَا إِنْ تَزَكَّى مِنَ الْعَوَاصِرِ مُعِصِرًا      إِلَّا قَصَصَ بِسَاتِقِهَا حُلُحَالًا  
فقال له امرأة من المشرطات :

وَلَقَدْ عَطَفَنْ عَلَى قَرَارَةٍ عَطْفَةً      كَرَّ السَّيْحِ وَحُلَّ نَمِّ تَحَالًا  
فقال يريد : من هذه ؟ فقالوا : من الحكم بن عبد ، فقال : هل تلد الحية إلا  
حية ؟ وقام خجلًا .

(١) الأغانى ج ٢ ص ١٦٥ دار الكتب . (٢) الشعر والشعر ، ص ٧٠ أوردته  
(٣) الأغانى ج ١ ص ١٦٠ يولاق (٤) ترجمه الحكم ابن عبد ج ٢ ص ١٥٦ يولاق

فالببتان للأحطل من نقيصه له مع جرير<sup>(١)</sup> ، وقد وردا فيها مسجاورين ، و سو  
عاضرة بطن من أسد بن حريجة بن مدركة بن إلياس من مصر ، وقرارة بطن من ديبان  
اس بغير من قس عيلان ، و ذكر الأحطل ما كان للمذيل النعسي من أثر سبي ، فيهم ،  
وما تمس ير يد بن هيرة المزاري بالبت الأول كان منه نراً لعاضرة ، لذلك فابتدئ  
بت الحسك من عدل الأسدى سر آخر لمرارة ، والببتان لب لهما كما رأيت .

كذلك في المثال الأول نجد الطعاج يرمى ير يد بن المهلب بالمعجب والعرور ، فرد  
عليه يزيد بإثبات فصائل نفسه من شجاعة وهمة وغلبة وصبر ومساء ، كونه كذبه أو  
أنبت أحقيته في الإعجاب نفسه ، والشعر لابن حبان ليس له فيه شيء .

وقد لاحظنا في المناقصة ، ولا سيما ما كان منها بين محول الأمويين ، أن  
البادي ، يكون ، غالباً ، أطول نساء . وأقوى أسلوباً ، وأقوم معاني ، بخلاف الثاني  
فيكون أقصر قصيداً ، وأضعف صياغة ، وأهون معاني ، ولعل ذلك راجع إلى  
أن الشاعر الأول حر في اختيار الموضوع ، والمعاني ، والنور ، والقافية ، ويكون  
مليئاً بقرضه ، متأثراً بسواعنه فيختار ما يحفل قصيدته رائحة ، حتى إذا جاء الثاني  
وجد نفسه مقيداً بموضوع ربما لا يعجده ، وقد سبقه صاحبه إلى غزو المعاني وأحسم ،  
وفرص عليه بحرأ وقافية ، ووقفه أمام أمر واقع لم يستعد له فيجوجه مكرهاً أو  
مخرجاً فيقصر عن صاحبه ، نجد ذلك في الرائيين للأحطل وحرير اللتين أوردنا  
شاهدأ منهما قبلأ فكان الأحطل مبرراً ؛ قصيدته طويلة ، حسنة التقسيم ،  
كثيرة القون ، تناولت السياسة الأموية ومدح الخليفة وهجاء قيس وكليب بن  
بربروع في حين أن حريراً وقف عند النسيب والمجاء والحر مع قصر النفس

وصف الأسلوب ، وكذلك كان تحرير مع الفرزدق في الميميين اللذين قيد في مصرع  
قبة من مسم لاهلي ، ولكن تحريراً لما بدأ المناقضة في السائبة التي هجاها  
انراعي وقومه كان محلياً مطعماً لم يلفح الفرزدق فيها ملحه في طول لغز وروعة  
الأسلوب<sup>(١)</sup>

— ٥ —

ولكن كيف كانت المناقضة بين المعاني ؟

سلك شعراء النفاضة ، في نفس المعنى ، طرقاً شتى ترجع إلى أصل عام واحد  
هو أن معنى الشاعر الثاني يفسد ما يقرره الأول ، فيكذب ما يدعى ، أو يصع  
إراءه ما يقابله ، أو يفسده لصالحه ويقلل أهميته ، ويشيرها إلى بعض الطرق التي  
اعتمدها المتناقضون في هذه اللام الشعرية :

١ — من ذلك القلب ، يقول الشاعر الأول صاحباً فيرد عليه الثاني قاتلاً  
عليه معانيه ذاتها مُدْعِي أنها من صفات الأول أو رطله كما رأيت ذلك ، في مر ،  
بين الأخطال وحريز ، وكما حدث بين عكس من ذهيل وجريز ، إذ قال الأول :  
لعمري لئن كانت بحيلة زاهيا جريز ، لقد أحزى كنيهاً جريزها  
رَميت بصالا عن كليب قصرت مراميك حتى عاد صمراً حميرها  
ولا يدعخون الشاة إلا يميمير طوبيل تماحبها صباراً قدودها  
فصل عليه تحريراً التجلي ، ورماء بالمعز عن الدفاع عن قومه ، وبأن قومه  
بجلاء ، فأحانه تحرير قتال من أبيات :

(١) السائبة لجزم من ١٢٧ من خاص جريز والمردود .

ألا ليت شِعري عن (سليط) ألم تحيد سليط يسوى غسان جارا يُجِيرُها  
فقد صموا الأصحابَ صاحبَ سوءٍ يُباحي بها مكا حينًا ضميرُها<sup>(١)</sup>  
يرى أن غسان (وهو من سليط) أعجز من أن يدافع عن قومه ، وأن  
أصحابهم صائفة مادام غسان هو المناضل عنها تلحث ضميره وهوان نفسه ، وبذلك  
رد إليه ما قال ، وزماه نفس ما ادعى .

٢ - ومنها المقابلة أو المواراة ، وهذه أن يصع الثاني من لماخر أو الثالث  
صروباً تقابل ما وضع الأول وتكون ماطرة لها ، فلما قال الأخطل لحرير :  
إحداً ربيت كذباً من مُحاشعاً وأما الفوارس سهلاً أحوال  
وإذا وردت الماء كان لدارم حُثُّهُ وسهولة الأعطان  
وإذا قدمت أبى في ميراثهم رجحوا وشال أبوش في الميزان  
يفصل سهلاً ومحاشعاً (من دارم قوم الفرزدق) على بنى كليب وهط جريز  
ويقرب بينهما في وجهه ، ويرمى قوم حرير بالتحلف عن دارم ، وأن هؤلاء أمكن  
منهم في الهد والسكاة ، أتى جرير فكون صورة كهذه ورمى بها الأخطل ، بأن  
فصل بنى شيبان من نكر على تطلب - وهط الأخطل - وهما أساء عمومة فوق  
ما غز الأخطل بالرشوة التي رشاه بها محمد بن عُمير بن عطار و كانت رقا من خمر  
وحلة ليفصل الفرزدق على حرير ، قال جرير :

إذا العادة إن (شراً) قد قصي ألا تجوز حكومة الشوان  
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بنى شيبان  
قلوا كليكم يلقح جارهم يا حرير تطلب لستم سهجان<sup>(٢)</sup>

(١) الأضاح ج ٨ ص ٥٥ دار الكتب

(٢) حسن المرجع ص ٩٧ .

فسكر حبر من تعلق ، وهم الذين قتلوا كليب بن ربيعة التغلبي ساقه صرعها ،  
وكان من ذلك حرب السوس المشهورة .

ومن شواهد هذا الصرب - المقالة - أن الأخطل احتضر يوم ( الحثاك )  
لتعلق عني قيس عيلان وفيه قتل عُمير بن الحُطَّاب السُّلَمي ، فقال :

أُمتست عني حباب الحثاك حيفته ورأته دونه اليموم والصَّورُ  
يسأله الصبر من عستان إنْ حَصروا كيف قرأتك العمة الحُشْر<sup>(١)</sup>  
قد كر حرير ، يراء ذلك ، يومَ البشر الذي سَكَلَ فيه القيسيون تغلب  
سكالا شديداً ، فقال :

إني رأيكم واحقَّ تمصبةً تحبون أن يُذكر الخخاف أودفر  
فما منتم عداة ( البشر ) سوتكم ولا صبرتم لقيس مثل ما صدروا  
أسلمتم كل محتاب عباته وكل محصرقة القربين سُتقر<sup>(٢)</sup>

٣ - ومن ضروب المناقصة التوجيه وذلك أن نحدث حادثة ويسألها  
الشاعران وكل يفسرها تفسيراً يؤيد موقفه في العفر أو الهجاء ، من ذلك موقف  
جرير مع قيس عيلان فقد سره الفرزدق بأنه لارتاق وسبع للأهل بما ارشوة  
وقال في ذلك يحاطب جريراً من قبضة :

أديرسان قيس ، لا أياك ، تشتري بأعراض قوم هم ساء المسكارم  
فما أنت من قيس فتبيع دوتها ولا من تميم في الروس الأعظيم<sup>(٣)</sup>  
فرد عليه جرير بأن ذلك الموقف طحي إذ كانت قيس أحق الناس بالثاء  
دون تغلب ودارم ، فقال :

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٦ . (٢) ديوان جرير ص ٢٦٠

(٣) قيس جرير والفرزدق ص ٢٢٩

وإني وقفاً بينَ قَتِينِ مُجْتَنِعٍ      كَرِيمٍ أَصْعَى مِدْحَتِي لَأَكْرَمِ  
وَقَسَمِ الْكَيْفِ الَّذِي سَتَعِدُّهُ      لِنَفْعِ الْأَعَادِي أَوْ لِحُلِّ الْعِظَامِ<sup>(١)</sup>

وكذلك مسألة السيف ، فقد حج سليمان بن عبد الملك ، ولما كان بالمدينة  
للقوه بأسرى الروم فجعل يذنبهم إلى الناس يذنبهم حتى دفع إلى حرير وجلا  
مهم فقله ودفع إلى الفرزدق آخر قصته فلم يصع شيئاً صحت منه القوم ، وأخذ  
الفرزدق يعتذر بنسب سيف وره ، بن زهد عن رأس خالد بن جعفر الكلابي<sup>(٢)</sup>  
وأخذ حرير يعتذر الفرزدق منك ملحقاً ساحراً ، فقال الفرزدق موثقاً بحزبه  
وسفوطه في هذا الامتحان : —

فلا تقتل الأسرى ولست بكنز فنيكم      إذا أنقذت الأعناق حول للدارم  
فهي ضربة الرومي حائلةٌ سكم      أبا عن كتيب أو أبا مثل دارم  
كذلك سيف الحمد نسو حناتها      ويعطون أحياناً سباط التمام<sup>(٣)</sup>

يخرج الفرزدق هذا الحادث بأنهم قوم لم يمتدوا قبل الأسرى حتى يبرعوا  
في صرهم ، ولستهم بمكوبهم ويحملون قدامهم ، على أن السيف قد نسو عن  
المقاتل ، ثم قال لحرير إن هورك لم يكسبك حساً أو يرفع من شأنك .

أما حرير فقد حلى في هذا الحادث ، وقال لصاحبه : كيف ترجع عني قبس  
في حذلاتك مع أن الأصل في ذلك عدم جديكم ممارسة الصداق في عهد آبائكم ،  
وحسبكم أن تفخروا بقر النوق يوم ( صوتار ) : —

أكنفت قباً أن يد سيف علب      وشاعت له أحدىثة في اللوازم  
سيف أبي زعوان سيف مجاشع      ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(١) المرجع السابق ص ٢٧١

(٢) نفس المرجع ص ٢٨٤ .

(٣) نفسه ص ٢٨٣



صربت به عند الإمام فأرغشت      بذاك ، وقالوا : مُحدثٌ غير صارم  
صربت به عرقوب باب بصومير      ولا تضربون القيعن تحت النعيم<sup>(١)</sup>  
٤ - ومن ذمك التكذب أو تلزع المآثر ، كل شاعر يدعى لنفسه  
أو لقومه مآثرة حبسها ويدفع عنها رسله ، ذلك الفرزدق بمسح بـ قتل وكيع بن  
أبي سود البر بوعى قتيبة بن مسلم الناهلي بحراس أولي خلافة سبيل بن عبد الملك  
وينسكهم في ذلك باسم نعيم التي يرعها فيقول : -

هَيْبَى يسوف من نعيم وى بها      ردامى وحلت عن وجوه الأهاتم  
شقي حرارت العوس ولم تدع      علينا مقللاً في وفاة اللاثم  
أبانا هم قسى وما في دماهم      وفاة وهن الشافيت الحوام  
حرى الله قومى إدا أراد جهارتى      فتية سعى الأنصلي الأكارم<sup>(٢)</sup>  
هياتى جرير فيقيى الفرزدق عن هذه المآثرة لأن القائل من رده حرير  
دون رده الفرزدق وإن كانا نعيمين معاً ، قال جرير : -

ميرك أدى للحيمة عهد      وعبرك حلى عن وجوه الأهاتم  
قل وكيعاً حين حارت محاشم      كفى شعباً صدع الفسة المتناقم  
تقد كنت فيها يا فرزدق راما      ووريش اللذائى تابع للقوام  
أشأ وحرأ يائى رندستها      ونحن شئت الحرب شيت القدم<sup>(٣)</sup>  
ولما قال جرير فى هجاء الراعى : -

إذا غضبت عليك بنو نعيم      حست الناس كلامهم غضابا  
رد عابه الساس بن يزيد الكندي قال : -

(١) الفاعل من ٤١٢ وزاج من ٢٢ حيث يسمى البيت و الفرزدق يوم ٢١ طروج  
طبر ١٢٢٠ حرير يوم ٢١ طبر ١٢٢٠ الأهل .  
(٢) حسن ما جمع من ٢٧١  
(٣) حسن ما جمع من ٢٧١

ألا رعبت أوفى سى نعيم فاقم القمير إن كانوا غصابا  
أعد عصيت عليك بو نعيم فإ نكأت نفضتها ذبابا  
لو أطلع العرب على نعيم وما فيها من السوء سدا<sup>(١)</sup>

ومن شواهد النقص والتكذيب وإثبات العكس ما اصطلح الفرزدق من  
وقار ومعب في نسبه مطلق قصيدته الميمية السالفة قبل أن يحدث عن مصرع  
قنبلة ، فأنى حرير وأكر دعواه وهدمها وأثبت ما نتم الفرزدق والخرور .

• — وهناك الوعيد والثناء ، فقد كان أمية بن خلف الخراعى هجى

حسان بقوله :

ألا من مسمع حسان عقى معلمة تذب إلى عكاظ  
أليس أبوك فينا مكان فيا لدى القيأت قسلاً في الحفاظ  
يمانياً يطل بشد كبيراً وسفع دأباً هب الشواط  
فأحابة حسان من آيات .

أنابى عن أمية زور قول وما هو بالعيب بدى جهظ  
سأشرك إن نيت لكم كلاماً يُدشركى الحامع من عكاظ  
قوائ كالسلام إذا استمرت من العلم المقترقة البلاظ  
لم يزد حسان على إظهاره بأنه سيهجو هجاء مرأ شامعاً مؤلفاً<sup>(٢)</sup> .

وقد رأيت ، فيما مر ، ثمينة هديت عبة بمصرع حمرة يوم أحد ، وهذا  
حسان بن ثابت في ( نذر الآخرة ) كان شامعاً بأبى سعيان وقريش وذلك حيث  
يقول حسان :

(١) ديوان حسان ٢٤١ . (٢) سيره ابن هشام - ٣ من ٢٢٤ نسخة المعنى .

دَعُوا فَتَحَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُوسُهَا      حِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْحَاضِرِ الْأَوَارِكِ  
بَأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا بِحَوْرِهِمْ      وَأَهَارِهِ حَمَا وَأَيْدِي الْمَلَانِكِ  
وَيَقُولُ أَبُو سَعْيَانَ : —

خَرَجْنَا وَمَا نَحْنُو الْيَعْفُورُ بِيَسَا      وَلَوْ وَالَّتِ مُنَا بِشِدَّةٍ مُدِيرِكِ  
إِذَا مَا ابْعَثْنَا مِنْ مُنَاخِرِ حَمْسَتَهُ      مَدَمَّسَ أَهْلِ الْوَسْمِ الْمُتَصَرِّكِ<sup>(١)</sup>  
٦ — وَقَدْ يَلِمُ الشَّاعِرُ لِلْآخِرِ مَعْنَى فَيَصْرِفُ عَنْهُ دُونَ نَقْصِ طَائِفَةٍ  
أَوْ مَكْرَهَا ، إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَوْصُ فِيهِ لِنَاعِ عَصِي أَوْ سِيَاسِي أَوْ دِينِي ، أَوْ عَمُومَهَا ،  
وَذَلِكَ كَتَصْيِيرِ حَرِيرِ الْأَحْطَلِ بِدَعَمِ الْجُرَى أَوْ عَمُوفَتِهِ . —

إِنَّ أَيْدِي حَرَمِ الْمَكَارِمِ تَعْبَأُ      جَلَّ النَّبُوءَةُ وَابْتَخِلَافَةُ هِيَا  
هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ الشَّاعِرِ مَشْعَرَا      أَوْ تَشْهَدُونَ مَعَ الْأَذَانِ أَذِينَا  
مُصَرَّأِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ      بِأَحْرَرِ تَعْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَيْنَا  
هَذَا ابْنُ عَمِي فِي دِمَشْقٍ حَلِيمَةً      لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَى قَطِيفِنَا<sup>(٢)</sup>  
إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِ الْأَحْطَلِ أَنْ يَنْفَعُ مِثْلَ هَذِهِ الْعَدَى الدِّينِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ  
الَّتِي تَتَّصِلُ بِالْخِلَافَةِ وَشُعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا سِيَّامَا أَنَّ الْأَحْطَلِ كَانَ يَعِيشُ هُوَ وَقَوْمُهُ  
فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ مَا كَانَ يَمْدَحُ الْأَحْطَلُ وَالْفَرَرْدَقُ حَلْدَهُ نَبِيَّ أُمِيَّةِ أَمْنَاءِ  
الْبُقَاتِصِ ، فَيَحْدُ حَرِيرَ عَمِّهِ مَحْرَجاً فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ بَيْنَ قَيْسٍ وَالْبَيْتِ  
لِلْمَالِكِ ، فَيَتْرَكُ تَلْدِيحَ وَيَكْسِرُ جَهْدَهُ عَلَى الْمُنَاقَصَةِ لِأَخِيرِ .

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٠ ص ٢٢٩ طبعه المطبعي .

(٢) ديوان جرير ص ٥٧٨ .

تلك أبرز طرق المناقضة بين الشراء أشرفا إليها ، وليس من صالح البحث أن يستقصى تفاصيل ذلك وحرثياته ، فهو أمر متروك للدراسة الخاصة وقراءة النصوص .

أما أسباب النقائص ودواعيها فالأمر في ذلك متروك لما يأتي من العنصر ، ويستجد أن منها أسبابا عامة كالعصيات وأخرى خاصة تتصل بالسياسة ، أو المنفعة الفردية ، أو الرعاية الشعرية أو نحوها .

وسرى أن هذه النقائص كانت ذات أطوار ثلاث لكل طور طائفة لموضوعي والقي ، فكانت جاهلية ، وإسلامية ، وأموية

---

# الباب الأول

التفاضل في الجاهلية

## الفصل الأول

نشأة التفاضل وفنونها

- ١ -

كانت طبيعة الحياة الجاهلية أحد الأسباب في نشأة التفاضل بين شعراء العربية قبل الإسلام، وكانت العامل الأول في استحداثها من تطور الذائجة والعلوم إلى صورتها الكاملة التي ظهر عليها الإسلام فاتخذها شعراؤه أداة جدلية في ذلك الصراع الأدبي بين التقاليد الجاهلية والأصول الإسلامية .

وأخص ميراث هذه الحياة القديمة هي البداوة النخيلة العالية على معظم الجزيرة العربية ، وقد كانت بداوة صحراوية فاحلة بجافة يندر فيها الخصب الداعي إلى الهدوء والاستقرار ، وتندم فيها المواد الأخرى التي تقوم الحياة وتضطر السكان إلى الخسوع لطعم عامة ، سلطان نافذ يحد من حريتهم الفردية والاجتماعية في سبيل القوات الموقرة ، والأمن الشامل ، والنظام المقرر . وكان من ذلك أن ضعف اتصال العرب بالأرض ، وتشبههم النائم بإقليم خاص ، وصارت دنياهم منحركة غير قارة ، وحياتهم مضطربة غير مسقة .

هذه الداوة الفقيرة أدت إلى ظهريين طبيعيتين .

إحداها هذا الفقر الحسى، والعلى، فما ظنك بحياة تخضع فى كيانها المادى لعامل المصادفة والانتظار اسلى لاتقوم على مصادر منظمة ولا كدح ميقون الآثار، يرقب الأعراب مساقط العيث فيهرعون إليها أينما كانت لهم ظافرون منها عِراع وقتية للابل والشاة التى يكتسبون من أصوافها وأوبارها، ويطعمون نابلانها ولحومها ثم يركبونها عرض البادية فى سبل مرعى آخر يتركون حوله . وأما إذا أحلف المطر أو قل الفيث فالجذب المهلك ، واللأء الشامل ، وأكل الحشرات ، وشرب الماء الأسن ، والنؤس الشديد .. مثل هذه الحياة الشحيحة للضطرة لا ينتظر فيها سكون أو تفكير على أو إقامة معاهد دراسية أو نحو ذلك ، فكان جابها العنى فقيراً محدداً ، وقصارى ماعد الأعراب معارف تحريرية ، وأساطير وخرافات . . . فلما تقدمت بداوتها شأ فيها الشر وكان ميرتهم الأدبية الباردة .

والثانية هذا النفى النفى ، والتثبت بالحرية إلى أبعد الآماد ، والنور من الفلة والخضوع لقوانين حكومية ، وكيف يحتمل الدوى ذلك وهو لا يظفر بميش يروض عليه ما ينخر من حربه ؟ أيرضى بالجمع بين فقرين : مادى ونفسى ، دون عزاء آخر يرضيه ويطمن إليه فى هذه الدنيا المكددة القاسية ؟ إنما محور القوايين على الشعب القار الذى ينعم بميش حصب ، وبيئة غنية ، وأمن وطيد ، يتكالب عليه أفراد فيحتاجون إلى قوايين تنظم حياتهم ، وتكبح شياطينهم ، وهم بها راضون ، لكن الفتى العربى حين حُرِم الحياة المادية القاسية نشأت فى نفسه حساسية نائرة ، وزعة غلاية جعلته ينفر من ذل آخر يحانب قوة الطيمنية محتل من مظاهر الخضوع ، وتعلق بالحربة تعلقاً حمله يؤثرها مع فقرها على النفى القليل .

تلك الاضطراب للمادى ، وعدم قيام الحكومة العامة التى تفرض النظام ، وتحقق العدالة الداخلية ، والأمن الخارجى ، وتحمى الأفراد والمساكن من العربى سحت عن نظام آخر حرى بحمى حياته ويحفظ لنفسه عزتها وكبرياءها ؛ فإذا فعل ؟ أشت حكومه صميره تقوم له فى هذه النادية الرهبة مقام الحكومة العامة ؛ فكانت القبيلة أو النظام القبلى . . . والقبيلة هى دولة الأعراف ، وموطه ، ووحدته الاجتماعية ، توافرت فيها المسئولية المشتركة بين أفرادها جميعاً ، فكل فرد مسؤولها لمصلحة ومخبتها أمام القبائل الأخرى وفى الأسواق والنواذى وفى الشر والنز ، وهى مسئولة عن حرائر الأفراد وحمايتهم ، وبذلك تكون عقد اجتماعى يضم أعضاءها ويؤلف منهم عصبة واحدة تلتا تأكلها ذؤابات الأعراف والمصوص الصحراء<sup>(١)</sup> .

المفر ، والخرية ، وهذه المسئولية المشتركة بين أفراد القبيلة . . . نشأ عنها عدم احتمال الضيم والتوردة لأقل الأسلب ، والعمل على إشاعة رهبة القبيلة بين القبائل ، والتعلق بأسباب العيش لنادى مهما يلق الإنسان فى ذلك من مشاق وعناء ، لذلك كانت الحياة المخاهية حياة حراء ، وعرا كادائياً فى بواحي هذه الجزيرة بين القبائل فرادى وحجاعات ، وكانت الوشائج والصلات القبلية كالحلود القومية للشعوب الحديثة ، ولتنظيم هذه الصلات القبلية قامت مسألة الأنسب لمعرفة أصول القبائل وفروعها وتكوين عصبيتها ، ومهما تكن قيمة الأسباب العلمية فقد صارت من مقومات الحياة المخاهية وأصلا من أصولها الاجتماعية والأدبية .

كان العرب يقتلون على اللبائ ، والآبار ، والراعى ، وكل مظاهر الخصب ، وعلى حماية اللطائم ، وما يحى من القوافل ، وطرق التجارة فى الحرية ، وفى سبيل

(١) راجع تاريخ الشعر السياسى لمؤلف من ٢٥ الطعة الأولى .

الكرامة ، وعزة النفس ، وحماية الخار والعرض ، وفي الشرف واسعده للصديق أو الحليف أو القربى ، ولأجل الرياسة ورعاية القبائل وفي سبيل النفوذ الخارجي كما كان بين المماثلة والعساسة في ظل الفرس والروم وأخيراً في سبيل الفقراء والمحتاجين على الأغنياء كما حدث من الصعاليك والعربان .

على هذه الأسس قامت حروب العرب الداخلية الكثيرة التي لم تقطع ، وأما حروبها الخارجية فكانت قليلة ، وكانت في وجه الفرس غالباً وفي وجه الحبشة والروم قليلاً ، ولم يكبد مجتمع العرب لحرب خارجية في صورة أمة واحدة .

كانت الحرب ، إداً ، ضرورة للحصول على العيش وتحقيق الحرية والكرامة ثم صارت ، مع الأيام ، عادة يفخر بها الشيوخ والعلماء وينخذها بعضهم حرفة ومهنة ، ويعيدونها المشقة الأساسية لحياة الرجل فيعدونه لها ، ويعيدونها أمجاد رجولته وبأسه ووسيلة الظفر بالمحلب الرجال والنساء .

هذه الحروب أو الأيام — وهو الاسم الاصطلاحي الذي يطلقه عليها المؤرخون والمقصود — كانت تستلزم الشعر حتماً ، وكانت أشبه شيء بانتورات السياسة التي تستدعي مهنة أدبية تؤثّر بارها وتسلّ آثارها ، وتدعو إليها فكانت هذه العيون الشعرية المتصلة بأيام العرب من حماسة ، وفخر ، وهجاء ، ورثاء ، وإدا لاحتفاء أن الحماسة من باب اتفخر أو هي مهنة بسبب قوى ، وأن الرثاء إنما كان تصويراً لشعور الحزن ومعرضاً للمعز والوعيد ، انتهى إلى هذين الفنين : المعز والهجاء ؛ فكانا أهم فنون الشعر العربي أو الشعر السياسي القديم . ومن الملاحظ أن نشأة الشعر القديم أو نهضته إنما كانت مصاحبة للحروب ، وفي طلال السيف ، وكان فن الحماسة من أقدم فنون الشعر . . والعربي مهنة بمخاصمة .



واكن كيف اتصت هذه القصور الشعرية بالنقائص ؟

من لطيفي أن نشأ في الخامسة دعوة إلى القتال في سبيل العيش أو الكرامة من حاس كل قبيلة ، وأن سمع النصر أو الهزيمة فخر أو وعيد وتهديد بالانقضاء أو حفر للأحد بالتأثر أو تسجيل للانتصار ، وتلفت يستمع صعد لصدور ، وسر محازيه ، ود كر حنّيه وفراره أو خضوعه وأسرّه ثم يكون مكاء القتل والمزم على التأثير ، وبذلك تتعاقب أوجاء الحرية هذا الشعر الحربي الذي كان وقوداً هذه النار .

كان لشعر حركاً أدبية تسير هذه الغروب المادية ، وكما كانت أدوات الحرب المادية مشبهة متافضة ، فكذلك كانت صون هذا الشعر متشابهة متناقضة ، يبقى بعضها نصيره متحدياً عبيداً يست له أو يهرمه ؛ فانهحر بلقده فخر ، والمحاء ينتقصه هجاء ، والخمسة تصخدم سيطرتها ، وهكذا تتلاقى القصور وتمتلك المعاني في سبيل القتال وفي حلال الأيام .

أما عن المصدر المعنى أو المعنى لثوب النقائص من هذه القصور فالأمر ، عدى لا يعدو أن يكون عدوى معية ومسايرة ، وقولا للتعدي ؛ فاشاهد بين الأحياء أن يصيح الفرد في وجه آخر عانياً ، أو سائياً ، أو مهدداً أو هارداً فيرد عليه الآخر بنحو صياحه عانياً أو سائياً أو مهدداً أو ساحراً ملتزماً معانيه وأسلوبه ، يصع بإزائه بطيره ، ويعمد عليه معانيه ، وقد يستدعي الموقف عراكاً وهلاكاً كذلك يبدأ الشاعر بالهجر أو المحاء ، راضاً بغيره فيبدرى له يده من قبيل آخر ، مثلاً ، ليرد عليه من نفس بجره وقافيته ليحقق بذلك التوسيع الصوتية ، وليرد عليه صيحه المدوية ، ويتجدد نفس أسلوبه ؛ فإذا تناول معانيه ردها عليه فاسدة لأنها كذب

وافتراء ، أو لأن له عندها مظاهرها ، أو لأن تفسيرها غير ما قال الأول أو لغير ذلك من طرق المناقصة ، وذلك يشترك الشاعران في جو واحد من أجواء الخصومة الشعرية . فمهرهما معاً حتى يشتتيا ، ثم هما مترجستان إلى مثل ذلك للوقف إن اقتضته الحال ، وكثيراً ما تقتضيه الحال .

ولما كان المحر والمجاء في مقدمه القصود التي ظمت عليها المناقصة أوها صاها الأساسيان ، ناسب أن نقول في كل منهما كلمة إحصائية نبين حقيقته حقيقته وخواصه .

وقد سبق أن المحر هو التمدح بالحصل ، وعدة القديم ، وادعاء العظم والكبر والشرف ، وتفاخر القوم بغير مصمم على بعض . والنحو المتكبر<sup>(١)</sup> .

وهذا معناه أن المحر يصدر عن نفس متعالية متعاطية ، ويتحد معانيه من جانب المفتخر نفسه أو قومه بخلاف المجاء فإنه يصدر عن نفس ساخطة أو مزدوجة ساحرة ، ويتحد مادته من جانب للمحور منه أو قومه ، فهما هذان متقابلان وإن اختلفا معاً في القصائد وتلازما لأن الذي يتعالى على غيره ، إنما يحفره صريحاً أو استلزاماً .

وقد قام الفخر على الفضائل الاجتماعية التي أقرتها الحياة العربية القديمة كالكرم ، والشجاعة ، والنجدة ، وكثرة العدد ، والياعة ، والظفر في الحروب ، والمروءة ، وشرف الأنساب والأحساب كما كان المجاء مضدها .

كان المحر ، كما قلنا ، ظاهرة طبيعية بين الشعراء الجاهلين اقتضتها حياة القبائل المتحاربة والأفراد المسافرين ، بل هو ظاهرة اجتماعية عامة ، يحاول بها كل

(١) راجع لسان العرب مادة محر والحمد لله لابن رشيق ٢٠ من ١٠٤ .

أن يشت امتياريه ونعوقه على غيره إشباعاً لشهوة الفرة وإرضاءً لخب للناسي  
والشرف ؛ عرفه لشعر الجاهلي من أقدم عهوده ، وعرف به جماعة من محول شعرائه  
كطرفة ، وعمر بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة العنسي ، وليد بن ربيعة ،  
وحسان بن ثابت ، وقيس بن الخفيم ، وشاعر في شعر ( الأيام ) وكان معلى الماركة  
كما كان قتلماً وفردباً ، ولعل الغالب عليه كان الفخر بالقائل استجابة للنظام القبلي  
في حياة البادية ، وسدأ لمن السافعة العنة .

فما جاء الإسلام بقي هذا الشكل وأصيب إليه الفخر بالدين ، والسلطان ،  
وابجهد في سبيلها ، والتهوض بالملك وأعاليه حتى إذا تقدم القرن الأول وحيت  
المصنعات القبلية في ظل الأمويين عادت الصورة الخاضعية قوية وشاعت على أسنة  
الفحول الإسلاميين حتى ملقت الفروقة ، فترام بمدون الفخر بيت قول الفرزدق :  
تري الناس ما سيرا يسبرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا  
أو قول جرير : —

إذا غصت عليك شو تميم حبيت الناس كلهم عصباً  
أو قول ابن ميادة : —

ولو أن قيساً قيساً عيلاً أقمت على الشمس لم يطلع عليك حبيبها  
وأخرييت صمه لمحت عندهم قول بشر : —

إذا ما غصنا عصاة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما  
إذا ما أمرنا سيذاً من قبيلة ذراً منير صلى علينا وسلا

وقد أدرج أبو تمام أمثلة الفخر في باب الحماسة وهو الباب الأول من مختاراته  
المعروفة ( بديوان الحماسة ) باعتبار أن معنى الحماسة الشدة والشجاعة ، وأن الفخر  
من القوة ، ونصوير الشجاعة وآثارها في الحروب والمواقف الخطيرة ، وعلى كل فقد

كان الشعر أحد ركبي النقش في تاريخها منذ نشأته أجاهلية إلى أن مات  
فولها الإسلاميون .

أما الهجاء فهو انتم بالشعر كما يقول ابن منظور وهو خلاف المدح . وأما هجاء  
بين الشعراء يهاجمون ، وهم يتهاجون : يهجو بعضهم بعضاً <sup>(١)</sup> والهجاء ظاهرة  
السطر أو السجدة كما عدت ، يحدد معانيه من سواءات المبهج أو مثالب قومه .  
فالمتنحرف منتد إلى نفيه ينتق منها مادته والمهاجي ينظر إلى حصته لينشر مساويه  
مقرراً أو ساخراً .

وينصل النقاد لما قول ما كان من الهجاء عملاً حالياً من المدح بحيث  
يشده المدح في صدرها فلا ينبع منها نحو قول أوس : —

إذا ناقة شددت رحلي ومرفي إلى حيثكم سدى ، فضل صلاب  
واحتار أبو العباس قول جرير : —

لو أن تغلب حمت أحاسنها يوم النفاحر لم ترن مثقالا  
وأشده ما كان إبداعاً وهو ما فيه تفصيل قوم على قوم كقول جرير : —  
فهم الطرف بك من سير فلا مكعباً سفت ولا كلاب

ومن كلام صاحب الوسيلة : « فأما الهجو فالفقه ما خرج مخرج التهور  
واشهاق ، وما عترض بين التصريح والتعريض ، وما قرنت معانيه . وسهل  
حفظه ، وأسرع عوته بالنسب ، ونصوقه بالنسب ، فأما النقد والإشفاق فسيات  
محض ، ليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن <sup>(٢)</sup> . لذلك أعجب النقاد بقول زهير  
في تشككه ، ونهرته ، وتجهله فيما سلم :

(١) لسان العرب مادة هج . وراحم والصدقة لسان رشيد ج ٢ ص ١٣٨

(٢) الصدقة ج ٢ ص ١٣٩ والوسيلة ص ٢٩ .

وما أدرى وسوف إحال أدرى أقوم آكل حصص أم لا —  
 فإن تكن النساء محببات فحق إكل مخصصة هذاه  
 وعدوه من أشد الهجاء وأمصه ، وكذلك لم يرض النبعة الديباني عن الخش  
 قومه في هجاء عامر بن الطفيل بعد وقعة ( حتى ) أشرف عامر ولكنه هجاء  
 ضحكاً به وآله ، وجميع الشعراء يرون قصص الهجاء أجود وترك لغزش فيه أصوب  
 إلا جريراً قال لنيه : « إذا مدحتهم فلا تطيلوا المأدحة ، وإذا هجوهم فاجعوا » ،  
 وقال أيضاً : « إذا هجوت فاصحك » . وسلك طريقه في الهجاء سواء على من  
 للعباس الرومي « كان يطيل ويصغر » . يقول ابن رشيق : « وأما أرى أن  
 التمرير من أخص لا تصريح لا تساع الطن في التمرير ، وشدة بحق النفس  
 به والاحت عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء مصرحاً أحاطت به  
 النفس عاماً وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل روم في قصص لسيار أو مثل  
 يعرض ، هذا هو المذهب الصحيح على أن يكون الهجو ذا قدر في نفسه وحبه ،  
 فأما إن كان لا يوقه التلويح ولا يؤله إلا التصريح فذلك » <sup>(١)</sup> .

ويوزن العريون بين الشعر الهجائي Satire Poetry وبين الشعر  
 التعليبي Di lactic Poetry ويرون أن الأول يصح على الردائل والأخطاء الاجتماعية  
 والثاني إشادة بالعصا وحث على التمسك بها . فمبتها واحدة هي نوحية الناس  
 إلى الخير والكمال <sup>(٢)</sup> ، وذلك غير الشعر والناس

أشد الهجاء مع العصر مديحاً ، وقامت معديه على الردائل لفرادة والاجتماعية

(١) نفس المرجع من ١٤

(٢) جامع

كالجمل ، والخن ، والعرار ، وَضَعِ الْأَحْبَابِ وَالْأَسَابِ ، وغلب عليه في  
الجاهلية القصد والاعتدال والبراءة من الفحش والإقْدَاع .

ولما جاء الإسلام وشط الجحاة في سبيل دعوته كان منه نوحان أول الأمر  
أحدهما جاهلي قديم يتصل بالأحباب ، والأَسَابِ ، والأيام بمنزلة حسار بن ثابت  
وكعب بن مالك لإعانة قريش قبل أن تسلم إذ كان أحدهما جاهلياً فصلاً أسما لم يروا  
فيه خطراً لأنه يافق روح الإسلام الذي اعتنقوه ، فلا بأس عليهم من هجاء  
جاهلي قديم ، والثاني مذهب إسلامي بمنزلة عبد الله بن رواحة ، وكان يهجوم  
بالكفر والإعراس عن سبيل الهداية لما كانوا يبالغون إذ كان ذكراً لماسماً عليه  
وراضون به ، فلما أسلموا وجدوا ماصياً سبباً مسحلاً عليهم فأنفوا منه ، وربما  
أضاعوا شعره .

ومع ذلك فقد بقي الروح الجاهلي بمنزلة الخطيئة أصدق تمثيل حتى كان العصر  
الأموي فدخل فيه الفحش والإقْدَاع إلى مدى بعيد ونال من الأعراض والحرمان ،  
وصور القناص صورا شبيعة ، وقد جئني في ذلك جرير والفرزدق والأحطل في  
المقائض ، وبنوا هجاء مملأ أساء إلى الأخلاق وأررى بالكرامات .

وهناك من أخرى لا يست انتقاص ودخلت فيها كالنسيب ، والثناء ،  
والوصف والسياسة ردأثناء الفراسة ، وسرى أنها كانت متأثرة مهذين الفعين  
وخاضعة لتيارها ، فلترقبها في طريقها .

على أنه ليس من طبيعة الأشياء أن تطلع عليها النقائص ، أول ما تطمع ،  
كاملة الصورة ، تمة التقاليد والعناصر ، موافقة الشرائط وانطوائت كما رأيناها

أخيراً عند جرير وصاحبيه ؛ فلا بد أن تدرج طفلة ثم نعيم ونشب إلى أن تسوى  
يا صبرة متجاوزة للموسيقى متغلبة للمعاني ، ولو توافقنا لنا تصورها مرتنة ترسماً  
تاريخياً ، محققة تحقيقاً ، علمياً بدأ ، لاستطعنا أن نؤرخ حياتها الأولى ، ونسبين  
كيف تضررت في بعض التقاليد والقنن حتى أخذت صورتها الأولى في العصر  
الجاهلي ، ومع ذلك فلنأخذ من هذه النصوص المتعثرة ما يقرب لنا تدرج هذا  
الفن من درجة الحوار الأول الساذج إلى طور الناقضة الفنية المعروفة ؛ فإذا صح  
ما روى لنا من تصورها القديمة ، كانت القائن نراً أول أمرها وكانت رجلاً  
أيضاً ، ثم كانت تنشأ على أساس الانتصار في الحروب أو الخلاف في المواقف  
الاجتماعية مدعومة بالبراهين أو معتمدة على القهر والمهابة معاً أو منفردتين .  
وكانت تعنى بالثقافة بين المعاني دون الترام سائر التقاليد أو بعضها ، فكانت أشبه  
رد وإسكار . . . ونفيت كذلك مدة ما ، حتى كانت نهضة الشعر وظهور قوله  
فتمت على أيديهم تقاليدها وإن بقيت صورة (الرد) تترامى حلال القائن  
الكاملة للشهورة .

ومن أول ما تلقانا من هذه النصوص ما ورد في أقاميس طسم وجديس أن  
امرأة من جديس شكت إلى ملكهم (عليق) أن زوجها طلقها ويريد أخذ  
ابنها معها فقالت لمرأة : « أيها الملك ، حملته نساء ، ووضعت دافعاً ، وأرضعته  
شعماً ، فلما نمت أوصاله ، وحلب قيصاله ، أراد أخذه مني كرهاً ، ليركني مرهاً »  
— أي داهية القتل — قال الزوج : « أيها الملك ، أعطيتها المال كاملاً ، ولم  
أصب منها طائلاً ، إلا وليداً خاملاً ، فاصل ما كنت فاعلاً »<sup>(١)</sup> .

فأنت ترى أن للمرأة تحتج بما تحب في سبيل وليدها من جهود وآلام  
حتى تمت أوصاله . ولكن الرجل تنقص حجبها بما دفع من نعم ذلك  
بيطفر بوليده

وهي ماقضة ثرية يطلب عليها الصعة والوصع وإن كانت تمثل عصف هذا  
السلطان ابائداً لأن الملك أمر بالسلام ، فبما أمر . أن يُسرق في ممالكه ، فعضت  
المرأة وهجت الملك فأمر هذا ألا ترف امرأة من جديس إلى زوجها حتى تدخل  
عليه ، ومكث على تلك السنة مدة إلى أن ثارت امرأة من جديس تدعى (عميرة)  
واستحثت قومها على الملك فعصوا عليه رعاية أخيها الأسود بن عمار ، فحرص على  
الملأ من قومه أن يدعوا الملك ورهطه إلى طعام فإذا حصروا قتلهم ، فلما بلغ ذلك  
عميرة قالت :

لا تغدِرُنَّ فإن القدر منقصةٌ	وكل أمر له عيبٌ وإن صفراً
إني أحاف عليكم مثل تيك عداً	وي الأمور تناعيد لمن نظرا
حشوا سعيراً لهم ما مُاهضة	فكلكم باسلٌ أرحوه الطفرا
سيئان بايع عليا غير مُشتر	يفشي الظلامة لا يُبقي ومن عدرا
فما مضوا القوم صبراً في ديارهم	على الكرمه حتى تحطموا القصر

فردها عليها أخوها الأسود بقوله . —

إني لعمرك لا ألدى مُاهضة	للقوم أخشى صروف الخين إن طفرا
عني التعمل للأقوام مُدركةٌ	وي الأمور تناعيد لمن طرا
كفى لسيلك ولا تنهي لعاقبة	أخاك فيما يرى في الرأي إن حصرا
إني رعيم ليطم حين يحصرنا	إلى الطعام ، وذلك الرأي إن قدراً
فبئس ينفعم ذا رأى يدبره	زجر الزواجر والأيمان إن زجرا



وعصاها وأطاعه قومه ، وقتلوا الملك في حبر طويل <sup>(١)</sup> .

فاعتجب هذه المناقصة الشعرية النامة الأركان : وحدة الموضوع ، والحر ،  
والزوى ، وحركته ، مع تقابل المعاني تحقيقاً لهذه الصورة الخدلية ، وإزاحج أن  
هذا من وضع القصاص ، وما تكثف الأمر هذا التقليد الواضح ، فكما كان  
جرير يأخذ من شعر الأحطل أو الفرزدق الشطر أو البيت أثناء المناقصة ، محمد  
أواصح ها يعمل ذلك ويورد في شعر ( الأسود ) هذا الشطر الوارد في شعر  
( عبدة ) « وفي الأمور تباعيد إن نظرا » .

ورما كان أدنى من ذلك إلى الصواب ، وإن لم يكن بريئاً من الوضع أيضاً  
مدار بين معديكرب بن الحارث بن عمرو بن حُجر البكدي وبين أبي حنّش  
يوم الكلاب الأول ؛ فقد كان بين سَلَة بن الحارث وأخيه شرحبيل ، وفيه  
يبنى ( أبو حنّش ) عَصَم بن النعمان من بني حشم بن بكر رأس شرحبيل وبصمه  
أمام سَلَة ، فقال سَلَة وقد أسف لمصرع أخيه ورأى منه ذلك أبو حنّش فهرب  
بعدما كان ينظر للجائزة ، وقيل إن الشعر لمعديكرب أحدهما : —

ألا أبلغ أبا حنّش رسولا	فمالك لا تهيء إلى الثواب ؟
تعلم أن حبر الناس طرّاً	فليل بن أحجار الكلاب
نداعد حوله حُشم بن بكر	وأسماء حطاس الأهاب
فليل ما قيلك يان سَلَى	نصرته صديقك أو تحابي

فأجابه أبو حنّش فقال :

أحاذر آل أحيثك ثم تحبو جاء أليك يوم ضييعات <sup>(٢)</sup>

(١) شرح ديوان الأعشى ص ٧٤-٧٥ . (٢) يوم ضييعات . قيل كان للحارث  
الكدي من مفرقه من حوى من القرم ثم وكر ، فاب يقاتل بغيره فيه قتل به حشم بن بكر

وكانت غدره شعاء سارت      قتلها أبوك إلى المات  
تتاعمة كأنوا لأم<sup>(١)</sup>      كأجرام النعام الحائرات

فالوصوع واحد ، وكذلك البحر ، ولكن القافية مختلفة بينهما ، وكان الثاني رداً على الأول وشكاً فيما يدعيه سلمة من إثابة أبي حش على قتله حصه كما وعد .  
عمو هذه الصورة الماقصة وحدة القافية يصح أن تكون خطوة في طريق تدرج النقائص إلى الضج والكمال لو بقي عنها الوضع .

ومن هذا الصرب ما دار بين امرئ القيس وعبيد بن الأبرص الأسدي حول مقتل حُبر فيما يُحكى . قد كان قطعاً مضطربة فيها حوار وجدل قل فيه اكتمال الماقصة وتتمام صورتها المقررة . فمن المشهور أن امرأ القيس لما قتلت سر أسد أباه صُحراً قال متوعداً :

والله لا يذهب شيعي باطلا      حتى أير مالكا وكاهلا  
القائنين للث الللا حلا      خير مَعْدٍ حَماً وائلا  
بالهف هيدٍ إذ خطئ كاهلا      نحنُ جلبنا القريح القواغلا  
يَحْمِلُنا والأسل النواهلا      مستغرات بالحصى حواهلا  
يستغفر الأواخر الأوائلا      فصرتُ فيهم غامماً وقائلا

هذا الرجز كان من أسبق ما قال شيخ الشعراء في مهلك أبيه الملك ، وكان طامحة للحوار بينه وبين شاعر الأسديين ، وربما كانت الأبيات الآتية رداً عبيد على امرئ القيس ، يسخر به ويكذبه فيما يدعي من حاسة وظفر ، بقول عبيد :

إنا الخوفنا بقتلنا      ل أبيه إذلالا وحينا  
أرعت أملك قد قتلنا      ت سرائنا كذباً ومينا

هَلَّا عَلَى حُجْرِنَ أَمَّ قَطَامٌ تَكِي لَا عِيَا

فهو ، إن صح ، ردّ أولى ساذج لم يمتد بأصول المقصة ، وما تعقب امرؤ القيس بنى أسد فعانوه ولقى كمانه ووصع فيهم السلاح خطأ قال : —

أَلَا يَلْهَفَ هَسْدٌ إِرْ قَوْمٍ هَمُّ كَانُوا الشَّعَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا  
وَقَامَ جَدُّهُمْ سَنَى أَيْهِمْ وَبِالْأَشَقَيْنِ مَا كَانَ الْعَقَابُ  
وَأَقْلَمْتَنَ عَلَيْهِ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَمِيرُ الْوِطَابِ<sup>(١)</sup>

ويظهر أن هذه الأبيات بلغت عيذاً فقال ينقصها على امرئ القيس : —

أَتَوَعَّدُ أَسْرَفِي وَتَرَكْتُ حُجْرًا يَرْبَعُ سَوَادَ عَيْنِيهِ الْغُرَابُ  
أَتَى دِينَ لِنُتُوكَ فَهَمَّ لِقَاحٍ إِذَا نَدَوْا إِلَى حَرْبٍ أَجَابُوا  
فَلَوْ أَدْرَكْتَ عَلَيْهِ مِنْ قَيْسٍ قَبِيعَتَ مِنَ الْعَيْبَةِ بِالْإِبَابِ

بعبارة مصرع أبيه ، ويهدده بقومه ، ويرميه بقصور همة دون الانتقام من بنى أسد ، وعلى الأعم من ادعاء امرئ القيس أنه ظفر شاره<sup>(٢)</sup> فإن القصة تدل على خلاف ذلك بدليل انصراف أنصاره عنه مع قتلهم ، وبلاء بنى أسد في سبيل حريتهم ، وسخرية عبيد به<sup>(٣)</sup> ومطاردة الماذرة له والتجائه إلى السومل فالحساسة فالروم ثم مصرعه آخر الأمر .

هذه الشواهد وغيرها مما ورد في ديواني امرئ القيس وعبيد متصلة بيوم حصر تدل على أن هذا الحوار لم ينحد صورة للمقصة دائماً ، وإنما تردّد بين الرد والحوار أيضاً ، مما يمثل طقولة هذا الفن بين هذين الشاعرين .

(١) هذه أخت امرئ القيس ، عاها بن الحارث الأسدي قاتل حجر • جرجس • عامر يريته صمر الوطاب : خلافة من روحه - الديوان من ١٥ ط السندوقي  
(٢) ديوان عبد طبع أوربة من ٥٢ •  
(٣) الديوان من ١٥٦ •

وفي تضاعيف هذا الجدل الشعري في سبيل الأيام ، والحوادث ، والمقدمات ،  
 محد صوراً لا تسلم درجه المناقصة وإن تعد عنها كثيراً ولا سيما في جانب المعاني .  
 من ذلك ما كان يوم الكلاب الثاني حين قال راجز من بني مدحج : —  
 في كل عام نغم نسابه على الكلاب عيب أصحابه  
 فسمه علام من سعد أعدائهم فأجابه : —

في كل عام نغم تحمونه يلحقه قوم وينجونه  
 أربابه نوكي فلا يحمونه ولا يلاقون طماننا دونه  
 أنعم الأبناء تحببونه هيات هيات لما نرعدونه<sup>(١)</sup>

هذه مراوحة تقوم على المناقصة المعنوية وإن لم يلتزم فيها وحدة القافية . ومن  
 ذلك ما كان بين عامر بن الطفيل وزيد الخليل ؛ فقد خرج رجل من طيء اسمه  
 دؤاب إلى صهر له في هوازن فأصيب ، فضا علم زيد أعار على عامر ، وعاد يقول  
 لا يبيوه به إلا عامر بن مائث ملاعب الأسة . فأما ابن الطفيل فلا يبيوه به ،  
 وقال زيد : —

لا أرى أن بالطفيل قتيلا عامرياً بنى جتل دؤاب  
 ليس من لاعب الأسة في التة مع وسمي سلاعياً يازاب  
 عامر ليس عامر بن طفيل لكن المرء أس حتى كلاب  
 ذلك إن ألقه أمار به الوتر رت وقرت به عيون الصحاب  
 فضرب عامر بن الطفيل وقال يحيب زيد الخليل : —

قل لزيد قد كنت تؤثر بالجلال م إذا سفت حلوم الرجال  
 ليس هذا القليل من سلف الجد في كلاع ويخص وكلال

(١) قائم حرير والفرزدق من م ١٢٧ والسد القري . م - م ٢٥٢ .

أَوْ بَنِي آكَلِ الثَّرَارِ وَلَا صِيْرَ لِي بَنِي جَعَةِ الثَّوَرِ الطَّوَالِ  
 إِنْ فِي قَتْلِ عَامِرِ بْنِ طَفِيلٍ لَبِواءٌ لَطِيْفٌ الْأَجِيلُ<sup>(١)</sup>  
 ينقص عامر معاني ربه يهوى من شأن القتيل ، ويضع معه ياراء طي .  
 كلها ، مع وحدة البحر دون القافية .

ولم يَقتل الحارث بن طالم أنرى حمير بن كلاب العامري حتى يحاجب من  
 رُدارة النخعي ، لما طلبته بوعامر يحاه عنه حاجب ، صعب الحارث وقال : —

لعمري لقد حاورتُ في حَيٍّ وائِلِ	ومن وائِلٍ حاورتُ في حَيٍّ تَغْلِبِ
فأصبغتُ في حَيٍّ الأراقم لم يَقل	لِالقوم : يا حارِثَ بْنَ ظَالِمٍ ؛ اذهب
وقد كان ظنِّي إذ عقلتُ إليكم	بني عُدُسٍ طَيِّئِ يا صاحبِ يَتَرِبِ
غداة أتاكم تُبْعُ في حوْده	علم بئسوا المرين من حَيٍّ يَحْصُبِ
هَلْ تَكُ في عُيا هوزانَ شوكة	فأعجب بها من حاجبٍ ثم أعجب
فغضب حاجب وقال : —	

لعمري أبيتُ الخير ، يا حارِ ، إني	لأمنعُ جارا من كسيبِ بن وائِلِ
وقد علم الحَيُّ المَدْيِيُّ أَمَا	على ذاك ، كُنا في المَطُوبِ الأوائِلِ
وإننا إذا حاجنا ، حائِي طَلامة	لنَسْأله نون : وفاء وناثِلِ
وإن تمينا لم تحارب قبيلة	من النَسِ إِلَّا أولمتُ بالكَواهِلِ
ولو حاربنا عامرُ يانَ ظالمِ	لَعَصتُ عليا عامرُ بِالْأَنامِلِ
ولا نتيقتُ عُيا هوزانَ أُنّا	سُوطُها في دارها بالْفَسائِلِ
ولكسي لا أبث الحربَ ظِلما	ولو هجتها لم أَلَفَ شحمةَ آكَلِ <sup>(٢)</sup>
أحد الحارث على حاجب بن ردارة أنه لم يمنعه منعة تغلب ، وأنه حبيب فيه	

ظه ، وأن هوارن . من قيس عيلان ، أعز من تميم ، ورد عليه حاجب بأنه أعر  
من كليب بن وائل سيد تغلب الأول ، وأن تميمًا معروفه بأشس والوفاء والحدة ،  
وأن بنى عامر أو هوارن ، من قيس عيلان ، لا يشتون تميم ، ولكن حاجب بن  
زرارة لم يش ، بحمائه وهوجان ، أن سعت حربًا طائلة ، في حين أنه في الحروب  
مظفر مقدم .

فالموضوع واحد وكنتك البحر دون القمية مع تناقص المعنى كما رأيت ،  
ومثل هذا لا يعوره من شروط النقائص إلا وحدة القافية .

ومع تقدم هذا الفن الحدنى أحد يستكمل صورته الأحياء بين الجاهليين حتى  
رأبأ منه نحو هذه الصورة الكاملة التي صارت تقليدًا فيما بعده التاريخ الأدبى  
طور النقائص الأولى ، كما مرت أمثلة في التمهيد .

ونشير إلى قصيدة قيس بن الخطيم الأوسى في حرب ساث وحاطب : —  
أنرف رسمًا كاطراد الذهب لآسماء وحشًا غير موقف راك  
ونقيضها لعبد الله بن رواحة : —

أشافتك ليل في المحيط الخائب سم ، فرشاش السمع في الصدر عالى<sup>(١)</sup>

وغيرهما كثير يرد عليك في الفصول التالية .

وخلاصة هذا الفصل أن النقائص في جاهلى قديم شأ مع النهضة الشعرية  
طفلا سادحًا ناقص الأركان ثم أحد يستكمل ، على الأيام ، أركانه ، وعناصره ،  
معتمدًا ، أكثر ما اعتمد ، على فنى المعنى والمجد ، حتى تمت له أوضاعه وشرائطه  
وسرى فيها على كيف عمت فيه مقوماته ودواعيه مله الحياة الجاهلية .

(١) راجع ديوان قيس بن الخطيم ، طبع أوربة ١٠ و ٢١ .

## الفصل الثاني

في مقومات النقائض وعناصرها

١ -

نحاول هنا الإتيان بهذه العناصر العامة التي كانت مراد النقائض وأصولها الأولى ، ثم كانت مادتها ومتوهماتها التي انكثت عليه في حياتها وأطوارها جميعاً ، ولا سيما في الطور الجاهلي القديم . وقد بينا في الفصل الماضي كيف كانت الحياة العربية قبل الإسلام السبب الأصيل لنشأة هذا الفن وتحديد فنونه الرئيسية ، ومذكرها أن هذه الحياة البدوية نفسها وما اسدعت من تقاليد اجتماعية ، وأصول أخلاقية ، هي التي قدّمت للمناقضة حوافرها الدافعة إليها ، وظللها التي عاشت في رعايتها .

وإذا كنا قد رأينا أن ( الأيام ) كانت محال النقائض ومعرضها الحربي فإن هذه ( الأيام ) لم تقم عفواً بل وقعت تحت ألويتها حياغات متعاركة متهاككة ، أنف بين كل فريق منها وشائج القرابة وما إليها فكانت هي القبائل والعشائر والبطون ونحوها ، وذلك يسدعي ما نقول في الألب ، على أن ( الأيام ) لم تنفرد بمد الشعر القديم بالنقائض ، وإنما شاركتها في ذلك حوادث اجتماعية أخرى متصلة بالعرف الجاري بين الأفراد والعشائر أو بالأصول الخلقية المقررة ، ومنها ما كان ساعياً أو مؤدياً إلى مغاورات أو قتال جرئ بين الأسر أو عصب سبها ، ثم جاء القصص بعد ذلك وروى هذه الأحداث ، والأيام ، والأسب ، مبالغاً محرفاً

فيها لدواعٍ عصبية شتى ، فكان لزاماً علينا أن نشير إلى هذه المقومات التي سندت النقائص وكانت مُتَكَرِّراً رجُلها من الشعراء .

وأول ذلك الأسباب <sup>(١)</sup> والسبب הראيه مطلقاً وإن علت عند الأعراب على القراءة من جهة الآراء . والقناة بالأسباب : أصولها وسلاسلها ، ظاهرة بدوية قديمة تحرص عليها الطوائف الأولى لتكوين العصبية القلبية أو الخسبية احتفاظاً بالقرى ، ونوفاً للوحدة والمعاونة ، وعرفاناً لمواطن النار ، وبعياً للعريب ، وتنظيماً لمسائل الإرث والزواج ، ودعماً لمدون الناس وانعالت لتعش القبيصة عزيزة الجاسب ، آمنة مدلة الجيران والعادين ، متعاطفة الآباء والأبناء ، وهي بعد ذلك تعرف معارها ، وأيامها ، فسجلها شعراؤها وياقصون بها حصومهم من شعراء القبائل الأخرى ، ورتما امتاز العرب من الفرس بحفظ أسامهم والعناية بها ، ولعلمهم تأثروا باليونان واليهود في ذلك أو أشبههم على أقل تقدير .

ذلك هو الوضع الطبيعي العام لقيمة الأسباب وضرورتها عند الدارين ، أما عن مقدار خطتها من الصواب أو الخلق الطبي فالقول فيه كثير ، ومن الخير أن تتجاوز في طرئنا التاريخية طور الطونمية والأمومة ونحوها ، فإن البحث فيه يطول ولا يحدى من الناحية العملية المصلة بالأيام والنقائص على أنه لا يزال محال الحدس والتخمين <sup>(٢)</sup> فإذا صدنا ذلك ووقفنا عند الخاطئية الأخيرة وما روى عنها من سلاسل السبب وأصولها رأينا من يسكرها إسكاراً تاماً وبعدها وهماً باطلاً اخترع بعد

(١) راجع في الأسباب كتب : الأسباب السمعاني ، والعقد العريذ لابن عبد ربه ، وسبب عدنان وقحطان الفرد ، وفتاوى لابن قتيبة ، وسبب الأثر للبرقي ، وجميع الأعشى للقفشدي ، وسبب الذهب للعددي ، والأحكام للطفانة للبردي وجملة أسباب العرب لابن حرم الأندلسي وسبب قريش للعصبة للبرقي .

(٢) راجع في ذلك أمم العرب القدماء لخورخي رندان والأساطير العربية قبل الإسلام لمحمد عبد الحيد خان .



الإسلام عوامل دينة وسياسة واقتصادية واجتماعية<sup>(١)</sup> وقد يصف هذا الفريق رافضين شتى ؛ فمنهم من يبرأ أن يوجد في النادية علم الأسباب القائم على دراسة الصلات الدموية ، وإحصاء المواليد . وردها إلى الآباء والأمهات ، وحفظ ذلك ميراثا للأجيال المتعاقبة ، إنما ذلك من ثمار اخضارة لمستقرة والنشاط المعنى الدقيق ، أما الاعتماد على الروايات ، وحفظ التذاكرة . ورحم الله الذين فلا يمكن الثقة به ولا سيما إذا عرّض له النسيان ، والمبالغة ، وعمل الأهواء والمصريات ، وتأخر عصر الرسوخ . وهناك مع من سبق كثرة نقل القبائل ، وتفريقها ، والتداعيل بينها ، ومن ضمنها طريق الخلف والاستعانة والولا ، والاسترفاق كما حلفت جديلة كلباً ودخلت فيها لما صفت أمام الموات غيب يوم اليعاقبة<sup>(٢)</sup> . والذين يسكرون الأساك إسكاراً علمياً تاريخياً يردون أصولها البعيدة وسلاسلها المحكمة إلى اليهود وما ورد في التوراة من أسباب قلما قويت الصلة بينهم وبين العرب منذ الجاهلية ودخل فريق منهم في الاسلام بعد ذلك ، وأراد العرب الاعتزاز بالأسباب وإحياء المصريات قلما ما في التوراة من سلاسل محكمة وسحو أنبهم على مثلها غامت محكمة مفصلة دقيقة كأنها علم أصيل ومن أسبق الدوايع إلى ذلك نظام الخط ، الذي وضعه عمر بن الخطاب وحمل أساسه لأول القراءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بالرسوخ ، وقدم عدنان على قحطان لأن أسوة فيهم ، وقدم مصر على ربيعة لذلك ، وقربشاً على غيرهم وكان سوهشم مركز الدائرة ، ثم ما جد بعد ذلك من إحياء المصريات النفسية ،

(١) راجع يكس : التاريخ الأدبي للعرب ، وصحة من خلطوا الإجماعه من ١٠  
وذكرى أن البلاد لغة حسب من ١٢٥  
(٢) مقسمه من خلطوا من ١٢٣ - ١٢٥ صحة الخدم وتاريخ سيد الاسلامي  
١٧ من ٢٧ وابن الأكبر ٦ من ٤٧ ضم أورة .

واحشية ، والدينية مما تأتى يثاقه ، ضللك فوهم فى إسكار الأسباب الجاهلية وما يتصل بها

وهناك من يؤمن بقدر من هذه الأسباب عام إحمالى دون هذه الطون والعصائل الكثيرة للتشعبة ؛ فابن خلدون يروى أن الصريح من السب إنما يوجد للسوحشين فى القعر من العرب ومن فى مدائنهم لما احتضروا به من شغل العيش فلا يبرح إليهم أحد من الأمم يساهمهم فى عالم أو يأنس بهم « فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أساميهم وفسادها ولا تزال بينهم محبوسة صريحة ، واعتبر ذلك فى مصر من قريش ، وكساعة ، وتقيف ، وشى أسد ، وهذيل ، ومن حارم من خراطة لما كانوا أهل شغل ومواطن غير ذات ررع ولا فرع ، ومدد عن أرياف الشام والعراق ومعادى الأدم والحبوب ، كيف كانت أساميهم صريحة محبوسة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب ، وأما العرب الذين كانوا بالتبول وفى مدن الحصب للراعى والعيش من حمير وكهلان مثل نخم وجدام وغسان وطى ، وقصاعة وإياد فاحتضت أساميهم وتداخلت شعوبهم ، ففى كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف ودعما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على السب فى بيوتهم وشعوبهم وإنما هذا للعرب فقط »<sup>(١)</sup> . فابن خلدون يتكلم عن هذه الفترة الزمنية التى تناولها ، ويفرق ، أولا ، بين العرب والعجم فى العناية بالأسباب ، ويميز ، ثانيا ، بين المقيمين فى القعر والمقيمين فى الحصب من حيث سلامة الأسباب وصراحتها ، وهو بذلك يؤمن بنسب من النسب بين النادين . ويتقدم بعض الباحثين فىرى أن

الأسباب كانت مجموعات كبرى كعرب الشمال وعرب الجنوب ، ومصر ودرية ، وأن الروابط بين أفرادها لم تكن أبوة دموية عامة جامعة دتاً ، وإنما كانت مخالعات ربطت بين جماعات عربية ، سميت فيما بعد باسم المكان الذي عاشت فيه أو باسم الرعي الذي انطوت تحت لوائه دون أن ترجع هذه لقبيلة كلها إلى أب واحد وأم واحدة <sup>(٢)</sup> ومعنى هذا أننا نؤمن ببعض الأصول والمروءة الكبرى ، أو التي وثقتها الروايات الصحيحة ، وعرفها العلماء المسلمون ، وأقاموا عليها أحكاماً شرعية أصيلة .

وهناك هذا الرأي العملي الذي يعنى رجال التاريخ الأدبي والسياسي وهو يسم بأصول الأسباب وفروعها دون أن يقف طويلاً عند هذه الطرقات العامة والحقائق التاريخية ، ويعبر إيمانه بأن الحياة الأدبية ، والسياسية ، والاجتماعية إنما حرت على اعتبار هذه الأسباب أموراً مقرررة وكانت آثارها ، وحركاتها ، ثمرة لهذه السلاسل التي تمثل ما بين القبائل من وشائج القرابة أو بعيد الصلات ، فأستوى الشعر ، وقامت الأيام ، وعقدت المحاللات ، وكانت المعامرات والمعارات على أساس هذه الأسباب ، سواء ذلك في الجاهلية والإسلام وفي أمم البلاد الإسلامية كلها .

ولا نستطيع تفسير انوار القليلة وعصيانها ، أو الآثار الأدبية وانحائها دون الاعتراف بما قالت به العرب ، وأقامت عليه نشاطها ، وأثنت في طه شعرها وبشرها ، وأذاعت معانيها . وكوت أحراسها . حتى قال الأستاذ Nicholson : « يجب أن تقوم دراسنا على إيراد ما كان يعتقده العرب فداث أولى من النساء في نقد ما كانوا يعتقدون » <sup>(١)</sup> .

(١) L. Hist. of Arabs' p. XX  
(٢) راجع مقدمة تاريخيات الكتاب الأناب السعادي .

ذلك ما كان متصلاً بالجنسية ، وقد قامت الأيام ، ثم العناصر ، والحوادث على أساس ما اعتده العرب أو أقروه ، فكانت أيام قحط وعذاب . وفي داخل كل منهما ، وهم الشعر يحل هذه الأيام ويناقض حولها ويتحد معانيه من ملاساتها حتى صارت الأسباب الخاطئية ، في باب التاريخ الأدبي ، حقائق أدبية مقررّة وإن أسكرها علم الأسباب .

وبما جاء الإسلام ، عيّنت الشريعة بالأسباب لنظام الزواج ، والميراث ، والوقف والرق وما إلى ذلك مما هو متصل بالشعائر الدينية المقدسة<sup>(١)</sup> ثم اتخذها محرّراً أساساً للعصاة<sup>(٢)</sup> ، وعلى أساس ما سببهم من ذلك حتى جاء الأشراف وكونوا نقابتهم وحملوا من أعراسها حلق أسباب الأشراف والقيام على شؤونهم والاحتفاظ بمكانتهم الدينية والاجتماعية وبذلك صار علم الأسباب محكّماً الأصـحـون معظم الفروع إلى حد كبير<sup>(٣)</sup> .

ولكن حسب العصيات ، نرى الأسباب في ظل الإسلام فاسفها المهاجرون والأنصار ، واستعلاها القبائل في حروب الردة ؛ وحدّر حجر اللعب بها في الحياة الإسلامية ، ولكها منذ عهد عثمان قوى شأنها حتى ذهبت بالخلافة الأولى ، وتوسعت نزعاتها وصارت كوارث سياسية واجتماعية .

وبما نهض الأمويون اعتمدوا على العصيات العربية المختلفة وكانت الأسباب أساس ذلك بين اليمن وعذبان ، وبين ربيعة ومصر ، وبين قيس وتميم ، وبين العرب والموالي ، وبين الأموية والهاشمية ، وعلى ذلك قام الشعراء يؤرثون العداوات ، ويهيمون

(١) مسائل اللعب في معرفة فرائد العرب لعبد الله بن أبي عمير ، كتاب الأول .

(٢) راجع فروع الدين للبلادي ص ٥٣ ، الطبعة الأولى .

(٣) الأحكام السلطانية للبلادي ص ١٦٤ - ٧١ وأسباب الأشراف للبلادي

دارها بانقحر وانفجاء ، وكان عصر القاتل الشيط اهدم هو عصر الأمويين .

على أن هذه الأسباب لم تحل من الوضوح والأصطراب في العهد الإسلامي ؛ فقد رأينا الخطيئة تتردد بسنة بين قبائل العرب وبسبب إلى كل واحدة منها إذا غصب على الآخرين ، فعل ذلك مع بني عس وبني دهل ، وقال الأصمعي : « كان الخطيئة بصرب نسبة إلى مكرب وائل » وسأل أمه عن أمه خلطت عليه حتى عاش مغمور السب<sup>(١)</sup> وكان الرحمن يرى منه رقيقاً فتنسب إلى رجل لم يعقب ، كمن اتسب إلى أبي ذر ولم يعقب أو حسان بن ثابت وقد انقض سله ، وكرجل دحبل عن المأمون فأنصحه كلامه ، فأنه عن سه ، فتنسب إلى عدي بن حاتم الطائي لصنبيه فعرف المأمون كذبه<sup>(٢)</sup> وشط الفرس بعد ذلك في إحقاق نسبهم بالعرب ووجدوا من النسايب عوفاً لهم على احتلاق الأسباب كهنتم بن الكلبي ؛ فقد سأله خالد بن عبد الله القسري عن جدته أم كزبرز — وقد كانت نعيماً نسي أسد تدعى زيبب — فقال له : هي زيبب بنت عومرة بن خديمة بن نصر بن قعين عصر خالد بذلك ووصله<sup>(٣)</sup> وقد طلب إليه أبو نواس أن يبلغه بمدح وكشف بقوله عن هذه النسبة التي استنها النسابون من حلق الأسباب مخاطب الكلبي بقوله :

أبا مُدِرٍ ما بَلُّ أَسَلٍ مَدْحٍ      مُنْقَلَعٌ دَوَى وَأَتٌ صَدِيقِ  
فإن مَعْرُفِي بِأَنْتَ ثَمَانِي وَمَدْحِي      وَإِنْ ثَابَ لَا يَسُدُّ عَلَى طَرِيقِ

وقال أبو نواس في الميتم بن عدي :

الحمد لله هذا أعجب المحب      الميتم بن عدي صار في العرب

وقال بشار :

(٢) المعروف لا يفتدع من

(١) الأعاني ٢٠٣ ص ١٥٧

(٣) الأعاني ٢٠٩ ص ٥٥ يولاف

لِإِقْدَاقِ بِنْتِ عَمْرِو حِينَ تَنْسُبُهُ<sup>(١)</sup> فَإِنَّ عَمْرِيَّ مِنْ قَوَارِيرِ  
مَدَائِلَ فِي كِبَرِ حَيْدَادٍ يُرَدِّدُهُ حَتَّى يَبْدَأَ عَرِيًّا مُطْلَمَ الْبُورِ<sup>(٢)</sup>

وروى صاحب الأغانى أن بعضهم تقدم إلى ابن الكلبي في أن يحبر الناس  
عن دِعلَجِ الشاعر أنه يس من خراعة ، فقال له : « يا فاعل ، مثل دِعلَجِ تنفيه  
خراعة ؟ والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه ، دِعلَجِ ، والله يا أخى ،  
خراعة كلها »<sup>(٣)</sup> وهكذا تعرضت بعض الأساطير والسخرية .

وكان السبب منذ الجاهلية من المعاصز التي يهاجم بها الشعراء خصومهم حين  
يتركون أصولهم إلى غيرهم ، فقد قيل إن عاملة بن سَأْ وأبنت قنائل ، ليمن وهم قليل  
ورغم سباب مضر أسهم من ولد قاسط بن وائل قال الأعشى :

أَعْمَلُ حَتَّى مَتَى تَذْهَبُ بَيْنَ إِلَى غَيْرِ وَالِدِي الْأَكْرَمِ  
وَرَأَيْتُكُمْ قَسِيطَ طَارِجِعُوا إِلَى السَّبْرِ الْأَتْلَدِ الْأَقْدَمِ<sup>(٤)</sup>

وفي الإسلام كانت المهاجرون والساقطة تتخذ من السب مادة متخيرا أو التشكيك  
فيه ، أو بنى الشاعر على قومه . أو اختاره في رتبة وصيعة ، كذلك كان الفخر  
بِالْأَسَابِ ومكانة الشاعر من قومه فيها أو قرأه إلى متى قرئ ، وصحة ، وقيس  
وبيت الخلافة في مضر وهكذا .

ذلك حاسب مما تتصل بموضوعها ، والجانب الآخر أن النقائص بين الشعراء  
قامت كثيراً على الأساس القبلى ؛ فكان لزاماً أن يُطْمَحَ سباب القبائل من هذا  
الوجه ولا سيما أنها كانت أسلماً للأيام التي قيل في سببها كثير من النقائص .

(١) ذكر ابن الأثير في تاريخه حِينَ مِنْ ١٣٧ والأصل من ١٣٧

(٢) الأغانى ج ١ ص ١٨٠ من ١٧٠ بولان .

(٣) للمعارف لاسخية من ٤٦ .

وأيام العرب وقائدها ، ومميت بذلك لأن الحروب كانت سهدراً ، وليوم عدهم هو  
 النهار ، من طلوع الشمس إلى غروبها<sup>(١)</sup> وقد أشرنا قبلاً إلى مكانة الأيام في الحياة  
 الجاهلية وما اعتنت من أشعار ومقاصات<sup>(٢)</sup> وإكنا عحصها هذا شيء من العدية .  
 الأيام جاهلية وإسلامية وأمونة جرياً على يقيننا عصور القوائم وقد ذكر  
 الميداني في غمخ الأمثال مائة وثين وثلاثين يوماً جاهلياً ثم قال : « وهذا الفن  
 لا يتقصاه الإحصاء فاقصرت على ما ذكرت » . وأغضب ذلك ذكر ثمانين يوماً  
 إسلامياً انتهت به إلى أيام المصم العباسي ، آخرها يوم ( فتح ) للعاسيين على  
 الطائبيين ، ويقصر الميدان على ضبط الأسماء ويان مسمياتها من جبل ، أو ماء ،  
 أو ثمر ، وذكر العالاب والنسوب ، وإساع ذلك أحياناً بيت أو سين من الشعر  
 قبلاً في اليوم لشاعر جاهلي أو إسلامي ، دون أن يسرد تاريخ الأيام .

ويظهر أن المصدر الأول لرواية أيام العرب هو كتاب مفصل لأبي عبيدة جمع  
 فيه ألفاً ومائتي يوم ، وقيل إن له كتاباً آخر موجزاً تحدث فيه عن سبعة وخمسين  
 يوماً وعن هذا الكتاب الأول أخذ سائر المؤلفين في الأيام<sup>(٣)</sup> .

وقد أورد أبو عبيدة عه ( توفي سنة ٢١٠ هـ ٨٢٥ م ) في شرح نقائص  
 حرير و مردق حلة من هذه الأيام بحسب ورودها في المناقصة بين هذين  
 الشعيرين وقد بلغت ثمانية وثلاثين يوماً رئيساً ربيها في الفهرس ترتيباً هجائياً

(١) لسان العرب مادة يوم .

(٢) راجع في أيام لعمري شرح نقائص حرير و مردق : وماريح أس لا تيرجاء ، والنعم لعمري مدلاين  
 عبيدة - ٢٣ : وسأيه الأرمه للتويري من ٥ قسم : وقائس حرير ، والأحطس لأرنهم ،  
 والأعالي ، ونموج المقاصيات لاس الأساري ، وشرح الحامسة للتجزي : وسمم البدان ، وسمدة  
 لاس رشي ٢٠ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية عدد ٣ جلد ٣ من الترجمة العربية من ١٨٢

بشر النقائص الأستاذ « أنوى أنلى يفان » ذلك خلاف العاورات الواردة أثناء الشرح ، ومعنى هذا أن شرح النقائص لم يسوعب أيام العرب وإن اسار تفصيل ما ذكر فيها ، ولم ترتب فيه ترتيباً تاريخياً ولا قلياً . ومحو ذلك ما ورد في نقائص تحرير والأحصل لأبى تمام ، وكان أبو عبيده مرجعها الأصل .

أما أحمد بن عبد ربه ، في كتابه العقد الفريد<sup>(١)</sup> فقد أورد الأيام الجاهلية مُصنفة بحسب القبائل ، فذكر حروب قيس ، وحرب داحس والعراء ، وحروب قيس وكنانة ، وأيام بكر وتميم ، وحرب النوس ، وأيام النجار ، مع ذكر جملة صالحة من اشعر والنثر المنصاين بهذه الأيام ، وبعض المشهورين من رجالاتها ، وهذه الطريقة تنفع مؤرخ القبائل العربية ومكاتها في الناحية الحربية ، ولكنها تفقد الترتيب التاريخي ، فكثيراً ما تقدم ذكر بعض الأيام على بعض . ولما بدأ الكلام بحروب قيس ويوم ( منيع ) لعمي على عيس قال : « قال أبو عبيدة بن المثنى : يوم منيع يقال له يوم الردة » فمرجه أبو عبيدة أيضاً . وهذا النظام اشفع به بعض المصريين لما كتبوا في أيام العرب كعورحى زيدان ومحمد حاد المولى وصاحبيه .

ولكن ابن الأثير التوفى سنة ٦٣٠ هـ أورد أيام العرب في الجاهلية<sup>(٢)</sup> محاولاً ترتيبها ترتيباً تاريخياً فتم له بعض ما حاول ، معتمداً على ما وري عن أبي عبيدة ، متحرراً بالإيجار ولا سيما حين يعرض النصوص الشعرية المتصلة بالأيام إما لشكه في صحتها وإما لشدة غايته بالجانب التاريخي ، وكتابه يعد من المصادر الهامة لهذه الدراسة المتصلة بالأيام .

(١) ٣ من ١٣ : الطبعة الشرقية ١٣١٦ هـ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢ من ٣١٧ — ٥٧ طبع أوربة .



وسائر المراجع اعتمدت على ما ذكرناها إذ كانت هذه أوفى المراجع و  
هذا الباب .

أما عن أسباب هذه الأيام فقد أشرنا قديماً إلى أنها ترجع إلى عاملين : مادي  
وأدبي ، وإن كان مردها الأصيل هو سعة اللطان وكسب الاحترام وعرة الخائب  
أو توفير الحياة المرصبة للقليل ، ومع ذلك فلنذكر هنا بعض الأسباب المباشرة  
لبعض الأيام توصيهاً لهذا الأصل العام .

من ذلك الطمع والرغبة في الذهب والسي كيوم ( البرد ) حين انتهر  
رياد بن الهولة أمير الشام أشغال كيدة وربة في الإغارة على البحرين ، صرا  
بلادهم وأحد الخريم والأموال ، ولكن خيرا الكندي أوقع به انتقاماً منه ،  
وهذا سب مادي ناشئ عن عدم قيام نظام محترم لعلاقات القبائل فيما بينها .

ومن هنا انصب للكرامة والشرف ، كيوم ( سَحْتَل ) لما شفع بنو عَمِيل بجعفر  
ابن عُلَيْة لما عرض لسلتهم وكان من ذلك أحداث وثارات ، وكيوم ( طِطْعَة ) لما  
حاول المسدريين ماء السماء نقل الرديئة من بني يربوع إلى كُحاشع ولكن  
اليربوعيين انتصروا واحتفظوا بالريادة فيهم .

ويكون مردها الوشائيات والعوامل السياسية كما حدث بين شُرَحْبِيل وسمة  
ابني الحارث الكندي ، فكان من ذلك يوم ( الكلاب ) الأول ، وقد قوى  
الشر بينهما المدر بن ماء السماء أمير الحيرة اشتعاه من والدهما الحارث فقد كان من  
عوامل إقصائه عن عرش الحيرة قبل ذلك .

وربما كان السبب للملاحاة والبراء الذي يوغر الصدور وينير الحفائظ . وذلك  
يوم ( ذى طُلُوح ) الذي كان ثمره الملاحاة بين أحرار جاز العجلي وبين روج  
أخته عُمَيْرَة بن طارق اليربوعي ، ومثله يوم ( المُرُوت ) الناشئ عن المعاقرة وشد

الماضي بين قصب بن الحارث اليربوعي ومجير العلمري معكاط وفيه انتصرت نعيم على عامر .

وكانت حبة الحار من أسد (الأيام) محروب (سَمِير) شأت عن عصب مالك بن العجلان لكعب التلي الديلمي حذره في المدينة ، وإن كان الأصل الأصل هو الملاحة والمفاخرة .

ولثأر والانتقام كيوم (مُبايض) حين ثارت شيبان من نعيم لنفسها وكذلك يوم (مَسِج) وفيه ثارت عس لنفسها من عس . وكان الصدر والعص دافعا إلى حروب داحس والبراء .

ومن الدافع رفع العصم والتثبت بالحربة كيوم (خَرار) بعد على مذحج ، ويوم (خَر) نسي أسد على كيدة ، وحرب (السوس) بين بكر وتغلب<sup>(١)</sup> . ويلاحظ على سير هذه (الأيام) أن المرمجة كثيراً ما تعين بالعداى الظالم ، وقد يكون شيء من ذلك ، بيحة القصص الذي يساق للعة والاعتبار ، وشيء منه طبعى إذ يكون للدافع التأثير نفسه أقوى لاحتوائه بموطئه ، وأحسن لدفع العدوان وحماية الشرف ، وآتى للضم والحوار ، وذات كأيام : طسم وحديس والزباء وذى قار ، والصفة ، والبردان ، وحليمة ، وعين أدع ، وبُعَاث ، وررود ، وذى طلوح وحدود ، وظهر الدهماء ، والإياد ، والشاك ، واللوى ، والقراوات ، وذى بحب وغيرها كثيرة .

وتكون العلية للعداى المهاجم للحق التاريخى أو لحملك القصص ، كحرب حاطب ، ويوم سحبل ، ويوم ثبتل ، ويوم الوقيط ، وجدة ، وزحران . ويلاحظ أنه في يوم أواره الثانى كان أونه انتصار للقادر العالم وآخره جزاء

(١) راجع كتاب الأيام إلى قسمها ، لها سائغا يعرف أحدها . أوردناه هنا للاستنباط .

الواشى . وفي يوم ( صيف الريح ) تداوت عامر ومدحج تقريباً ، والعجيب أن هذا اليوم كان محاولة من بنى عامر أن يأخذوا ثأرهم من بنى الحارث بن كعب ومعهم مدحج ، فهل كانت النتيجة طمعية إذا كان ساويهما يقبل تداوى الموقفين مادام ثأراً للدماء قديمة ؟

أما عن مواقف القبائل في هذه الأيام فيلاحظ عدة أمور :

أولها : أنه في أيام العرب والفرس — كالصفقة ودي قار — كانت هناك قبائل عربية و حاش الفرس مما يدل على أن هذه القبائل تطعم بمزايا مادية من الفرس إذا كانوا غالبين ومن العرب إذا كانوا مغلوبين كآ ولهم سواد العراق وأحدهم العطايا والمهنت ، كما يدل على أن الحرب بين الفرس والعرب لم تقع على أساس جسي أو قومي ، ففي يوم الصفقة كان هوزة الحملي والى اليمامة مع كسرى على تميم ، وفي يوم ذي قار كان في صف كسرى النعمان بن درعة وعيم نطلب والممر ، وخالد بن يزيد البهراني وعيم قضاة وإياد ، وإيس بن قبيصة رأس العرب . كل أولئك صد بكر بن وائل .

وثانيهما : أن أيام قطعان فيها بينها تدهست فيها المدناية ، ففي قوم ( البردان ) كانت كعدة وريعة في صف حُحر ، وفي يوم ( السكلاب الأول ) كانت قبائل معد بن عدنان قسمة بين أمراء كعدة للنحاريين ، وفي ( عين أباغ ) كانت معد مع المذر ، وفي يوم ( حبيبة ) كانت أسرى من تميم مع فيهم شاس أحو علقمة ابن عبدة .

وثالثها : أن أيام المعطائية والمدناية كانت أحياناً بين معوك قطعان وقبائل عدنان لأن الآخرين كانوا يشعرون على حكامهم اليمنيين إيذاء للصحراء واهوان ، وكانت أحياناً بين القبائل كأيام : السكلاب الثاني ، وفييف الريح ، وظهر الدهناء .

ورأى: أن سائر الأدم تصم فيها بعض القبائل إلى قبائل بعيدة في النسب على القربة خلف أو طمع ، وكنت ترى اصناع الروس عن مطاوعة أفراد وقبائل أخرى على العدوان قضى . رفضت أن يدخل النعمان حصنها خوف كسرى ، والحارث بن ملجم المرى لم يظهر بحماية حاجب بن زرارة من بني حنظل تخافة الظلم وهناك رجال صريح معروفون كحرب بن أمية وعبيد الله بن حذافا أيام الفجار ، وهم بن صان والحارث بن عوف في دلمجس وانعراء .  
أما عن الأيام نفسها ، فكانت ذات أوصاف شتى :

أولها : ما كان بين العرب والفرس كيوم : الصعقة لكسرى على تميم ، ودى قار لسكر على العجم ، وذلك قصصها على حياء الفرس وصرعهم العرب مصمم ببعض وكيد رعدة العرب لدى جملتهم في الملاحاة الكاسرة ، ورهبة في نفوس العرب للفرس .

وثانيها : أيام القحطانيين فيما بينهم كحرب الأوس والخزرج وأيام البزدان والكلاب الأول ، وعين أماغ ، وحليبة . واليعاليم ، وكانت معرضا لأصنام الأمازيغ وعتوهم ، ومضام الأقربين ، وإحسانهم ، وتعاود العرب في سبيل غيرهم من الفرس والروم .

وثالثها : ما كان بين العدنانيين ، وكانت العدنانية تشهد هذه الأيام متفرقة ، وقيل : بها لم يجمع كلها في الحاهنية إلا ثلاثة أيام فقط هي يوم البيداء بين تهامة واليمن ، ويوم السلا بين اليمامة واليمن ، ويوم حرار بين معد واليمن<sup>(١)</sup> وعدا ذلك أيام طححصه وأزاراة ، وحجر ، والكلاب الثاني ، وفيه الريح وظهر الدهناء وعليها سمات الثورة ، والطموح إلى الحرية والاستقلال ، والقمة على ، عسف الملوك .

(١) انظر لفريد ص ٤٣ من ٦٦ وبين الايام ١٠ ص ٤٤ من ٢٨٤ وأمثال امساي ص ٢٠٠ من ٢٢٠ والعرب قبل الإسلام ص ٢٢١

رابعها : أيام العدائية فيها معها ، وهذه كانت النظام السائد الكثير العرود  
والشاهد ، كانت في ربيعة لحرب السوس بين بكر وتغلب ، وكانت بين ربيعة  
وتميم كأيام الوقيط ، وذى طئوح ، والإناد ، وعافل والوقى ، وكانت في قبس  
كأيام : سعيح ، وداحس والعبراء والرقم ، واللوى ، وهراميت ، وبين قبس  
وكندة كالكديد ، وترزة ، والفجار ، وبين قبس وتميم ، كأيام رحر حان ،  
وشعب جبة ، وذى نجب ، والصرائم والمزوت ، وبين صفة وعيرهم كالسارم  
والشيفة ، وبزاحة ، ودائرة ماسيل ، والنفيعه وغير ذلك .

ولكن ما الاصل بين الجاهلية والإسلام في هذه الأيام ؟

لا يمكن حمل ميلاد الرسول عليه السلام حداً فاصلاً بين العهدين لأن ميلاده  
كان أثناء الجاهلية ولم يغير شيئاً من الظم والقاليد القائمة بقيت سائرة في طريقها  
الترتيب حتى زمن البعثة ، على أن الرسول عليه السلام اشترك في بعض أيام العرب  
قبل الإسلام حينما كان ياول أعمامه الل يوم عكاظ من حروب الفجار الثاني ،  
ولا يمكن عد البعثة المحمدية ذلك الحد ، لأن الرسول بقي في مكة يدعو قومه  
وهم عنه معرضون وقال من آمن به ، وكانت الكثرة العربية في عتبات تبش في الصحراء  
عيشها الجاهلة السيرة لم يغير شيئاً من سلوكها ، ولم تقب أيامها فيما بينها .

كذلك لا يمكن جعل المحرة حداً حاسماً بين الأيام الجاهلية والإسلامية ،  
فبعد المحرة بدأت الأيام الإسلامية حقاً كأيام بدر ، وأحد ، والحدق وغيرها ،  
ولكن محارب هذه كانت الأيام الجاهلية قائمة في أرحاء الجزيرة العربية خاصة في  
أسسها ، وعاداتها ، وطقسها للروح الجاهلي القديم ، من أيام العرب بعد البعثة يوم  
ذى قار بين الفرس وسى بكر ، ويوم الشيطان لبكر على تميم ، ويوم قبيل الريح  
للمذحج على عامر .

ذلك من وجه ، ومن وجه آخر محد آياتاً مأخوذة عن صدر الإسلام أى في عهد  
الأمويين ، وكانت أياماً جاهلية في روحها وأحداثها ، وإن اتصلت أسسها بالحياة  
الإسلامية السياسية والدينية ، كحروب قس وتغلب ، ولا يمكن عدّها أياماً إسلامية لذلك .  
والرأى ، عسى ، أن كل يوم كل جيداً عن تأثير الإسلام وتياراته ، ولو  
بعد ضموره ، فهو جاهل كأيوم : « لوقى ، وهرايت ، والتَّيْطِين ، وذى قار ،  
وكل يوم متأثر روح الإسلام وحياته ونظمه فهو إسلامي مهما يكن شبيهاً بأيوم  
اليُسْر ، ويوم الحُشْك ونحوها .

وتختلف الروايات في قصص ( الأيام ) سواء في الأسباب والسمات والملازمات  
الجزئية ؛ من ذلك الخلاف فيمن قطع السلسلة يوم ( الشَّقَر ) : أهو حبيرى بن  
عبادة أم عبيد بن وهب بن نعيم ؟ وى يوم ( دى قار ) : من أجار لعمار ، أهو  
هان بن مسعود أم هاني بن قبيصة ؟ وكيف قتل العمار ، أبا الطاعون أم تحت  
أرجل ابيصة ؟ وصاحب العربيين من هو ؟ العمار بن المدثر على قبزي بديمة أم  
الحارث الأعرج على قري ابيه ؟ وما سبب يوم ( خراز ) أهو عدوان سمة الكندي  
على ررار أم أسرى مصر عند أحد ملوك اليمن ؟ ومثل هذا الخلاف طبعى لعدم  
تقييد هذه الأخبار قديماً ، ولناحر عهد التدوين ، ولتأثير العصبية في ذلك

على أنها محد سمات الفن القصصى شائعة فيما روى حول ( الأيام ) فحرب  
البوس قصة حماسية والتنفيد واضح في أيام داحس والمبر . وأما قصة طسم  
وجديس فتتمثل الصراع بين الجاهلية للملكى والثورة في سبيل العرض والكرامة  
وتبع ذلك أنك تحد في غضون هذا القصص شعراً موضوعاً ، ورحراً وشعراً أصيلاً  
بلفاك شيء منه في الفصل التالي . ومن أدلة الوضع ما قال أبو عبيدة : « حدثني  
المتجعب بن نهان قال : وقف رؤبة بن المعجاج على النيم بمسجد الجروورية ، فقال :

ما معشر يه ، إلى سميت عند الأمير تلك الليلة ، فقد أكرمنا يوم لكلا ب  
الذي . فقال . « معشر يه إن الكلاب ليس كما ذكرت فاعفونا من قصيدتي  
صاحبتنا نعي عند يعوث ووعلة الجرمي ومن قصيده ابن الكعب صاحبكم وهانوا  
غير ذلك فأنتم أكثر الناس كلاما وهباء ، قال رؤفة : فأنشدناه في ذلك اليوم  
شعرا كثيراً فعمل يقول هذه إسلامية كلها » (١) .

وقد مثل القصص كثيراً من شمائل العرب ومرادهم ، ففيه بداير الحرب صدر  
العرس ، والعصية للحسن أحياناً ، والحسن والاحتيل انفع القبول وعصية  
المرأة لأهنها والاسحار خوف ائثلة والاتجاه إلى الأصنام والكهان ، كما نجد في  
حروب العجار ميلا إلى المصاحفة وحلقاً كريماً وميلاً إلى العدالة واحتراماً لمكة  
وقريش ، وقصر الحروب وسهولة الشعر .

وهذا كانت الأيام تحتاج إلى دراسة خاصة دقيقة لحسبها هذا هذا الإيجاز  
نشير إلى أن أكثر النقص الخاطئة إنما قيلت في ظل هذه الأيام ونحت الوثائق  
كما يمر بك في الصفحات التالية .

### — ٣ —

وهناك معرض آخر للنقائص أو مقوماتها وأصل من أصول العامة ،  
دلت هو الحياة الاجتماعية الخاطئة وما حرت عليه من أوصاف ، في سبيل هذه  
الأوصاف لتربية والعادات المريعة أنشئ قسم من النقائص لأن هذه الأصول لم  
تراع فخرج عليها أساس أو قصرها فيما تدعى من سلوك فقام الشر بثور لها أو عليها  
وبذلك كدس الحوار والملاحاة ؛ كانت العرب تحب الحروب وبعدها بحال العروسية ،  
وامتناع المواهب السامية ، فكان الفرار منها جسا وعاراً ، وكانوا يحسون الحرية

ويتفرون من الصيم مهم يلق الفرد في ذلك من غنى وتشريد ، وكانت المرأة ممس  
الغفة ومغز الكرامة والشرف قد خلت النقائص في فن السيب ، وكان وأد  
النات موضوع حدال بين العرب والفرس فيما بعد ، كما كان معه بفخرة من  
مفاخر آباء المرزوق أوجده صمصمة خاصة ، كذلك كانت السيادة والحدة  
والكرم والعنى من أسباب المجد الذى يفخر به الشاعر ويهجو خصمه بفقده ،  
وكان العربى الأصيل يسامى على الدخيل والرقيق ، ويعد نفسه أرفع منه مكانة  
وأجد أصلاً ، كذلك كان تحويد الشعر من موضوعات النقائص فخرت به مدرسة  
الخطيئة وكعب بن زهير فاعتزتها مدرسة مزرّد أحو الشماح ، كذلك كان الحلم  
والوفاء والحزم من الفضائل التى يتجاذفها المناقصون ، وكان اتصال الشعراء  
لرؤساء بالأكاسرة أو المندرة والعلاسة من المبرات التى يتعاطى بها الشاعر ورهطه ،  
ذلك غير امتياز بعض القبائل بمكانة كقريش ، وقيس عيلان ، ومصر عامة .

هذه التقاليد الاجتماعية كانت مقياس الاعتدال والإصاف وصحة السوك  
واحترام القبيل فكان الشاعر يدعى لنفسه ولقومه اتمسك بها ويرمى خصمه  
بالإغراض عنها وإغفال أمرها ، وقد رأينا أن شاعراً ، هو قرط بن أنيف ،  
يهجو قومه بأنهم أخيار يخشون الله ويقابلون الشر بالخير ويتمنى لو كانوا عادين  
ظالمين ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً تبعاً لتقاليد الجاهليين .

معنى ذلك أن النقائص الجاهلية عاشت في ظل الأيام أولاً ، والتقاليد الاجتماعية  
ثانياً ، وذلك ما نعرضه في الفصول الآتية :



# الفصل الثالث

## النقائض والأيام القحطانية

١ -

إذا جاورنا ذلك القصص الأسطوري المتصل بالعرب السائدة والذي ذكرناه في الفصل الأول متصلاً بطسم وجدبس ، فإننا نصل إلى العرب القحطانية مادامنا حصعين في هذه الدراسة لسلسلة الآساب كما رواها السبئون ووعلوها بالنار يخ الأدنى ، والسياسي ، والاجتماعي ، وإذا كانت الأيام ، كما قدم ، أهم معرض المناقصة بين الشعراء ، آثراً أن قدمها في الذكر وما اتصل بها من هذا المنع ، وآثراً أن تقدم منها ما كان متصلاً بالقحطانية سواء أ كانت أياماً داخلية بين قبائل قحطان أم أياماً خارجية بينها وبين قبائل عدنان ، إذ كان الجانب القحطاني فيها هو السائد الغالب إما بكثرة عدده وآثاره الشعرية ، وإما بكون السلطان القحطاني متفلاً ذا أثر قوي في سير حوادثها وجنيل آثارها وتأنجها . وسنقتصر هنا على الأيام التي وردت في أخبارها نصوص المناقصة بين الشعراء .

وقد أشرف في الفصل الأول إلى ما كان من حوار بين سعة بن الحارث الكندي وبين أبي حشر الكندي حول قتل مريحيل بن الحارث الكندي يوم الكلاب الأول ، وإلى ما دار من المناقصة بين امرئ القيس وعبيد بن الأبرص الأسدي حول مقتل حجر الكندي والده امرئ القيس فلا بعيد ذكره هـ وإتفاشير إلى ما روى أنه جرى بين امرئ القيس وشهاب وعاصم ليربوعين ، قال امرؤ القيس فيها : -

أسمع شهاداً ، عن فألمت عاصماً      هل قد أذاك الخسرُ قال  
أنا تركنا بكراً فحلى وخز      حتى وسنايا كالعاري  
يمشون في حلسا ممتزجا      تـي بحسوع وعزال  
فرد عليه شهاب بقوله :

تسبنا حيدكم فيما مضى      حتى استغنا الخي من أهل ومال  
دنت ، ولكم كدبة سوداء قد      نستقبل القسوم بوجه كالجمال  
فأقطنا ناكل فيما عرا      طعمها قذا وبحروث انطمال  
أهـ صباكم مصومة      كأنها قد نطقت من حرم آل  
من كل قبـ ، بمدو التـ كرى      إذا ترواني انثـ بالقوم الثقيل<sup>(١)</sup>

وإذا صح عدا الشعر ألقى صورا على من آخر هجا فيه امرؤ القيس الراحم  
من بني تميم ، و يروى ، ودارما ، لأنهم تحدوا في الدفاع عن شرحبيل عم امرئ  
القيس حتى قتل يوم الكلاب الأول بيد أبي حنـ النعني ، وأوه . —

ألا فجع الله الراحم كـها      وحدهـ بـروعا وعـ دارما<sup>(٢)</sup>

وقد جمعت المناقصة بين في الفجر والمساء ، ووحدة الشعر والقافية ، وتقابل  
المعاني فقد أسكر الثاني على الأول فخره ، وهائل هجاءه بطيره وكان الكلاب  
الأول أسفة من الحارث على أخيه شرحبيل<sup>(٣)</sup> وأشعرا ، الماهلية والاسلام شعر  
كثير فيه ، منهم السعاح النعني ، والحداد النعني ، وحابر حـ ، وفيه يقول  
الأخطل بلجـ : —

أنتي كذيب إن نعتي اللدا      فلا الملوك وفككا الأعدالا

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٦ ط السدوسي .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٦ عن الراحم .

(٣) راجع فائس عـ وقرظي ص ٦٥٢ — ١٦٦ .

وأخوها السَّاعِ ظَنًّا حَيْلَهُ      حتى وَرَدَن جِيَّ الكَلَابِ بِهَا<sup>(١)</sup>  
وَمَا بَوْمَ الكَلَابِ الثَّانِي فَكَانَ نَمِيمٌ عَلَى مَذْحِجٍ وَأَحْلَاهَا<sup>(٢)</sup> وَبِهِ كَانَتْ  
لِلْمُنَاقِصَةِ الرَّجْزِيَّةُ السَّائِقَةُ وَشِعْرٌ مَوْصُوعٌ كَثِيرٌ<sup>(٣)</sup>.

وَتَقْدِمُ فَتَحْدُ مِنْ شِعْرَاءَ طَبِيعٍ رِيدَ الحَيْلِ النَّهَائِي الشَّاعِرِ العَارِسِ انْفِجَارِ  
الْمُخْضَرَمِ عَرَا فِي الْخَافِيَةِ بَنَى عَامِرٌ وَفِيهِمْ عَيْنٌ وَأَحْوَاتُهُمُ الطُّفَاوَةُ فَهَرَمَهُمْ وَاسْتَحَرَّ  
الْقَتْلَ بَعَى وَفِيهِمْ يَوْمُنَدُ شِعْرَاءَ وَفَرَسَانِ ثَلَاثَ طَبِيعٍ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَانَمِ وَأَسْرَ  
رِيدَ يَوْمُنَدُ الْخَفِيَّةِ لَحْزَ مَامِصَتِهِ وَأَطْلَقَهُ ، وَقَتْلَ رِيدَ وَفِيهِ عَامِرٌ تَصِيدَتَهُ  
الَّتِي يَقُولُ فِيهَا : —

وَحَيْفٌ مِنْ شُعْبٍ عَلَى عَيْنٍ      وَبَاهِلَةٌ مِنْ أَعْدُسٍ وَلِكَلَابِ  
نَمِيمٌ إِنْ عَيْنًا تَحْمَتُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ لَيْفٍ مِنْ نَبِيٍّ عَامِرٌ فَرَّوْا طَبِيعًا فِي أَرْصَمِهِمْ  
فَضَمُّوا وَقَتْلُوا وَأَدْرَكُوا نَأْرَمَ مَسْمُومٍ ، وَعَلَى ذَلِكَ أَحَابَ طَبِيعُ الْعَمُودِ رِيدًا فَقَالَ : —  
نَمُوْا بِالْحَيَادِ إِلَى أَعْدٍ      مُعَاوَرَةً بِحِدٍّ وَاعْتَصَابِ  
نَوْمُهُمْ عَلَى رُغْبٍ وَشَحْطِ      يَقُودُ طَائِفِينَ مِنْ بَقَابِ  
وَهِيَ طَوَالَةُ مَسَا : —

أَخَذَ بِالْخَطْمِ مَنْ أَتَاهُمْ      مِنَ السُّودِ الزَّرْنَقَةُ الزَّعَابِ  
وَقَتْلُ سَرَائِهِمْ جَمْعًا      وَجُذًا بِالسَّيْبِ وَالْيَهَابِ  
سَبَا طَبِيعٍ أَثَرُ رَزَنٍ قَسْرًا      وَأَبْدَلَتِ الْقَصُورَ مِنَ الشَّعَابِ  
سَكَايَ طَبِيعٍ مِنْ كُلِّ خَيْ      بَعَسَ فِي الْفَرَعِ مَسَا وَالْيَصَابِ

(١) عَمَاءُ كَلَابٍ وَمِهْلِيلٌ أَوْ عَمْرُوٌّ كَلْبٌ - وَأَبُو سَعْدٍ : رَجُلٌ عَدُوٌّ لِلْعَرَبِ وَالْأَحْطَالِ مِنْ ٧٢

(٢) الْعَالَمِيُّ مِنْ ١٧٢ وَالْمَعْدُ الْقَرِيْبُ مِنْ ٢٠٠

(٣) الْمَعْدُ الْقَرِيْبُ مِنْ ٢٠٠

وما كانت سأتهم سبياً ولا رَغَتُ نَعْدُ من الرِّقابِ  
ولا كانت دماؤهم وهاً لنا فيما نَعْدُ من العِقابِ<sup>(١)</sup>

وقد مضى في العصل الأول ما كان من ملاحاة بين ريد الحيل وعامر بن  
الطفيل في مقتل (دؤاب) الضائي، وكانت مناقصة لولا اختلاف القافية .

وحدث مرة أن أغارت هوارن ( من قيس عيلان ) على خُرَاعة ( من  
كهلان ) وهم بالحصب من بني ، فأوقموا سطل منهم يقال لهم بنو العترة ، ويقوم  
من بني ضباطر ففعلوا منهم عبداً ، وعوقاً ، وأقرماً ، وعُشداً ، فقال الأحم  
الغدواني من قيس مفتخراً بذلك : —

عداة النضينا بالحصب من بني فلاقته بنو العماء إحدى العظام  
تركنا بها عوقاً وعدداً وأقرماً وعُشداً سُوراً للصور القشعر  
فأحابه قيس بن منذر الشول : —

فحرت يوم لم يكن لك فخره أحاديث طسم ، ہی أنت حالیم  
تفاخر قوماً أطردتك رماحهم أكتب من عمرو، هل يُحِبُّ البهاشم؟  
هو شهدت أم الصيئتين حلنا وركبهم لا تبصر منها المقدم  
عداة بوايهم وأدر جمعكم وأبنا بأسراكم كأننا صراغيم<sup>(١)</sup>  
فقيس يسر على صاحبه انتصاره ، وفخره ، ويشت عكسهما له ولقومه ،  
مع وحدة الشعر ، والروى ، وإن اختلفت حركة الروى .

## ٢ -

ولم أتم نغائص القحطانية مذارب حول أيام الأوس والخرج إذ كانت  
أناهم من أشهر حروب الأهلية ولا ميا أميا افتتت مذكر جماعة من كبار

(١) الأعمى ج ١٣ ص ٤ يولاق

الشعراء الماهليين والمخصرين ، من العرب واليهود .

والأوس والمخرج قيينان من أزد كهلان النخبية ، رحلتا من الحبوب ، بعد ميل العرم واستقرا أول الأمر عند نثرب ، وكانت هذه مقر اليهود - من بني قريظة ، والنصيرة ، وبني فيضة ، وبني مسلة ، ورغوزا وغيرهم - وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون فيها إذا خافوا ، فدخل عليهم الأوس واخرج فانسوا المساكن والحصون إلا أن العلة والحكم لليهود اهدى رجوا إلى نثرب هاربين من الشام أيام الروم ، وكان رول الأوس واخرج يصرار - ماء على ثلاثة أميال من نثرب - رلوا في جهنم وصبق في انقاش بسوا بأصحاب إبل ولا شاة ، لأن المدينة ليست بملاذ نعم ، وبنوا بأصحاب نخل ولا ررع ، وليس للرجل منهم إلا الأعداق اليسيرة يستخرجها من الأرض الموات ، والأمون لليهود<sup>(١)</sup> وهنا يحكى ابن الأثير قصة ملك اليهود (الفطيتون) وأنه كان بسك مع اليهود - وقيل بالأوس واخرج أيضاً - ما كان ملك طسم بساء جديس حتى أتى دور أخت مالك بن القحلان ، فأنارت أحاسا مالكا قتل (الفطيتون) وفر إلى الشام يستجد العساسة ، ولكن الأعاني في روايته يصل مباشرة إلى ورود مالك هذا إلى أبي حنيفة السائي الذي يسأله عن قومه فيصف له سكده عيشهم فيأتى أوحيلة إلى مدسة ويقتل زعماء اليهود ويمكن للأوس واخرج في المدينة ، وبميش هؤلاء معاً في سلم وأمن إلى أن كانت حرب (سُمير) أولى حروبهم وفاتحة الناس بينهم حتى جاء الإسلام فحتم ذلك النصال وأحل بحله لوثام والسلام .

وقيل للمصنف في ذكر أيام الأوس والمخرج شير إلى جماعته من شعراء اليهود لما كان لبعضهم صفة شعراء القفاص أو مشاركة فيها وفي أيامها ، منهم أوس بن

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٢٩١ ومهذب الأعاني ج ١ ص ١٠٧

دُنَى الْقَرَطَى ، واسْمُ مَنْ بَنَى عَادِيَا ، وَأَبُو الزِّنَاد ، وَكُتِبَ بِنِ الْأَشْرَفِ مِنْ بَنِي  
النَّصِيرِ لَهُ مَنَاقِصَاتٌ مَعَ حَسَانٍ مِنْ نُسَبَةٍ وَغَيْرِهِ فِي حُرُوفِ الْأَوْسِ وَالْخُرَجِ ، وَالرَّبِيعِ  
أَنْ أُنَى الْحَقِيقِ مِنْ قَرِيبَةٍ وَكَانَ أَحَدَ الرُّؤَسَاءِ يَوْمَ ( نَعَث ) حَلِيفًا لِلْخُرَجِ  
هُوَ وَقَوْمُهُ <sup>(١)</sup> .

وذكر هذا من أيام الأوس والخزرج ما كان معرضاً له في سنة مسخرين  
الإيجاز قدر الاستطاع <sup>(٢)</sup> .

وأول هذه الأيام يوم ( شُئْبِر ) للأوس على الخرج ، وسنه أن سميراً الأوسي  
قتل صيفاً من بني ذبيان يدعى كعباً النعلبي كان ربلاً على مالك بن العجلان  
الخزرجي في خير طويل فتعارب الحيان ، وقتل الحرب أنت سوا الحارث بن الخزرج  
أن تنصر مالكاً فقتل يذكر ذلك ويشير إلى حدث بني عمرو بن عوف على  
سمير ، ويخبر عن بني النجار على نصرته من أبيات . -

بَنِي سَمِيرًا ، أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَذَّبُوا دَوَاهُ وَقَدْ أَبَعُوا  
إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقًا بَنِي الْحُجَارِ لَا يَطْعَمُوا إِلَّا بِمِثْلِ عَيْمُوا <sup>(٣)</sup>  
لَا يُسَلِّمُونَا لِحَشْرٍ أَبَدًا مَا دَامَ مِثْلُ بَطْنِهَا مُشْرِفًا  
وَقَالَ دِرْهَمٌ رَيْدَ أَخُو سَمِيرٍ فِي ذَلِكَ . -

يَا قَوْمُ لَا تَقْلُوا سُمِيرًا بَابُ الْقَتْلِ فِي التَّوَارِ وَالْأَسْمَاءُ  
إِنْ تَقْلُوهُ تَرِنُ نِسْوَتِكُمْ عَلَى كَرِيمٍ وَتَفْرَعُ السُّلْفُ <sup>(٤)</sup>  
إِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ الَّذِي يَجْعَلُ لَهُ الْمَسَاسُ وَمِنْ دُونِ بَيْتِهِ سَرَفُ

(١) راجع تاريخ الشعر السياسي للزواي من ٨٦ والأعاني وابن سلام

(٢) راجع في هذه الأيام من الأجر ١٢ من ٤٦١ وما بعدها والأعاني ٢٢ من ١٨ ، دار

لكل ، وأمرت قبل الإسلام من ٢٥٠ وأيام العرب في الخاطبة من ٢٢

(٣) أي لا تلهوون الصبي إذا أصبحوا به . (٤) ترى : برصن أمواتهن بالكاء

يَمِينُ تَرَى مَالَهُ يُجَاهِدُ      يَحْلِفُ بِرُكْنٍ يَنْعَمُ الْخَلِيفُ  
لَا رَمْعُ الْعَدُوِّ فَوْقَ سُلَيْمِ  
إِنَّكَ لَا تَرَى غَدًا غَوَاةَ بِي  
فَأَسِرَ سَيْبَاكَ يَعْرِفُونَ كَمَا  
وَقَالَ دِرْهَمٌ فِي ذَلِكَ أَيْضًا : -

يَا مَالِي لَا نَعِيَنَّ طُلَامَتَ      يَا مَالِي ، إِنْ لَمْ تَشْرُ أَتُفْ  
يَا مَالِي وَالْحَقُّ إِنْ قَبِيعَتَ بِهِ      فِيهِ وَهِيَ لِأَمْرٍ تَصَفُّ  
إِنْ بِحَيْرٍ عَدُوٌّ فَحَدِّثْنَا      فَالْحَقُّ بُوْقٌ بِهِ وَيُسْتَرْفُ  
ثُمَّ انْعَمَنَّ إِنْ أُرِدْتَ صِيمَ بِي      زَيْدٍ ، فَإِنْ وَمَنْ لَهُ الْخَلِيفُ  
لَأَصْحَنَ دَارَكُمْ بَدَى الْجَبْرِ      حَوِيٍّ لَهُ مِنْ أُمَامَةٍ عَرَفَ<sup>(١)</sup>  
الْبَيْصُ حِصْرٌ لَهْمُ إِذَا فَرَعُوا      وَمَا خَاتُ كُنْهَا الطُّفُ  
وَالْبَيْصُ قَدْ نُسْتُ مَصَارُهَا      هِيَ عَوْسُ الْكُمَةِ تُحْتَطَفُ  
كَأَنَّهَا فِي الْأَكْفِ إِذَا لُمْتُ      وَسِيمٌ بَرَقَ مَدُّهُ وَيُكْفِ

وَأَيُّ مَالِكٍ بِنِ الْمَجْلَانِ تَتَصَنُّ غِظَةً سُبْرَ عَلَى بَصَرِ قَوْمِهِ لَهُ ، وَرَجَاءُ  
بَنِي الدَّجْدَارِ أَنْ يَبْصُرُوهُ هُوَ . وَخِلَافَ بَنِي الْخَزْثِ بِنِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ ، وَاتِّهَامُ كُلِّ بِنِ  
بِي حَاجَجِي وَبَنِي زَيْدِ الْآخَرِ قَتْلَ حَنِيفِ مَالِكِ الْإِنْدِيِّ أَيْ أَنْ يَقْتُلَ فِيهِ دِيَةَ  
الْخَلِيفِ ، وَهِيَ نَصْفُ دِيَةِ الْأَصِيلِ ، ثُمَّ شِعَاعَةُ هَذَيْنِ الْفَرَسَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ .  
وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ أَوَّلًا ، أَنْ قَتَلَ سُحَيْرَ بَحْلِيفِ مَالِكِ بِعَقَبِ شَرٍّ كَثِيرًا ،

(١) مَرْدَهَفٌ : مُنْقَمِعٌ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ .

(٢) كَانَ مَالِكُ بِنِ الْمَجْلَانِ يُدْعَى سُبْرَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ وَاتِّهَامُ كُلِّ بِنِ

(٣) عَرَفَ : صَوَّتَ .

ويقسم أنه لا يصح الخليف في مكانة الأصل ، ويهدده بما يلحق من الأوس ، فلم يلتجأ إلا في مسألة الدية ، وكان رد درهم أقوى لاشتغاله على التهديد والوعيد . ثم رد عليه نائياً مصححه ومحاولة إرجاعه إلى الهدى والرشاد ، وبهديده حرب طاحنه إن لم يدرم جادة الصواب ، وكان درهم يرد على سلوك مالك وآرائه الواردة في سياق القصص النثرية أكثر من رده على شعره .

وكان هذه الملاحاة الشعرية لما نقيت مرونة أثارت في هسي شعريين شعرت بهما الأيام فلم يدركا هذا اليوم ، حسنة فساقصا حوله من الورن والقافية بسهما ، هاتيس بن الخطيم الأوسى وحسان ثابث انخرجى ، فقال قيس بن الخطيم قصيدته المشهورة :  
ردّ الحليط الجذّان فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم رقعوا  
وهي طوية يقول فيها هذا السبب مما يتصل بهذا اليوم : —

أبلغ نبي جحشقي وإحوتهم زيدا بأننا وراهم ألف  
وأنا دون ما يسومهم الـ أعداء من ضم خطه فكف  
تفلى بحد الصميح هاتهم وعلينا هاتهم بها جف  
إن سي عشا ملغوا وبوا وأج منهم في قومهم سرف<sup>(١)</sup>

ورد عليه حسان بن ثابت بقصيدته التي مطلعها . —

ما بال عيشي ذومعها تكف من ذكر خود شطت بها قدف  
وبعد نسيب وفجر قصيرين تقول فيما يتصل بالموصوع من أبيات : —  
تبلغ غنى البيت فافية تذلهم ، إهم لنا خلفوا<sup>(٢)</sup>  
بالله حهداً لفتنكم قلا عينا والحيل تنكسف  
أو ندغ في الأوس دعوة هرباً وقد بنا في الكية النصف

(١) الديوان ص ١٦ مع أوره والأعلى ح ٣ ص ٢٢ دار الكتب مع اختلاف الروايتين .

(٢) التثبت على من الأوس



كُنْتُمْ غِيْدًا لِمَا نَحْوَكُمُ      مَنْ جَاءَنَا وَالْعِيْدُ تَصْطَلِفُ<sup>(١)</sup>  
 كَيْفَ تَعَاظُونَ بَحْدًا سَعْيَا      وَأَنْتُمْ دَعْوَةٌ لَهَا وَكُفُ<sup>(٢)</sup>  
 هَلَّا عَصْنْتُمْ لِأَعْدٍ قَتَلُوا      يَوْمَ (نُعَاثٍ) أَطْلَمَهُمْ طَلَفُ<sup>(٣)</sup>  
 نَقَلْتَهُمْ وَبَسُوفَ تَأْخُذُهُمْ      أَحْدًا عِيًّا وَأَنْتُمْ كُشْفُ<sup>(٤)</sup>  
 بَنَ شَمِيرٍ عِنْدَ طَلْحَى سَمْعَا      سَاعِدَةٌ أَعْبُدُ لَهَا نَعْفُ<sup>(٥)</sup>

معاني نفس قائمة على الخيانة ، والوعيد ، والتهجاء بالنسي ، والطغيان ، والإسراف  
 في التجنى ومحاوره الخد ، فرد عليه حسان ساحراً من وعيده ، مفخراً بقومه ،  
 هاجياً حصومه بأنهم دوسهم في الشرف ، ذاكرأ من قتلوا منهم يوم (نُعَاثِ)  
 رمياً سميراً وقومه بالطغيان والسعاة والطيش ، فسلك في بقعه مسالك القلب ،  
 والموارنة ، ورد امجاء بأن حصومه خول حدام فتحققت المناقصة وإن كان سدها  
 قديماً ، ومن يدرى هل من المناقصة الأولى من وحي اثنية ومن آثارها توصت وصدا .  
 ويلاحظ أن موقف المخرج كان صعباً في الناس ، عملياً بهزيمة في هذا  
 اليوم ، وأديا بشعر مالك بن الحلال ، ولكنه اكتسب قوة أدبية أخيراً لما  
 تناوله حسان ، عى أن المناقصة هانم نحل من شعور القربي والأسم على تحطيتها  
 ومن أيامهم حرب كعب بن عمرو ، فلهخرج على الأوس ، وذلك أن كعب  
 بن عمرو المازني المخرجي تزوج امرأة من بني سالم من المخرج ، وكان يختلف  
 إليها ، فقصد له رطل من بني جَعْفَرِيٍّ من الأوس عمره يد فصر يوه حتى قومه

(١) نحو لكم تحيطكم جننا . تصطف من الصف .

(٢) دعوه منهم به والنوكم . القلب والهمس . (٣) طلف . شدة

(٤) كشف . منهرمون . (٥) طلف : قرط . جامع ديوان حسان ص ١٨٣

أو كادوا ، فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج ، وخرج معه سوا البحار ،  
وآذن بني حنظل عذب فلاقوا بالرُحابة ، حصن بالدمية ، واقتنوا قتالا  
شديداً ونهرت شو حنظل ، وكان معهم أحيحة بن لجلاح الأوسي ، فطلبه  
عاصم فأدركه وقد دخل حصه فرماه سهم فوقع في باب الحصن ورجع عاصم  
وأصحابه ومكنوا أيلماً ، ثم إن عاصم طلب أحيحة ليلاً يقتله في داره ، وبلغ  
أحيحة ذلك فقال : —

كُنْتُ أملك حثّة نه	رى بين داري ولقائنه
فقد وجدت بحاسب الصّحّة	يان شاماً مُهمّة
فنيان حرب في الحد	د وشامرين كأسد عانة
هم سكّوك عن الطر	ق فنت ترك كل لابه
أعصيم لا تحزع فإن الح	رب لبت بالدعابه
فأنا الذي الذي صبحتكم	بالقويم إذ دخلوا الرُحابه
وقلت كعباً قبلها	وعلوت بالسيف الذوّانه

و بلغ عاصم قوله فأجابه : —

أبلغ أحيحة إذ عرصة	ت بداري عني حوّابه
وأنا الذي أعجلته	عن مقعد ألمي كلاله
ورميته سهماً فاح	هأه وأغلق ثمّ بابه <sup>(١)</sup>

تناول الرذموني هجوم عاصم على حصه بالسهم وإحطائه ، فعلمه أحيحة  
مخوف عاصم شباب الأوس وعصره عاصم بفرار أحيحة واحتمائه محصنه ، ولم أجد

للآن سائر قطعة عصم التي نصل بالحرب . ودارت لمناقضة هـ بطريقة التوجيه ، فكل فسر الحادث توجه بلاثم موقفه .

ثم حرب السرارة ، يوم عصّ الحثين جميعاً شره ، وذلك أن رجلاً من بني الحارث بن الحريج لقي رجلاً من الأوس حارحاً من بني أريس - ثم معروفة قريبة من مسجد قباء عند المدنة - من عند طئره<sup>(١)</sup> ومع الحرجي سل له فرماه الحرجي فقتله ، فما سمع قومه قتل صاحبهم حرحوا إلى الذي قتل صاحبهم ليلاً فقتلوه نياتاً<sup>(٢)</sup> وكان لا يقتل رجل في داره ولا في بخله ، فرت الحرج مقتل صاحبهم ، فقالوا : والله ما قتل صاحباً إلا الأوس ، فحرحوا ، وحرحت الأوس فالتقوا بالسرارة<sup>(٣)</sup> فافسلوها أرساً حتى نال كل فريق من صاحبه فقال قيس ابن الخطيم في ذلك : —

تروح من الحسناء أم أنت مُمتدى وكيف اطلاق عاشق لم يرؤد

ومنها بعد السيب :

ألا إن بين الشرعبي ودانج صراماً كتنخدام السيل المقصد

لها حائطان ، الموت أسفل منهما وجمع متى بصرح بينرب بصيد

تري اللابة السوداء يحمر لونها وتغير منها كل ريع وفدود

ويستمر منحرراً بحلقه ملأ شئ من الحكم ويهوى قصيدته بقوله . —

فمن مُلغ عى شريد بن حابر رسولاً إذا ما جاءه وإن مرئد

فأقسمت لا أعطى يزيد رهية سيوى السيف حتى لا سوء له لدى

فلا يُعبد بك الله عبد بن نافد ومن يعلمه ركن من الترب يعبد

(١) الطئر المرسمة ولد غرها (٢) قتله ما : أى بالعين منه

(٣) وسط الوادي .

فرد عنه حسن بن ثابت بقوله :

نعم أهلك الخير يا شعث ما بنا  
على لسان في الخطوب ولا يندى  
لسان وسبي صارمان كلاهما  
ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودى  
ويسير معترأ شبيهه وفصائله ومرة قومه حتى يقول :-

فلا تعجلن يا قيس واربع فلما  
فصاراك من نقي نكل مهدي  
جسيم وأرماج بأيدى أعزة  
منى ترهم يا بن أعظم تبليد  
ليوت لها الأشبال نحي عرينها  
مداعس باخطى في كل مشهيد  
قد ذقت الأوس القنال وطردت  
وأنت لدى الكنان في كل مطرد  
فناغ لدى الأبيات حورانواعما  
وكحل ما قيلك الحسن بالمد  
فتك عن العلي ، ثم ثبته  
ورددتني قد حجه الدار كصلد<sup>(١)</sup>

سبب قيس لما يقاله بطيريه عند حسن ، وكلاهما صرح نفسه على طريقة  
القبائل ، وقد فالأ في الحكمة على طريق انبارة والنجدى ، وأهوى قيس قصيدته  
بالوعيد ، وحسن أنهاها تهديد قيس ، وهجاء قومه الأوس ، ورعى قيس باللوم ،  
والضمة ، وحصل النساء ، وظاهر أن المناقصة هنا كانت لية لولا عطف حسن في  
تقيصته عنها سبياً بما هدد وهجاء مريحاً ، وعلى كل فلا تزال المناقصة بين الأوس  
والخروج بريئة من القبح والإسفاف .

وكان يوم قارع سبب غلام قصاصي أصابه رجل من بني النجد ، وكان عم  
الغلام حراً لعنذ بن العمان الأوسي ، فأرسل معاذ إلى بني النجد أن ادفعوا إلى  
دنة جارى أو يمشو إلى قتاله أرى فيه رأى ، فأبوا أن يفعلوا ، فقال رجل من

(١) راجع ديوان حنظل من ١٣٩ - ١٤٣ وديوان قيس بن الحارث من ٢ - ٢٢  
والكامل لاس الأنجر من ٩ من ٤٩٧ والمطلع الأخير يعكس الترتيب

بني عبد الأشهل . والله إن لم يفعلوا لا هتل به إلا عامر من الإطاعة ، و عامر  
من أشرف الحرح ، فلع ذلك عامراً فقال من أمات : -

ألا من مُلِعُ الأكفاء عى وقد نهذى الصيحة للصيح  
فاسكم وما ترحون شطرى من القول المرحى والصريح  
ميدم عصكم عجلا عليه وما أترُ اللسان إلى الخروج  
أت لي عرق وأنى ملائى وأحدى الحمد بالثمن الربيع . الخ  
فقال الربيع من أى الخفيق اليهودى فى عراض قول عامر من الإطاعة : -

ألا من مبيع الأكفاء عى فلا طلم لدى ولا افتراه  
فستُ يعبط الأكفاء طلكا وعمدى لعلامات اجترأه  
فلم أر مثلاً من بدو حبيب له فى الأرض سبر واستواء  
وما مصرُ الإقامة فى ديار يُهان بها الهقى إلا عناه  
ويستمر فى حكمه إلى آخر القصيدة (١).

فمع وحدة السب ، والحر ، واختلاف القافية ، يظهر أن الماقضة هنا كانت  
وعاً من تصوير الحاسة ، وعرة النفس عبد الساعرين دون أن يلحقها التحاماً صريحاً  
أو يتسائلا ، هذا إلى مشاركة اليهودى هذا الفن . ثم التفت الحيات عند فارغ ، وهو أحلم  
حسان من ثامت ، واشتدت بينهما الحرب حتى حمل دية العلام عامر من الإطاعة .

ثم حرب حاطب للخزرج على الأوس بينها وبين يوم سُمير نحو مائة سنة ،  
ويقول ابن الأثير : إن حرب حاطب آخر وقعة بينهم إلا يوم ( ثعالب ) حتى جاء  
الإسلام ، و بعد حاطب أيام فرعية له ، وحاطب هو ابن قيس من بني أمية من  
ريد بن مالك الأوسى كان له زيل ذيبانى هذا يوماً إلى سويى قبيقاع فراه

يزيد بن الحارث المعروف بابن فُسْحَم الحُرَجِيَّ حَمَل رجلاً يهودياً فكسبه فقتله  
حاطب بن جري بن فُسْحَم حلف حنظلة فادركه وقد دخل بيوت أهله فلقى رجلاً  
من بني معاوية فقتله، فثارت الحرب بين الأوس والخزرج فكان الطفري يومئذ للخزرج.  
وكانت صلصة بين قيس بن الحظيم وعد الله بن ربيعة حول عهد اليوم  
ويوم (بُعَاث) معاً<sup>(٢)</sup> فقد قال قيس قصيدته المشهورة :

أُتْرِفُ رِسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَنَاهِبِ      لِمِزَّةٍ وَحْشًا عِزٍّ مَوْفِرٍ رَاكِبِ  
دِيَارُ التِّي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِئَى      نَحْمَلُ بِأَلْوَالٍ نَحْمَلُ أَرْكَائِ  
و بعد السيب ينتقل إلى الحامة المتصلة بالموضوع فيقول :

دَعَوْتُ بَنِي عَوْفٍ خَفَنَ دِمَائِهِمْ      هُمَا أَتَوْا سَابَحَتْ فِي حَرْبٍ حَاضِبِ  
و كُنْتُ أَمْرًا لَا أَبْثُ الْحَرْبَ طَالَمَا      فَلَمَّا أَتَوْا أَشْمَلْتُهَا كُلَّ جَانِبِ  
و يشير إلى من انضم إليهم من اليهود فيقول :

أَنْتَ قُصْبٌ مَنكَاهَتَيْنِ وَمَالِكِ      وَنَعْلِيَّةُ الْأَثَرَيْنِ رَهْطِ بْنِ عَالِبِ<sup>(١)</sup>  
رِجَالٌ مَتَى يُدْعَوْنَ إِلَى لُتُوتٍ يُرْقَلُوا      إِلَيْهِ كَأَرْقَالِ الْجَلَالِ النَّصَابِ<sup>(٣)</sup>  
ثم ينتقل إلى يوم (بُعَاث) فيقول :

و يَوْمَ (بُعَاث) سَلَمْنَا سِيوفَنَا      إِلَى سَبْرِ فِي حِذْمِ عَسَانَ ثَقِيبِ  
بُرْمَيْنِ بَيْضًا حِينَ نَلْقَى عَدُوْنَا      وَبُعْدُنَ حُمْرًا نَاحِلَاتٍ لِمَصْرَبِ  
و يذكر بني عوف وما حل بهم حتى يقول :

فَهَلَّا لَدَى الْحَرْبِ الْقَوَانِ صَدَرْتُمْ      لَوْ تَقَعْتُمَا وَالنَّاسُ صَعْبُ الْمَرَاكِبِ  
ظَلَامَاكُمْ بِالْيَمْسِ حَتَّى لَا تَمُ      أَدْلُ مِنْ السُّنْبُلِ بَيْنَ الْخَلَائِفِ

(١) راجع ديوان قيس ص ١٠ و ٣٦ .

(٢) السكاهان من قرطه أو من النضر أيضا .

(٣) أُرْقِلَ لغيره من رأسه وارتفع عن الرمي والصبي يلقى معه حمل ولم يدن .

فَأَتَى إِلَى أَسَانَا وَدَسَّانَا وَمَا مَنَ تَرَكَأ فِي (مُتَأَت) بِأَتَى  
فَأَجَاهَهُ عَمْدُ اللَّهِ فِي رَوَاحَةِ الْخَطَرِ فِي الْحَرْجِ حَى .

أَشَافَتَكَ عَلَى فِي الْخَلِيطِ الْحَاسِ . مِمَّ، فَرَشَاشُ النَّمْعِ فِي الصَّدْرِ عَالِي  
وَعَمْدٌ لَسِيْبٌ يَنْتَقِلُ إِلَى الْقَمَرِ قَوْمَهُ وَالْحَمَاسَةِ يَقُولُ :

إِذَا عُبِرَتْ أَحْبَابُ قَوْمٍ وَحَدَثْنَا ذَوَى مَائِلٍ فِيهَا كِرَامَةُ الْمَصَارِبِ  
يَحَامِي عَلَى أَحْسَابِنَا مِتْلَادَنَا مُتَقَرِّأَوْ سَائِلُ الْخَلْقِ رَاعِي  
وَأَعْمَى هَدْنُهُ لِلْسَّبِيلِ حُنُونُنَا وَحَصْمٍ أَمَّا بَعْدَ مَا لَحَّ شَاغِبِ  
وَبَعَثَكَ صَكَ تَرَى الْمَوْتَ وَسَطَهُ مَشِينًا لَهُ مَشَى الْخِيَارِ الْمَصَافِ  
ثُمَّ بَعَثَ قَصِيدَتَهُ يَقُولُهُ بِمَخَاطَبِ قَبِيْأَ وَقَوْمِهِ : —

فَخَرَّتْهُمُ مَجْمَعُ زَارِكُمْ فِي دِيَارِكُمْ تَعْلَمُ حَتَّى دُوفَعُوا بِالرَّوَابِ  
أَمَّا حَصُونًا ثُمَّ صَقَدَ بِنَعَى مَطِيَّةٍ حَتَّى فِي قُرَيْطَةِ هَارِبِ

فَإِذَا تَرَكَأ النَّيْبُ ، وَجَدْنَا حَمَاسَةً بِحَمَاسَةٍ وَهِيَ مَسَاقِمَةُ عَامَةِ دُونَ التَّحَامِ  
وَسَبَابِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلْنَا إِلَى آخِرِ قَصِيدَةِ ابْنِ رَوَاحَةَ رَأَسَاهُ بِمَعْرِ بِاتِّصَارِ قَوْمِهِ  
عَلَى الْأَوْسِ وَلِبَهُودِ عَلَى الزَّرْعِ مِنْ اصْطِنَاعِ قَبِيْأَ الْحَرَمِ وَالصَّحْحِ فِي شَمَرِهِ وَادْعَانِهِ  
الطَّفَرِ ، فَالْمُنَاقِضَةُ قَائِمَةٌ عَلَى الْقَلْبِ وَالْمَوَارِنَةِ .

وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّمِيْعِ مِنْ أَعْقَابِ (حَاطَبِ) كَانَ يَوْمًا شَدِيدًا أَقْتُلَ فِيهِ  
الْحَيَاتِ حَتَّى كَادَ يُمَيِّعُ مَعْهُمْ مَعَا فَاهَرَمَتِ الْأَوْسُ وَنَحَبَتْهُ أَخْرَجَ إِلَى الْقَوْرِ  
وَأَتَتْ أَنْ تَصَالِحَهُمْ تَمَّ كَفَّتْ عَنْهُمْ عَلَى مَا يَبِيْهُهُمْ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَقُولُ  
حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ مَشْتَبِهًا بِبَلِيٍّ مِمَّنْ الْخَطِيمِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ : —

لَقَدْ هَاجَ بِمَنْكَ أَشْحَابُهَا وَعَاوَدَهَا الْيَوْمَ أَذْيَابُهَا  
تَدَكَّرْتَ لَيْلَى وَأَتَى بِهَا إِذَا قَطَعْتَ مَعَكَ أَقْرَابُهَا

وعد السيف بقول مفتخراً على الأوس :-

ويثربُ تعلم أنَّ بها إذا تنس الأمر مبرأها  
 وثرث تعلم أنَّ بها إذا فحط انطر نوأها  
 وثرث تعلم أنَّ بها إذا حلت الأوس ، حيرأها  
 وثرث تعلم أنَّ بها إذا عد المراهز دلاها<sup>(١)</sup>  
 متى تما الأوس في بيصا هو القما حب مبرأها  
 وتط الفقاد على رعمها وتبرل من الهام عصياها

فجابه قيس بن الخطيم مثباً بقرة روج حسان بن ثابت :-

أجدُ بقرة غنياتها قهجر أم شائنا شأنها

وإن تمس شطت بها دارها وباح لك اليوم هجرأها

ثم ينتقل إلى الصحر على الخرج فيقول مناقصاً حسان بن ثابت :-

ولحنُ الفوارس يوم الزيمع قد علموا كيف فرأها

حب الخراب وراء الصر يخ حتى تنصف مرأها

ولاق الشفاء لدى حربا دحى وعوف وإخوانها

ولولا كراهة منك السماء لعاد يثرب أدأها<sup>(٢)</sup>

ويثربُ تعلم أنَّ النيسب رارس يثرب مبرأها

حسانُ الوجوه حداد السيو في يندرُ الحمد شأنها

وبالشوط من يثرب أعد ستهلك في الحمر ثمانها

يهون على الأوس ثمانهم إذا راح يحطر كشأها

أنتهم غراين من مالك سراع إلى الردع قتيأها

(١) البيت هو عمرو بن مالك بن الأوس - دلاها : أدلاؤها - المراهز : الشدائد

(٢) الأبطال المدة .



وقد علموا أن ما قلمهم حديدٌ النيتِرُ وأعبسها<sup>(١)</sup>  
وأول ما حدث في هذه المناقصة دخول النيب في عناصر لعائن كارت ،  
ثم محمد حسن يفجر على الأوس ويهجوها بالخضوع والقله ، فيفجر عليه فيس  
ياصغر والحرم والسحابة ، فكانت المناقصة من باب الموارنة والقلب دون سبب .  
وأما يوم النقيب ( نقيب العرقة ) فكان للأوس على الخرج وفيه يقول نبيد بن ناهد  
الأوسي من قصيدة .

م دنتُ بني عوف وجمعهم      جاءوا وجمع بني السخار قد حملوا  
دعوتُ قومي وسهلتُ الطريق لم      إلى أمكان الذي أصبحته حللوا  
حادث بأفقيهم من مائك عصب      يوم اللقاء فلا خفوا ولا شلوا  
وعاوروكم كنوس الموت إذ مرزوا      خطر النهار وحتى أدر الأصل  
فأجابه عبد الله بن رواحة الخارفي المخرجي :

لمساربتُ بني عوف وإحوتهم      كما وجمع بني السخار قد حملوا  
قوما أباحوا حاتم بالسيوف ولم      يفضل بكم أحد مثل الذي فعلوا  
فيل وكان رئيس القوم يومئذ أبو فيس بن الأسلت فقام في حرمهم وهجر  
أراحة فحجب وتغير ، وجاء يوماً إلى امرأته فأكرته حتى عرفته بكلامه ، فقلت  
له : لقد أكرتلك حتى نكمت ، فقال قصيدته المشهورة :

قالت - ولم تقصد لثيل الحيا -      مهلاً فقد أملت أسمى<sup>(٢)</sup>  
ويوم مصرس ومصرس وها حاضن كانا لدحية إلى أطام بني عدي بن

(١) راجع ديوان حسن مر ٤٦٦ وديوان فيس مر ٧ وابن الأثير ج ١ ص ١٩٩ و ٥٠١  
والأعاني ج ٣ ص ١٣ دار الكتب .

(٢) راجع ابن الأثير ج ١ ص ٥٠٠ وأيام العرب في حاضنه ص ٨٢ والأعاني ج ١ ص ١٦١ يولاني .

الخنجر ، وكان يوماً للخررج على الأوس قال فيه ففس بن الحظيم قصيدته -  
 ألم حائلٌ إيلي أم عمرو ولم يلحيم ما إلا لأمر  
 ألا أبلغ بي طفر رسولاً فلم تذلل يثرب غير شهر  
 لقصيدة ، فرد عليه عبد الله بن رواحة قوله :

كذبت لقد أقت بها دليلاً تُقيم على الموانها ونسري<sup>(١)</sup>  
 وفي ابن الأثير أن حسان قال بصرى أصاب قومه من الأوس ذلك اليوم -  
 وفي ديوان حسان أن هذا الشعر قيل في هذا ، إن الأست - :  
 ألا أبلغ بها قيس رسولاً إذا ألقى لها سمعاً شين  
 بيت الجسر يوم ألى عقيل وعندك من وقائع يقين  
 وأبو عقيل الأست رئيس الأوس قل في ذلك اليوم الذي يسمى أيضاً  
 يوم الجسر .

وعلى كل فالقصيدة قيلت بعد يوم ساء وهو مأخر عن يوم هذا .  
 وفي ديوان قيس بن الخطيم<sup>(٢)</sup> ماقصة بينه وبين أس بن العلاء أحسن نفي  
 الحارث بن الحرج ، وبظهر أنها قيلت يوم حاطب ، وآية ذلك أن لفظ ( الرذم )  
 ورد في شعر قيس ، وهو حمر رذم في الحارث بن الحرج حيث التقى الحيان  
 يوم حاصب كما يقول ابن الأثير ، قال قيس .

ألا أبلغاً ذا الخرجي رسالة رسالة حق لست فيها مُعَدّاً  
 فإما تركناكم لدى الرذم غدوة فرقين مقتولا به ومطرداً  
 صيحتكم ، منا به كل فارس كرمي الثأيمى الذمار ليحمد  
 أندك أمراً لم تنله وإتسا تناول سجيل الحرف من كان أنجدا

فَدُقْ عَيْبَ مَا هَدَمْتَ إِنِّي أَنَا الَّذِي      صَحَّكُمْ فِيهِ السِّهَامُ بِرُخْدَا  
وَمِنْ حُمَاةِ الْحَرْبِ لَيْسَتْ تُضْرَأُ      سَوْقُ حَبٍّ كَالْقَطَا مُتْسَدِّدَا  
فَأُحَدِّثُ نَسْ :

أَنْتُمْ حَيَالٌ مِنْ أُمِيمَةٍ مَوْهِيَا      فَلَمْ أَعْمَضْ لَيْلَ التَّمَامِ تَهَيُّدَا  
وَكَانَ بِرَاهَا الْقَلْبُ حَيْدًا تَرْنَى      سَوَائِلُ يَمْنٍ فَالْحِيَاءُ فَارْتِدَا  
وَمِنْ حُمَاةِ الْعَشِيرَةِ أَنْتَا      مَكْنٌ لَا يُبَالُوا أَنْ يَغِيبُوا وَشَهْدَا  
تُعَاهِي عَلَى حِدْرِهِ الْأَعْرَ بِمَالِيَا      وَبَدَلُ حُرَّتِ الْعُورِ يُحْمَدَا  
صَبَحْنَاكُمْ عِنْدَ الْقِتَالِ مَخَارِ      فَأَصْبَحَ قَبَسٌ بَعْدَهَا مُتَلَدُّدَا  
يَتَعَصَّرُ عَلَى طَرَفِهِ كُلُّهَا بَدَا      لَنَا فَدَرْسٌ بِمَعَى الْقِتَانِ تَنْجُدَا

كَلَامُ الشَّاعِرِينَ بِمَعْرِ قَوْمِهِ ، وَيَهْوُو صَاحِبَهُ شَأْنًا ، وَإِنْ امْتَدَّتْ قِطْمَةٌ  
أَنْسَ بِالنَّسِيبِ وَادْعَى كُلُّ مَنْ النُّصْرَةَ لِقَوْمِهِ .

### — ٣ —

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ قَدْ اقْتَصَتْ الْإِشَارَةَ إِلَى مَعْضِ أَيَّامِ الْقَحْطَانِيَّةِ  
وَالْعَدْنَانِيَّةِ فِيمَا مَعَى ، فَلْنَتَقَدَّمُ الْآنَ إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى سَائِرِ مَا وَرَدَ فِيهَا شَوَاهِدُ  
لِمَعْنَى الْمُنَاقَصَةِ .

مِنْ ذَلِكَ يَوْمِ ( سَحْلٍ ) لَقِيَ الْحَارِثُ مِنْ كَعْبٍ مِنْ كَهْلَانٍ عَلَى بَنِي عُقَيْلٍ  
أَبْنِ كَعْبٍ مِنْ قَبَسِ عِيْلَانٍ ، وَهَذَا الْيَوْمُ وَإِنْ حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ رُوحَهُ  
جَبَّهْلِي ، لِذَلِكَ عَدَّهُ لِلْبِدَائِي بَيْنَ أَيَّامِ الْخَضَعِيَّةِ ، وَحَلَاصَةُ الْقَوْلِ فِيهِ ، أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ  
عُصَةَ الْحَارِثِيِّ كَانَ يَزُورُ سَاءَ بَنِي عُقَيْلٍ مِنْ كَعْبٍ فَأَذَاهُ الْعَقِيلِيُّونَ ثُمَّ حَلَاوُا سَبِيلَهُ ،  
وَلَكِنَّهُ مِثْلُ دُرَّةٍ عَشْرَ فَارِسًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ بِوَادِي سَحْلٍ وَقَتْلَهُمْ ، وَاسْعَدَتْ  
سُوَيْدَ عُقَيْلٍ عَلَيْهِ تَسْرِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ عَامِلٌ مَكَّةَ لِأَنَّى جَعْفَرَ الْمَصُورَ فَحَسَنَ

جعفر بن عتبة ثم قتله ، وقيل في ذلك شعر منه ما قاله أبوه عتبة لامرأته أم جعفر  
قل أن يقتل ابنها :

لمرث إن الليل يا أم جعفر علي ، وإن عسني ، تطوي  
أحذر أخاراً من القوم قد دنت ورجة أنقاض لمن دليل  
وأجابه امرأته فقالت نسفه حطته وتقصيره في حق ابنه :

أما جعفر سقت للقوم خفراً فمت كذاً أر عين وأنت دليل  
وروى أن منّا ليحيى بن زياد الطارثي حصرت الموسم في ذلك العام لما قتل  
فكف واستجدت له الكعب ومكة هي وجميع من كان معها من حواريتها  
وجعلن يندبه بأياته التي قالها قبل قتله ومنها :

إذ لم أغدب أن يحيى ، حماميا	ألا ، لا أهلى بعد يوم يسجل
مراق ديم لا يبرح الدهر ثاويا	ركت بأعلى سجل ومصيفه
وكان شفاء آخر الدهر باقيا	شعيت به عصى وحرث مواعيا
طريق ، فإلى حاجة من ورائيا	أردوا ليشوى فقلت تحبوا
غراخ قفا لاقين صترا يمانيا	كان العقيلين يوم لقيتهم
ضجيج دباري السب لاقى مداويا	ركبهم صرعى كان صبيحتهم
وددت (معاداً) كان فيمن أتانيا	ولم ترك لي رسة غير أني
كسوت الهديل المشرى الجباب	شعيت عيل من (حشينة) بعد ما
صحاري محد والرياح النواريا	أحقا عباد الله أن لست رائيا
إلى عامر يحل رملا معاليا . .	ولا رائراً شم المرابين تنسى

فقال (معاد) يحية عنها بعد ما قتل ، ويحاطب أناه ويعرض له أنه قتل طلعا  
لأنهم أقاموا قسمة (شهادة) كاذبة عليه حتى قتل ولم يكموا عرفوا القتلى من

الثلاثة بعينه إلا أن غيظهم على جهم حملهم على أن ادعوا لقتل عليه :  
أبا جهم سم سحران واحبيب      أبا عازم والمهمات احواليا  
وقود قنوصاً ألف البع رها      نغير دم في القوم إلا نماريا  
إذا ذكرته مُمصر حارثية      جرى دمع عبيها على اجد صافيا  
فلا تحس الذين يا غلب مَسَا      ولا التائر الحزن ينسى التقاص  
سقتل مكم بالقتيل ثلاثة      ونمل وإن كانت دما نغاليا  
تميت أن تنق (مصادا) سفاهة      ستاق مصادا والقضيب اليمايا<sup>(١)</sup>

هذه ماقصة بين حتى وميت ، اتخر جهم ما نارد في هذا اليوم فرد عليه  
متوعداً أباه ، سفها رأيه في تميتهم قتاه .

وندكر يوم الرخر حان لعاسر على تيم ونكه مصل سلطان المادرة  
والعاسنة واشترك في ماقصته شعراء فحطان<sup>(٢)</sup> وحدثت في سببه حوادث شتى ،  
مما قتل زهير بن حديعة العسي ، وخالد بن جهم بن كلاب ، واخترت من طالم  
المري ، وإلى ذكر هنا شواهد القاصص المتصلة بهذه الحوادث لأنه قتل احدث  
ابن طالم المري حاد بن جهم الكلابي أمت غطفان أن تحببه ، فنضبت لذلك  
بوشى وبعث إليه قيس بن زهير بن جديمة بهذه الأبيات :

سراك الله خيراً من خليل      شئ من ذى سؤلته اخليل  
أزحت بها بجوى ودخيل حزن      تمنح أعطى رماً طوبولا  
كسوت الحفري أبا جزى      ولا تحيل به ، سيقاً صقلا  
أماث به زهير بن تقيض      وكنت لثلتها ولها حمولا  
كشمت له القماغ وكنت يمن      يحلي العار والأمر الجلبلا

(١) راجع معاهد النقص ج ١ ص ٤٥ وأيام العرب في جاهلية ص ٨٣ .

(٢) راجع ابن الأثير ج ١ ص ٤١١ و ٤٢٠ والثعالب ج ١ ص ٢١١ والأعشى ج ١١

ص ٧٥ — ١٣٠ وأيام العرب في الجاهلية ص ٢٤١ و ٢٤٢ والعقد الفريد ج ٣ ص ٤٥ .

فأحاه الحارث بن ظالم :

أنا عن قَيْشِرِ بْنِ زُهَيْرٍ      مَعْلَةٌ كَاذِبٍ دَكَّرَ النُّبُولَا  
مَلُّو كُنْتُمْ كَا قَلَمٍ لَكُنْتُمْ      لِقَاتِلِ تَارِكِ حِرْزَا أَصِيلَا  
وَلَكِنْ قُنْتُ حَاوِرَ بِيحَاوَا      تَقْدَ جَلَنَّا حَدَثَا حِيلَا  
وَلَوْ كَانُوا هُمْ قَتَلُوا أَهْلَاكُمْ      لَمَا طَرَدُوا الَّذِي قَتَلَ الْقَتِيلَا

فالحارث يكذب قبيحاً في ادعائه القهر ، فقل الحارث ، ويستدل بقوله بعدم حمايتهم إياه ، و يخوفهم من جرأته ، و بتقصيرهم فيما يجب عليهم وأنه دون أعدائهم في ذلك ، فأفقد عليه معايه وهاها جميعاً .

وفي هذا الحادث يقول عبد الله بن جعدة الكلبي يحاطب الحارث —  
وكان قتله جعراً شيلة وهو نائم :

يَا حَارِ لَوْ سَهَتْ لَوْحَدَتْهُ      لَا طَائِثًا رَعِيْتُ وَلَا مِعْرَالَا  
شَقَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْفَرِيَّةُ جَيْتَهَا      حَزَعًا ، وَمَا تَبَكَّى هَاكَ ضَلَالَا  
فَاتَمُّوْا أَمَا مَحْرُكُلُ مَحْرُوبٍ      حِرَانِ يُحْسِبُ فِي الْقِسَاةِ هَدَالَا  
وَلْيُقْتَلَنَّ بِحَالِدٍ سُرُوَانَكُمْ      لِيَحْمَنَنَّ الظُّلُمَ الْمِثَالَا  
فأحاه الحارث :

لِللَّهِ قَدْ سَهَتْ فَوَجَدَتْهُ      رِيحَ الْيَدَيْنِ مُوَاكِلا عَسَقَالَا  
مَعْلُوتهُ بِأَسِيفٍ أَضْرَبُ رَأْسَهُ      حَتَّى أَصَلَ سِلَاحَهُ الشَّرْمَالَا  
فكذَّب ابن جعدة ، وهجا جعراً بالجبن والفرع .

وكان عمرو بن الإطانة الخرجي صديق خالد بن حنظل لما لمه مقتله قال :  
والله لو وحده يقطان ما أقدم عليه ، ولوددت أني لقيته ، وسمع الحارث قوله ،  
قال : والله لأنته في رحي ولا ألقاه إلا ومعه سلاحه فقال ابن الإطانة قصيدته ،

وقيل : به دعه شرابه ووصع التاج على رأسه ودعا بقيائه فصلى له .  
 عَمَلَانِي وَعَمَلَا صَاحِبِيَا وَاسْتَقِيَانِي مِنَ الْمَرْوَتِي رِيَا  
 إِنَّ فَيَا اتَّقِيَانِ تَعْرِفُنِ بَالِدُ فُ لَقِيَامَا وَتَبَا رَحِيَا  
 إلى أن يقول : —

أبلغ حارث بن ظالم الرعيدي والناظر النذوري عَمَلِيَا  
 مَا بَقِيْلُ الْيَامَ وَلَا يَفْتُلُ يَقْطَانُ دَا سَلَايَ رَكِيَا  
 مَعِي شَكْتِي مَعَالِ كَالُ رِ وَأَعْدَتُ صَارُمَا مَشْرِوِيَا  
 وَلَوْ هِطَّتِ الْبِلَادُ أَسِيْلُكَ الْقَلِيلُ كَا نُسِيِي الْقَسِيِي الْيِيَا  
 فبيع الحارث شعره فذهب إليه يعادله ونسكن عمرًا أفلت منه فاصرف  
 الحارث إلى قومه وقال بحببًا له : —

اعْرِفَالِي بِأَدَّةٍ قَيْتِيَا قُلْ أَنْ يُيَكَّرَ الْمَنُونُ عَافِيَا  
 إلى أن يقول : —

سَمِعْنَا مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرِيَا فَارْتَضَا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيَا  
 قَدْ هَمْنَا بَقْتِهِ إِذْ تَرَرْنَا وَلَقِيَاهُ دَا رَسَلَايَ كِيَا  
 عَمِيرَ مَا مَانِمِي سَمَلُ مَا لُجْلِمِي مُدَا نَكَمُهُ مَشْرِوِيَا  
 فَتَا عَيْبُهُ سَدُّ عُلُوُّ بَوَاهُ وَكَتُ قَدَمَا وَفِيَا  
 وَرَحْمَا لَصَفَحِ عَنْهُ وَكَانَ السَّمُ مَا عَلَيْهِ سَعْدُ تَبِيَا  
 وكان رد الحارث ، إن صح ما روى ، قولًا وعملاً فكذب عمرًا في دعواه .  
 هذا ما وقع لنا من شواهد النقائض في الأيام القحطانية ، ولعل ما ذهب منها  
 أكثر مما بقي . فإن في هذه الأيام إشارات إلى مواقف بين الشعراء تقتضي ذلك ،  
 على أن ما ورد هنا . إن صح جميعه . كاف في الدلالة على قدم هذا الفن وأصالته  
 في الحياة الجاهلة وإن لم يبلغ في القوة والنفقة ما بلغ أيام الأمويين

# الفصل الرابع

## التقائض والأيام المدفانية

— ١ —

الأيام المدفانية هي ما حدثت بين قبائل معد بن عدنان، وهي كثيرة، منها ما كان بين قبائل ربيعة، وما كان بين ربيعة وتميم، ومنها أيام قيس فيما بينها، وأيام قيس وكساعة، ومنها أيام قيس وتميم، وأيام صدة وغيرهم، وذلك سوى مغاورات شتى بين القبائل من أي شعب، وقد كثر الشعر جداً في سبيل هذه الأيام صحيحاً وموضوعاً حتى ليستحق دراسة خاصة مستفيضة تتناولها وتتناول معه قصص هذه الحوادث، ولكسائها سقف عد الإشارة إلى الأيام التي تضمنت المناقضة الشعرية.

من أيام ربيعة فيما بينها حرب البسوس بين بكر وتغلب اثني وائل وهي مشهورة معروفة الوقائع<sup>(١)</sup> وقد قيل في هذه الوقائع شعر كثير منه ما دار بين حساس بن مرة وأبيه مما يشبه المناقضة، فلما قتل حساس كلياً قال أبوه: وددت أنك وإخوتك كنتم مقيم قل هذا، ما بي إلا أن تتشائم بي أساء وائل، فأقبل قوم مرة عليه وقالوا: لا تقبل هذا ولا تفعل فيحذلوه وإياك، فأمسك مرة، فقال حساس: —

---

(١) راجع القاموس ص ٧٧٣ وابن الأثير ص ١ من ٢٨٤ والعقد الفريد ص ٣ من ٦٦ وأيام العرب في العاهلة ١٤٢.



تأثمت مثل أهبة ذي كعاج  
وإني قد جيت عليك حرباً  
مُدَّ كَرَّةً متى ما يصح منها  
بمدب تنعلت طمأ عدياً  
فلما أن رأينا واستنأ  
صرفت إليه نمسا يوم سوء  
فلما سمع أبوه قال يحيه :

هإن تلك قد حبت على حرباً  
جعت بها يدك على كلبير  
ولسكنى إلى القلات أخرى  
وإني حين تشتجر العوالي  
شديد الناس ليس بدي عياء  
سأنس ثوبها وأدب عياء  
فما يبقى إمرئه دليل  
وإني قد طرست وهاج شوق  
وأحمل من حياة الليل موت  
وعص العار لا يمحوه ماح

وقد وقع في يدي كتاب مطبوع في العراق بعنوان « تاريخ الحروب العربية  
أو حرب السوس » تأليف محمد بن إسحاق نلتوى سنة ١٥١ هـ ، ورد فيه شعر  
كثير في شكل ما قصات متصلة بهذه الأيام مسوكة إلى مهمل وحساس والحارث  
ابن عباد البكري وغيرهم ، وهذه الكثرة تدل على نشاط القصاص ومقدار ما حلوا

(١) سوز الغلاب : هو رجل واحد من أمهات شبي (٢) تصحيح اسيف لمراس .

وأضافوا ومن بينها هاتان القطعتان عند كورمان هـ. ولحواردين في المراح الأخرى،  
على أن دراسته هذه الأشعار ناعمة نعم القصص الإسلامي وتبين الصورة التي  
تصورها هؤلاء القصاص لحرب البوس. وقد قلنا إن هذا الشاهد يشبه النقائص  
وليس منها لوجه الموضوع والنحر والقافية ، ولأدب تقابل المعنى ، فإن مرة والد  
حساس جرى مع انه في نفس المصارع وسأيره أو سائر عشره منها مكرراً للد  
الذي يفرضه كليب على بكر .

وهناك يوم ( جدود ) لبني مقر من نعيم على بكر من ربيعة<sup>(١)</sup> غرا فيه  
الحوقران — وهو الحارث بن شريك — من بكر ، بن يربوع على جدود ،  
ومنعتهم يربوع ثناء ، فصالحهم النكر بون على أن يخطوا بني يربوع ، نص عاشمهم  
التي كانت معهم من بني سعد ابن ربيعة ثناء ، وعلى أن يحلى البربريون بينهم  
و بين ثناء ، ولما علم بذلك بنو سعد ، قال قيس بن عاصم الشقري في ذلك —

جری الله یروعاً ناسواً سعيها	إذا ذكرت في العذات أمرها
ويوم ( جدود ) قد فصحت أياكم	وسائتم والخيل ندمي نحرها
منعظم سعد والزئباب أوفكم	كما عطف في أنف القصب حريها <sup>(٢)</sup>
أحرراً على المولى إذا ما تبطم	ولو ما إذا ما الحرب شت سعيها
أناني وعيد الحوقران ودونه	من الأرض صحراوات قلع وقورها
أقم سبيل الحق إن كنت صادقاً	إذا حشدت سعد وحاش بصيرها
عصمتا تهما في الحروب فأصحت	يلود ما ذو وفورها وفيرها
فأجابه مالك ، وأمله مالك بن مسروق الربيعي ، فقال : —	

سأسأل من لا في حوارين مقرر رقيب إمام كبت كان مكبرها

(١) شرح النعمانيات ص ٢٤٠ وغالب حري و نمرود ص ١٥٤ و ٢٢٦ والمقد لفرید

ص ٣ من ٥٢ وان الأمر ص ١ ص ٢٥٦

(٢) عطف ، دخل ، ونصيب الناقه بن م روي . والحري الخيل

وأما يوم (مبايع) فكان لسكر على تميم ، وذلك أن طريف بن ماذن العنبري من تميم كان لا يسمع في عكاظ بخلاف الفرسان الذين كانوا يفتقرون كي لا يعرفوا ، فوائى عكاظ وكانت قد قتل شراحيل الشيباني ، فحده حصيصة من شراحيل يسأل عن طريف حتى دُل عليه فأُخذ بسأله ، فعطس لذلك طريف وسأله عن شأنه ، فقال : أريد أن أعرفك لعلي أن ألقاك في جيش فأفقتك ، فقال طريف : —

أوكك وردت عكاظ قبيلةً      حشوا إلى عريقهم يتوَسَّمُ  
فوسموني إني أنا دسكم      تارك سلاحى في الحوادث مُعَلِّمُ  
حولى عوارس من أسيد شجعةً      وإذا رلتُ محوزَ يتيّ خَصَمُ  
تحتي الأغرة فوق جلدى ثرةً      زَعَفُ نَزْدَ السيف وهو مُشَمُّ  
وحدثتُ أموراً كان منها أن النقي سوشيلان وثميم عند مبايع وهربت تميم  
فقال حصيصة وقد قتل طريفًا : —

ولقد دعوت طريف دعوةً جاهل      غيرةً وأنت يَمِطُ لا عَمُّ  
وأتيبت حياً في الحروب محلهم      والجيش باسم أبيهم يُسْتَقْدَمُ  
فوجدت قوماً يسمون دمارم      نُزْلاً ، إذا هاب العوارسُ أقدموا  
وإذا دعوا شئ ربيعة أقدموا      بكسبية مثل المحوم تُسَمُّ  
حشدوا عبيك وعجنوا يقرامُ      وحموا دمار أبيهم أن يُشَمُوا  
سأوك درعك والأغر كليهما      ومو أسيد أسلوك وخَصَمُ<sup>(١)</sup>

فرد حصيصة على طريف ما ادعاه من شجاعته وشجاعة قومه ووضع قومه

(١) راجع لعقد الفرزدق ٢ من ٦٥ وابن الأثير ٦ من ٤٥٠ معاهد القصص ٢ من ٧١.

بإزاء فومه ، حتى إذا وصل إلى آخر أيامه وضع بينه الأحرار ، بيني طريف  
لأحرار ، فسلمه درعه وفروسه ، وسحر تأسيد وحصم اللتين أسمته حتى قتل ،  
وكفده في ادعاه .

وكان يوم للشياطين سكر على تميم<sup>(١)</sup> وكان بعد الإسلام ولم يكن أسم  
نوره ، والشياطين واديان لسكر أجديا فركبهما إلى السواد وأقامت فيه ، ثم  
أحصب شيطان فرائها تميم ، فأعازت بكر على تميم وهرمنهم فقال رشيد بن  
رميض الغنوي العبدي من ربيعة بن زار -

وما كان بين الشياطين وأمنع . ليسوتنا إلا مرقن أربع<sup>(٢)</sup>  
فجنا بجمع لم ير الناس مثله . كاد له ظهر أوريمة يطلع<sup>(٣)</sup>  
أربعن دهم تشد لبنق وسطه . له عارض في السية تسمع<sup>(٤)</sup>  
إذا حان منه مرل القوم أوقدت . لأحرار أولاء س وتقدموا<sup>(٥)</sup>  
صحب به سعداً وعمراً ومانكا . فطل لم يوم من الشر أشع  
ودى حسب من آل صبة عادروا . بخر كما حرّ المعيل المقرخ<sup>(٦)</sup>  
نقص يربوع يسرق أرميا . وليس ليربوع سب متقص<sup>(٧)</sup>  
وقلت أيربوع أمير مصيحة . ولو أن يربوعاً إذا امتار يرفع  
يحتوا لما صحن البراق فابه . حتى منهم لا ينطاع تمتع<sup>(٨)</sup>  
فأحاده محرر من المكعب الصبي وكانت صبة قد اسحرت بها القتل مع تميم :-

(١) عائس حرير والفرددي من ١٠٢٠ وابن الأثير ج ١ من ٤٩٠ والمقد الفرزد ج ٣  
ص ٦٤ .

(٢) لعل موضع أو جبل أو ماء . (٣) الوريمة اسم فارس .

(٤) يعمروا وصوا يارهم على حاج من الأرمي ترمي .

(٥) المقرخ الذي به القرع وهو حنري حنري في الساب لينطاع ما به .

(٦) متقص : مقام .

غرتم يوم الشيطان وعيركم  
 وحتم بها مسمومة عزيمة  
 فإن بك قواء أصيبو بفرقة  
 فريقتهم من أن المحر دونه  
 وما منكم أحد مكر من دائل  
 عسرت إلا ذلول موفق<sup>(١)</sup>

غر شاعر بكر بقوة جيوشهم ، وآذهم السنة في تيم ومن معهم . وشت  
 بما نزل بهم إذ لم ينصحوا ، ورد عليه شاعر تيم بنى هذا الفخر ، واددوا حيلهم ،  
 وأخذهم تيمبا غدرأ ، وبهزيمتهم كذلك .

وأما ما كان من النقائص في يوم بطن عافل فقد مر ذكره في يوم الرحر حان  
 إذ كان منصين حوادث وشعرا ، فلا يجدها ها

## - ٢ -

فإذا انتقد إلى سائر أيام قس صادفها أيام داحس والعسراء بين عس  
 وذيين<sup>(٢)</sup> وهي كثيرة الحوادث والشعر والنقص فيت في أمثالها مطلقه غنرة  
 لعيسى ، وفي أعقاب مدقة رهبر بن أن سفي مدحا لما حدث من عوف وهرم بن  
 بن مسان المرين للهوضهم بالصالح بين أسحار بين . وقد جاء في شرح ديوان  
 الحمسة للبريري أن قبس بن رهبر العسبي حين قتل بدة بن حديفة القراري ،  
 أرسل إلى أخيه مالك بن رهبر - وكان متزوجا في فزارة وبأريلاهم - أن يلحق  
 بهم خوف القتل ويحث إليه جهين اليين . -

(١) بحر موقع الظاهر . به آثار الذر .

(٢) ١١ الأبرج ١ من ٧٠ والنفذ اقرب ٢ من ٤٩ والنقائص من ٨٣ والأغاني ج ٨

من ٢٤٥ . و ج ١٦ من ٢٦ يلاق .

أمالكُ لا تأمنُ فرارةً واحشها      إليك إن تأمنُ وررةً هالكُ  
أمالكُ إن تحسبُ معامتكُ فهم      صواباً ، فقد أخطأت في الرأي مالكُ  
فرد عليه مالكٌ هذين البيتين : —

يا قيسُ حسبك ما أبيتَ فحلقي      وبقي فرارةً ، إثنى مئاسيتُ  
أرى خديفةً إحدى بحريرة      لم تحنها كفى ، وأمت العائيتُ ؟  
خطؤه في رأيه ، وحسنه في مذهبه ، وأسكر عليه ما اقترب من قبل مدبه ،  
ورأى في صاحب الثأر إنصافاً وعدالة .

وكان يوم ( الرقم ) لمطعم على عامر<sup>(١)</sup> وذلك أن بقي عامر غرت غطفان  
بالرقم — جبال دون مكة بديار غطفان — وكان عامر بن الطفيل على عامر  
شباباً ، فبرزتهم غطفان ، فقال عامر : —

ولتسائن ( أسماء ) وهي حبيبة      نصحاءها أطرذتُ ثم لم أضرد  
قالوا لها : فلفد طردنا خياله      ففتح الكلاسيوكت غير مطرود<sup>(٢)</sup>

إلى آخر ما قال موعداً متحمساً ، فبلغ شعره غطفان فمجدد جماعة منهم ،  
وكان الديانة الديني عابثاً عند ملوك غسان ، ولما عاد سأل قومه عما هموا به  
عامر بن الطفيل ، فاشدوه ما قالوا فيه ، وما قال فيهم ، فقال : لقد ألتستم ، وبس  
مثل عامر يُهجي بمنزل هذا ، ثم قال أبياته الدائية الآتية يحطى ، عامراً في ذكره  
امرأة من عفتلهم ( وهي أسماء الفرارية المذكورة في مطلع أبياته السابقة ) .  
ولكن ورد في ديوان عامر بن الطفيل<sup>(٣)</sup> أن أبيات الناسة كانت رداً على  
قول عامر للناسة : —

(١) ابن الأثير ١ : ١٨٢ والشمس المبريد ٢ : ٣٤ وأيام العرب في المعركة من ٢٢٨ .

(٢) الفلج صخرة نزلوا الأسبان شبه بها قزاره . (٣) من ١٢٩ طبع أورده .

ألا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رِيَاءاً  
 عِدَاةُ تَتَوَبُّ خَيْلُ بَنِي كِلَابٍ  
 وَإِنْ لَسَا حُكُومَةً كُلَّ يَوْمٍ  
 وَبَنِي سَوْفٍ تُحْكَمُ غَيْرَ عَادٍ  
 حُكُومُهُمْ حَرَمٌ لَا عَيْبَ فِيهَا  
 هِيَ مَطِيَّةُ الْجَيْشِ الثَّانِي  
 وَسِرٌّ أَجْبَلُ عَنِ سِرٍّ وَلَكِنْ  
 فَإِنِّي إِنِّي تَعَصَّرِي قَدْ أَنَا  
 وَلَا رَدُّوا مَخُورَةً دَكَّ حَتَّى  
 هِيَ مَقْدِسِي مَا قَدْ عَلِمْتُ  
 إِذَا يَمْنَنَ حَيْلًا مُسْرِعَاتٍ  
 وَإِنْ مَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ أَعَادٍ  
 وَهَذَا زَائِلَةٌ فِي رِوَايَةِ دِيوَانَ خَالِدٍ:

ألا أَرْبَعٌ عَوِيْمَةٌ عَنْ زِيَادٍ  
 فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَامِي  
 فَكُنْ كَأَيْكَ أَوْ كَأَبِي تَرَاهُ  
 وَلَا يَدُهُ يَحْلُمُكَ هَائِلَاتٍ  
 هِيَ بَنِي كِلَابٍ أَدُوِّي يَحْتَمِي  
 هِيَ مَطِيَّةُ الْجَيْشِ الثَّانِي  
 إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ شَاءَ الْعَرَبُ  
 تُوَافِقُكَ الْحُكُومَةُ وَالصَّوَابُ  
 مِنْ مَخِيلَةٍ نَيْسَ كَلْنٌ بَابٌ<sup>(١)</sup>  
 أَصَابُوا فِي لِقَائِكَ مَا أَصَابُوا<sup>(٢)</sup>

(١) كَفَّيْهِمْ . عَنْهُمْ . وَالْأَهَمُّ عَيْبًا .

(٢) شَبَّ الشَّعْرُ عَلَيْهِمُ الْهَامُ الْهَامَةُ الَّتِي لَا تَرُدُّ لِمُرُورِهِ . (٣) مَخْبَرَةٌ غَوْرَةٌ . وَخَوَابُ

(٤) هَادِيَاتٌ بِأَعْيُنِكَ تَمُشُّ لَهَا . طَبَقٌ مُعَاضِدٌ وَجَاهٌ .

(٥) حَتَّى : يَوْمَ لَمَّا حَمَلَ عَلَى عَائِدَةٍ حَصَّةً مِنْ خَلِّ الصَّهَابِ أَحْمَرُ عَامٍ .

في إيت كان من نسب جيد ولكن أدركوك وهم عصاب  
 فوارس من (مؤلة) غير ميل ومرة فوق جمعهم لعقاب<sup>(١)</sup>  
 ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عامراً قال أبيضته رداً على الناعة ، ونعل لص  
 معه يساعده على ذلك ، فقد رمى الناعة عامراً بالطين والطين ، وأقذع في هجائه  
 دون سبب ، ففصل عنه بعض قومه فأحقه ، وعلى كل فإن أركان المناقصة  
 متوافرة بين الشعراء من كل وجه ، وبخاصة المعاني ، فقد السحت حول الجبال  
 والسبع ، ثم الأيام والعطر ، ثم الخيانة وأزواجها ، كل ادعى له الفصائل والذات  
 المتصلة بها وأبقى حصصه أصدادها دون إسفاف أو سب .

ومن أيام قيس وكثافة يوم (رؤزة) لبني فراس من كثافة على بني سليم من  
 قيس عيلان<sup>(٢)</sup> وكان رئيس بني فراس عبد الله بن جندب ، وعلى بني سليم مالك  
 ابن حنبل ، وقامت الحرب أول الأمر على الماررة إذ قتل عبد الله مالك بن صحر  
 وأحد كروا بعدما استصفر أحدهما هدأ ، وقال عبد الله :

تحت هدأ ، رغبة عن قتاله	إلى مالك ، أعشوا إلى صوء مالك
فأنفذته بالرمح حين طمته	معرفة ليست بطعة بانيك
وأثني لكرز في القدر بطعة	عنت جلده منها ما نهر غانك
قتلنا شبيباً غنماً وحنيناً	فصبراً سلباً ، قد صبرنا لذلك
فإن تلك يسوانى بكيك هديكت	كما قد مكنت أم لكرز ومالك

وقال غير ذلك في معانيه ، ثم إن بني الشريد : روا الأوسهم يوم (القيفاء)  
 فقتلوا جماعة من بني كنانة وسبوا ربيعة من مكدم ، فقال عباس بن مرداس في  
 ذلك يرد على ابن جندب كفته التي قالها يوم (رؤزة) :

(١) مؤلة أم مرن وشجع أبي فرارة ، ومرة بن عوف بن سعد ، والأميل الذي لانس  
 معه ، والمضايقة الزايه .  
 (٢) العقد المفريد = ٣ من ٥٦ ومصحف الشافعي مادة برز .



لَا أُبْعِثُ نَحْيَ أَنْ جَدِي وَهَطَهُ      فَكَيْفَ ضَلَّتْ كَمْ يَكْثُرُ وَمَا  
 عِدَّةُ مَحْصَاكُمْ بِحَصْنٍ وَبَانِهِ      وَمَا مِنْ أَمَلٍ عَصَمَ وَتَمَارِثِهِ  
 ثَمَانِيَةَ مِنْهُمْ تَرَنَّمُ بِهِ      حَيْثُ مَا كَانُوا تَوَاءَ عَذَابِهِ<sup>(١)</sup>  
 بَدِيعُكُمْ وَالْمَوْتُ سَيِّئُ سِرَادِقَا      عَلَيْكُمْ - سَنَاحِدُ السُّيُوفِ الْوَاتِثِ  
 نُوحٍ نَادَتْ كَمَا لَاحَ بَرَقُ      تَذَلُّا فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ  
 صَبَحَ كَمْ عُوجٍ أَعْبَحَ بِالْأَصْحَى      تَمْرٌ مَرَّ الرِّيحِ السَّوَاهِلِ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا حَرَجَتْ مِنْ هَبْوَةٍ مَدْهُوَةٍ      سَمَتْ تَحْمِلُهَا مِنَ الْمَوْتِ شَائِكِ<sup>(٣)</sup>  
 قَامَتِ الْمَدْفَعَةُ عَلَى الْمَوَارِثَةِ وَوَصَعَ آثَارُ بَرَاءٍ أُخْرَى بِدَقِيقَتِ عَيْنِ دُكْرَانِ  
 وَالْإِسْتِقَامِ ، وَقَالَ هَدَى مِنْ حَالِدٍ صَحْرَتِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ لَمْ تَرَ لِأَحْوِيهِ :  
 قَتَلْتُ تَمَالِكَ عَمْرًا وَحِصَاً      وَحَدَّثْتُ الْقَدَمَ عَلَى الْخُدُودِ  
 وَكُرَّرْتُ قَدْ أَدْتُ بِهِ شَرِيحَاً      عَلَى إِبْرِ الْفُؤَارِ بِالسَّكْدِيدِ  
 حَرَسَهُمْ عَاثَهُكَوَا وَرِدَا      عَلَيْهِ مَا وَجَدْنَا مِنْ مَرِيدِ  
 حَسَنًا مِنْ جُوبِ الْعُودِ جُرْدَاً      كَطِيرِ الْمَاءِ غَسَّ لِلْوُرُودِ  
 فَمَا أَفْتَحَرَّ هَدَى يَوْمَ السَّكْدِيدِ<sup>(٤)</sup> وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي الشَّرِيدِ عَصَبِ  
 مِنْ ذَلِكَ سِبْطُهُ مِنْ حَسْبِ فَتَا يَقُولُ : —

نَحْنُ صَعِيدَا فِي كُلِّ يَوْمٍ      كَمَنْخُوبِ النَّفَنِ وَلَا يَصِيدُ  
 وَتَأْكُلُ مَا بَعَثَ الْكَلْبُ مَهْ      وَتَرْعَمُ أَنْ وَالِدُ الشَّرِيدِ  
 أَيْ لِي أَنْ أَفْرَأَ الصِّمِّ قَسْ      وَصَاحِبُهُ الْمَزُورُ بِهِ السَّكْدِيدُ

(١) سواء الكعب

(٢) السَّاحِجُ جمع عَجُوج وهو الرَّاغِبُ مِنَ الْخَيْلِ ، وَالنُّوحُ الْكَرَامُ ، السَّوَاهِلُ مِنَ

الرِّيحِ الْوَاسِفِ ، (٣) هَبْوَةُ الْمَرْءِ

(٤) السَّكْدِيدُ عَلَى كَيْفَاةٍ ، رَاجِعٌ إِلَى الْكَلْبِ فِي أَنْجَالِهِ مِنْ ٣١٤

فكان نقيضه شئنا على مكذب هدى المشاركة في يوم الكدبد ،  
وعلى إباء الضيم ، ورمى صاحبه بالهوان .

وفي يوم الفجار الأول بين قيس وكنانة كان بدر بن مشر العنباري رجلا  
مسيحا مستطيلا ندمه على من ورد عكاظ ، وفي أحد أنواسم عكاظ اُخذ بحساً بها  
واقعد فيه ، وحمل تطاول على الناس ويقول : —

نحن هو مدركة بن خندف      من يطموا في عينه لا يطرأ  
ومن يهكونوا قوته يُنطرف      كأنهم تلحة نحر مسدوف<sup>(١)</sup>  
ثم مد رحله وقال : أبا أعر العرب فمن رعم أنه أعر مى فليصر بها بالسيف ،  
فوثب رجس من بني نصر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ، ثم  
قال : حصدنا إليك أيها الخندف — وهو منك سبه — ثم قام رجس من  
هوازن فقال : —

أما اس همدان ذو التمطرف      عمرُ نحمورٍ راحر لم يُعرف  
نحن صرب رُكبة الخندف      إذ مدّها في أشهر المغرب<sup>(٢)</sup>  
ثم بلاحي أحيان حتى كاد أن يكون بينهما السماء ثم رأوا      الحلب يسير  
فتراجعوا . ويوم جيلة من أيام قيس وتميم ، لعامر وحلفائهم من عس على تميم  
وحديثهم من ذبيان وأسد وعيرها<sup>(٣)</sup> وهو من أعظم أيام العرب ومثله الكلاب  
الثاني وذوقير ، وفي هذا اليوم يقول قبيط بن زرارة : —

يغومُ قد أحرقتوني باليوم      ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

(١) مسدوف : ضخم . خندف روح الناس بن مصر وإليها نسب أولاد إياس جميعا .  
نصير بن أسد شريف . (٢) المغرب : الموضع معروفات — وإبراهيم ابن الأثير ج ١ ص  
٤٢٩ والعقد الفريد ج ٣ ص ٧٧ . (٣) ثنائس جرير والفرزدق ص ٦٥٤ والعقد الفريد ج ٣  
ص ٤٦ وابن الأثير ج ١ ص ٤٢٥ ، والأغانى ج ١١ ص ١٣٦ دار الكتب .

فاليوم إذ قاتلتهم فلا نوم  
تقدموا وقدموى للقوم  
شنان هذا والعاق والنوم  
والمصجع البارد في ظل النوم  
فقال شأس بن بلي يحييه -

لكنني قاستها قبل اليوم إذ كنت لا تنصى أموري في النوم  
وهذه الإجابة لم تكن تحدي ولا معاداة ولكنها متاعه وتحسيس إذ كان شأس  
الأسدي في جانب لبيط بن ررارة التميمي ، وشعر هذا اليوم كثير في اهايلية  
والإسلام ، تحده في الأعاني والنقائص خاصة .  
وقد ذكرنا قبلاً مناقصة يوم ( المروث ) بين يزيد بن عمرو بن الصعق والنعمورا  
ارياحية فلا نعيد لها هنا .

والواقع أن هناك شعراً جيداً قيل في أيام العرب ومعاوراتها حماسة وفخراً  
وهجاء ورثاء ، كنت شديد الحرص على عرضه لولا خروجه من المناقصة أو صياع  
نقائضه في بيدولي . وكما أود لو فرغت أنا أو فرغ غيري للدرس هذه الأيام عامة  
دراسة مستقاة تساؤل حوادثها ، وقصصها ، وشعرها ولادالاتها الاجتماعية والسياسية ،  
إدًا لظفرنا من ذلك بحير كثير للدراسات التاريخية والأدبية .

# الفصل الخامس

## القائض والحياة الاجتماعية

وهناك نقائص قيات في سبيل أمور أخرى اجتماعية لا تتصل بالأيام أو لا تتصل بها اتصالاً مباشراً وإن كانت منها نسب . وربما قيات في سبيل حوادث حرثية بسيرة لا تبلغ مبلغ الأيام في فوسها أو سعيها . وقد قلنا من قبل بن مشأها خلاف على طرائق المعاملة الاجتماعية ومقدار ملاءمتها للأوضاع المقررة سواء أكان ذلك على أساس الحق أو صبح الصريح أم على وجهة النظر واحداً منها بين المتناقضين ، وقد ألمنا في الفصل الثاني شئاً من أصول الحياة الاجتماعية في الجاهلية وما عينا هذا إلا أن نعرض بعض الأمثلة لهذا الجانب من حواسب النقائص .

١ — كان بين امرئ القيس وبين سبيع بن عوف أحد بني طهمية وشيعة قُربى ، فبذل عليه سبيع وسأله فلم يعطه شيئاً فدمه سبيع بقوله :

إذا ما نزلنا دارَ آلِ مُعَرِّزٍ      يلبيلُ فلا يحلفُ عليها انغمام<sup>(١)</sup>  
مُعَرِّزُ أسكارِ القلاحِ إذا شتَا      وضيغك حارَ البيتِ لأبِ ينام<sup>(٢)</sup>

فقال امرؤ القيس يحبيه من قصيدة :-

لَمِنَ الدِّيارِ غَشِيَتْهَا سُحُومٌ      فعمانتينِ قَهْضِبِ ذِي إِقْدَامِ  
فصفا الأطليط فصاحتينِ قعاضيرِ      تمشى الحاجُ مع الآرامِ<sup>(٣)</sup>  
دارِ لِحْدِ الرِّيابِ ومرسا      ولميس قملِ حوادثِ الأيامِ

(١) يدعى عنهم بعد اسمها لعلهم . (٢) معرّز : يحلف الناقة مرة وتركها أخرى .  
لأنه ينام : أى لا يكاد ينام من الجوع . (٣) الحاج : مقر الوحش ، والآرام : الغرلان .

عُوجاً عَلَى الْعَالِي الْحَيَالِ لَعَلَّنَا      سَكَى الدَّبِيرِ كَمَا نَكَى ابْنَ جِدَامِ <sup>(١)</sup>  
أَبْلَعُ سُبْعًا ابْنَ عَرَصَتِ رَسَالَةٍ      أَلَى كَهْمِكَ ابْنَ عَشْوَتِ حَرِيَةٍ <sup>(٢)</sup>  
فَأَقْصِرْ بِبَيْتِكَ مِنَ الْوَعِيدِ بَرِيٍّ      بِمَا أَلَقَى لَا تُشَدُّ جِرَامِي <sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا الَّذِي عَرَفْتُ مَعْدَةً فَصَلِّهِ      وَشَدْتُ عَنْ حُجْرٍ مِنْ قُصْدِهِ <sup>(٤)</sup>  
حَالِي ابْنُ كَشْفَةٍ قَدْ عَفَتْ مَكَانَهُ      وَأَبُو يَرِيدٍ وَرَهْطُهُ أَعْمَى <sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا أُدِيتُ بِلَدَةٍ وَدَعَيْتُهَا      وَلَا أَقِيمُ بِعِيرٍ دَارِ مُهَامِ

وظاهر أن أبيات سبيع مسورة صانع أكثرها بدليل ما في رد امرئ القيس من حسنة ، وإشارة إلى وعيد سبيع له وفجر بالأهل وإباء للصبي ، غاية ما في الأمر أن ( آل مفرز ) . هل هم رهط امرئ القيس أو من دوى قريبه أو أن ذلك من لأسرته ؟

٢ — كان أمية بن حنبل أنشراعي قد هجا حسنة بن ثابت بقوله : —

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ حَنَانٍ عَنِّي      مُعْطَلَةٌ تَدْبُرُ إِلَى عِكَاطٍ <sup>(٦)</sup>  
أَيْسَ أَبُوكَ فِينَا كَانَ قِينَا      لَدَى الْقِيَامِ فَتَلَايَ إِحْفَاطٍ <sup>(٧)</sup>  
بِمَاتِيَا يَطْلُ يَشُدُّ كَبِيرًا      وَسَمْعُ دَائِبًا لَهْتَ الشَّوْاطِ <sup>(٨)</sup>

فاجابه حسنة فقال : —

أَتَانِي عَنْ أُمِّيَّةٍ رُورُ قَوْلٍ      وَمَا هُوَ بِمُعْصِبٍ لَدَى حِفَاطٍ <sup>(٩)</sup>

(١) اغفل القيس أنت عليه الأحوال فغيره و... حدام شعر لكي الدار قبل امرئ القيس  
(٢) كهملك كعالك ، عشوت ، عطر طراً معصاً ، أعشى ، أدمع  
(٣) لأسد حرامى ، استقى حاشة إلى الاستعداد والمارة ، لك . (٤) حجر أبو امرئ القيس .  
(٥) كشفة ، لهه ميهن ، راجع ديوان امرئ القيس من ١٧٥ فاسترجع .  
(٦) معطلة ، رسالة ، وعكاط سوي القرب للمروءة .  
(٧) لتقيين الحدام ، القيس يردى . احفظ احصاه على كهد من الحدارم  
(٨) كبير ، لمداد ما يندج به . (٩) روى دور أي طرف من الكلام

سأشـر إن بقيت لكم كـملا  
فوافي كالـيلام إذا لمـتـرت  
تـرورك إن شـوت بـكل أـرض  
نيت عليك أبيتنا صـلاما  
مـخللة نـعمته شـنارا  
كـهـمة ضـيم يـحـى عـريـسا  
نـمـض الطرف أن ألقاك دوني  
نـشـر في المـجامـع من عـكاظ  
من الصـم العـجـرفـة العـلاط<sup>(١)</sup>  
وتـرضـح في مـحـلك بـلقـاط<sup>(٢)</sup>  
كأمر الوـسـق قـصـص بـالشـيـطـان<sup>(٣)</sup>  
مـصرمة تـجـج كـالشـواطـر<sup>(٤)</sup>  
شـديـد مـفـارز الأضـلاع حـاطـي<sup>(٥)</sup>  
وتـرمي حـين أدبر بالـلـحـاط<sup>(٦)</sup>

دنية رمى حان نان أباه كان قيا ، وهي من الصفات التي رمى بها حرير  
المرردق في الإسلام ، فكده حان ، وعدده بالتشهير به في عكاظ مجتمع  
العرب العظيم ، وأن هذا التشهير يكون شعر أليم ، سائر ، يكسبه العار ، ويؤديه  
أشد إيذاء ، ثم يرميه بالخوف والمهابة ، فكان أشد في وعيده .

٣ — وكان بين بني الجار وبين حنظلة ( بن عبد الله بن مالك بن أوس )  
مبارعة في حبيب لى الجار من سيمس فالتقوا يوما بالدرك<sup>(٧)</sup> وجمع بهمهم  
لبعض حتى أصابهم حراح ولم يكن بينهم قتلى ومعت نرو السحار حديقها ، فقال  
حسان في ذلك : —

فبدأ أمتي لتوف كـلها  
و بنى الأبيض في يوم الدرك  
منعوا صبيى بضرب صائب  
تحت أطراف السرايل هتـك<sup>(٨)</sup>

(١) الإسلام باعتباره ، المحرقة الطلعة . (٢) موضع : كسر . الفاظ مكان الإقامة في الصفة .  
(٣) يقول أبا عكرمة كاعلى بن شدود مات طائبا ومها جردق في عروى العكم .  
(٤) محلة ممصة . (٥) حظ مكسر الظعم .  
(٦) ديوان حسان ص ٢٤١ للدقوقي . (٧) موضع قرب لمدينة .  
(٨) اسم الداء ، والسرايل الفروع ، وهناك شق .

وسل يدري أطرافها وعراقيت نعتا كافيتك<sup>(١)</sup>  
فأجابه يزيد بن طعنة الخطمي : —

إذ تادوا بالهوف يركبوا لس سئين قوئ ور كك<sup>(٢)</sup>  
فاحتسما فعضما حتمهم بالصقيداء وفي يوم الدرك  
قدعوا سيدهم في وزطة قدك النقلة وسط المترك<sup>(٣)</sup>  
ألمعا عسوقا نانا معقل سمع الصيم ورمع مشتيك<sup>(٤)</sup>  
وإذا ماميت حارتما ضيون الخوف لنا قلب الميك<sup>(٥)</sup>

يكذب حسان فيما ادعاه من علية ، ويرميه بالتورط فيه لا يقدر عليه رهطه ،  
ويقهر عليه بالشمهم ، وإحاقهم الملوك .

٤ — وقال أبو سميان بن الحارث حسان بن ثابت : —

ألا من ملع حسان عني حلفت أبي ولم تحذف أباه كما  
فقال حسان بحجبه : —

لأن أبي خلافة شديد وأن أباك ينالك ما عداك<sup>(٦)</sup>  
هذا شاهد للتوجيه من طرق النقائص .

٥ — تزوج حسان امرأة من أسلم فولدت له غلاما فقال يهجوها : —  
غلام أناه اللؤم من شطر خاله له حاس وقاب وآحرا أكشم<sup>(٧)</sup>  
فقال بحجبه : —

غلام أناه اللؤم من نحو عمه ومن خير أعراق ابن حسان أسلم<sup>(٨)</sup>

(١) يدري ساقط ، له قوب أسلم على الساق ، ها قطع ، والذكر اجمة النافذة على أصل الناس .

(٢) ركك : صعب (٣) الخلة حصاء موت في الإناة نفسه الماء يقدور ، يجرها ،

والمترك الرديح (٤) مشتك : مغلوب (٥) حاد للملك فلا يحارها

(٦) ديوان حسان من ٢٩٨ (٧) أكشم : فاض (٨) من المصدر من ٢٩٩

فكان نهم تكديبا ، وعلبا ، هجت بهجته قومها ومدحت قومها .

٦ - رصد جماعته من الأردن بأط شراً ، وأغروا به رجلا منهم يقال له حاجز

فهو يبحنه فقال : أبط شراً في ذلك :

وصفتم حصى حاجر وصحابة	وقد بيدوا حلقهم ونشعوا <sup>(١)</sup>
أمن وإن صدهب وعث وإن حري	في السهل أو من من الأرض مبيع <sup>(٢)</sup>
أحري طلال أنطير لوفات واحد	ولو صدقوا غالوا له . هو أسرع
هو كل من فتين قيس وحيد	أطاف به انقاص من حيث أوعوا
وجاء بالأدأ نصف يوم ونيلة	لآب إليهم وهو أشوش أروع <sup>(٣)</sup>
ولو كان معكم واحداً لكفته	وما ارتحموا لو كان في مطمع

فأجابه حاجز : —

فإن تلك حاربت الطلال فرما	سنت ويوم القرون عريان أسع <sup>(٤)</sup>
وحثيت إنخوان الصماء كنهم	دباغ عثر أو يحيل مصرع <sup>(٥)</sup>
تبيكهم شجوة الحامة بعدما	أرحت ولم ترع لهم منك أصع
فهذي ثلاث قد حوت بحاتها	وإن تبيع أخرى فهي عدك أرع <sup>(٦)</sup>

يقوم النقص هنا على معاني السرعة والسوق والمعالجة في القروية التي هي خواص لصعائيك ، فكان من أبط شراً أن سبق حاجرا وصحبه ، وتغلب على جميع المسالك ، وسبق الطير فبقه ، وعاد قويا كما كان . وادعى حاجر أنه طلنا

(١) تشعوا بهأوا لفضال (٢) مبيع . بيع . والوعت الصروق العبط العسر .  
 (٣) لأشوس تقوى على الفتنة ، والأروع من معصك يحسه أو شجاعته الأغاى  
 ج ١٨ ص ٢١٨ بولاق . (٤) أسع : طويل . عريان : شفيف .  
 (٥) مصرع النعم التي مدح له (٦) الأغاى ج ١٨ ص ٢١٨



سبق أقرانه ، وترث مناصبه ففهم كنههم قريباً من مودة أو عين مصرع فكيفهم  
صاحبهم . وأسس المناقصة هنا المورثة أو الماطرة

٧ - أغار النوح من الخلال الطائي على حيران الحصين من الحمد لمري ، من  
الخربة فاحد أموالهم ، وأتى الصريح الحصين . فتع القوم فذكرهم ، فقال للبرج .  
ما صنت عني حيراني بأرج الفتل له وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن ، وأشأ يقول :-  
أب لك الخروقتُ فيما يسا عكن بعيد منك بأبن حُمام<sup>(١)</sup>  
أقمتَ تزجي ناقة مباطلاً عظاماً ترخيبها بغير خطام<sup>(٢)</sup>  
فإنه الحصين :-

برج يؤتمق ويكفر يعمق هسي لا قلل الكليل صمام<sup>(٣)</sup>  
مهلاً أريد فومك إن نشأ أوردك عرص مناهل أسام<sup>(٤)</sup>  
أوردك أقبلة إذا حافظتها حوض القمود حيثة الأحصاء<sup>(٥)</sup>  
أقمت من أرض الحجار بدمية عظاماً أسوقب بغير حصام  
في إثر إخوان أسا من طي . سوا ناكه ولا بكرام  
لا تحسن ، أبا ايما طقة ، أبي رجل يخبرك لست كالآلام<sup>(٦)</sup>  
فاستدروك ، وقد ثلاث مطلقاً من يبي أملك ، والديون دواي  
قامت هذه المناقصة على حانة الجار ، اعترض الأول على زميله بأن يحصى من  
هو عربب عنه ، وأنه ركب في ذلك ناقة مهمة لاخطام لها ، فرد عليه الثاني فرماه  
بعقوق ، وهدده ، وفجر بحبابه الحار ، ورد أمواله .

(١) عن : اعتراف (٢) عظام لاسمه لها ولا صمام

(٣) صبي صمام ويدي بذاهيه (٤) أسام جمع صام . صامعه أو ممدوق .

(٥) أقبلة جمع قبيب أي ثمر القدح . أو أنه مصداقاً ، ولا حصام الخواب

(٦) لفظه السكين .

٨ — ونوجزها ما دار بين خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي والعباس ابن مرداس ، وذلك أن خفافاً قال وهو في ملأ من بني سليم : أن عباس ابن مرداس يريد أن يسمع فيما مابيع عباس بن أس ، ويأى ذلك حصل فعذن له . فتأوه بحينه عند الموت ، واستهاته سمار العرب ، وقله الأسرى ، ومكابة الصالحيك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمينا موته ، فأبغ العباس ذلك فتي منهم ، فقال له عباس : يا ابن أخي ، إن لم أكن كالأمم في حمله فست كخفاف في حمله ، وقد ممي الأمم بما في أمس وحلمى عباس في عمر ، وما أمسى تقى : —

خفاف ما نزل تجر دلاً	إلى الأسر المفارق للرشاد
إذا ما عشتك سو سليم	بيت لهم بداهية ساد <sup>(١)</sup>
وقد عم فضاشر من سليم	أنى فيهم حتن الأيادي
فأورد يا حدف فقد سليم	بى عوف بحية طلى واد <sup>(٢)</sup>

ثم أخذ يرد على ما قال خفاف في نوحيل على طريقة لمافضة الشرية أمم ملأ من سليم وانصرف فقال خفاف يرد على شر عباس ، أبيات منها : —  
ولم تقتل أسير من ريد بحالى ، بل غدوت بمستفاد<sup>(٣)</sup>  
ورددت في سليم شر ريد وراذلك في سليم شر رد

فأجبه عباس أبيات نهجوه ويتوشده بينهم . ثم كف العباس وخفاف ثم تحارب قومها ، ولكن دُر مد من النصبة ومالك بن عوف أصحاحا وقل دريد :  
كموا صاحبكم عن الجاح الحرب ونهادى الشعر ، فاستحيا العباس ، فقال : إنا  
نكف عن الحرب ونهادى الشعر ، فقال دريد : إن كنتما لاند فاعلين فاد كرا

(١) نآء ، دعه ، مثلاً وشده . (٢) أى بداهة حبيب . (٣) مستفاد دالين .

ما شقنا ودعا لشيم فإن انتم طرف الحرب : فالصرفا على ذلك ، فقال  
العباس : -

فأبلغ لذيكَ بنى مالكٍ      فأنتم بأنبائنا أحبرُ  
فأما الحيلُ فست لنا      حيلٌ نَتَقَى ولا تُؤاخرُ  
وكما جميعاً كجِدَلِ الحِكا      نَرِ فيه للقتعُ والمُحَرُّ<sup>(١)</sup>  
تعاوِزُ ، يحملُ أطلالنا      إلى الموتِ ساهمةً صَدْرُ<sup>(٢)</sup>  
وأعددتُ للحربِ حِيَمَانَهُ      تَدِيمُ الخِرَاءِ إذا تَحَطَّرُ<sup>(٣)</sup>  
وأجابه حُصَافُ -

أعباسُ إن ستمار القصيد في غير مقتره مُنكرُ  
علامَ تناولُ ما لا سالُ      فتقطعُ معك أو تَحْتَرُ  
فإن للدهانِ إذا ما أريد      فصاحبه السامعُ المَظْطَرُ<sup>(٤)</sup>  
تَحَاوِصُ لم تَطعُ عِدَّة      كأنك من نَمِصا أعورُ<sup>(٥)</sup>  
فصرك مأثورة إن نَفِيتُ      أصحابها لك أو أنكرُ  
ساقٍ وسبقٍ معاً فاطرُ      إلى تلك أيها تَسْدِرُ<sup>(٦)</sup>

وطال الأمر بينهما حتى رم عباس حُصَافُ ورأى أنه تورط فيها لا ينبغي أن  
يكون عليه في العرب عامة وفي قومه خاصة ، وقال من أبيات : -

ألم تر أي تركتُ الحروبَ      وأي مدمتُ على ما مَصِي  
بدائمةٍ رايَ على هـ      لتلك التي عارُها نُتَقَى

(١) جدل الحكلاء عود يصنع للابل الطويل ليجتذبه ، ويصرف مثلاً من شقنا إليه  
ويستفي برأيه . - (٢) صبور . كثيرو الظراب ، ساهمة : حين عامة  
(٣) جعدة . فوس سريعة .  
(٤) المظطر من حمل هـ حطرا لصاحبه فاوره  
(٥) تعاوِص غصن من صبره مع تدبير للظفر (٦) تدر تحمل لانه .

هذه حفاف من أسات :-

أعداسُ إيتَ كرهت الحروبَ      خذ ذقت من عصي ما كنى  
أأنفحت حرماً لها شدة      رماناً تسعرت بالهوى<sup>(١)</sup>  
فلمسا ترقيت في عتها      دحست وراناً بك لم تني

وسمى أهل السد إلى حفاف قاتوا : إن علساً قد فصحتك ، فقال حفاف :-

بأيها المهدي لي الشتم طائفاً      ولستُ أهل حين ذكر للشتم  
أبي لشم أي سيّد وإن سادة      مطاعين في الطبع مطاعين له حرم<sup>(٢)</sup>  
هم مسحوا الصرا أباك وطاعنوا      وذلك الذي يرمى دليلاً ولا يرمى<sup>(٣)</sup>  
إلى آخر ما افتخر ، فقال العباس :-

بأيها المهدي لي الشتم طائفاً      تميّن إذا رميت قصّة من ترمى  
أبي الدم يرمى إن عرضي طهر      وأنى أنى من أباة بني عشم<sup>(٤)</sup>  
وإني من القوم الذين دماؤهم      شيعاء لطلاب الثرات من ارعم<sup>(٥)</sup>

وكان العباس وحفاف قد هما بالنصاع وكرهت بهو سبب الحرب ، فجاء غوى  
من رعد العباس ، فقال للعباس : إن حفافاً قد أتمى عليك وعى وأدبت معصب  
العباس فقال : قد والله هجاني وكان أعظم ما عانى به أصمر عيب فيه ، ثم هجبا  
والذي قد صرّها ولا معه ، ثم بررت له فأحبي شخصه واتقاني بغيره ولو شئت  
لشمت أياه وثلت عرضه وقال من قصيدة :-

أراني كلما قاربت قومي      ناولاً عني وقطعهم شديد

(١) أنفحت حرماً ، أشعلتها

(٢) المطاعين من مطاعة الحق .

(٣) من معصو أصمر ، شدة الحرب . (٤) القسم العظم .

(٥) الثرات جمع رمة ، الثأر ، والمعنى أنهم أعداء أكنه .

سُئِلَ عَنَّا هِمَّ هَصَعَتْ عَنْهُمْ      وَقُلْتُ لَعَلَّ حَسَمُ مَعُودِ  
وَعَلَّ إِنَّهُ يَمُكِّنُ مِنْ حُفَاةٍ      وَتَسْفِيهِ الَّتِي عَنْهَا يُجِيدُ  
بِمَا أَكْتَسَمَتْ يَدَاهُ وَجَرُّ فِيهَا      مِنَ النُّعْمَا الَّتِي لَيْسَتْ تَبِيدُ  
فَلَمَّا سَمِعَ حَقْدًا قَوْلَ الْعَبَّاسِ قَالُ      وَاللَّهِ مَا عَمِتَ الْعَبَّاسُ إِلَّا بِدَفِيهِ ، وَإِنْ لَسَلِمِ  
الْعُودُ ، صَحِيحُ الْأَدَمِ ،      وَلَقَدْ أُدْبِتُ سَوَادِي مِنْ سَوَادِهِ فَمِ أَحْجَمُ وَلَا تَكْصِتُ  
عَنْهُ ، وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَرَى الْعَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ      وَيُرْعَمُ أَنَّهُ ، حَمَلًا ، يَزِيدُ  
هُوَ يُنْقِصُ عَرَانِمَهُ وَبَادَتْ      سَلَامَتُهُ لَكَانَ كَمَا يَرِيدُ  
وَيَكُونُ الْمَغَائِبُ أَمْدَهُ      وَخُلْفَتُ ، فِي عَثِيرَتِهِ رَهِيدُ  
وَقَالَ أَيْضًا : —

نَبَسُ إِنَّا وَمَا يَسَا      كَهَدْعِ الرَّجَاحَةِ لَا يُجَبِّرُ  
إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : —  
خُفَاةٍ أَلَمْ تَرَ مَا يَسَا      يَرِيدُ اسْتِغَارًا إِذَا يَسْمَعُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَا نَهْمُ — بَيْنَ الْيَلَا      دَ السَّائِلِينَ وَمَا تَقْدِرُ  
حَتَّى انْتَهَى مِنْ قَصِيدَتِهِ أَيْضًا <sup>(١)</sup> .

هذه السبعة من النقائص التي دارت بين شاعري شميم تتنثر محرابها في  
حدود قيسية منحوتة للمكانة من قبس عبان . وأما بدأت في قصد للمفيا على  
صلوات القرني ، وأن عاصرها فصائل اجتماعية ، حتى إذا اشتد أوارها ، ودعت  
إلى القبال وحدثت من يحد من سورتها ، ثم عادت قوة ملحمة ، ولكنها لم تنف  
على كل حال . وكانت طرائقها لقلب ، والمواربة . والتكديس ، وعبت عليها  
الفخر وإن لم تخل من الفجاء

٩ — كان أبو ذئب الهذلي يهوى امرأة فاتهاها خالد بن زهير وقال في ذلك

من قصيدة :

حليلي الذي دلى نقي حليلتي      حياءاً فكل قد أصاب عروها  
مشكها إلى أمين وإني      إذا ما تحملى مشها لا أطورها  
رعى حائه سرى ليالى نعه      توالى على قصد السيل أمورها  
فما تراماه الشاب وعييه      وفي النفس منه رقة وفجورها  
لوى رأسه عى ومال بوده      أغايح خود كان فيما يروها<sup>(١)</sup>  
نصقه منها دلال ومقيلة      نطل لأصحاب الثقة نديرها  
فان حراماً أن أخون أمانة      وآمن نفساً ليس عندي خبيرها

فأجابه خالد بن زهير من قصيدة : —

لا يُبعدن الله أبك إذ عزا      وسافر والأحلام حتم عثورها<sup>(٢)</sup>  
وكت إمام للشيرة تنهى      إليك إذا صاقت بأمر صدورها  
بـرك أمّا أم عمرو تدلت      سيواك حليلاً شامئ تستحبرها<sup>(٣)</sup>  
فان التي في سارعت ومثلها      لفيك ولكن لأراك تحورها<sup>(٤)</sup>  
ألم تنفدها من عويم بن مالك      وأنت صفى شه وسحبرها<sup>(٥)</sup>  
ولا تحرعن من سة أنت يبرتها      فأول راض مـنة من يسبرها  
وإن كنت سقى للطلامة مركاً      ذلولا فإني ليس عدى بسبرها<sup>(٦)</sup>

هذه الأبيات من القيصتين دارت حول امرأة كانت حليمة عويم بن مالك،

(١) أغايح جمع أضوجة : الدل .

(٢) غزا ذهب .

(٣) تستحبرها : تستحقها .

(٤) يسبرها : صديقتها .

(٥) تحورها تعرض عنها :

(٦) الأغايح ج ٦ من ٦٢ بولاق

فاستعواها أبو ذؤيب الهذلي وأحدها لعمه ، ثم عليه عبيها خالد بن رهير واتخذها حبيبة له ، فرماه أبو ذؤيب بحياة عهد الصداقة ، وركوب سبيل العويبة بعد ارشاد ، ومطاوعة موارع الشغب ، ومعاتن الساء . فرد عليه خالد ورماء بالحلقة عدل حرم وادعى أن المرأة رمت به فأثرت عليه خالداً ، وأن هذا العذر من شيمة أبي ذؤيب فهو الذي اغصها قبلاً من عويم بن مالك فاستن بذلك سنة الاستغواء وإدأ ، لا بعد حاله طامناً من الظلمة أبو ذؤيب منه .

١٠ — كان العباس بن الحارث الصافي قد جرى ( دا أقر ) وهو واد بموه حصاً وميهاً فاحتضه الناس ، و سوزياناً بسعانه مبهام السامة وخوتهم بارة الملك عليهم فصيروه بحوفة العباس وأنوا الوادي فبعث إليهم الملك حيناً فأصاهم فقال المابعة في ذلك من قصيدة : —

لقد خست بني ذبيان عن أقر	وعن تربهم في كل أصفار <sup>(١)</sup>
وقلت يا قوم إن الله متقبص	على برائيه لوئبة الصاري
إنا نصبت في غير مخلص	مى اللصا لجنا حرة النار <sup>(٢)</sup>
أو أصع البيت في سوداء مظلمة	تقيد المير لا يسرى بها السرى <sup>(٣)</sup>
تدافع الدس عن حسين ركبها	من المظالم يدعى أم صثار <sup>(٤)</sup>
ساق الرفيديت من جوش ومن عظم	وماش من رقط ريعي وحمثار <sup>(٥)</sup>
قرمى قضاة حلاً حول حمرته	مدأ عليه نسلان وأعار <sup>(٦)</sup>

(١) أصفار جمع صفر وهو الشعر الخروف

(٢) اللصا جمع لص وهو الثقب الضيق من الخن ، وحره النار بنى ديرة

(٣) سوداء مظلمة حرة حرة صفة

(٤) تدافع الدس عن مباحها فيها لو عورتها

(٥) الرفيدات من بنى كلب وحوثر وعخذ أرض بني القيس وماش حنطة وريعي

وحثار من عذرة (٦) القرم السد ، النسلان المتقدمون

حتى استقل نجم لا كفاءه ينقى الوحوش عن التصحر جزار  
 لا يجمع الرير عن أرض الم بها ولا يضل على مصاحه الساري<sup>(١)</sup>  
 وعيرى سو ديب حشيتته وهل على بأن أحشاك من عار<sup>(٢)</sup>  
 فبلغ بدر من حرار قول الساعة ، فقال يرد عليه ويدكر أن عمرو بن لحرث  
 أسد العمان أسرى تلك الواقعة فأسأ من بنى مرة فيهم تم ساعة ، وكان الساعة  
 قد قال : « أو أضع الست » الخ يعني الحرة ولم يعمل بل نزل (ترجأ) وهي  
 أرض سهلة ، فأتى عليه حش لاس جمة وقيل لرجل من قصاة فأصاب ساء من  
 قومه فشمت به سو حرارة فقال بدر :  
 أبيع رباداً وحين المرء نذركه وابن تكبىن أو كان من أهدار<sup>(٣)</sup>  
 أصعرك الخمر من ليلى إلى تراد تحارؤه معقلا عن حش عيار<sup>(٤)</sup>  
 حتى أقيت من كفى اللوم فى حسر بنى العصفير والغربان جزار<sup>(٥)</sup>  
 فالآن فاسمع بأقوام غررتهم من صباير ودع عك من سيار<sup>(٦)</sup>  
 قد كن وابتأ أقوام لجا مهم وانتش عانيه من أهل دى فار<sup>(٧)</sup>  
 يرد بدر على لاسه ما ادعى من الحرم والكياسة وحسن التدبير ، ويرميه  
 بالتفريز برهصه حتى وقصوا فى الشر .

١١ - وقال السدة يهجو يزيد بن عمرو بن الصق الكلابى :

لعمرك ما حبيب على يزيد من الفجر المصلى ما أمانى  
 كل الناج معصوماً عليه لأدواد أصغر منى أناب

(١) لير الصوت ، والجمع : ليرى بفتح اللام (٢) ديوان الساعة من ٩٥

(٣) رباد هو الدابة « مكس أسود » ككاسه ، أو أهدار حذر

(٤) حش عيار موضع من جنة بنى ، مرد هو المكان الذى أعبره

(٥) حب ، حش كسر الأصوات

(٦) متوصفاً بمرحط الساعة

(٧) ديب عير ، ديبى الأسير



خُشِبْتُ تَهَضُّبَ تَمَحُّكَاتِ      يَمُرُّ بِهَا الرُّوَيْ عَنِ نَسِي  
 فَصَلْتُ مَا شِئْتُ وَذَدَعُونِي      فِي رَرْرِ الْكَلَامِ وَلَا شَعْنِي  
 يَصْدَقُ أَشَاعِرُ الْفُصَيْلِ عَنِ      صَدُودِ الْكُفْرِ عَنْ وَرَمِ هَجَسِ<sup>(١)</sup>  
 أَثَرْتُ أَلْعَى ثُمَّ مَرَعْتُ عَنْهُ      كَمَا حَادَّ الْأَرَبُ عَنْ الظُّفْعَانِ<sup>(٢)</sup>  
 فَإِنْ تَمَرَّ عَيْبُكَ أَبُو فَيْسِ      مَطَّ بِكَ الْمَعِيشَةُ فِي هَوَانِ<sup>(٣)</sup>  
 وَتُحَصِّلُ لِحْيَةَ عُدْرَتِي وَحَتَّ      نَاحِرَ مَنْ نَجَّحَ الْجُوفَ رَأَى  
 وَكُنْتُ أَمِينَهُ لَمْ تُنْعَمُ      وَلَكِنْ لَا أَمَانَةَ لِلْيَمَانِي  
 فَاحَاكَ يَرِيدُ قَوْلَ .

هُوَ تَمَرُّ عَنِ أَوْ فَيْسِ      تَجِدُنِي عَدَّةَ حَسَنِ الْمَكَانِ  
 تَمْدُنِي كَمَا تَحْبِرُ أَمْلِكُ عَيْبًا      وَأَمْنِي بِاللِّسَانِ وَالْإِنْسَانِ  
 وَأَيُّ الدَّاسِ أَعْدَزُ مِنْ شَأِمِ      لَهُ ضَرْدَانِ مُنْطَلِقِ اللِّسَنِ<sup>(١)</sup>  
 فَإِنَّ الْعَصْرَةَ قَدْ عَمَّتْ نَعْمَةً      بَنَاهُ فِي بَنِي ذَيْبَانَ هَانِي  
 وَإِنْ الْمَحَلَّ تَرَعُ حَصِيدُهُ      فَيُصْنَعُ جَاوِرُ قَرْحِ الْعَمَانِ<sup>(٢)</sup>

يترد الناعة لما تنكر بعبر حق ، ويهدد بالهزاء السائر ، ويهجر بعينه  
 الشعراء ، ويرميه بإثارة الشر ، ويوعده بما طغى من الملك حرج ، يسرده ، فيكده  
 يزيد وشت لنفسه حسن الكفاية عد الملك ، والقدم على الناعة ، وأن تصدر  
 من شيمة ذيبان ، وأنه عاليه في الهجاء .

١٢      مَا أُنِي أَمِينَهُ الْأَسْكَرُ الْكِسَائِي أَنْ يَرُوحَ اسْمُهُ مِنْ أَنْطَلِيلِ  
 وَرُوحَهَا يُزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ ، وَكَانَ بِإِفْلَاسٍ عَلَيْهَا فَقَالَ يُزِيدُ مِنْ حَصِيدَةِ :

(١) الذيبان : السائر الكرام ، وخبره : المحلل الكرم ، ونعمته : الأنس  
 (٢) أرب : سحر ، وهجر ، ونعمته : حياءه ، وروح : (٣) مغل : ١ : ٥٧٤ ، وبقى .  
 (٤) نصر : ١ : ٥٧٤ ، في أصل : (٥) جافر : ١ : ٥٧٤ ، عن :

للرجاء طارق الأحرار      وللمارس حنبل الواسع  
كعب إناوة قومه المحرق      رمتا، وصارت بعد للسمان  
عدا عورس من هوارن كلها      محرق على، وحنت الدثار  
فإذا إلى الشرف المنين بواليد      ضخم الدسيمة زانق ونغانى  
نست فوارس عمر تنقيره      لك بالفضيلة فى بنى عيلان  
فإذا نقيت بنى الحاس ومالك      وبى الصباب وحى آل قدس  
فأسأ عن ارحل الموءه باسمه      والدافع الأعداء عن نحر  
يُعطي المدة فى فوارس قومه      كرمًا للمرك والسكريه يمان<sup>(١)</sup>

فأجابه عامر بن الطفيل : —

عجاً لو اصب طارق الأحرار      ولما تحي به سو الديار  
محروا على عورة محرق      وإناوة ربيقت إلى اسمان  
ما أنت وابن محرق وقبيله      وإناوة اللحى و عيلان  
فأقصد بدرك قصد قومك نصرهم      ودع القتال من بنى قحطان  
إن كان سالفه الإناوة فيكم      أولى، محرق محرق كل يمان  
وأفخر رهط بنى الحاس ومالك      وبى الصباب ورعبل وقبان  
فأنا المنظم وابن فارس قردل      وأبو تراء زانق ونغانى<sup>(٢)</sup>  
هذه القصيدة، وإن كانت موضع اشك مدونة إلى ابن الكلبي وصلاً  
لضعف شعرها وعدم ملاءمة عصره، فإنها تدل على صورة كل من الرهطيين في

(١) الأغاني ج ١٠ ص ١٢٥ .

(٢) ديوان عمر بن الطفيل ص ١٥٩ صبح أوردة

فى شـعر الرهط الآخر ، وماولت خـصوع هـوارن املواثـو فخر زـيد محـسه ونـسه ،  
ثم رد عمر عـليه ان يـفـنـحـر قـومـه ان كـات لـهم مـفـاخر .

\*\*\*

ونكنى بهذه الشواهد راجحاً أن يحد فيها القارىء صوراً لقيام المناقصة حول  
الاشئون الاجتماعية ، وقد يكون فيها ترئد أو وضع ، ولسكنها ، فى حملتها دليل  
على اتصال هذا الفن بحياة السلم كما قوى واتسع فى ظل الأيام .

---

# الفصل السادس

## في خواص النقائص الجاهلية

تمثل النقائص الجاهلية هذا الفن الشعري في طوره الأول كما يسا ذلك عند القول في شأنه الأولى ، لذلك كان من الطبيعي أن نعتبر النقائص إبان نشأتها في هذه العقيدة الأولى التي تنبأ في طفولة كل من وأوليه السابقة ، ثم تسم سمات البداءة والسداحة قبل أن تقوم أركانها ، وتقرر أصولها ، وهي بعد ذلك خاصية لكل ما يؤثر فيها من عوامل مكانيه ، ورمزية ، واجتماعية ، وشخصية ، حتى تنتهي إلى صورتها العامة التي تمثلها في هذا التطور القديم .

وقد لاحظنا أن هذه النقائص القديمة ظهرت بشراً أو حواراً عادياً في عصر المشاكل الاجتماعية كما حدث بين امرئ القيس ورموس بنى أسد في أعقاب مصرع حبر وند امرئ القيس ، وهذا أمر طبعى إذا كان الشر أوسع صدىً وأرحب محالاً لهذه الحاجة الاجتماعية والحدل العقلى القائم على البراهين وشرح وجهات النظر ، والسرعة في إبداء الرأى ، والاحتجاج له .

ثم رأيناها رجراً كذلك ، نعم ، لست أرى أن يكون الرجز هو البحر العروصى الأول حتماً ، ولكنه على كل حال ، من الأوزان التي وجدت في الجاهلية وقطع عليها حصص الكلام ، وكان فناً شعبياً قليل الصيغ ، يعتمد عليه الأعراب في الاستقاء ، والخذاء ، والأيام ، وبحوها واستعمل في النقائص سادحاً ، وبقي في الإسلام ، وفي عصر بنى أمية ، بل وحدنا أن النقائص بينه

جريد وحصومه بدأت مراحرة<sup>(١)</sup> وهذا معناه أن من الزجر أقرب إلى تمثيل الحياة في طورها الشعبي وحالاتها الدائمة وإن لم يتعمق أن يكون أول الأوزان الشعرية على أية حال.

وطاهرة أخرى أن هذه القصص الخاطئية قامت ، أول ما قامت ، على الركن الأساسي فيها وهو قصص المعاني دون التراء بحر أو فانية . فكان ردود أو حوراً جدياً ، انتقل من النثر إلى النظم في صورة ما ولعل مرجع ذلك أن الشعراء لم يكن قد جرى بينهم الجدل إلى درجة العدوى الموسيقية ، أو لم يكن قد جرى إلى درجة انهجدي فهاشت القصص الشعرية في صورة أولية لم تتكامل باليد الطمينة المعروفة .

ولما كثرت الأيام ، وحيث العصيات ، وتقدم الشعر ، وطهر المحول ، ومتحرر انهجدي بينهم ، ونما ظلمت الجاهلية في موسمهم ، أحدثت انقراضاً طويلاً ، وتكامل عناصرها ، وتخصص لانهجدي الموضوعي ، والموسيقى ، حتى تمت لها قواعدها المعروفة وإن لم تلغ من القوة ، والطول ، والدقة ، والسرورة ، والعناية ، والتأثير ما بلغت أيام الأمويين .

وقد كانت أصولها أو مقوماتها جاهلية كما رأيت ، فقامت على الأسباب والأصوب الاجتماعية المقررة ، وأدت في ظل الأيام ، وحيث سار العصيات القليلة واعترفت بانضم ، والعدوان ، والمفاخرة بالأحباب والآداب . نعم بهم . شدي في سبيل الحياة الاجتماعية السمية شدي في الحروب وما بهم ، وهذا طبعي ما دامت الحروب تهيج الانفعالات ، وبعث الشعر ، ونفوى الهجدي ، وكان العجز والاهحاء هم قوسها بل أهم قوس الشعر الداخلي جميعه ، وأهم قوس القائمين جميعاً

(١) ونسج مندمه خاض جريد و غريزث عن أن غند .

كذلك قامت النقائص ، أكثر ما قامت ، في سبيل القبيلة والإمارة ، وعدت بذلك من قبيل الشعر السياسي إذ كانت القبيلة دولة الشاعر وموئله ، وكانت الإمارة عرشه الملكي ، وجمعت السياسة الأحيوية قبل الإسلام<sup>(١)</sup> ثم قلت لنقائص في سبيل أخرى . ومنها تكن حماسة ، أو فحراً ، أو هجاء ، أو سباً ، أو غيرها ، فلقد كانت متأثرة غايتها القلبية والملكية ، وكانت ملك نصيب ففما من نقائص الإسلامية التي قُبت في سبيل الأمة العربية أو الدولة الإسلامية .

ثم ، إن هذه النقائص لم تشمل العصر الجاهلي كما شملت لعصر الأموي ، أو الإسلامي الأول ، وذلك لتفرق القبائل والشعراء وعدم وجود غاية عامة أو وحدة حسية تعمل المناقصة في سبيلها ، كما عملت بعد في سبيل الدين والدولة وشملت الشعب ، والحكومة ، والأسراء ، والنقاد ، والعلماء . ولقبائل ، ومهص بها لغول الشعراء . وآية ذلك أن نقائص الأوس والخرج في مقدمة نقائص الجاهلية أهمية وسيرورة تتقارب القبائل والشعراء ، ولعمل في سبيل سيادة يثرب وما حولها حتى كانت قبائل هذين الحيين أشبه بالأحزاب السياسية أو قبائل العرب أيام الأمويين .

ومن الأسباب التي حالت بين النقائص الجاهلية وبين إشعاع لعصر القديم أسبا كانت ظاهرة شعرية أكثر مما هي من سبيل أصوله ورجاله المعروفون ففي عصر الأمويين مهص بها الفحول ، وصدهوها أظهر العصور القديمة ، وشعروا بها العصر والأفانيم ، وأستقوا منها العاخرين والمتوسطين

ومع ذلك فتم سحق النقائص الجاهلية إلى درجة الإسهاف الخافي كي حدث أيام الأمويين ، ولم تظهر حلة النصيات جميع ما بين القبائل من حرمان ،

(١) راجع تاريخ العصر السياسي لقنوات ، الجزء الأول .

وإنما لاحظنا فيها نصيبا على القمراية ، ورعاية الجُرُماء . ووقوفنا في المقام ، عمدت  
الحين والسجل والفرار بحيث لا تتجلى المرّة من رواية القاتل المذهنية والمشاركة  
فيها إذ كانت أصغر معاني وأبعد عن ذكر المورثات والكلمات الدنية المكشوفة ،  
لكن كانت السعادة الأمونة أوغل في الإسفاف من الجاهلية الأولى ، وكان الإقذاع  
في المقام ، وهو تفصيل شعبي على آخر ، شرم عرف المقام ، جاهلي .  
ومهما يكن من أمر فإن القاتل المذهلي صورة صادقة لمصرها الأولى من  
حيث الموضوعات ، والمعانى ، والأساليب ، والغايات ، فمآل الإسلام وحدها  
التي كمال الأداة تعتمد عليه شعراؤه في ظل النهضة الجديدة وكان معهم امتداد  
لهذا الفن المذهلي من حيث أصوله الفنية ، وإن طرأت عليه سمات جديدة متأثرة  
الحياة الإسلامية مما مصله في كتاب الثاني .

---

# البيان الثاني

القائض في صدر الإسلام

## الفصل الأول

عصر القائض الإسلامية الأولى

- ١ -

كان ظهور الإسلام نهضة عامة شملت الدين ، والسياسة ، والأدب ، والاجتماع ، وأحدثت تحمّل هذه الواحى وما يتصل بها ، من طور جاهلى عربى إلى صورة إنسانية عامة لانفراق بين جنس وآخر ، فالناس أمامها سواسية ليس مرفى على عجمى فصل إلا بحسن العمل واصططاع هذا الروح الشرى العاقل . وكان الرسول ، عليه السلام ، يأخذ بيد هذه الأمة العربية فيربل أحفادها ، ومواحى بينها ، ويؤلف من قبائلها المتفرقة شعباً متحداً بحصص سلطان واحد ، وسدين عملة واحدة ، ثم يتقدم إلى الشعوب فى أقطار الأرض يدعوها إلى هذا الدين الإسلامى . ويربطها بوشائج إنسانية فعل الناس يحبون على هذا الأصل الكريم من تحاب ، وتعاون ، ووفاء .

لذلك كانت الأوضاع الإسلامية مغايرة لرسوم الجاهلية من وجوه شتى : وعصية القبيلة صارب شيئاً منكراً أحدثت تحل محله رابطة قومية أول الأمر ، ثم عنقدة دينية عامة ، وجدد الرسواح وحلفاءؤه فى محاربة الحمية الجاهلية وما يلاسمها



من سحر وشعوذة، وإن لم يستطعوا محوها من هوس العرب فحُبَّ قوِّيةً ومن الأمويين  
كما قلل بعض الشعراء، ذلك صريحاً مجهرًا

فلا تحسبوا الإسلامَ غتر صدكم      برِماح مواليكُم، ذاك لكم حبل<sup>(١)</sup>  
كذلك أحدث الليارات القديمة اتصالاً أمام الإسلام ولا سيما في بلاد  
العرب، من يهودية، ومسيحية، ومجوسية، ووثنية، وكانت مصادر النشاط المادي  
والأدنى توارر الوصع الحديد ونسائر بياره حتى صار الإسلام دين العرب، واحدهم  
ليكون دين البشر.

وأم الخهالة الخاهية فقد حمل عليها الإسلام ليعدل محلها التسميح، والاعفو،  
والتحكك بآداب الدين، وهذا كانت (الأيام) مستمرة في سبيل رياسة ولمدة  
صارت في سبيل الإسلام وآدابه، وعندما كانت بين العرب انتهت فكانت بين  
العرب والأمم الأخرى.

صار العرب بالإسلام أمة ودولة لها حكومتها القائمة، ونظامها المقرر، عندما  
كانوا قدامى وعثر متناثرة أو إمارات حاصمة لسلطان الفرس والروم، وأصبحت  
ترى على رأسها حاكما بدير شوب، وعقب بها أمام العالم شارث في سياسته، وسى  
في حصاره، وتحمله على الاعتراف بها ثم الخضوع لسلطانها بعد ما كانت تداء  
في أرحاء البداية.

## - ٢ -

هذه الدعوة الإسلامية الجديدة من شأنها أن تثير عواطف متناقضة بين دعاة  
الحق الجديد وأنصار الباطل القديم، أو بين المخلصين على رسوم الدولة الخاهية  
والمحدثين بالأصول الإسلامية العاصمة : هي عواطف مختلفة تمتد

(١) راجع ترجمة عقل بن علفة في الأغانى - ١١ من ٥٥ بولاق

هدد الصراع بين حيائي أو طوريس من أطوار الحياه العربية في تلك الحقبة من حقب التاريخ ، فربق مع الرسول ، وغمق عليه ؛ وذلك أمر طبعي في مثل هذه النهضة ، فمن الناس من يجد سوكهم ونعلق بالماضي الذي درت عليه لا يحدد عنه ومنهم من دُرِق مواهب حنة متجددة تسطع مسارة الرمس وسين أنوار هدى ومشى قدماً لا تلوى على شيء ، وهكذا كان انشأ أول الدعوة الإسلامية ، فكانت أكثره على ارسول ولقبة القليلة معه ، ولما كان من انطى أن يندر عشرته الأقرين قبيل سواهم فقد دارت المعركة بينه وبين فريش أول ما دارت ، بل بينه وبين أسرته وفروعها ولقى في ذلك بلا كبراً صرعديه كريماً أدت الخصال قوى العقيدة حتى هاجر من مكة إلى المدينة ، فكان من ذلك معسكران سياسيين أو دينان : فريش بمكة ، والأنصار والمهاجرون بالمدينة ، وأخذت الدعوة الإسلامية صورة عملية من ذلك الحين ، وقامت الأيام أو العروات الدينية في سبيل هذه النهضة المباركة كما هو مقرر في التاريخ السياسي .

من مستلزمات هذه النهضة قيام مهضة أدبية بحاسنها تسارده ، وتؤرخها ، وتسندھا ، وقد حدث ذلك فعلاً ، وكان ذا مظهر شتى :

فالقرآن الكريم الذي رل على الرسول كان معجزة هذه الدعوة وأعمالها الأول ، وكان في مستوى أدنى لا يصاهي سواء في موضوعاته ، ومعانيه ، وأساليبه وعابته السامية .

وكانت أحاديث الرسول ، وخطبه ، ونسائجه سداً ثانياً لمهضة العرب وهدى مُبشراً لسوكهم القومي والإنساني فوق بلاعتها المنيرة ، وكانت مهضة شعرية عامة ، أظهرت الشاعرية القرشية بعدما كانت حاملة وذلك لتناقص شعرية قوية أصيلة كانت في المدينة بين الأنصار من الأوس والخزرج ، واليهود<sup>(١)</sup> .

(١) راجع : المؤلف ، تاريخ العصر السياسي من ٦١٠ وما قبلها - ط ١

وإذا كان ابن سلام يردّ حمود الشاعرمة القرشية في الجاهلية إلى « أمه »  
 يكنّ سبهم نائرة ولم يحاربوا «<sup>(١)</sup>» فقد وجدت النائرة والحرب الآن وأحدث  
 عواطفهم شور ، والأيام سوالي ، ومكاثهم الدنية تس ، وعيهم الآن أن ينفوا  
 سيوتهم وأنسهم ملكية أمام سيوف الأنصار وأسهم المدينة ، بهذا وجه ،  
 وبذلك قامت مدرستا مكة والمدينة .

ووجه آخر شير إليه ، وهو أن القائل الأخرى ، غير قريش والأنصار ،  
 أحد شعراؤها بصمون إلى قريش ، أو إلى الأنصار ، فمية من أبي لصلت التقى  
 وكعب بن الأشرف اليهودي وسواد من شعراء اليهود مع قريش ، والأعشى  
 التميمي ، ومعبد الحراعي ، وسواهما مع الرسول وأنصاره .

ثم قامت النساء تشارك الشعراء في هذه النهضة الشعرية مع الرسول أو عليه ،  
 وكنّ يخرضن على القتال ، والانتقام ، وسكين اللوى ويدنهم وبشعين من  
 أعدائهن ، كهذبت عتة ، وقتيبة بنت الحارث ، وصبية بنت مسافر في جانب  
 قريش ، وصبية بنت عبد المطلب ، ونم امرأة شماس بن عثمان في جانب المسلمين .  
 ووجد اليهود ، بالمدينة خاصة ، أن مكاثهم الدينية والسياسية والاقتصادية  
 ستعرض لشرك كبير إذا محمت الدعوة الحميدية ، فامضوا إلى قريش بمكة وأحد  
 شعراؤهم يسروا في سبيل صرار بن الحطاب وعدا الله بن الزبير وأبي سفيان بن الحارث  
 ومنهم كان كعب بن الأشرف ، وجنل بن حوال ، وسمك اليهودي ، وقد شرحنا  
 ذلك في « تاريخ الشعر السياسي » بما يكفي

وحلاصة ذلك أن هناك هبة شعريّة قوية صاحبت الدعوة الإسلامية  
 وأفادت منها قوة وحياة ، ثم انقسمت القائل في سبيلها حريين كبيرين : مع

(١) طقات الصراء من ١٤٤ طعة مصر .

الرسول أو عليه ، وكان من ذلك ملاحاة ومهاجرة حول هذه التطور في الحياة العربية مثلها أول الأمر مدرس مكة والمدينة ، وكان منها النقائص الإسلامية الأولى .

### - ٣ -

كانت النقائص أيام الرسول ، عليه السلام ، امتداداً للنقائص الجاهلية من حيث أصولها الفمية ، وكان بعض شعرائها المسلمين ، كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، من رجالها الجاهليين ، فبعض هذا الفن ، عصر البعثة المحمدية ، شعر ، محصرون أدركوا العصرين : الجاهلي والإسلامي ، سواء في ذلك شعراء مكة والمدينة من العرب واليهود ، رجالاً ونساء ، إلا أن ذلك التعبير الذي حدث في أوصاف الحياة العربية في تلك الفترة — وقد أسسنا إلى شيء منه قبلًا — أصاب المناقضة الشعرية نفسها سعي من عدة وجوه :-

أول هذه الوجوه هو الموضوع فقد كان في الجاهلية دائراً حول مرمى أمور أدبية أو طمع أو سفاهة ، ولكنه في هذه الفترة دار حول دين بشري ، وأمة تتكون ، ودولة تقوم ، وهداية تُتبع ، صار موضوعاً سامياً ، إنسانياً ، عاماً ، أو - في أدنى درجاته - قومياً عربياً بعد ما كان قليلاً جاهلياً ، وهذا تحول خطير من غير شك في تاريخ فن القائن .

وثانيها هو المعنى ، فهما يكن من المسير سرعة الانتكاس المعسوي ، والتحول من الجاهلية إلى الإسلام في هذا الجانب ، فلقد علت المعاني الدينية على غيرها ، ووجد في كلام أنساقهم ، من المدرسين ، معاني جاهلية قديمة تدور على الأحباب والأنساب والأيام وما إليها ، ومعاني إسلامية جديدة تقوم على الكفر والإسلام والهدى والضلال ، وفي الأغانى<sup>(١)</sup> " كان يهجو رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثلاثة رهط من قریش : عبد الله بن الرِّمِّى ، و تَوْسِعِيَان من الحديث  
ابن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان  
بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ؛ فكان حسان وكعب  
بدرصاتهم يمثل قولهم ، بالوفائع والآيام والمآثر ، ويعبراهم بالمثالب ، وكان عبد الله  
ابن رواحة يسيروهم ما يكفر ، فكان في ذلك الرمان أشدُّ القول عليهم قول  
حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، وما أسلوا وقيهاوا الإسلام  
كان أشدُّ القول عليهم قول ابن رواحة . وقد ذكرنا في غير هذا المكان <sup>(١)</sup>  
أن هذا الوصف ليس عاماً ولا دقيقاً لأن حسان كان يهجوهم أيضاً عدهب عبد الله  
ابن رواحة .

وثالثها الأساليب ، فقد كانت أساليب النفاض الإسلامية الأولى مضطربة  
غير مستوية ، سواء ذلك عند الشاعر الواحد ، وبين الشعراء من المدرستين ، كان  
منها العبارات الحرة القوية ، ومنها الضعيفة المهلهلة ، ومنها الوسط العادى ، فإذا  
اعتبرنا الوضع والخطء من بين أسباب هذا الاضطراب ، فإنما رده كذلك إلى  
أسباب أخرى ، كضعف الشعرية القرشية وحدائتها ، وارتحال الشعر أمام  
الحوادث الطارئة ، وهرم بعض الشعراء كحسان بن ثابت ، واقترانهم جميعاً محالاً  
جديداً نعوره مرانة جديدة طويلة ، والبرام بعضهم حدوداً وآداباً إسلامية تقيد  
حرية القول وشيطان الشعر ، حدث الأصمى قال : « طريق الشعر إذا أدخلته  
في باب الخير لأن ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان غلاً في الخاهية والإسلام ،  
فما دخل شعره في باب الخير من مرأى النبي صلى الله عليه وسلم وحمرة وجهه  
رصوان الله عليهما وغيرهم لأن شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر المعول مثل

(١) تاريخ الشعر النبوى المؤلف من ١٥ ط ١ .

امرى، القيس، ورهير، والساعة، من صفات القدر والرحل والهدوء والمدح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والحروب والافتخار، فإذا دخلته في باب حدير لان «<sup>(١)</sup>» ويمكن يصاح ذلك بالتوازن بين حسان والخطيئة اى لم يغمره تبار الإسلام كما عمر حسان، فاحتفظ الخطيئة عنده الأصل فبقى شمس مره مستوى الأسلوب جريلا لا اختلاف فيه.

وراعها امانة، فإذا بحثت عن عامة القنائص الجاهلية وحدثها، عالماً، اشهد، نفس معيطة، وسيرة قبلية، وافتحاراً بالشعر، وبحث الرحمة في النفوس ونحو ذلك من هذه الأغراض القبلية الصيغة الأفق التي لا تحدث تحولاً حتى في حياة القبيلة، فأما القنائص الإسلامية فكانت في سبيل الإسلام، وقد فسرنا معنى (الإسلام) أنه دين، ودولة، ومهنة عامة، وسلطان شامل، وإصلاح يتناول الجففس العربى والشرية كلها، فهو تحول في الحياة الإنسانية وطور حدير من أطوار التاريخ العام، ترعّمه الرسول ثم حلفاؤه، وعمل في سبيله الشعر أو القنائص كما أصله القرآن والمحدث، وبحث الحيوش.

أما العنوت التي كانت قوام القنائص الإسلامية وعناصرها، فهي العنوت الجاهلية من مدح، وهجاء، وغر، ورقاء، ووصف، ووعيد، ونحوها لم تفتح في الشعر العربى أبواب رئيسية في ذلك الحين، ومع ذلك فقد أسقنا أن هذه العنوت تأثرت في موضوعاتها ومعاييرها وأساليبها وعائيتها بمقتضيات النهضة الإسلامية، وكثير هنا إلى شيء من مظاهر هذا التغيير الذى فيه سمات الدعوة ورسولها عليه السلام، فليقلد قال عبد الله بن الزبير يبيكى قتلى بدر من أبيات : —

ما ذا على بدر وما ذا حوّه      من هنية يضيء الوحوه كرام

تركوا نديها حلقهم ومسيهاً      واني ربيعة خير خصم قائم<sup>(١)</sup>  
 ويداكي بالي فاعول شجوة      فلي الرئس للمجد ابن هشام<sup>(٢)</sup>  
 حيا الاله ابا الوليد ورعته      ربنا الانام وخصمهم سلام  
 فاجابه حسان بن ثابت الأنصاري : —

انثى ، نكت عساك ثم سادرت      يدي تفل عروها سخام  
 مادا بكيت به الذين تنابعوا      هلا ذكرت مكارم الأروام<sup>(٣)</sup>  
 وذكرت منا ما حدا داهية      سمح اخلاق صادق الإقدام  
 أغنى النبي أبا المكارم والسدى      وأرأى من بولي على الإقسام<sup>(٤)</sup>  
 فليشدر ولنسل ما يدعو له      كان المدح ثم غير كهيم<sup>(٥)</sup>

فإذا كان ابن الزبيري يبيكي قتلى قريش يوم ( بدر ) كي يبيكي أي شاعر  
 جاهلي قتلى قومه في بعض ( الأيام ) فإن حسان بن ثابت وضع يراه قتلاهم مكانة  
 الرسول ، وبه على أهم الناس ، ثم راد على ذلك الإشارة إلى الرسول ودعوته  
 وأنه بذلك أحق بالمدح ، وأولى بالفصل .

وهناك مشابهة أخرى بين الفبين الجاهلي والإسلامي ذلك أنها قويا وشاعرا  
 في ظل الحروب و ( الأيام ) فقد رأيت فيما مضى<sup>(٦)</sup> أن كثرة لفنائس الجاهلية  
 إنما استنت حول الأيام وبيدها ، وملاحظها أنها كانت كذلك في سبيل الأيام  
 الإسلامية أو ( الفزوات ) كبدر ، وأحد ، والملاق ، وفتح ، وذلك طعي  
 ما دامت الحروب تهيح الشعر ، وتبحث في هوس الشعراء مواقف التعدي

(١) نظام اجتماعه من الناس . (٢) أبو الزبيري العباس بن هشام

(٣) ناعوا . ألقوا . خصم في الملاقاة . (٤) يوم . محض .

(٥) السكهم الضعيف — سيرة ابن هشام ٣ - ١٦ طبعه الخلي

(٦) الباب الأول ، فصل ثالث ورابع .

والمناقضة إذ كانت هذه حراً كلامية بحسب أحروب الدعوية ، لذلك كانت (سيرة الرسول) ومقارنه أهم مصادر النقائص الإسلامية .

وقد شغلت النقائص ، عصر العنة ، شعراء مكة والمدينة كما شغلت النقائص شعراء الأوس والخزرج في أيام الحيين قبيل الإسلام ، وكما شغلت النقائص الأموية جريراً وصاحبه أهم فترات الدعوة الأموية ، فكانت في جميع هذه الأطوار مشغلة الشعراء ، والرؤساء ، والجماعات العربية وأوجدت بجانبها مدارس نقدية ، وأثرت في الحياة الاجتماعية والسياسة والأدب تأثيراً خطيراً .

ولست أدري ، فلعل رواية ابن إسحاق صحيحة فيما يقوله : إن أول شعر قيل في الحجرة <sup>شعر</sup> بيد قائلها صرار بن الخطاب بن مرداس<sup>(١)</sup> أخو بني مغارب بن مهران : -

نداركت سعداً غيرةً فأحدثه      وكان شيعاء لو تداركت مدبراً  
ولو ربت طلت هلك جراحه      وكان حريماً أن يهان ويهدراً

قاله في سعد بن عباد والنذر بن عمر الأنصاريين لما حصص من أسرقريش في أمر العنة الثانية<sup>(٢)</sup> فاجابه حسان بن ثابت من أبيات : -

لست إلى سعد ولا المرء مدبر      إذا ما مطايا القوم أصبحن صقراً  
أنعمرت بالسكتان لما لست به      وقد نلست الأساط رباطاً مقصراً  
فلا تك كالوسن يحلم أنه      بقرية كسرى أو بقرية قيصر  
ولانك كالتكلى وكانت عمزلي      عن الشكل لو كان الفؤاد تمكراً

(١) كان صرار شاعر قريش وفارسها ، ثم ابن الزبير بن عوف ، وكان أحد صرار ، وهو مرداس ، رئيس بني مغارب بن مهران ، وأسلم صراراً عام الفتح .

(٢) راجع سيرة ابن هشام - ٢ من ٨٩ - ٩٣ نسخة أبي



فَإِنَّ وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ مَحُونًا كَمَصْبُوحٍ تَرَى إِلَى أَرْضِ حَبِيرَا<sup>(١)</sup>  
ولو صحت لا شئت بعيناً أن هذه أول مناقضة إسلامية ، وإن كانت تثبت  
أنها أول مناقضة بعد الحجرة

— ٤ —

ومع ذلك فلتقف هنا لحظة يسيرة لتشير إلى ما في القرآن الكريم من صور  
المناقضة ، فنعلمها ذات أثر بعيد في هذا الفن الاسلامي والأموي حياً ،  
حكى القرآن الكريم قدراً عجز بسير من الحدل الذي دار بين الرسول عليه  
السلام وبين العرب واليهود ، من نصارى ، ومجوسيين ، ووثنيين ، وسوهم ،  
حول مسائل شتى في مقدمتها الألوهية ، والرسالة ، والبعث وسلكت في هذا الحدل  
سبلا موعدة ، وأساليب عدة ، محد فيها صوراً للمناقضة محكمة بحيث تحتاج إلى  
دراسة خاصة لتتبعها وتصفها ، ويورد هنا بعض أمثلتها لتكون دليلاً للقارىء ،  
والمبحث إذا كان القصر القرآني ليس موضوعاً في هذه الفصول ، ورنما عدنا  
إلى هذه المسألة في الباب الثالث .

اعتمد القرآن في نقض دعاوى حصومه وعقائدهم على طريقة التكذيب  
القائمة على أدبه واقعية كقولہ تعالى : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَلِئَسَ بِنَا أَلَاءَ اللَّهِ  
وَأَحْزَانُهُ ، قُلْ ، فِيمَ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِدَعْوَى بَعْضٍ ، بَلْ أَنْتُمْ شَرٌّ مِمَّنْ حَقَّقَ ، يَكْفُرُ لِي بِشَاءِ  
وَيَكْفُرُ لِي بِشَاءِ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ »<sup>(٢)</sup>  
ادعى اليهود أنهم أناء الله وأحزانوه ، فنقض دعواهم بأن هذه الدعوى

(١) نفس المرجع ٩٠ - الأنعام ١٠٢ - والرحط للملاحب السمر ١٢٠ - برهنة  
حيدر ، ووصف الله ، وكشف عن بعض أسرارها ،  
(٢) سورة المائدة ، آية ١٨ .

فسدعى عدم تعدسكم لآسكم لاندسون . ولسكن الواقع أن الله عذبكم فى الدنيا بالقلل والأسر والمسخ ، وقد اعترفته بأنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات ، بدأً ، سطل قولكم بكم أساء الله وأحباؤه . ثم أثبت لهم الوصف الطلعى فقال بل آتت شر من حلفه ، ماى تحرى علكم أحكام القضاء والقدر .

وفى طريقة التكذب هذه أحياناً سطالب حصومه بالبرهان ، ثم يشت حلاف ما يدعون كقوله ، ماى : « وقالوا لن ندخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بل ، من أسلم وجهه لله وهو محسن وله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) . ادعى الفريقان أن الجنة وقت عليهم ، فقالهم بالبرهان فى دعواهم ، ثم عدها ، وأثبت أن الجنة حق سكل من يحصل معه لله ومحسن فى أعماله .

وكذلك قوله تعالى : « وقالوا لن نمسا النار إلا أياماً معدودات ، هل أتخذنم عهد الله عهداً فلن يحلف الله عهداً أم تقولون على الله ما نؤمنون » (٢) .

رماهم بالافتراء والورط فى الجبهة . وقوله تعالى : « وقولهم إنا قلنا مسيح ابن مريم رسول الله . وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شئهم لهم ، وإن الذين احصنوا فيه لى شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه » (٣) . فكذبهم ، وبين سبب خطئهم ، وأسهم يعتمدون على الظن فيما يدعون ،

ومرة يسعه أحلامهم ، ويرميهم باللعنة والملة فيقول . « وقالوا لولا يأتينا ناية من ربه ، أولم ذاتهم ناية ما فى الصحف الأولى » (٤) لما سطالبوا الرسول ناية تدل

(١) سورة انعام آة ١١١ ، ١١٢ . (٢) آة ٨٠ . (٣) النساء آية ١٥٧

(٤) ص ١٣٣

على صدقه في ادعاء النبوة ، رد عليهم بآية القرآن المقتبل على زمرة الكسب  
السموية لسابقة ، فكيف يعلنونها أو يظفونها ؟<sup>(١)</sup>

وقد يتناول البعض ما سيدعى خصومه في المستقبل ، أو ما قد يدور محذوم ،  
أو يدرص أمراً بقطع عليهم سبل المعارضة كقوله تعالى : « سَيَقُولُ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا لَوْلَا إِشْرَاقُ اللَّهِ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ كَذَّبَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَاقُوا النَّارَ ، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُ لَنَا ، إِنْ  
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَحْرِيصُونَ »<sup>(٢)</sup> ادعوا أن الله راض عما هم عليه من  
شرك وإثم ، فقامهم على من سبقهم من أمثالهم في هذا اللذهب حتى وقع بهم  
العقاب . ثم سألهم الاحتجاج لدعواهم إن استطاعوا ، ورماهم بالكذب  
واتباع الظن .

رأت الأمثلة السابقة دالة على مطالبة احصوم باستعمال عقولهم وأفكارهم في  
تبين وجه الحق فيما يدعون . وقد يعتمد القرآن في نقضه على الاعمال والعواطف  
فبسنخدم التحويل والتحويل ، يقول تعالى : « وَهَالِكِ الرَّعْنُ وَلَدًا ، أَقَدْ  
حِثَّمْ شَيْئًا ، إِذَا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَغَطَّرْنَ بِمَهِمَاتِ الْأَرْضِ وَتَحْمِلُ الْجِبَالَ هَدًا ،  
أَنْ دَعَا لِلرَّعْنِ وَلَدًا وَمَا يَنْفِي لِلرَّعْنِ أَنْ يَتَحَدَّ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَدَا ، لَقَدْ أَهْصَاهُمْ وَعَدَاهُمْ عَدَا ، وَكَلَّمَ آيَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا »<sup>(٣)</sup> .  
فما ادعوا الله ولما بين لهم شناعة هذه الدعوى ومبلغ خطورتها وعدم لياقتها ،  
وبيّن أن كل الحق عيب الله يفتر عليهم وبحشرهم يوم القيامة لاستد لأحدم  
إلا ما يركه ، وهذا التحويل يعنى الدليل وهو أن الألوهية لا يسببها الأنوة الحسة  
البشرية التي هي من صفات الكائنات .

وقد يستخدم السعير من الصفات العيصة فيصف بها خصومه لعلمهم يتحولون  
عنها كقوله تعالى : « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ، وَكَفَرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، نَبِّئْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ بَكُفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا » <sup>(١)</sup> ادعوا أن قلوبهم أوعية للعلم أو أن عليها أغطية فلا تدرئ شيئا ،  
فرد عليهم الله بأنه قد حجبتها عن المعرفة بسبب كفرهم فقل الإيمانهم .

وقد يتردد الحوار بين الرسول وخصومه فيحكيه القرآن ويعصل فيه ، كقوله  
تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ،  
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ » <sup>(٢)</sup> فلما أمروا بالإيمان كما آمن الناس ، تعالوا  
ورموا المؤمنين بالسفاهة ، ولكن الله قلب عليهم هذه الصفة وأثبتها لهم  
مع الجهالة .

هذه إشارة حاطمة إلى ما تضمنه الكعب الكريم أثناء جدله من أساليب  
المناقضة ، ورجو أن يتاح لهذا الحاسب من يتناوله في القرآن والحديث .

### — ٥ —

رأيت أن القائض الإسلامية كانت من الناحية اسمية مبداءاً للقائض  
الحاطلية وأنها دارت في العروات ، وإن حدث فيها انحراف تناول بعض جوانبها  
كما أسبقنا ، وقد نهض بها شعراء مكة ومن باصرهم من جاب ، وشعراء المدينة  
من حاسب آخر .

ذلك كان حياة الرسول الكريم ولعلها نجيت سد وقعة ( بدر ) وفترت

وفترت من عام الوفود فماتوا في الرسول وكان العرب أمة واحدة في طاهر الأمر ، وإن لم  
 تمنح العصية لم تطل حروب الردة حتى استقرت الأمور واتجه العرب إلى الفتوح الإسلامية  
 فوفقت بينهم المداخلة وشعروا بسيرهم من الشعوب ، ذلك إلى ما حارب عمر وعثمان  
 الهجاء وحرقوا الشعراء معه وآذوه معه ، فقد علمت أن عمر من الخطاب حسن  
 الخطيئة لما هجا الريرقان بن بدر ثم أطلقه واشترى منه أعراض المسلمين<sup>(١)</sup> ، كما  
 علمت أن عثمان من عمار عمر رصاً البرجعي وحسنه في هجاء بعض الأنصار<sup>(٢)</sup>  
 وفوق هذا فقد كانت العصيات مكبوتة ، ولا وجود لخلاف مدهي أو ميسي  
 تحيا في سببه النقائص فكان هذا الفن إذاً يساعد الحياة الاجتماعية بسب هذه  
 السياسة الرشيدة التي نشأت مع عمر من الخطاب وحسنه ، لذلك لا يرى  
 للنقائص نشاطاً منذ عام الوفود حتى وفاة عثمان بن عمار ومصرعه المعروف الذي  
 أدى إلى التماس بين علي ومعاوية حول الخلافة<sup>(٣)</sup> . قد كان هذا الخلاف رأياً  
 أنارة لهذا الفن متصلة بالعصية الهاشمية والأموية لم تكثر ولم تقو لأن الحوادث  
 أسرعت بالخلافة إلى بيت الأمويين ، ولأن تحول المحصرين الذين هضوا  
 بالنقائص الإسلامية الأولى قد ماتوا أو شاعروا ، وأخيل الحديب من شعراء م  
 يكن قد تقدم بعد إلى مسرح الحياة العامة بباول شئونها ، فتأخرت النقائص  
 الأموية إلى حينها من أحيان التاريخ الأدبي

أما عن الآثار من النقائص التي حدثت في أعقاب الفتنة الثمانية فذكر  
 منها ما قال الوليد بن عتبة بن أبي مقيط أخو عثمان لأنه قد قتل عثمان : -

(١) الأعمى ج ٢ ص ١٨٥ دار الكتب . (٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢  
 ٢٨٤٩ أورده . (٣) راجع المؤلف ، تاريخ شعر الناس من ١١٦ و ١١٧ ص ١٨٤

تنبى هاشم ، إيه فئا كان يتنا      وسيف ابن أروى عندكم وحرأته  
مى هاشم ردوا سلاح ابن أحمك      ولا تُصبوه ، لا تحمل مهابته  
غدرتم به كيا تصكروا مكاه      كاعلوت يوماً مكسرى مراراً<sup>(١)</sup>

فأجابه عن هذا الشعر ، وفيما روى به بى هاشم وسب إيسم ، الفصل  
ابن العباس بن أبى طرب قتال : —

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم      أضيع وألقاه لدى الروح صاحبه  
سوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا      فهم سلوة سيفه ، وحرأته  
وكان ولى المهدي بعد محمد      على وفى كل المواطن صاحبه  
على ولى الله أظهر دينه      وأنت مع الأشقين فيما تحاربهم  
وأنت اسروا من أهل سيفور مارح      فما لك فى الإسلام منهم تطالبه<sup>(٢)</sup>

ومن المعروف ما دار بين كعب بن خميل والعباسى فى سبيل على ومعاوية  
لما تاب فى تلك الإسلامى ، فقد قال كعب بن جعيل برأى معاوية  
من أبيات : —

أرى الشام تكره تلك المراق      وأهل العراق له كارهونا  
وكل لصاحبه منفض      يرى كل ما كان من ذاك ديننا  
وقالوا : على إمام لنا      قلنا : رضينا ابن هدر صينا  
وقالوا : ترى أن تدينوا لنا      قلنا لهم : لا ترى أن نديننا  
وكل يجرى بما عنده      يرى غث ما فى يديه سمينا<sup>(٣)</sup>

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢٨ . (٢) هس للرجع ص ٢٤٥ .

(٣) لأخبار الطوال ص ١٦٢-١٦٣ وشعر النبأية ج ١ ص ٢٠٦ .

فأجابه البجاشى برأى على : —

دَعَنْ مَعَارِيَّ مَالِن يَحْكُونَا      قَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحْدَرُونَا  
أَنَا كُمْ عَلَى بِأَهْلِ الْعِرَاقِ      وَأَهْلَ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا  
يُرُونَ الْعُتْمَانَ حُلَالَ الْعِجَاجِ      وَضَرَبَ الْقَوَانِسَ فِي السَّقَعِ دِيَا  
فَإِنْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ مَلِكُ الْعِرَاقِ      قَدِّمْنَا رَحِيْبَا الَّذِي تَكْرَهُونَا  
فَقُولُوا لَكُمْبِ أَخِي وَأَتْلِ      وَمَنْ جَعَلَ الْفَتْ بَوْمًا سَمِينَا  
جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاءَهُ      رِيَّالِرَ ابْنِ هَنْدٍ ، أَمَا تَسْتَحُونَا<sup>(١)</sup>  
سَمَرِي ، إِذَا ، أَنْ الْقَائِمُ الْإِسْلَامِيَّةُ      إِثْمَا أَزْدَهَرَتْ حَيَاةُ الرَّسُولِ وَفِي طَلِ  
الْعِزَّاتِ ، وَهَذَا مَا سَرَضَهُ فَيَا بِلِ :

# الفصل الثاني

## النقائص والغزوات

- ١ -

فتما بين النقائص لإسلامية الأولى إنما أثبتت في ظل الغزوات، وعليها الآن أن تعرض بعض الشواهد لهذه النقائص وأصلين منها وبين أسبابها الحربية، معرضين عن النصوص الموصوعة قدر استطاعنا، متحررين الإيجاز الشديد، محاربين أن تنين في هذه النصوص ما يعبرها من حيث الموصوع، والمعاني، والأساليب، والعايات .

ولا شك أن عروة (بدر الكبرى)<sup>(١)</sup> كانت أولى الغزوات الهامة في تاريخ الجهاد الإسلامي، لأن ما سبقها لم يكن إلا ملاوشات بيرة، ولأن آثارها كانت خطيرة، لما أعلت من مكانة المسلمين، وأصابت قريشاً بمكة واليهود بالمدينة من دلة وتكال، ولأن الأمر منذ حدوثها صار جدّاً، وصراعاً لاهوادة فيه بين الجاهلية والإسلام، وكان يوم (بدر) هذا للرسول على قريش هلك فيه جماعة من علية مكة وأعيانها، فقال عيد الله بن الزبير مرمى السهمى يبكي قتلى بدر من المشركين : —

ماذا على (بدر) وماذا حوله      من فتية يبيض الوجوه كرام  
تركوا نديها حلقهم وسبها      وابني ربيعة خير حصم قتام<sup>(٢)</sup>

(١) راجع سورة بن هشام ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٢) بنه وميه من بني سهم، وأما ربيعة شبة وعنة، والقتام الجماعة من الناس .



والخارث أنيقص برق وجهه كالدر حتى ليلة الإطلام<sup>(١)</sup>  
ولعاصبي بن مَسَد دا مَرْتِي رُمحا تمبا غير ذي أوصاية<sup>(٢)</sup>  
نسي به أهرافه وجودده وما تَرُ الأخوان والأعمام  
وإذا نكي بالكِ فاعول شحوة فلي الرنسي الماحد من هشام<sup>(٣)</sup>  
حيًا إله أها الوليد ورهطه رب الأنام . وخفتهم سلام<sup>(٤)</sup>

هذا النكاء يتواء على صفات جاهلية اجتماعية ومختصة في قريش بمكة ، من كرم ، وسد ، وقوة ، وحس ، وهو أسف شديد على هؤلاء اليبية الذين ذهب بهم سيوف المسلمين وعاد أرهاضهم إلى مكة من دولهم ، فأحابه حسن وثبات الأنصاري الخزرجي فقال : —

ابك بكيت عيساك ثم تبادرت يدم تفل غرونها سحائم<sup>(٥)</sup>  
ماذا نكيت به الدين تنابوا هلا ذكرت مكارمة الأقوام<sup>(٦)</sup>  
وذكرت ميا ماحدا دا همة سمح الخلائق صادق الإقدام  
أعنى الهى أها المكارم والندى وأرث من يؤلى صى الإقسام  
فليشه وشمل ما يدعوله كان للمدح ثم غير كهم

كان رد حسن قائما على نقطتين : استنكار النكاء على قسلى لشركيين ، ثم التحق بارسون ودعوته الإسلامية الكريمة . وهذه النقطة الثانية هي الصلة بين القديم والحديث من معانى القايص . وواضح أن المناقصة تدور حول المصلحة الإسلامية العامة وفي سبيل عانتها الكريمة . وكان الأسلوب حرلا وإن لم يكن خيرا الأساليب القديمة .

(١) الخارث بن ربيعة من بني أسد . (٢) لعاصبي بن مَسَد من بني قريش .  
(٣) أعمون رجع الصوت نكاء . الشعر الخرن . الرئيس هو أمير الشعراء العاصي بن هشام .  
(٤) أبو الوليد هو عنه بن ربيعة . (٥) المربوب بكبرى الجمع ، سحائم . سائل .  
(٦) مامود : ألقوا بأنفسهم في الخلة .

وهناك شعر كثير قيل في ( بدر )<sup>(١)</sup> منه الأصيل والموصوع ، مناقصة وغير مناقصة ، اكتنينا هذا المثال من المناقصه وشير إلى حوار كان بين حنين من ثبات والشارح بن هشام في فرار الخارث هذا اليوم ، قال حصار قصيده المشهورة التي استوحى فيها طبعه الخاهلي الأصيل ثغامت قوية ، منها قوله :

تمات قوادك في المدام حريدة      تبقى الصحيح سرد نعام<sup>(٢)</sup>  
كالمك تحيطه عاء سحابة      أو غاب كدم الديبح مدام<sup>(٣)</sup>  
يا من لدلة توم سعاة      ولقد عصيت على الهوى أوامى  
إن كنت كادبة الذي حدثني      فجوت ملى الخارث بن هشام  
ترك لأحبة أن يقاتل دؤهم      وما برأس طيرة وليحام<sup>(٤)</sup>  
وسو أبه ورهطه في مفرثه      مصر الإله به دوي الإسلام

سبب تقليدى ، وتعبير بالفرار ، ونحو ما صار الإسلام فأجابه الخارث بن

هشام يعتذر من فراره يوم بدر ، فقال : —

الله أعلم ما تركت قتالهم      حتى حبوا مهرى بأشقر مرید<sup>(٥)</sup>  
وعرفت أني إن أقاتل واحداً      أقتل ، ولا يسكى عدوى مشهدى<sup>(٦)</sup>  
فصددت عنهم والأحبة فيهم      طمعا لم يفتل يوم مفسد<sup>(٧)</sup>

اتخذ في الرد طريقة النوجيه فاعترف بالفرار ولكنه برره بإصابة فرسه ، وانفراده ، وأن قتله لا ينفع عدوه شيئاً ، وأنه ينتظر يوم الانتقام ، هذا مع اختلاف

(١) سره ابن هشام = ٢ من ٨ ود والها .

(٢) تلت : أسقت ، المربعة : الخارية المنة الناعمة .

(٣) الملقب الخمر الفديعة ، والدمام من أسماء الممر . (٤) الضمير لفرس الكثرة الأخرى

(٥) الأشقر الدم ، والمزبد الهوى علاه الزبد . (٦) يسكى يؤلم ويوجع .

(٧) الأحبة من قتل أو أسر من رهطه — راجع سيره بن هشام ج ٣ من ١٧ — ١٩ .

الروى كما ترى ، وكان حساس في فنه هوذا يستوحى طمعه القوى ، وموقفه المتصر ،  
ويده الصحيح .

- ٢ -

ولما أصيب أصحاب بدر من الشركين فرع كعب بن الأشرف اليهودي  
لقل أشرف العرب وملوك الناس ، ولخوفه على مكانة قومه سذب ، وثى مكة  
ونزل على عهد المطلب من أذى وداعة السهمي ، وجعل يُحرّص على الرسول ويشد  
الأشعار ويبكي أصحاب ( الأقياب ) من قرش الذين أصيبوا بدر ، فقال من  
قصيدة : -

طعنت راحي بدر هلك أهله	ولمثل بدر نستهل وتدفع <sup>(١)</sup>
فقلت مראה الناس حول جياضهم	لا تيمدوا إن الملوك تُصرع <sup>(٢)</sup>
كم قد أصيب به من أبصر ما جدد	ذي بهتة نرى إليه الصيغ
طلق اليدين إذا الكواكب أحلت	حال أقال بسود ويرتع
تبدت أن الحارث بن هشامهم	في الناس سي الصالحات ويجمع
ليروز ( بنزب ) بالخوع وإعما	يحي على الحسب الكريم الأروع

فان ابن إسحاق . فأحابه حساس من نالت الأنصارى قتل : -

أبكي ليكم ثم هل يقيرة	مه ، وعاش مُعدّعا لا يستع <sup>(٣)</sup>
واتعد رأيت سطر بدر منهم	قتل تسخ طب الميوس وتدفع
فانكي هذا أنكيت عدداً واحداً	شبه الكلب إلى الكلب سنع
ولقد شفي الرحمن مناسيداً	وأهان فـوماً فأتلوه وضرعوا

(٢) مראה الناس : جياضهم .

(١) نستهل : نسير بالقبول .

(٣) مدح : مقصود الألف .

ونحنا وأهنت منهم من قلبه شفت يظل الخوف تصدع<sup>(١)</sup>  
 تنصن آيات كعب كساء على الفتى ، ونحر بصاً للاحباء أن قدوة المدة  
 من المهاجرين والأصهار ، فكان انقص سحرية به ، وثمة دلفتي ، وهجاء  
 للعروس ، ونحما بالرسول وهناك ماقتة أخرى بين كعب هذا وبين امرأ دوية  
 تدعى ميمونة بنت عبد الله بكر صحتها أهل العلم بالشعر<sup>(٢)</sup> .

- ٣ -

وكانت عروة (أحد)<sup>(٣)</sup> انتصاراً قريش ، واشتدوا لسانهم ولا سي هذا  
 بنت عتبة ، وفيها مثلت قريش حمزة عم النبي ، وقال أبو سفيان يدكر صبره في  
 في ذلك اليوم ومما أن شعوب إياه على حطبه من أنى عامر حتى قبه أن شعوب ،  
 من آيات : -

ولو شئتُ لحنى كعبت طيرة <sup>(٤)</sup>	ولم أحمل المعاء لابن شعوب <sup>(٥)</sup>
وما راب نهري حرّ الكلب منهم <sup>(٦)</sup>	لئن غدوة حتى دنت لغروب <sup>(٧)</sup>
وسلى الذي قد كان في الدهس اتى	قتلت من النجار كل نجيب <sup>(٨)</sup>
ومن هشم قوماً كبريتاً ونعصاً	وكان لدى الميحاء غير هيوب <sup>(٩)</sup>
ووأنى لم أشعر نسي منهم <sup>(١٠)</sup>	لكانت شجاً في القلب ذات دُوب <sup>(١١)</sup>
فأبوا وقد أودى الجلايب منهم <sup>(١٢)</sup>	سهم حذت من معطى وكثيب <sup>(١٣)</sup>

(١) شعوب - تحرق منقوب ، (٢) سير ابن هشام ج ٤ ص ٥٧ .  
 (٣) المرجع السابق ص ٦٤ وما واليه . (٤) طيرة - حربة - حربة الرطب .  
 (٥) مرجع السكك - حروب - عبد لغروب أى الشمس ، (٦) البطار وعط حسان  
 من المذروح (٧) لغرم الفحل الكرم من الأبي - يريد حمزة والميحاء - المرحبا .  
 (٨) الشجاء المزدى ، الدوب آثار الخروح  
 (٩) خلافت المظنون أودى حلك - الحديبة الضمن سائر الذهب الذى يبيل دمه .

أَصْدَهُمْ مَنْ يَكُنْ لِمَعْلَمِهِمْ كَيْفَهُمْ وَلَا فِي حَقِّهِمْ نَصْرِيْبٌ<sup>(١)</sup>

فَأُحَايَاهُ حَيَّانٌ مِنْ ثَمَاتٍ ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ هَاشِمٍ ، فَقَالَ : -

دَكَرْتُ الْقُرُومَ الْعَبِيدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَتَ لِرُؤُوسِ قَتْلِهِ بِمُصِيبٍ<sup>(٢)</sup>

ثُمَّ حَبَّبُ أَنْ أَقْصَدْتُ حِمْرَةَ بِهِمْ حَيًّا . وَقَدْ تَمَيَّضَ بِحَبِيبٍ<sup>(٣)</sup>

أَلَمْ يَقْلُوا نَحْرًا وَعُتْبَةً وَابْنَهُ وَشِئَةً وَالْجُدَّاجَ وَأَبْنِ حَسْبِ

غَدَاةٍ دَعَا الْعَصَى عَلِيًّا فَرَاغَهُ مَصْرَةً نَعَصِبُ نَبَّهُ بِمُصِيبٍ<sup>(٤)</sup>

ادعى أبو سفيان أنه كان يتطعم الفرار وعدم احتمال مئة ابن شعوب ولكنه

نبت ، وكان قريبا من لعدو طول اليوم ، وقد انتقم من بني هاشم ، ومن المخرج ،

وغير المسلمين سهر بمنهم وعلة الدس له . فرد عليه حسان بأن حمزة لم يمت هدرا

وإنما قتل به في بدر عتبة قريش . وقال ابن شعوب يذكر بده عدائي سفيان فيادفع

عنه فقال : -

وَوَلَا دَفَاعِي يَا مَنْ حَرَّبَ وَمَشَقَّنِي لِأَلْفَيْتَ يَوْمَ الْعَفْرِ غَيْرُ مُجِيبٍ<sup>(٥)</sup>

وَلَوْلَا تَكَرَّرِي الْمَهْرَ بِالْعَفْرِ قَرَقَرْتُ صِيَاغُ عَلَيْهِ أَوْضْرَاهُ كَلِيبٍ<sup>(٦)</sup>

وقال الحارث بن هشام يحيب أبا سفيان لأنه ظن أنه عرض به في قوله :

« وَمَا رَأَى مُهْرِي مَزْحَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ » . لفرار الحارث يوم بدر .

حريصهم يوماً مدر كثره على سائح ذي فيعة وشيب<sup>(٧)</sup>

(١) أصروا الشبيه ، والمطلة المصاة الربعة - رابع البيت ج ٣ من ٨

(٢) الصيد : جمع أسد وهو ملك ومن رجع رأسه كذا .

(٣) أقصدت : أصبت . (٤) العصب : السيف الناطع ، عصفت : دم .

(٥) العف : أسفل الحبل .

(٦) قرقرت : أسرعت ذكته صراره : ملوه . كلب : كلاب

(٧) حريصهم : حقه . سائح : سب .

لدى صحن مدر أو أمتت بوائحا عليك ، ولم تحمل مُصاب حبيب  
 وإنك لو عانت ما كان منهم لأنت بعصب ما بقيت حبيب<sup>(١)</sup>  
 وقد ذكرنا قلا ما كان بين هديت عمة وهديت أخته من صدقة  
 رجزية في هذا اليوم .

وكثرت المفاضة بالشعر في أعقاب (أحد)<sup>(٢)</sup> بدافع الفخر والاشتد من  
 جانب قریش ، ثم الماهضة ، وذكر مدر ، والمهحاء من جانب المدينة ، و  
 نُشير إلى رهوس النقائص هنا ونترك للقارىء الاستيعاب من المراجع ، من ذلك  
 قصيدة هيرة بن أبي وهب الخرومي من المشرکین يقول فيها :

ما بال هم عميد مات بطرقى بالوذ من هديت يد بعدو عوديه<sup>(٣)</sup>  
 ماتت نعماني همد وتعدلتى والحرب قد شعلت عني مواليه  
 سقار كمانه من أطراف دى يمين عرض البلاد على ما كان يرجيه<sup>(٤)</sup>  
 قالت كمانه : أئى تدهون ما ؟ قلنا : السحيل ، فثورها وتمن فيها<sup>(٥)</sup>  
 نحن الفوارس يوم الحرب من أحد هابت ممدت فقسا : نحن نأبها<sup>(٦)</sup>  
 هابوا ضرابا وطمعاً صادقاً خذتما مما يرون ، وقد صممت قواصيه<sup>(٧)</sup>  
 ثمت رُحبا كأتا عارض ترد وقام هام نبي السحار سكيها<sup>(٨)</sup>  
 فاجابه حنان بن ثابت فقال : -

سقم كمانه حبل من سفاهيتكم إلى الرسول فحند الله مخزيبا

(١) حبيب : فرخ (٢) راجع ص ٥٥ أس هشام - ٢ من ٦٤ .

(٣) عميد : موضح ، عواد : شواغل (٤) عرس البلاد : سعتها

(٥) السحيل : عين قرب المدينة (٦) الحفر : أصل الحيل .

(٧) حديم : قطع اللحم سرياً . (٨) العارس : السحاب ، وورد : الذى فيه ورد ،

والهام : جمع هامة وهى نضائر الذى ترعى العرب أنه غريم من رأس أقيين .

أوردناها جياصاً لموتٍ صاحبة      فإلّا موعدها والقتلُ لاقبها<sup>(١)</sup>  
 جمّعناها أحايلاً بلا حَبٍّ      أئمة الكفر، عزّكم طواعيها<sup>(٢)</sup>  
 ألا اعسرتكم غير الله إذ قلتُ      أهل القلب ومن نصيته لها<sup>(٣)</sup>  
 كم من أسير فككاهُ بلا فني      وحرّ ناصية كثر موالينا<sup>(٤)</sup>

كان هـ رائع الفجر، قوى الأسلوب، معتزاً بشبهة (أحد)، ثم ذكر  
 كناية وما شاركهم في هذا اليوم، فردّ عليه حسان أن سعة حظهم في سوق  
 كناية عن مصدرهم، وسوء آخرتها، وذلك إلى صحة أصلا، ثم ذكر مصارع  
 فريش بدر، وسراهم، وما أومئوا به من الذل والصغار.

وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد من قصيدة : —

يا غرابَ الذين أجمعتَ قُتلَ      إنما تنطقُ شيئاً قد قيلَ  
 بن الحبير وللشتر ممدى      وكلا ذلك واحة وقيل<sup>(٥)</sup>  
 ألبنا حسان عى آفة      ضربن الشعر يشقي ذا العُمل<sup>(٦)</sup>  
 كم نرى ما تلخر من حُمم في      وأكف قد أيرثت ويرحل<sup>(٧)</sup>  
 كم قبل من صكر يم يتبدل      ما جد الخدين مقدام تطل  
 غسل المهراس من ساكنه      بين أقداف دماء كاتحل<sup>(٨)</sup>  
 ليت أشياحي سعد شهدوا      حراغ الحرج من وقع الأسل<sup>(٩)</sup>

(١) صاحبة : هـ الفجر . (٢) موعدها : موعدها .  
 (٣) أهل القلب : أهل القلب . (٤) موالينا : موالينا .  
 (٥) أئمة الكفر : أئمة الكفر . (٦) ضربن الشعر : ضربن الشعر .  
 (٧) وأكف قد أيرثت ويرحل : وأكف قد أيرثت ويرحل .  
 (٨) بين أقداف دماء كاتحل : بين أقداف دماء كاتحل .  
 (٩) حراغ الحرج من وقع الأسل : حراغ الحرج من وقع الأسل .

فأجابه حارس من نانت فصل من قصيده .

ذهبت يأس لربى وقصة<sup>(١)</sup> كل من الفصل فيها لو نُعِدَتْ  
ولقد يتم ويكسبكم<sup>(٢)</sup> وكذلك الحرب أحياناً دُول  
صع الأسيف في أكافكم<sup>(٣)</sup> حيث هوى عملاً بعد سهل  
إد تَوَاتَوْا على أعقابكم<sup>(٤)</sup> هُرْنَا في الشعب أشد الرسل<sup>(٥)</sup>  
يد شدة ما شدة صدفة<sup>(٦)</sup> فأجانباً لم إلى سمع الحب<sup>(٧)</sup>  
وعملوا يوم بدر والنقى طائر الله وتصدق الرسل  
وتركنا في عرش عورة<sup>(٨)</sup> يوم تدر وأحدث المثل

كانت المناقصة بين بدر وأحد : يقف ابن الربيعي في أحد مفتحراً مشفقاً  
متحدناً يدكر آثار قريش في السفين ، وحمل المهراس إزاء القايص ، ونمى لـ  
شهد البدر يوم من سرعى قريش ما حل بالخروج في أحد . فسلط حسان في  
مناقضته مسلك المواربة أول الأمر فذكر بدرأ إزاء أحد ، وحمل الحرب سجالاً ،  
ثم وصف آثار المسلمين في قريش يوم بدر ثانياً ، وراد عد ذكر اعتزاز المسلمين بالدين  
وطاعة الله ورسوله .

وقال عمرو بن العاص في يوم أحد قبل أن يسل : -

عرجوا من القيد عليهم كأن<sup>(٩)</sup> مع الصبح من رصوى الخيلك اسطق<sup>(١٠)</sup>  
تمت بنو التجار جهلاً لقائنا<sup>(١١)</sup> لمدى حبيب سلع ، ولأمانى تصدق<sup>(١٢)</sup>  
فما دعهم بالشر إلا فبجاعة<sup>(١٣)</sup> كرايس حين في الأرقعة تترق<sup>(١٤)</sup>

(١) الرسل : إلى الرسالة متبينة (٢) وأجانباً لم : أحياناً لم

(٣) القيد : رصوى : الخيل تدعى فيه صرائق ، تطوق ، لحرم

(٤) سلع : اسم جنس (٥) كرايس : حسان بن عمرو ، نوح



زادوا كعب يسبحو قداما      ودون القباب اليوم صرب تحرق  
 وكانت قداما أومس قداما رى      إدارامها قوم أيسجوا وحيمو  
 كان رموس الخرحيس عدوه      وأيمانهم بالشرقية روى<sup>(١)</sup>

فجده كعب من مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال —

ألا أياها رهرا على ناي دارها      وعدم من عما ابوة تصدق<sup>(٢)</sup>  
 بأن عداة لسبح من على يثرب      صرما ، ورايات السبية تحقق  
 صرما لم ولعصرما سحبة      إذ حارت الأراة سمو ورتق<sup>(٣)</sup>  
 على عادة تسبح حراب صرما      وقديما يدى المبات بحرى فسبق  
 لما عتومة لا شطع ، بمودها      نبي أنى باحق عت مصدق  
 الأهل أنى أعب رهرا من مالك      مقطع أطراف وهام منق<sup>(٤)</sup>

كان عمرو بن معاص قوي غمرا لأنه يفتد على انصار قومه وطيرهم في هذا  
 لبوه قصور حروجه الرائع ، وسفاهة بني البخاري تسمى لقائهم ، وحوش  
 قر يش المراضة السامة ، وعمر الملحين دون النصر      وكان بعض كعب من مالك  
 بصور الصبر في أحد ، ويدكر عادة الأنصار في السق ، وبعتر دارسول وثمانه  
 العاصاة ملك مسلكي النوحية والنوارنة

(١) يروي دما له أنسول سه الحل

(٢) صرما أملا قرس

(٣) الأراة ، القام ، روى : تصح وسد

(٤) أعباء ، مثال ما احدث معها ، والقام برموس      راجع إلى ص ٣٠٠

٤ -

وما أراد بنو النضير من اليهود العذر بالرسول سنة أربع هجرية أحلام إلى حمير<sup>(١)</sup> ومنهم من سار إلى الشام فكان من أشرفهم الذين ساروا معهم بنو حيدر سلام بن أبي العقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحنين بن حطب ، وما زلنا نرى دلائلهم أهلها ، وقد سمور الشعر هذا الحادث وما لانه تصور رأ حساً شبر منه إلى ما متصل موضوعاً ، فان رحل من المسلمين - قيل هو علي بن أبي طالب - في هذا الإجماع من قصيدة :

عرفتُ ومن مثلي يُعرف	وأبقتُ حقاً ولم أصدِفْ
عن أسكك المحكم اللاء من	لدى الله دى أرامة الأرافِ
رسائل تُدرَسُ في المؤمنين	هـنَّ مصلى أحمد مصلى
فيأبهنَّ الموءودة سفاهاً	ولم يأت حوزاً ولم ينفِ
أستمرَّ تدهونَ أدنى العذابِ	وما آمِنُ الله كالأحوفِ
وأنْ تُصرَّعوا نحب أسيافه	كصرع كبر أبي الأسرى
وأحيى نصير إلى عربة	وكانوا يدار ذوى رُحرفِ
إلى أدريعاتٍ رُدائي وهم	على كل ذى دَرٍ أعقب <sup>(٢)</sup>
فأجابه سمك اليهودى قتل :	

إن صحرُوا فهو تحرُّ لكم	عقل كبر أبي الأشرِفِ
عداء غنوتهم على حقيق	ولم يأت غـدراً ولم يُخيفِ

(١) راجع سورة ص ٣٠ ص ١٩٩

(٢) أدريعات - موضع ناشاء ، دَرٍ - حرج - أعقب - حمل هرب

فصل الليالي وصرفه الدهور      يدين من الناس نصير<sup>(١)</sup>  
 نفس النصير وأحلافها      وعمر الحين وفي قطب  
 فإن لا أمت ناكم بانق      وكل حاتم معاً مرهف  
 يكف كمي به يحسى      متى تلق قسراً به سلف  
 مع القوم صحر واتساعه      يا عور القوة لم تصعب<sup>(٢)</sup>  
 كلبش بنرج حنى عيله      أجي عاية هاصر أحرف<sup>(٣)</sup>

نصبت الكلمة الأولى اعتراضاً بالإسلام والرسول ، ووعيداً لليهود وتهديداً  
 وإشارة إلى مصرع كعب بن الأشرف كما سبق ، وإلى إحلال بني النصير إلى حير  
 والشام . وكان النقص مصححاً عند القديسين كعب ، وبنطار هزيمة المسلمين بما  
 سكلوا بني النصير ، وتهديدهم بالنار ومعهم قريش مكة . فالله في مقابلة سيادية ،  
 تتركز من الحاسين حول العذر والعدوان والفرص ، وفيه روح الدين .  
 وهالك ماقصة أخرى حول هذا اليوم . بين كعب بن مالك الأنصاري وسيف  
 اليهودي تصور بوضوح موقف الفريقين الدني والمسيحي ، ونسب روح الإسلام  
 واليهودية ، وما كان بينهما من جدل صوره القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>

والشيء لطريف أن تقوم معركة شعرية من نوع الماقصة بين شعر العرب  
 حول بني النصير من اليهود ، وهي معركة تدل على مكانة كانت لليهود بين  
 القبائل العربية من عدنان واليمن ، وعلى المستوى المدني والاقتصادي الذي طفر  
 به بنو النصير إذ ذات من ثراء ، وسومة غيش ، وجمال حلق . هذا من جهة ، ومن

(١) يريد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) صحر هو أبو سفيان بن حرب .

(٣) ترج حمل بالحجر ، وليس أجه الأسد : هاصر . يكسر ويرس : أحرف .

(٤) سورة البقرة من ٢١٧ إلى ٢٢٩ .

بحية أخرى تدل على تثبت المصير لديهم ، واعتزازهم برسولهم ، ومن الطريف  
أيضاً أن تقي شعير من بني سليم بن قيس عيلان مع اليهود ، وأن يكون الأعداء  
على اليهود وهذه المسألة رواها ابن هشام في "النسبة" (١) . قال عيسى بن مرداس  
السامي يمدح رجلاً من النصارى

وَأَنْتَ أَهْلُ الدَّرِّ لِمَا صَدَعُوا	رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ تَنْهَى وَمَلَّتْ
فِيكَ تَمَرِي هَلْ أَرَاكَ طَعَانًا	تَلْسِكُ عَلَى رُكْنِ السَّطَةِ مَمِيحًا (٢)
عَيْنِينَ عَيْنٍ مِنْ طَاءِ تَنَاقُلَةٍ	أَوَابِسُ بَصِيرٍ طَلِيمٍ لِحَرْبٍ (٣)
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً	لَهُ وَجْهٌ وَهُوَ كَالدَّيْرِ : مَرَحَبٌ
وَأَهْلًا ، فَلَا مَوْعَ خَيْرٍ طَلَبَتْهُ	وَلَا أَنْتَ تَخْتِي عَدُوَّ أَنْ تَوَاتَبَتْ
فَلَا تَحْسِبْنِي كَتَمُولِي ابْنَ يَشْكُمِ	تَلَايَهُ وَلَا مَوْلَى حَتَّى تُنْخَطَبَ (٤)

يقوم المدح على حماس القوم ، وثرانهم ، وزهرهم ، وكرمهم ، وسطوتهم على  
أعدائهم شديداً ، وحسرة لادعة ، يذهب بها الحياة بذهب بني النصارى . فأجابه  
عزات بن جبير ، نحو بني عمرو بن عوف ، فقال :

تَشْكِي عَنِ قَلِي يَهُودَ وَقَدْ تَرَى	مَنْ انْشَجِرَ بَوْتُكَ أَحَدٌ وَأَقْرَبَا
هَذَا عَلَى مَقَالِي سَطَنٍ أَرْبَقِي	بَكَيْتَ وَلَمْ تَعْمَلْ مِنَ الشَّجْوِ مَسْجَبًا (٥)
ذَا السُّلْمِ دَارَتْ فِي صَدِيقٍ رَدَدْنَاهَا	وَفِي الدِّينِ حَذْلًا دَا وَفِي الْحَرْبِ تَعْلَبَا
عَدَدَتْ إِلَى قَدْرِ تَقْوَمِكَ تَنْفَى	لَهُمْ شَبَهًا كَيْمَا تَمُوزُ وَتَقْلَبُ
فِيكَ أَنْ كَلِمَتُ تَعْدَحَا	إِنْ كَانَ عَيْنًا مَدَحُهُ وَتَكْذُوبُ

(١) ٣٠٠ من ٣١١ وما بعدها من نسخة النسخ .

(٢) نسخة ويأتى به من (٣) نسخة مك ، ص . مدخل : مدخل .

(٤) رجلا من أعلام اليهود . (٥) أربى هو صعد ، المس . النسبة : النسبة .

رحلت زامر كنت أهلاً شامياً      وقد نفع فيهم فإلّا لك فرحاً  
 فيلاً إلى قوم مُسوّك مدحتهم      ستوا من العبر التّوا من نصيب (١)  
 إلى معشر صددوا ملوكاً وكرّموا      وقد نفع فيهم حتّى أعرف بحدا  
 أوّلك أخرى من يهود يندحج      تراهم وفيهم عزم العبد ربّ (٢)  
 ويقوم انقصر على إسكار كاه اليهود دون الأثارب ، وعلى سوء خلق امر  
 مرداس ، وعلى تعيره مدح بني الصير ، وسكده فيما ادعى لهم من كرم ، ودعوه  
 إلى مدح من هم أهل للشأن من الأعداء مفصلين .

فأما عيسى بن مرداس السلمي      ولما ركن قد أسلم - فقال -  
 هجوت صريح الكاهنين وفيكم      لهم يعمّ كانت من الدهر حرج (٣)  
 أوّلك أخرى لو نكيت عليهم      وقومك ، لو أدو من الحق وحب  
 من الشكر ، إن الشكر خير منعة      وأوفق فيلاني كان نصيب  
 فكنت كمن أسي يُقطع رأسه      تبغ عراً كان فيه مرگ  
 منك بني هارون وادكر قتلهم      وقتلهم لاجوع إذ كنت نجدياً (٤)  
 أخوات أدبر الدمع بالدمع وانكمهم      وأعرض عن المكروه منهم ونك  
 عليك لو لاقيتهم في ديارهم      لأؤيب عما قد تقول نفسك  
 سراع إلى العليا ، زكراًم لدى الوغى      فيقال يدعى خير أهلاً ومرحاً  
 كنت الإحانة إسكار عيسى أن يهجو حوات اليهود ، ويحدد أماديهم ،  
 وإثبات استحقاقهم البصائر عليهم من الأنصار فذلك هو الحق ، وتجدد (٥)

(٢) زمت : باب

(١) التّوا من القديم ، تنوا : جدود كالام

(٢) كاهان : ملان : يهود النصارى

(٣) زعم الكاهان أنهما من مل هارون عليه السلام .

لورارهم في ديارهم عبر رأيه ، وألهم اتحاد كرام عليها تكذب ، وهجاء ، وخر  
ورد عام لمعاني .

وسكن كعب بن مالك اخ رجلى — أبو عبد الله بن رواحة — يرد على  
عباس بن مرداس فيقول :

أمرى لقد حكت رضى الحرب بعدما أطارت لؤى قبل شرقاً ومغرباً<sup>(١)</sup>  
نقيصة آل الكاهنين وعمرها هاد دليلاً ما كان أعلها  
فطاح سلام وابن سمية حده وقيد دليلاً للمهاجرين أخطها  
وأجلبت بيني العرب والفتل يبنى جلاف يديرو ما حى حين أخطها  
كتار لك سهل الأرض ، والحزن هم وشأس وعزال ، وقد صلياً بها  
وعوف بن سلمى وابن عوف كلالها وقد كسدا في الناس كدى وأصعباً<sup>(٢)</sup>  
فبمد وسحقاً للصير ومنها وما عينا عن ذلك فيمن نقيصة  
وكعب بن ريس لقوم حان وحينا وإن أعقب فتح أو إن الله أعقبا<sup>(٣)</sup>  
فالخرب دعت قريش ، وأدت الصير ، وأهلك رجلاًهم ، وهم قوم  
مشثمون معويون .

والواقع أن الحد بين الإسلام وليهودية كان فوفاً عريضاً منه لقرا  
السكريم ، والشعر العربي ، ودل هو من وجه على ما بقيت الدعوة الإسلامية من  
عت اليهود ، وعتارهم أحسابهم ، وثقاتهم ، وحضارتهم ، وميراثهم الاجتماعية  
حتى عمت الإسلام وأدال منها لنفسه آخر الأمر .

(١) ذى من مروج دوس (٢) أ كدى : م معجى في معناه .  
(٣) أعقب : ما نصر عليهم

فإذا وصل إلى ( مدر الآخرة )<sup>(١)</sup> وقد رجع أوسيس فلم يتقدم لهء المسلمين .  
قال حسان من ثامت في ذلك من أبيات :

دَعُوا فَتَحَابِ الشَّيْءِ قَدْ حَانَ دُومُهَا      جِلَادٌ كَأَفْوَاوِ الْخَضِرِ الْأَوَارِكِ<sup>(٢)</sup>  
نَاسِي رِجَالٌ هَاحِرُوا مَحْوِ رَسْمِهِ      وَأَنْصَارُهُ حَقًّا وَأَيْدِي أَمْلَانِكِ  
إِذَا سَمَكْتُ لِقَعُورٍ مِنْ بَطْنِ عَاجِجٍ      قَقُولًا هُا : نَيْسَ الطَّرِيقُ هُمَالِكِ<sup>(٣)</sup>  
أَفْسَا عَلَى الرِّسِّ الدَّرُوعِ ثَمَانِيًّا      بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَارِكِ<sup>(٤)</sup>  
بِكَلِّ كُمَيْتِ حَوْرُهُ نَصْفُ حَلْقَةٍ      وَفَبِ طَوَالٍ مُشْرِهَاتِ الْخَوَارِكِ<sup>(٥)</sup>  
فَأَبْلَغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً      فَبَانِكَ مِنْ غَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ<sup>(٦)</sup>  
فَأَحَابَهُ أَوْسَعِيَانِ مِنْ أَحَارِثٍ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَقَالِ مِنْ أَيْتِ :

أَحْسَنُ بَانَ آ كَلْفِ الْعَمَا      وَحَمْدُكَ عَمَلِ الْخُرُوقِ كَذَلِكَ<sup>(٧)</sup>  
أَقْتَى عَلَى الرِّسِّ الدَّرُوعِ قَرِيدًا      وَتَرَكْنَا فِي الْعَمَلِ عَمْدَ الْمَدَارِكِ<sup>(٨)</sup>  
عَلَى الزَّرْعِ نَشَى حَكِيلًا وَرَكَئِيًّا      فَأَوَضْتُ الْعَصْفَقَةَ بِالْمَدَكَاكِ<sup>(٩)</sup>  
أَفْسَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ      مَحْرَدِ الْحِيَادِ وَالْمَطَى الرَّوَالِكِ<sup>(١٠)</sup>  
حَسَنُ جِلَادٍ لِقَوْمٍ عَمْدَ قَبَائِهِمْ      كَأَحَدِكُمْ نَالَعِينَ رَطَالِ آلِكَ<sup>(١١)</sup>

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) اللغات لهذه الحاربة ، انما هو الإبل الخواري ، الأوارك التي رعى أراك

(٣) القور انما هو من الأرض ، عالج مكانه رجل كثير .

(٤) الرس الدرع ، الدروع القوية الماء ، الأرعى انما هو السكت

(٥) حوره وسيفه ، فب صولته الحياء ، الخوارك أعالي الكنعين

(٦) الصعاليك القوياء . (٧) النبال

(٨) المدرك الأماكن القريبة . (٩) الموكك للرجال الاسنة

(١٠) سلع وفارح حلقن - الرويتمك المسرعة . (١١) لأنك انصدم

فلا تمت الخيل الجيدة وقل لها على نحو قول للعصم المتأسست<sup>(١)</sup>  
 — مدتها وعمرهم كان أهلها هوارس من أسد يهر بن مالك<sup>(٢)</sup>  
 فامت لا في هجرة إن ذكرتها ولا خرمات الدين أمت<sup>(٣)</sup> سامت<sup>(٤)</sup>  
 تحدى حسان أما سعيان بن حرب وقرشاً قدومهم لموعده بدر ، وأثبت عجزهم  
 وأثبت إقامه الرسول مع المسلمين ثمانية لعل قرشاً بعد فلم تفعل ، ووصف حش  
 مسمين ومحمداً حماسياً ، وعرج على رعيم قريش فرماه بالصعلسكة ، وكان أسلوب  
 حسان رائعاً ، قوياً حقاً ، ومحاضرة منه الثالث ، فلما تصدى أبو سفيان بن الحارث  
 شخص أبنائه ، مدول حسان وقومه فتى عنهم الخدواته لقريش ولعبه يريد لها جرين  
 وذلك نظير هجائه أبي سفيان وقرشاً ، ثم وضع حماسة بارزاً ، حماسة حزين وصف حش  
 قريش ، وإقامه بين سلح وفارع ، وسحر من الأنصار ودرامهم بأسمهم قيون أهل بحيل  
 وتمر ، فكان النقص قوياً أيضاً .

وكانت عروة (الحدق) متصلة بعروة بن قريظة ، وذلك أن مرأ من ليهود  
 منهم سلام بن أبي الحقيق المصري ، وخشي بن أخطب المصري ، وكسانة بن  
 أبي الحقيق المصري ، وهودة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي و نفر من بني  
 اسير ونفر من بني وائل — وهم الذين حاربوا الأحرار على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم — خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعواهم إلى حرب رسول الله  
 وقالوا : يا سكون معكم عليه ، وأن ديبكم خير من ديه ، فشطت قريش لحرب  
 محمد وأحد هؤلاء نفر من يهود يدعون غطفان إلى حرب الرسول ، حتى أنوا  
 المدينة بعد حفر الحدق ، ثم أتى حبي بن أخطب المصري كعب بن أسد القرطبي

(٢) يهر بن مالك قريش .

(١) لعصم المتأسست بالتقوية .

(٣) التأسست للتح معالي ديه .



خُذْهُ عَلَى عَهْدٍ فَرِيقَةً مَعَ الرَّسُولِ . فَمِنْ فَرِيقِ الْمَدِينِ مِنْ أَمْرِ الْخُنُوقِ عَرُوبُ  
بَنِي فَرِيقَةٍ فِي حَبَرِ طَوْلٍ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ كَانَ صِرَارٌ مِنَ الْخُطْبِ مِنْ مَرَارِيسِ الْفَهْرِ مِنْ  
لِشْرِكِينَ فِي يَوْمِ الْخُنُوقِ مِنْ قَصِيدَةٍ : —

وَمُسْتَقِيمَةً تَنْصُرُ بَنِي الطُّلُوقِ	وَمَعْدُ قَدْ عَرِثَتْهُ خُطُوبُ <sup>(٢)</sup>
كَأَنَّ رُهَانَهَا أُحْدِثَ إِذَا مَا	بَدَّتْ أَرْكَانُهُ لِلْمَاطَرِ مَطَرُ <sup>(٣)</sup>
تَرَى الْأَبْدَانِ فِيهَا مُسَبَّغَاتٍ	عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينِ <sup>(٤)</sup>
وَجُرْدًا كَالْفِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ	تُؤَمُّ بِهَا الْقَوَاةَ الْخَطَائِبِ
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَلُّوا وَصَلُّوا	سَابَّ الْخُنُوقِ مَصَادِيقُ
وَأَحْجَرُهُمْ شَهْرًا كَرِيمًا	وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَ <sup>(٥)</sup>
نُراوِحُهُمْ وَنَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ	عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدْعِيهِ
فَدَلَا خُنُوقٌ كَانُوا لَدَيْهِ	لَقَرْنَا عَلَيْهِمْ أَحْمِيْنَا
فَإِنْ نَزَحَلْ فَيَانَا قَدْ تَرَكَ	لَدَى أَيْتَانِكُمْ مَعْدًا رَهِيْنَا <sup>(٦)</sup>
وَسَوْفَ نَزُودُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ	كَأَنَّ دُرَّةَ كَمْ مَسَاوِيرِ دِيَا

فَاجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَسَائِلُهُ نَسَائِلُ مَا قَبِينَا	وَلَوْ شَهِدَتْ رَأْسُنَا صَابِرِينَا
صَبْرُنَا لَا تَرَى قَهْرَ عِدْلَا	عَلَى مَا نَانَا مُتَوَكِّلِ
وَكَانَ لَنَا اللَّيْلُ <sup>(١)</sup> وَزَيْرُ صَدَقِ	فَ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَحْمِيْنَا
نَعَالُ مَعْتَرَأَ عَالَمُوا وَعَقُوا	وَكَانُوا بِالْمَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا

(١) رَاجِعُ السِّبْغَةِ ٣٠ مِ ٢٢٤ — ٢٢٦ .  
(٢) عَرِثَتْهُ : شَدِيدَتْ .  
(٣) مَطَرُ : مَطَرٌ عَدِيدٌ . (٤) الْأَطْلَالُ : الْمَرْبُوعُ ، . سَابَّ : كَادَ . (٥) الْقَاهِرَةُ .  
(٦) أَحْمَرًا : حَصِيرًا . كَرِيمًا : كَرِيمًا . كَامِلًا .  
(٧) مَعْدًا : مَعْدًا . مَصَادِيقُ : مَصَادِيقُ .

تَرَامَا فِي مَصَافِي سَاعَاتٍ      كَعُذْرَانِ لَدَى مُسْرِيبَا<sup>(١)</sup>  
 سَابَ الْحَدَقَيْنِ كَأَن أَشَدَّ      شَوَاكِكُهُنَّ يَحْمِيْنِ الْقَرْمَا  
 نَسَمَرَ أَحَدًا وَاللَّهِ حَتَّى      نَكُونُ عِدَّةَ صَدَقٍ مُّحَاصِلَا  
 وَيَعْلَمُ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا      وَأَحْزَابُ أَتَوْا مَحْرَبَا  
 إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ      وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِيَا  
 فَإِذَا قَتَلُوا مُعَذَّأ سَعَا      فَإِنَّ اللَّهَ حَيْرَ الْقَادِرِيَا  
 سَيُدْخِلُهُ حَيَاتٍ طَيِّبَاتٍ      نَكُونُ مُقَامَةً لِلصَّاحِبِيَا  
 كَأَن رَدَّكُمْ فَلَا شَرِيكَ      نَعْيُظْكُمْ حَرَالَا حَائِبَا<sup>(٢)</sup>

وبثقف عدد هاتين لقيصتين لوصوح أسرها إلا أنها تلاحظ أن الشبهة  
 كلها تطم أي القرآن في سورة الأحزاب وبخاصة آخرها .

وفي يوم (الأنذار) نجد فائض ثلاثاً جرة لمد الله بن الرئى من ناحية  
 وحسن من ثبات وكس من ملك من ناحية<sup>(٣)</sup> ولا يسع المهام لإيرادها جميعاً ،  
 فلنشر إليها وكفى ، قال ابن الربرى في فضيضة :

حَتَّى الدِّبَارِ نَحْمَا مَعَارِفَ رَسْمِيَا      طَوَّلُ الْبَيْتِ وَتَرَاوَحَ الْأَحْقَابِ<sup>(٤)</sup>  
 فَكُنَّا نَاكِبَةَ الْيَهُودِ رُسُومَهَا      إِلَّا السَّكِيْفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْلَابِ<sup>(٥)</sup>  
 فَاتْرَكَ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِشْقِي      وَتَحَسَّلَ حَقُّ الْفَقَامِ بَابِ<sup>(٦)</sup>  
 وَاشْكُرْ بِلَاءَ مَعَاثِيرِ وَاشْكُرْهُمْ      سَارُوا نَاحِيَةً مِنَ الْأَنْصَابِ<sup>(٧)</sup>

(١) مصافى : دروخ وسعة ، لئلا التسم من الأرم .

(٢) أهل القوم القهرمون ، راجع السرد ح ٢٦ ص ٢٦

(٣) سرد ابن هشام ح ٣ ص ٢٦٨ ، (٤) الأحقاب الدهور

(٥) السكيفة ، الحطيرة ، والأطلاب ، الحلال التي تشد بها اعاء .

(٦) باب : حذر . (٧) الأنصاب حجارة مع بها الدم .

حتى إذا وردوا للذببة وارتدوا      نفوت كل مجرب قصاب<sup>(١)</sup>  
شهرًا وعشرًا فاهرب محمدًا      ومعهاته في الحرب حذر صحاب  
فأجابه حسان من قصيدة :

هل رسم دابة المقام يتب      فسكتم للمحاور عواب  
قدح الدمار ودكر كفن حريفة      يصاء آسة اخذت كعب<sup>(٢)</sup>  
وانت أعموم بن الإله وما ترى      من تعثر ظفوا الرسول عصاب  
حتى إذا وردوا للذبة وارتدوا      قتل الرسول وتعم الأسلاب  
وعذوا عليا فادرين بأيدهم      رثوا خبيطهم على الأعصاب  
فكفى الإله المؤمن قتالهم      وأناسهم في الأحر حير ثواب

كان حسان بن ثابت يضم آيات الأحراب في عذر قصيدته ، وهو جاهل  
في مطلعها وقد أجابه كعب بن مالك أيضاً فقال من قصيدة حماسية عامة بعد ما شق  
نفسه فقرأ :

ومواعظ من رسا تهدي بها      بلسان أرهر طيب الأنواب<sup>(٣)</sup>  
هرضت علينا فاشتبهنا دكرها      من بعد ما غرصت على الأحراب  
حيكما يراها المحرمون رعمهم      خرحا ويعهبها ذور الألباب  
جاءت سحينة كي تعاليت دها      فبعثتني معالي أعلان<sup>(٤)</sup>

(١) عزم : سيف حرب . قصاب : فطير .

(٢) المرسة لمراء الماعة . كعب : الذي عهد تعيها أول ما يهد .

(٣) أرهر : أسى .

(٤) سحينة لقب قريش في المعاملة لما كان ظفر الحجة ( هم يظفح مع ) يريد

أنها منتصب على أمرها أمام قدره الله تعالى

وهذه الآيات هي التي كانت متصلة بالموضوع ، و " كثر القصد فخر عام  
و بصوير لقوة قومه ، وحيوشهم ، وعتادهم ، وعتابهم في الحروب .

وهذه المقاص تصور روحين : جاهلي وإسلامي من حيث المعنى والعبارة  
ولسكنها ذات "ملوك حرك قوي بصور معركة حامية قامت على قوه عفيفة المسلمين،  
ومثل الأحراب فيما حاولوا .

وقد قال حسان بن ثابت في نبي قرظنة :

تدبأ قد تمشى بهروا فريثاً وليس لهم سديتهم نصير<sup>(١)</sup>  
هم أوتوا الكتب نصيحه وهم نعي من التوراة نور<sup>(٢)</sup>  
كعزيم بالقرآن وقد أبينهم تصديق الذي قال النذير  
مها على سراقه بنى لوى حريق بالسيورة مستطير<sup>(٣)</sup>  
رماهم بالفرقة دعا عليهم ، وأنهم لا يصير لهم في يثرب ، وأنهم صيغوا  
كهمهم ، وكعزوا بالقرآن مع الإشارة إليه في الزور ، وأنهم حقيقون بما حل  
بهم من عقاب ، فآخذه أبو سفيان من الخارت ، فقال :

دام الله ذلك من صيغ وحرق في طرائقها السدير  
سعلم أيسا منها يرمي وتعل أي أرضنا نصير<sup>(٤)</sup>  
لو كان التحيل بها ركائز لعالوا لا مقام لكم فيروا

يذكر على حسان اعتباره لعقاب قرظنة ، ويلمح إلى أن ذلك لا يصير  
قريشاً وإنما يصير الأنصار .

(١) يور : صلال أو هلكي .

(٢) تعافدوا بعد صيغ بصا

(٣) البره للعد : نصير . نصير .

(٤) سرة : أحرار . التورية موصه في قرظنة

وَحَامَهُ حَسْبُ يَوْمِ حَوَالِ التَّعْلِي أَنْصَا وَبَكِي النَّصِيرُ وَقَرْيَطَةُ ، فَضَال .  
 أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَادٍ نَبَا لَقِيتَ قَرْيَطَةَ وَالنَّصِيرُ  
 لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَادٍ عِدَاةٌ تَحَمَّلُوا هُوَ النَّصِيرُ  
 وَبَدَّلَتْ الْمَوَالِي مِنْ خَصِيرٍ أَسِيدًا ، وَاللِّدَوَاتِرُ قَدْ بَدُورُ  
 وَأَفْخَرَتْ ابْنُ بُوَيْرَةَ مِنْ سَلَامٍ وَسَعِيَّةٌ وَابْنُ أَحْطَبٍ مَعَى بُورُ  
 وَقَدْ كَانُوا سَلْدَتَهُمْ يَتَقَالَا كَمَا هَلَّتْ بِمَيْطَانَ الصُّحُورِ<sup>(١)</sup>  
 فَإِنَّ يَهْلِيكَ أَوْ حَكَمَ سَلَامٌ مَلَا رَثُّ السَّلَاحِ وَلَا دَثُورُ  
 وَكُلُّ الْكَاهِنِينَ وَكَانَ فِيهِمْ مَعَ الْبَيْنِ الْخَضَارِمَةُ الصُّفُورُ<sup>(٢)</sup>  
 وَحَدَّثَنَا الْمَحْدَّ قَدْ نَبَّهُوا عَلَيْهِ مَحْدٍ لَا تُنْصِيهِ الْبُدُورُ  
 أَقِيمُوا بِأَسْرَافَةِ الْأَوْسِ فِيهَا كَأْسُكُمْ مِنَ الْخَمْرِ عَوْرُ  
 تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَقُودُ

بِكِي صَرَعِي قَوْمَهُ ، وَبَدَكَرَ أَعْيَاسَهُمْ ، وَبَشِيدَ بِمَعْدِهِمْ ، وَيَنْصِي عَلَى الْأَوْسِ  
 ثُمَّ دَلَّهُمْ عَنْ حِمَايَةِ حَبْرَاهُمْ الْأَوَّلِينَ مِنْ يَهُودَ ، وَاسْتَكَاثَهُمْ لِلْحَزْرَجِ وَقَرْيَشِ .  
 وَنَبَا كَانَ أَمْرُ ( الْحُدَيْبِيَّةِ ) وَمَا أَغْضَاهَا مِنْ هَدْمَةِ بَيْنِ الرُّسُولِ وَأَهْلِ مَكَّةَ ،  
 كَانَتْ حَادِثَةً أُنَى نَصِيرُ عُنْتَهُ مِنْ أَسِيدٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَدَلَّتْ أَنَّ طَلَّتْ قَرْيَشُ  
 رَدَّهُ إِلَيْهِمْ فَشَارَ عَلَيْهِ الرُّسُولُ أَنْ مَطْلُقَ إِلَى قَوْمِهِ فَمَطْلُقَ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ  
 أَنْ نَوَى وَمَوْلَى لَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ مَدَى الْحَلِيفَةِ قَتَلَ أَبُو نَصِيرٍ الْمَامِرِيَّ ، فَهَامَ  
 سُهَيْلٌ مِنَ عَمْرِو بْنِطَبِ بْنِهِ ، فَصَبَّهَ أَبُو سَفْيَانَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَرْقَبٌ مِنْ رِيَّاحِ  
 أَنْوَأَ تَيْسَ ، حَنِيْفٌ بَنِي زُهْرَةَ ، أَوْ هُوَ أَشْعَرِي : .

(١) مَيْطَانٌ حِلٌّ مَدِينَةٌ . (٢) الْكَاهِنَانِ حَيَاةُ الْمَصَارِمَةِ الْأَحْمَدُ الْكُرْمَاءُ —  
 وَبَدَعَ نَسْرَهُ = ٣ مِنْ ١٥١ طَلْعُ الْخَلْقِ .

أُتَانِي عَنْ سَهِيلٍ ذُرَّةَ قَبُولٍ      فَأَيْقُظُنِي ، وَمَا بِي مِنْ رُؤُودٍ<sup>(١)</sup>  
 فِيهِ تَكُنُ الْعَيْنَاتُ تُرِيدُ مَنِي      هَاتِي نِي فَأَيْتِيكَ مِنْ بَعْدِي  
 تُؤَعِدُنِي وَعِنْدُ مَنَافَةِ حَوْلِي      بِمَحْرُومٍ ، أَلْهَعًا ، مَن تَعَادِي  
 فَإِنْ تَعِيرُ قَبَانِي لَا تَحْدُنِي      ضَعِيفَ الْعُودِي الْكَرْبَ اشْدَادِي  
 أَسْمَى الْأَكْرَمِينَ أَنَا يَقْوِي      إِذَا وَطِي الصَّعِيفَ هَمُّ أَرَادِي<sup>(٢)</sup>  
 هُمْ مَسْعُورَا الظَّاهِرِ عَيْرَ شَكِّ      إِلَى حَيْثُ الْبَوَاطِنُ فَالْعَوَادِي<sup>(٣)</sup>  
 بِكُلِّ طَيْرَةٍ وَبِكُلِّ سَهْدٍ      سَوَاهِمٍ قَدْ طَوَّرْنَ مِنَ الْبَارَادِي<sup>(٤)</sup>  
 لَهُمْ بِالْحَيْفِ قَدْ عَلَتِ تَعَدُّ      رَوْنَقُ الْمُحْدِ رُفْعًا بِالْعِمَادِي<sup>(٥)</sup>

فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّرِيرِيُّ فَقَالَ :

وَأَسْمَى مَوْهَبٌ كَجِمَارِ سَوٍّ      أَجَارَ بِلَافٍ فِيهَا يُبَادِي  
 فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يَأْوِي      سَهِيلًا ، صَنْ سَعِيكَ مَن تَعَادِي  
 فَأَقْصِرْ يَا بَنَ أَقْبَنِ السَّوِّهِ      وَعَدُّ عَنْ الْقِتَالَةِ فِي الْبِلَادِي  
 وَلَا تَذْكُرْ عَنَابَ أَبِي يَزِيدَ      فَهِيَ هَاتِ الْبَحُورُ مِنْ ائْتِمَادِي<sup>(٦)</sup>

والأمر أن المناقصة ههنا داخلية بين رهطين من قريش بمكة لأن القبل التحا  
 إلى المدينة أحبراً متوافقة قريش . فبقى الأمر بين عامر بن نؤي وسائر قريش ،  
 فأما أبو أبيس فأسكر طلب سهيل ووعيده ، وتهذذه ، وخر عليه فابرى له  
 عبد الله الزريري فبهجاه وبله عن سهيل

(١) ذرة حرفة (٢) أراي أراي (٣) الصوامع ما عدا من مكة والواحد  
 ما انعمس منها والعبادي حرات الأود (٤) الطفرة العرس للوناة والهد الفسط  
 سواهم - عواس - طوير - صمون - (٥) الحلف موضع عني - (٦) الشاه الماء القليل  
 راجع سيره ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩

وفي عروة ( حبر ) حرج مَرَحَبُ اليهودى من حصنهم ، قد جمع سلاحه ،  
برنجر وهو يقول :

قد عمتْ خَيْرُ أَى مَرَحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ نَهْلُ مَحَرَّبُ  
أَطْلَسَ أَحْيَانًا وَحْيَا أَمْرِبُ إِذَا الْبَيْوْثُ أَقْبَتْ مَحَرَّبُ<sup>(١)</sup>  
إِنْ رِجَالِي تَلَجَّتْ لَا يُقَرَّبُ

وهو يقول من ينزور ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد عمتْ حَيْرُ أَى كَعْبُ مُعْرِجُ الْقَمَى حَرَى صُلْبُ  
إِذَا شَتَّ الْحَرْبُ تَلَّتْ الْحَرْبُ مِى حُصْمٍ كَأَمِيقِ عَصْبُ  
مَطْلُوكُمْ حَتَّى يَدُلَّ الصَّحْبُ نَعْطَى الْخِرَاءُ أَوْ بِنَى التَّهْبُ  
يَكْفَى مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ نَحْبُ

## - ٦ -

وبعد بعث الرسول إلى ( مؤنة )<sup>(٢)</sup> أقام بالمدينة شهرين ، وأحدث لأصحاب  
تتبع معن مكة ، وذلك أنه كانت بين بنى بكر بن كنانة وخراعة بمكة دماء  
شعلهم عنها صهور الإسلام ، فلما كان صلح ( الحديبية )<sup>(٣)</sup> بين الرسول وقريش  
دخلت سو بكر في عقد قرين وعهدهم ، ودخلت خراعة في عقد الرسول وعهدهم ،  
ولكن بنى الدمال من بنى بكر اعتصموا الهدنة وأغاروا على خراعة وهم على الوتيرة  
مما هم بأهل مكة ، وحدث قرين بنى بكر بالسلاح وأسامهم حتى أدخلوا  
خراعة مكة فدخل بن دار بدليل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم فقال له رافع

(١) محراب : معناه رافع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١٧

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٠ (٣) معناه ج ٢ ص ٢١١

فقال الآخر دس نعط الدليل فيما كان بين كفة وخرافة في تلك الحروب :

الآهل أنى قصوى الأحايث أننا رددنا بنى كعب فوق ماضل<sup>(١)</sup>  
حبسناهم في درة الصيد رافع وعند بديل متحسباً غير طائف  
مدار الدليل الأحاد الصم بعدما شعنا النفوس بينهم مالماضل<sup>(٢)</sup>  
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ضحنا لهم من كل شعب يوايل<sup>(٣)</sup>  
نذرتهم ذبح الثيوس كأننا أسود سارى فيهم مالمواصل<sup>(٤)</sup>  
هم ظلمونا وعدوا في مسيرهم وكانوا لدى الأصاب أول قابيل  
صكتهم بالجرع إذا بطردونهم ماثور حقان ، العام الحوايل

فأجابه بديل بن أمّ الصرم الخراسي ، فقال :

تفاقد قوم يفخرون ولم تدع لهم سيّد يمدوهم غير يافيل<sup>(٥)</sup>  
أمن خيفة القوم الأولى ترددهم تحير الوتر حائفاً غير آثل<sup>(٦)</sup>  
وفي كل يوم نحن محو حياءنا لعقل ، ولا يحبى لب في الماقل<sup>(٧)</sup>  
ونحن مسبعا باللالة داركم بأسيافنا يسبق لوم الموايل<sup>(٨)</sup>  
ونحن معاً بين تيمر وعنود إلى حيف رصوى من حجر القنايل<sup>(٩)</sup>  
ويوم التميم قد تكفت ساعياً غيثن لحده تحلله حلاليل<sup>(١٠)</sup>

(١) الأحايث حلقه قريب مأثور ماضل . حائفاً

(٢) الماضل السيوف (٣) الشعب الطموش من حلفين أو من الحن الكبيرة .

(٤) القواصل الأسباب (٥) يمدوهم يحسمهم في القدى وهو الخسر .

(٦) آثل راحم . (٧) نحو : سطل ، والفعل الذبة .

(٨) اللالة إله أبي كنانة بالمحضر .

(٩) يمين من سائر كنانة وحمود ماء لهم ولحم ما يحمدر من الحن ورحوى حن بالديبه

(١٠) التميم بين مكة والمدنه ، ونسبكم حدد عن طريقة . الحلاليل السبد .



“نُأْجِرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمُّ سَهْلٍ خُصْمُوسِيهَا ، بَرُونَ أَنْ هُنَّ مُقَاتِلِي<sup>(١)</sup>  
كَذِبْتُمْ ، وَبَيْتَ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ قَلْبَيْكُمْ وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي كَلْبَلِيلٍ<sup>(٢)</sup>  
هذه المناقصة جاهلية من حيث أسلمها العبيدة ، وروحها الامعامية في احرم  
الكي ، وسكها اتصل بحوادث الإسلام ، وأنت في قصة فتح مكة فأوردنا  
هذا لذلك ، وكانت معاني الأحرار هريجة حراة ، وحسنهم ، والتكليل مهم طعهم .  
وكان بعض تدين بقل سادة كناية ، وسيادة حراة ، وطهرهم عليهم في  
اعروب ، حتى فرغت كناية واصطرفت شئونها ، فكان مواراة وسكديا  
وعلى أثر ذلك فرغت حراة إلى الرسول بالمدينة من عذر فرش وكناية ،  
فلم يكن إلا فتح مكة<sup>(٣)</sup> وفيه قال حسان قصيدته الشهيرة التي تعد من حبر شعره  
الإسلامي : —

عَفَتْ دَانُ الْأَصَابِعِ فَالْحَوَاهِ إِلَى عَمْدَرَاتٍ ، مَرَلَهَا حَلَاهُ<sup>(٤)</sup>  
وكان عمرو بن سالم الخراعي قدم على الرسول بالمدينة وذكر له نفس العهد  
ودعاه لفتح مكة ورحز حيد<sup>(٥)</sup> فقامت الفتح قال أنس بن ربيعة الدبلي يعتذر  
إلى الرسول مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخراعي من قصيدة :

أَأْتِ الَّذِي تُهْدِي مَقَدَّ مَأْمَرِهِ عَلَى اللَّهِ يَهْدِيهِمْ ، وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ  
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ بَاقٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَرَأَيْتَ وَأَوَى بِمَنْسَةِ مِنْ نُحْمَدٍ  
تَعْلَمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيداً مَكَثَ كَالْأَحْدَرِ مَا يَدِرُ  
تَعْلَمُ بَأَنَّ الرِّكْبَ رَكِبَ عُؤَيْمِرُ هُمُ السَّكَادُونَ الْحُمُوسُ كُلُّ مُوَعِدٍ

(١) أجزبت رمت بسرعة . الحُمُوسُ انغمروا ، يصف الفرع

(٢) اللال اختلاط الهم ووساوسة . سيرة ج ٤ ص ٣٤ .

(٣) سيرة ج ٤ ص ٣٩ . (٤) نغمة من ٦٤ . (٥) نغمة ج ٤ ص ٣٦ .

وَسَيُؤْتِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ كَمَا نَبَأَ الْأُنَبِيَاءَ  
سَيُؤْتِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ كَمَا نَبَأَ الْأُنَبِيَاءَ  
فَأَحْبَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ  
بِأَسْمَائِكَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ  
وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْوَحْيَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي  
سَمَّيْتَ بِهَا الْقُرْآنَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا  
الْجَنَّةَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْجَنَّةَ

لَكَ أَنْتَ زَرْنَا فَأَعْمَلْ بِالْكَ  
كَتَبْتَ لَهُ عَسَى إِنْ رُبِّ دَمَانِهَا  
أَصْلَابُهُمْ يَوْمَ الْخُلَادِمْ فَتَبَّ  
هَالِكٌ إِنْ تَفَجَّ دَمُوعُكَ لَا تُبَلِّغْ

وَمَا أَسْأَلُكَ إِلَّا بِأَسْمَائِكَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا  
الْجَنَّةَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْجَنَّةَ  
مَنْ كَذَبَ فَمَا أَدْعَى مِنْ نَقْصِ الْمَهْدِ وَهَذَا  
مَنْ كَذَبَ فَمَا أَدْعَى مِنْ نَقْصِ الْمَهْدِ وَهَذَا  
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ :

جَرَى اللَّهُ عَنَا مَذْجًا حَيْثُ أَصَحْتُ  
قَامُوا عَلَى أَقْصَانِيَا يَقِيمُونَهَا  
فَوَاللَّهِ لَوْلَا دِينَ آلِ مُحَمَّدٍ  
وَمَا ضَرَمَ إِلَّا يُبَيِّنُوا كَتَبَتِ  
فَإِنَّمَا يُبَيِّنُوا أَوْ يُشَوِّبُوا لِأَمْرِهِمْ  
فَأَحْبَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ  
بِأَسْمَائِكَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ  
وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْوَحْيَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي  
سَمَّيْتَ بِهَا الْقُرْآنَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا  
الْجَنَّةَ وَالْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْجَنَّةَ

دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ ظَاهِرًا

(١) مَوْالِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّيْتَ بِهَا الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ  
(٢) يَوْمَ الْخُلَادِمْ يَوْمَ حُسَيْنِهِ حِينَ عَمَّكَ  
(٣) أَقْصَانِيَا - مَوْالِي - (١) نَسَبُ طَرَفِ  
(٤) رَجُلٍ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ : حَاضِرُهُ - أَشْجَعَتْ بِحَقِّهِ -

وما دنا في عامر ، لا أنا نهم لأن منعت أحلامهم ثم صلت<sup>(١)</sup>

## ٧ -

وكان يوم (خبي) في أعقاب فتح مكة<sup>(٢)</sup> وقد أسلم عمار بن مرادس ،  
فقال في يوم حنين من أبيات : -

إني والسوايح يوم جمع وما ينلو الرسول من الكتب  
لقد أحببت ما قيت ثقيف بحسب الشعب أمس من العذاب  
م رأس العدو من أهل نجد فسلمهم الله من الشراب  
هزمتنا الجمع جمع بني قيس وحكت زكوا بني رباب<sup>(٣)</sup>  
وميزنا من هلال غادرهم ووطنس نغفر بالتراب<sup>(٤)</sup>  
بدي تلبي رسول الله فيهم كتيبت نقرص للسيراب  
فأجابه عطية بن عقيب الغنوي فقال : -

أفأخيرة رقاءة في خبي وعانس من راصمة اللجج<sup>(٥)</sup>  
فابت والمجد كدت برطير ليرثها وترعل في الإهاب<sup>(٦)</sup>  
بني عه عطية فخر حنين وبكديه في ادعائه

وقال أبو نوب ريد من صبحا أحد في سعد بن بكر من قيس عيلان بهجو  
قريشا في أعقاب حنين . -

الآن لك أن علت قريش هوأرن ، وخطوب هه شروط

(١) من ٧٠

(١) البقرة : ١٧٢

(٢) القرم حمة أيوب

(٣) بركا : سفتها

(٤) الوطنس الغارقة البركة من حرة مخطوط

(٥) اللجج : العير

وَكُنَّا يَا قُرَيْشُ ، إِذَا غَضَبْنَا      يَحْيَى ، مِنَ الْعِصَابِ دَمٌ عَيْطٌ <sup>(١)</sup>  
وَكُنَّا يَا قُرَيْشُ إِذَا غَضَبْنَا      كَأَنَّ أَوْفَا فِيهَا سَعُوطٌ <sup>(٢)</sup>  
فَانصَحْ ، نَسُوفًا قُرَيْشُ      حِيَاقُ الْعَيْرِ يَحْدُوهَا السَّيْطُ <sup>(٣)</sup>  
فَلَا أَنَا إِنْ سُلْتُ الْخَسْفَ آبُ      وَلَا أَنَا إِنْ أَلَيْنَ لَمْ نَشِيطُ <sup>(٤)</sup>  
سَدَقْلُ حَمْمٍ ، فِي كُلِّ فَحٍّ      وَوُسْكَبُ فِي مَسَامِعِهَا الْقَطَاوُطُ <sup>(٥)</sup>

فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من بني أسيد ، فقال : —

بَشْرَطِ اللَّهُ بَصْرَتِي مَن لَقِينَا      كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتَ مِنَ الشَّرُوطِ  
وَكُنَّا يَا هَوَارِءُ حِينَ نَلْقَى      نَبِيلُ الْهَامِ مِنْ عَلْقِ عَيْطٍ <sup>(٦)</sup>  
حَمِيمِكُمْ وَحَمِيمِ بَنِي قَيْسٍ      نَحْكُ الْبَرْكَ كَالْوَرَقِ الْخَيْطُ <sup>(٧)</sup>  
أَصْنَا مِنْ عَرَاتِكُمْ وَمِلْنَا      يَقْتُلُ فِي الْمَبَايِنِ وَالْخَلِيطُ <sup>(٨)</sup>  
بِهِ ( الْمَلْثَاتُ ) مُعْتَرِشٌ يَدِيهِ      يَمُجُّ الْوَتَّ كَالْبَكْرِ الدَّحِيطُ <sup>(٩)</sup>  
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلَانَ عِصَانًا      فَلَا يَنْفَكُ يَرْغَمُهُمْ سَعُوطِي

هذه حشرة قيس عيلان بصورها وأثرها ، فقد ذهب الإسلام سحوتها الجاهلية وحكم فيها قريشاً فلا تستطيع قيس عيلان الإفلات من هذا السطان الجديد فينقص عليه عبد الله بن وهب التميمي معابه ، فينت الإسلام سخطانه ، ويقابل المعاهر بمثلاً ، ويشمت قيس ويطوسها ، ووعدها بالإدلال الدائم

(١) عَيْطٌ : طوى . (٢) سَعُوطٌ : فتوى .

(٣) السَّيْطُ : الحية . (٤) الْخَسْفُ : الدل .

(٥) الْقَطَاوُطُ : الصكوك .

(٦) الْعَيْطُ : الدم . (٧) بَنُو قَيْسٍ : تميم ، الحبيط : المنهكة .

(٨) الْمَبَايِنُ : القرى النهرية والمخلفات في القتال . راجع "سيرة" ج ٤ ص ١١٨ .

(٩) الْمَلْثَاتُ : رجل . "السكر" لقي من "آليل" "الحصد" لدى "مرد" "المنس" في حوكة "فسمح" دويه

— ٨ —

وفي سنة تسع هجرية وردت الوفود على الرسول مسممة ، ذكر منها وجه  
تميم الذي حرق قومه ، فقال الزرقي بن مدركي ذلك . —

نحنُ السِّكرامُ فلا نحى يعلدنا      من الملوك وفيما نصت البيع<sup>(١)</sup>  
ولم نسرنا من الأحياء كلهم      عد النهم وصل اعز ندع<sup>(٢)</sup>  
و نحن ؛ نطعمُ عد القحطِ طعما      من الشواء إذا لم يؤنس القزع<sup>(٣)</sup>  
وما ترى الناس تأبوا سراهم<sup>(٤)</sup>      من كل أرض هويبة ثم مصطم<sup>(٥)</sup>  
فنتحر الكرم عبطا في أرومتنا      للنازلين ، إذا ما انزلوا شعوا<sup>(٦)</sup>  
فن يفاخرنا في ذلك معسره<sup>(٧)</sup>      ويرحم القوم والأحبار نستمع<sup>(٨)</sup>  
إذا أتينا ولا يأتي لنا أحد<sup>(٩)</sup>      إنا كذلك عد انقهر نر تفع

ادعى لقومه الكرم ، والحصل ، والرياسة ، والعصب ، والسطار ، فهم  
يطعمون عد الحبل ، ويفصلون على سراة الناس ، وتسرى ما ترم بين الأحياء ،  
ولا ترد لهم كلمة .

فأجابه حسان بن ثابت فعدل من قصيدة . —

إن الذوائب من رهير وإحوتهم      قد بيتوا مسنة للناس شبع<sup>(١٠)</sup>  
يرصى بها كل من كانت سريرته      تحوى الإله وكل الخير تصطم<sup>(١١)</sup>  
قوم إذا حاربوا صرخوا عدوهم<sup>(١٢)</sup>      أو حاربوا الفع في أشباعهم معوا<sup>(١٣)</sup>  
إن ما قوا الناس يوما فار سقمهم<sup>(١٤)</sup>      أو داروا أهل محمد بلدى معوا<sup>(١٥)</sup>

(١) البيع مواعع المداك . (٢) انزع الطاب الماطر . أى عند الخدمة والخدمة

(٣) حوى : راع .

(٤) الكرم النوق العطية النعم . عطى عليه . أروية أصل

(٥) الذوائب : ناحة . (٦) معوا : رادوا .

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفاوت الأهواء والشيع  
أهدى هم مدحتي قلب مؤازرته فيها أحب لسان حاث صنع  
بابهم أفضل لأحياء كلمهم — إن جدّ الناس جدّ القول أو شعروا<sup>(١)</sup>  
فرد حان عليه بما للرسول وقومه من معاصر الدين ، والشجاعة ، والخير ،  
وسبق الناس إلى الصفات ، ووجود الرسول فهم ، وأنهم خير الأحياء طراً ،  
فسلط سبيل الموارنة ، وفصل رهط الرسول ، وإن لم يسلك سبيل الهدى ،  
فالجامعة قامت بين الشاعرين على البحر لا غير

روى ابن همام أن الزرطاني من مدر لما قدم على الرسول وقد بنى تميم  
قام فقال :

أبانت كمي علم الناس فصل إذا احفظوا عند احصار امواسم<sup>(٢)</sup>  
يأتنا فروغ الناس في كل موطن وأن ليس في أرض الحجاز كدريم<sup>(٣)</sup>  
وأما نذود المعطين إذا اتخذوا ونضرب رأس الأصير لمندقم<sup>(٤)</sup>  
وأن لنا الرباع في كل غارة نسير ، سحر أو نارض الأعاجم<sup>(٥)</sup>  
فقام حسان بن ثابت فأجابه من قصيدة :

هل المحد لا الودد والندى وجاء الملوك واحسان اعطائهم  
صرما وآوينا النبي محمداً على أمير راص من مقد وزعم  
بحي تحريد أجهله ونراؤه بحاسة الجولان وسط الأعاجم<sup>(٦)</sup>  
وحس صرما الناس حتى تناهوا على ديه ، بأمرهفات الصوارم  
هي داريم لا محروا باب محرم يعود وبالا عد ذكر للمكارم

(١) - موهبة هارون - راجع إليه - ج ٢ ص ٢٠٨ (٢) - احفظوا عند احصار - حضور

(٣) - دريم من قبائل تميم

(٤) - المندوم الذين عمروا أعجم في مغرب خلافت حسانة - اتخذوا كجود - الأصم

الذكاء ، ولأعاجم شعاعهم - (٥) - الرباع ربح القصة (٦) - حرير - مبرد لمرته .

فإن كنتم حشتم خفن دِمَائكم وأموالكم أن تُقسَموا في سبائكم  
 فلا تحمئوا لله يداً وأسألوا ولا تلتسوا زُرّاً كرتي الأعاحم  
 يرى لزرقان فصل قومه على الناس ، وقوتهم القليلة ، ورأيستهم في  
 الحروب الداخلية والخارجية . فرد عليه حسان يعكس ما ادعى وأن قومه ، بصروا  
 الرسول على العرب ، وحملوا الناس على الإسلام ، وأن لا حق لدارم في غر ،  
 وعليهم أن يسلموا لينجوا من النكال . فكان صوت حسان قوياً غلاباً .

\*\*\*

ونكتفي بهذا القدر من النقائص الإسلامية بعد ما أشرنا إلى طرقها إجمالاً  
 تاركين للدراسة الخاصة تفصيل ما أجهلنا ، وتحليل ما أوردنا وقد رأيت أنها  
 دارت حول العروات ، وكانت شيئاً من الشعر الكثير الذي اسدعته هــ هذه  
 النهضة الإسلامية . وأما خواصها العامة فإننا نذكرها في الفصل التالي .

# الفصل الثالث

## في خواص النقائص الإسلامية الأولى

نحمل في هذا الفصل ما لخطاء مرفقاً في العصلين السابقين مما يشعصر لنا الطور الإسلامي الأول من أطوار النقائص الشرعية .

وقد لخطا فيما مضى أن هذا الفن الشرى ظهر عليه الإسلام وهو قائم مستقيم المنهج بين الشعراء ولا سيما بين الأوس والخرج في ( يثرب ) فاستغله الشعراء في سبيل هــده النهضة الحديدة التي غبرت من أوصاع الأمة العربية أولاً وانجحت انجهاً إيسياً ثانياً ، فصار الإسلام موصوعاً للنقائص مكان العصبيات القلبية في الجاهلية سابقاً وفي الدولة الأموية لاحقاً ، وإذا قلنا الإسلام فقد عيبنا الدين ، والدولة ، والنظام الاجتماعي ، والفتوح الإسلامية آخر الأمر

وكانت معاني النقائص كما رأيت جاهلة وإسلامية ، الأولى حين يحتبط الشعراء من المؤيدين والمعارضين بطمهم الأصيل والثانية حين يستمدون من الدعوة مادة جديدة ، وذلك طعى ما دامت الفترة فترة انتقال وتحول .

وكذلك الشأن في الأساليب فقد أصابها اختلاف أو اضطراب ما بين قوة جاهلية وسهولة أو هلهلة إسلامية خضوعاً للتجديد ، أو السرعة ، أو تغير الموصوع ومنجأته ، وقد ظهر ذلك عند حان خاصة فصعف شعره الإسلامي كما بينا ، وقد لاحظ ذلك حين توارى بين شعر الر رفاق بن بدر الجاهلي عام الوفود وشعر حسان ، أو بين شعر حان والخطيئة هذا الذي استمسك بجاهلية الأسلوب .



وتلاحظ بحسب ذلك أن موقف بعض الشعراء بعيد : كانوا مع قریش  
معارضين فلما أسلموا صبروا مع الرسول مؤبدين كعاصم بن مرداس وعمر بن العاص  
وأنى سميان وغيرهم ، كذلك كان اليهود على صلة حسنة مع قریش ، فلما ظهر  
الإسلام عادوا الرسول ، وحملهم سيوفهم المضطرب على مركب حشنة طردوا في  
سبيلها كل مطرد ووقف شعراؤهم مع قریش ينافسون الأنصار حيرتهم الأولين ،  
على أن شعراء الأوس والخزرج قد قصى الإسلام أو تسكن ما بينهم من خلاف  
ومناقضة وانحس شعراؤهم ولا سيما الخزرج إلى مكة يدفعونها عن المدينة . وهكذا  
كانت النقائص الإسلامية حادة أول الأمر في سبيل تكوين الأمة العربية ،  
وتعفيتها ، لتغير منها شعراً متحداً ، ودولة موحدة ، وشملت بذلك حياة الرسول  
منذ الهجرة إلى وفاته وإسلامه الأمر إلى حليفته الصديق أن يكر

والنقائص الإسلامية الأولى تمار بأنها كانت قصيرة العمر أو ضرورة وقتية  
شدتها المواجهة بين مكة والمدينة في ظل الإسلام ، فلما تعاضلت مكة والمدينة  
ودخلت العرب الدين أمة منحدنة لم تقه هناك مجال لهذه المناقضة فسكنت ، وأخذ  
أحفادهم يحاربون دواعيها الجاهلية ، ويشعلون العرب بالتمسك بالحرية ، ويذكرون  
بشأدها دفاعاً للأحفاد القديمة وحفاظاً للوثام بين المسلمين ، وذكروا البحر والفتاح ،  
وعزروا فيه الشعراء وحسبهم كما أسلفنا ، فلم تظهر المناقضة إلا حين استدعاها  
الحلاف السياسي بين علي ومعاوية .

على أن هذه النقائص لم تشتمل على عيش وجرح للأعراض ، وانتهاك  
للحرمان كالذي نراه زمن الأمويين فقيت في هذا الجانب مسابقة لهاها الجاهلية  
ولأن لم تحمل من عصيات قبلية حادة .

كذلك ، نجد هذه المناقض الاجتماعية إلا نادراً كالذي كان بين الخطبة

وصيغه ، وذلك لأن الحياة الإسلامية أُنكرت الشاحنة والتداعض وجمعت بأس  
العرب على غيرهم باستعمال الشعر حماسية في سبيل الدولة الإسلامية كما شرحتها ذلك  
في كتابنا ( تاريخ الشعر السياسي ) .

على أنك حين تدرس النقائص الإسلامية دراسة نقدية دقيقة نخذ في أبعادها  
وروعها ، ووجهاتها ، وصيغتها خواص تميزها من سواها  
وقد أشرنا إلى أهمها أثناء عرض النصوص والتمهيد لها .

أما الميراث الإسلامية الجديدة التي طغت النقائص طامعاً فنياً ممتاراً فإنها  
تتحلى في العهد الأموي ، وعدد طوائف النقائص الذين طمعوها دروتها في تاريخ  
الأدب العربي ، ورجو أن يلم بذلك أحرار الباب التالي

# الباب الثالث

النقائص في العصر الأموي

## الفصل الأول

عصر النقائص الأموية

- ١ -

حينما نتقدم إلى العصر الأموي لنسب الجوانب التي لا يست النقائص وكانت  
يثاث العامة ، ومقوماتها المتينة ، محدها جوانب شتى : سياسية واجتماعية واقتصادية  
وشخصية وفنية وغيرها .

ولناخذ في الإلمام بهذه الجوانب أو - على الأصح - بما كان منها متصلا  
بفن النقائص مؤثراً فيه تأثيراً مباشراً أو غير مباشر .

وربما كانت السياسة أول هذه المقومات وأهمها لها ، هي عسها من آثار  
واضحة ، ولأنها شديدة الأثر في العوامل الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والفنية ،  
فكانت أولى بالتقديم في الذكر .

هناك فرق واضح بين السياسة الإسلامية أيام بني أمية وبينها في عهد الرسول  
وحفائه الراشدين من وجوه كثيرة . والأصل العام في ذلك أن السياسة قبل عهد  
معاوية ، قامت على أسس ديموقراطية شورية قدر المستطاع ، ظهر ذلك في اختيار

احكاماً وفي سياستهم الرعية سياسة عادية حازمة لا تعصل حباً على آخر ولا طفقة على أخرى ، ولا متبير لأسره أو فرد ؛ فالناس أمام الدين سواء لا مذهب بينهم إلا بمقدار ما يتفاوتون في الأخذ بأصول الشريعة في العادات والمعاملات ، كان ذلك أيام الرسول وحدثاته الأولين وإن أحد الناس على غابر أموراً جلته في رأي بعضهم دون زملائه تخرجاً والتماماً لمثل الإسلامية العليا<sup>(١)</sup> معنى ذلك أن المقاييس السياسية كانت مرتبطة بالمقاييس الدينية والحقيقية لا تعصل عنها ولا تتخذ الدين وسيلة للعمليات السياسية العملية ، أو أن السياسة عندها كانت ظاهرة دينية وعصرية سيما من عصرية : الروحي والزماني ، لذلك أسكر الحنفاء التهجى الاجتماعي وعاقبوا شعراء الهجاء كما فعل عمر وعثمان<sup>(٢)</sup> فلم تستطع النقائص أن تعيد في ظل احكامه ارشدين وبقيت خامدة منذ الأيام الإسلامية الأولى ، حتى ظهرت بوادرها أيام المعركة السياسية بين علي ومعاوية<sup>(٣)</sup> في سبيل الحكومة الإسلامية كما بينا في غير هذا المقام . وكان الشاعر يعش ، هذه الفترة الأولى ، في سبيل الأمة العربية أو الدولة الإسلامية<sup>(٤)</sup> .

أما العهد الأموي فقد اختلفت فيه السياسة عن الدين بوجه عام ، وصار الأمر منكاً عسواً يهدف إلى عرض سياسي عملي يجب أن يتحقق وإن كان فيه جور على الدين ، وكان الدين إما وسيلة سياسة صالحة مقررّة كالقصاص<sup>(٥)</sup> وإما أن تلثم معها في بعض المواقف ، وإما أن يستكن معلوباً على أمره ؛ ذلك أن المقديس السياسية أو الزميه سيطرت على ملوك بني أمية فكابوا أصحاب عرش ديبوي همهم حفظ الملك في بيوتهم وإخضاع الرعية لسلطانهم مهما بضحوا في

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) الأعيان ج ٢ ص ١٨٥ والطبرى ج ٢ ق ٢ ص ٣١٢٤ .

(٣) راجع شرح شعرائنا للدكتور ١٢٦١ هـ . (٤) عيسى لرحم ص ٦٦ و ٦٨ .

(٥) حر الإسلام لأحمد أمين ص ١٨٧ .

سبيل ذلك سر أو أفراد أو شيع أو مواسق أو شعائر فكانوا رجال سياسة ملكية حاضرة ودرعة كسروية أو هرقلية ، وأصحاب ديا لا دين .

وقد سلكوا في سياستهم ملك الترغيب والترهيب ، فأحدوا المال وإغداقه على الأنصار والخصوم وسيلة نشئت عرشهم لا ينفيدون في ذلك بقوانين الشريعة وطام الصدقات فعدقوا على خصومهم تحفيفاً لأنفسهم ، وعلى أنصارهم استقاء لمعوتهم ، ووجدوا طائفة من الشعراء تؤيدهم وتشد يد كرمهم رغبة في العطاء أو رهبة من العقاب<sup>(١)</sup> أولئك هم شعراء الحرب الأموي وغيرهم من الفحول .

ولما كان لأبصار والمدنانيون حجازيين في سياستهم حول الأمويين بالشام أن يذهبوا إلى جانبهم ايمية فأبصر معاوية إلى كلب الحذيريين من اليمن بأن تزوج ميسون بنت بحدل الكلبي أم يزيد ابنه ، كما تزوج منهم قبل ذلك عمار سائلة بنت الفرافصة وبذلك حسن البيت لسفلى الأموي ومعونة الكلبيين فنصروه في ( مرج راهط ) على القيسية وكان عسان من مالئ من بحدل خال يريد طمع في الخلافة ولكنه أبصر عنها ، وكان من نتيجة هذه الخطوة الأولى مناقصة بين عمرو بن محلة الكلبي وورع بن الحارث الكلاني من رعاء قيس عيلان<sup>(٢)</sup> وأخرى بين رفر هذا وبين حواس من القطان الكلبي<sup>(٣)</sup> فكانت مناقصة بين قيس واليمن في سبيل السلطان الأموي .

ولما رلت قيس الحزيرة واعتصم دفر بقرقيسياء في أعقاب ( مزج راهط ) استمرت قيس تغير على كلب يرعاه فخير بن الغباب القيسي ومعونة تغلب انتقاماً لقتلى قيس يوم المرج ، ولكن العلاقات بين قيس وتغلب فدت لأسباب سياسية

(١) تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشاذلي ص ٣٠٤ ط ٩ .

(٢) خلاص حرر والأعطل ص ١٧ — ١٩ . (٣) نفس المرجع ص ٢٤ — ٢٦ .

واقتصاده وقامت سهماً ثم شيعه<sup>(١)</sup> كانت من النواصع التي وقفت الأحصن  
يتناقص جرير الأول مع قومه تغلب . والثاني مع قيس عيلان فكانت تقاوص  
جرير والأحطل ناريجاً لصله قيس وتغلب معاً ، ولصلتهما بالحكومة الأموية ،  
ولوقف هذين الشاعرين كل من الآخر ، وتصبراً لا تنصار الأحطل للفردق على  
جرير ودحو له بين شاعري تميم وقبيلتهما ، ولا سيما أن عبد الملك ابن مروان كان  
يؤثر الأحطل ويفضله على سائر الشعراء ، وَيَعُدُّهُ شاعر أمير المؤمنين لإشادته  
بفضل أمية ولوقف قومه معهم على قيس عيلان وإن كان موقفاً يعود في حقيقته  
إلى صوايح تغلب ومعتهم حتى إذا اصطالح الخيلان وتصلت القضية بعد الملك  
غضب الأحطل ، وتوعد الخليفة ، وحذره القيسية ، كل ذلك خشية أن تدل  
تغلب بنقده ، حماية المنصر أو أمام وحدة قيس وأمية<sup>(٢)</sup>

كذلك كانت الخان بالنسبة لجرير ولعززدق ؛ فعلى الرغم من أن المناقصة  
بينهما شأت قلبية ، محدداً قد تأثرت بالسياسة الأموية لموقف جرير في جانب  
قيس عيلان الزيرية ، فكانت تمثل المعارضة منذ انضمت إلى عبد الله بن الزبير  
ودعت إلى خلافة وقائمت الأمويين والتمس في مرج راهط تحت رايته<sup>(٣)</sup> فكان  
الفردق يحاصم قيس عيلان في سبيل تميم ويعين الأحطل عليها ، وكلاهما ساقص  
جريراً هذا الذي أخذ يعمر قيس عيلان<sup>(٤)</sup> وقد تمثلت هذه الظاهرة السياسية حين  
تصارعت العصيات القيسية والتميمية في مصر قتيبة بن مسلم الباهلي فوصف  
الفردق وجرير بالسياسة الأموية وحللاً لمسألة ظاهرة سياسية تتصل بسياسة سليمان  
ابن عبد الملك ، وقالوا في هذا الحادب تقيصين من أهم تقاوصهما<sup>(٥)</sup> وإن لم يسل  
الموقف مطلقاً من العصيات التميمية بين محاشع قوم الفردق وبين زير بوع رهط

(١) ديوان الأحطل ص ٢٦٢ (٢) عني المرجع ص ١٠ و ١٥ والأغاني ص ٨٦  
وقاوص جرير والفردق ص ٤٠٩ (٣) قاوص جرير والأحطل ص ١٥ - ١٢  
(٤) قاوص جرير والفردق ص ١٠٥ (٥) عني المرجع ص ٢٤٢ وما واصلها -

حرير ووكيع بن أبي سؤد قاتل فحمة ، ولم يبرأ كذلك من العصيات بين تميم وقيس عيلان أو بين تميم وقيس كما تنطق بذلك المناقصة نفسها .

وكان للنظر أن ينفذ الراعى التميمى الشعر مع جرير على الفرزدق مادام جرير يحطّب في حل قيس عيلان قوم الراعى كما أشار عليه بذلك جرير<sup>(١)</sup> ولكن السياسة مدحت في الأمر وألقت وفقاً ما بين الراعى وبين الفرزدق على جرير ، ذلك أن شرر مروان أحاط عدائكم أمه قيسية فعزل على أن يسم قيس عيلان إلى بني أمية واستطاع أن يسمي إلى الراعى الذى مورط وأعلن الفرزدق على جرير أولاً ما طلب إليه ذلك ، فصرعه جرير بقصيدته النائية المشهورة : —

أقننى الآوة عاذلٌ والصانا وقولى ، إن أصبت ، فقد أصابا<sup>(٢)</sup>

التي قصها الفرزدق بقصيدته : —

أما ابنُ العاصمين بنى تميم إذا ما أعظمُ الخدائنُ نائماً<sup>(٣)</sup>

ولسكن هذه المحالفة بين الفرزدق والراعى أو بين تميم وقيس عيلان قد تعقدت فيما بعد موت الراعى وأبام أنه جدل حين قُتل فحمة بن مسلم الباهلي فتدار شعراء القبيلين ثورة قصت على هذه الصلة الصاعية ، ووقف جدل هو ودوا الأهدام اجتمعى يبهحون الفرزدق كما يأتي ( النقائس ٩٠٩ ) .

وكان هوى دى الرئمة مع الفرزدق على جرير ، وذلك لما كان بين جرير وعمر بن لُجأ التميمى من خصومة ، وتيم وعدى ( قوم دى الرئمة ) أحوان من الرثاب ، فانتصر دوا الرمة لرهطه الأديين ، وهكذا أحدثت السياسة العامة مؤثر فى النقائس وتستغل العصبية فى هذه السيل كما يمر بك تفصيله قريباً .

(١) هائس جرير و الفرزدق ص ٢٢٨ (٢) نفس المرجع ص ٢٢٢ (٣) ص ١٨٦

وهناك جانب آخر من جوانب السياسة الأموية متصل بالتفانص ، هو جعلهم الملك وراثياً في بيتهم متوسلين إلى ذلك بولاية العهد في الأغلب ورس أدت إلى متاعب سياسية شتى ظهرت آثارها في التفانص وغيرها من اشعر السياسي<sup>(١)</sup> فقد أخذ معاوية الميعة ليريد انه وسهص له بذلك مسكين الدرعي الشعر ، ثم استخلف يزيد معاوية الثاني وكان داعية ذلك علي بن العدير العنوي<sup>(٢)</sup> ثم عهد مروان بن الحكم لاسيه عبد الملك ثم عهد العرير ، وعهد عبد الملك ولديه : الوليد ثم سليمان ، وما بولي الوليد من عبد الملك أراد حلع سليمان أحيه ليعهد إلى انه عهد لعرير وأعانه في ذلك حرير ، والحجاج النقي ، وقنبه من مسم ومحمد بن القاسم وإلى السد وكان لذلك أثره في التفانص ما يتم سليمان على هؤلاء ، واستطاع فرردق في الحجاج في مناقضه جريراً ما قتل قتلة ورماء بالعدر وانطحيان بعد موته ولم يحادل حرير ربيعة في هذه النقطة .

على أن بيئية قد اعتدوا بمواهبهم من الخلم ، والدهاء ، والحرم ، والدياء ، وحسن الإدارة ؛ فكان منهم دهاقين السياسة ورحاها العمليون ، وإن فصلوا بينها وبين الدين واتخذوا لها مقاييسها النعية فكانوا أشبه بظفرة في تاريخ الحكومة الإسلامية<sup>(٣)</sup> فقد رقوا هذا الملك منذ وفاة الرسول<sup>(٤)</sup> وصغوه صفة أموية من عهد عثمان ، واتخذوا مقننه ذريعة للحلقة<sup>(٥)</sup> وحاربوا علياً في سبيله ، وقتلوا الحسين حين نطلع إليها ، وصرخوا الكفة بالمحقيق ، وتعاصوا عن المديين ، واشتروا الصغار بالمال والمناصب ، واسباحوا المذمة ، وسكلوا باشيمة والحوارج ، فكانوا بذلك رجال ملك عصوص ، وقد صرورهم الأحطل أحسن تصوير في

(١) تاريخ اشعر السياسي لغزاف ص ١٨٢ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٦٣

(٢) هائل حرير والأحطل ص ٩ — ٥

(٣) أحمد الشاف تاريخ اشعر السياسي ص ٢٠١ (٢) من المرجع ص ١٥٥ .

(٤) ضيه ص ١١٢ و ١١٩



تقائه مع جرير<sup>(١)</sup> وعرف لهم هذه المواهب السياسية والشائكل النفسية ، كما ألم الفرزدق بها في نقائمه هو وحرير ، ولم ينس الأخطل خاصة ، وهو ناقص ، أن يحتج لى أمية وحقهم في الملك أكثر من مره فكان الحرب الأموى ذا أثر واضح في فن النقائص .

كذلك استعن الأمويون في سياستهم بخمسة من حبريولاء والقواد الذين كانوا هم سند قوباً ، وأبصاراً محلصين ، مكروالم في مشارق الأرض ومغاربها ، وسطوا سيطتهم بين الصين وفرسه ، وذكر منهم عمرو بن اعاص صاحب مصر ، ورياد بن أبي سعيدان الذي اسلخته معاوية وولاء الفرزدق فأحصاه لسطان الأمويين ، وعبيد الله بن رباد الذي قتل في عهده الحسين ، ومعييرة بن شعبة الذي ساعد في ابيقة ليريد بن معاوية ، وكان الخجاج لعبد الملك كرياد معاوية كما كان شرير مروان داعية الأمويين يؤلف حوهم القبائل والشعراء ، وذكر تناسة هؤلاء الخارت بن أبي ربيعة المحروم أبا عمر بن أبي ربيعة ، فقد تولى لبصرة لابن ابرير مرتين وهدم دارى حرير والفرزدق بها فاشاع هذا المجد ، الفاحش المقذع مصرحاً بالشكاية منه في القائص أيضاً<sup>(٢)</sup>

أما القواد فإنا نذكر منهم آل النهلب بن أبي حنيفة وقتبة بن مسلم ابهى ووكيع بن أبي سؤد البربوعى ، فأوثلك وعبرهم انصلا بالنقائص وغيرها من اشعر السياسى ومن الأمويين<sup>(٣)</sup> هذ زائنا الخجاج مهجواً في نقائص الفرزدق ، مدسجاً في شعر حرير والفرزدق والأخطل ، ورأينا بسر بن مروان يحمل سراقه النارق على هجاء جرير ويرسل إلى حرير بمره بالرد عليه ، وقد أشرنا إلى قبيصتى جرير

(١) نقائص حرير والأخطل من ١١٨ - ١٥٦

(٢) نقائص حرير والفرزدق من ٦٧٠ و ٦٨٣

(٣) راجع نقائص حرير والفرزدق من ٣٤٨ والآخى ج ٨ من ١٨ ودواول ج ١ من والفرزدق والأخطل .

والمعزوق ما قتل وكيع بن أبي سود اليربوعي حبيبة بن مسلم الساهلي نحر اسان وغير ذلك كثير تحده هذه دراسة النقائص متصلاً بالسياسة الأموية الداخلية والخارجية .

## — ٢ —

ولم تكن الحياة الاجتماعية في العصر الأموي دون الحياة السياسية تُرأى في موعيم النقائص ، وتكون عناصرها ، وتوجيه تياراتها ، وربما كانت أبعاداً أثرها وألحق مباشرة ، وتقتصر هنا أيضاً على أشد جوابها ملائمة لمن المناقصة . وقرئ ذلك أن الدولة الأموية كانت دولة عربية في صفتها العامة ، كانت قريبة العهد بالعداوة فلم تفرق في الحصاره انغارية أو الرومانية كما حدث أيام العباسيين وكان الثرف الأموي عربياً و جلسته على الرغم من تسرب شيء من السمات الأجنبية إليه ، همد أصل . وأصل آخر هو أن الأمويين لم ينسوا جاههم ، واهلى القديم ومكانتهم في قریش والعرب فأعادوها أرستقراطية أموية عربية مدممة ظهرت في الحلم ، والكرم ، والهدوء ، والعصب للحنس أمام النواى ، وللأسرة أمام العرب ، فكانت تقاليدهم ورسومهم عربية في الطعام والشراب واللباس مترفين أو معتدلين ، وفي ظلمهم كانت المعارف الإسلامية العربية هي الطامع الغالب على العقل الإسلامى<sup>(١)</sup> لذلك رأيا الحياة الاجتماعية في أقطار الدولة خاصة لهذا الطامع العربى الإسلامى . ويمكن تمثيل ذلك بالإشارة إلى معالم الحياة في العراق ، والحجاز ، والشام ، تلك الأقاليم التي كانت — وبخاصة أولها — أشد اتصالاً بمن النقائص الشرعية تاركين الاستقصاء إلى مراجعته<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع في ذلك فخر الإسلام لأحمد أمين .

(٢) لتدريج الناس ، وروح النقائص ، وتوزيع النقص الإسلامى ، ونهاية الأثر ،

كانت بلاد العراق مستقر الممارسة السياسية ، ومصدر لثورات والفن ،  
ومسح الفرق الدينية ، ومحل الحركة العلمية ، وفي أمصارها وبواديها عادت الحياة  
الجهلية بكثير من رسومها وأوضاعها ، فانظام القسلي واصح في تقيم الكوفة  
وابصرة<sup>(١)</sup> وعاشت القبائل في أقسامها وخططها بمنطقة بكياها الخاهلي  
وعصبات القديمة وقات (المرتد) عكاظ الإسلام جمع فيها القبائل حلقات  
نستمع إلى شذراتها بعثرون ويهجون وفي هذا الرصد أنشد بعض النفاض<sup>(٢)</sup>  
ومن كانت نير في أقطار الدولة يتبعها الرواة ، ويتدارسها النقاد ، ويعبر بها  
الأرهاب ، ونع ذلك أوصاحه هذه الحياة البدوية التي خضع لها تحول الشعراء  
ورجال النفاض من مداحرة ومناورة ومعاورة<sup>(٣)</sup> وشراة ونحل من شعائر الإسلام  
وزروع إلى لماضي على تعاوت بينهم في ذلك ؛ فقد كان الفرزدق شذم جاهلية  
ومداحرة وجريز أفتحهم ساهة ، وأحسهم إسلاماً ، والأخطال أحرص على  
عصاريته وتعليته ، ولم ذو الرمة السادية يصفها ويذهب عى وخرداء ، وكان  
الراعي كذلك يصف في شعره الغلاة بغير دليل ؛ فكان من بينهم لذت ، ولغيره ،  
مهضة النفاض وميرورثها وتامهم في فهم هذا شعراء آخرون أقل منهم مكانة  
وأدنى إلى انظام الإسلامى السديد .

وكان في العراق أحداث سياسية اجتماعية شتى ذات مظاهر في همد الفن  
الشعري أثرها إلى أصولها العامة مدحين ، وندكرها وقعة الخل ومصرع الزبير  
في أعقابها فقد اتخذ حرير مسة نخاشع رهط الفرزدق<sup>(٤)</sup> وكذلك مقتل الحسين ،  
وخروج الحنذر الثقفي ، ومهلك مصعب بن الزبير ، وطمين الحاج ، وما استمع  
ذلك من اضطراب اجتماعي . وجدل ديني ، أثرت المداومات وراة المناقصات .

(١) خروج الملكى فلاندى من ٢٨٤ و ٢٥٤ .

(٢) غامس حرير و فرزدق من ٤٣٩ (٣) من المرجع من ٤١١ و ٤٤١

(٤) نفس المرجع من ١٧٩

أما الحجاز فعلى الرغم من مكاته الدينية والعلمية<sup>(١)</sup> التي خلعت حرة على سبب العردق في الفائن جلالاً ووفاراً ما كان يعرفه ، والتي أخرجته طرياً حتى شمع به حرير<sup>(٢)</sup> فكانت به حنة أخرى عاشة مريحة فيها شراب ، وعاء ، وقيار ، وسب ، وتنادر وفكاهة عاتقات عليه الفتوح من ثروة ، وما فرغت فيه لسراة حياة اللهو ، وما جلب إليه من قيار وفن عذني حديد طري ، وفي المدينة سمع العردق قبة مع الأحوص عنه قطعة من القائن :

ألا حتى الديار بسعداً إلى أحب حب فاطمة الديار<sup>(٣)</sup>

إذا ما حلّ أهلك يا سني يدارة صلصل شحور مزار<sup>(٤)</sup>

أراد الصعسوس ليخربوني فهاجوا صدغ قلبي فاسطار

فقال العردق : ما أرق أشعاركم يا أهل الحجار وأملحها ! قال الأحوص : أو ما تدري من هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو ، والله حرير يهجوكم به . فقال : ويل لمن المرغة ! ما كان أحوجه مع عفاه إلى صلابه شعري ، وأحوصي مع شوائبي إلى رقة شعره !<sup>(٥)</sup>

والأبيت مطمع نقيصة حرير<sup>(٦)</sup> احتيرت عاء لرقنها ، وكان حرير مقدماً عند الحجازيين لرقه سبيه ، وسلاسة أسلوبه ، على الرغم من وروده في معرض المناقصة والتساب .

وللمصدر صلات أخرى بالفائن ، فريش كانت حكم جبرير والعردق ، ومثعر مكة كثيرة الورد في فائصهما ، وفي المدينة قيلت فائبة العردق التي نقضها حرير<sup>(٧)</sup> وإلى عبد الله بن الزبير بمكة فرت (الوار) روج العردق وقيل في ذلك شعر كثير<sup>(٨)</sup> .

(١) فائن جبرير والعردق من ٣٩٦ .

(٢) دارة صلصل لصور في كتاب بنجد .

(٣) فائن جبرير والعردق من ٢٤٩ .

(٤) الأعاني ٦ من ٣٢٤ والقائن من ٨ ٣ .

(٥) صدر الإسلام من ٢٠١ .

(٦) بعد موضع بنجد .

(٧) الأعاني ٨ من ١٢ .

(٨) المرجع الذي ٢ من ٥١٦ .

أما الشام فكانت مقر السلطان السياسي ، والحكومة الأموية ، وكانت دمشق حاضرة الخلافة ومقصد الشعراء وحج خاص بشئون قصائدهم في العراق أو الحجاز ويرحلون بها إلى حلفاء دمشق طلباً للمعطاء ، فكل الشعر يرد إلى الشام من خارجها ، ولعل عدوى بن الرثاء انعملي من كهلا هو الشاعر العدي الذي سكن دمشق فكان من حاضرة الشعراء لا من بادنتهم ، وقد لقيه جرير في حصرة أوليد بن عبد الملك وهم سبحاته لولا أن هذه الوليد . وسكك قال بعد قصيدته السببية المخترة التي منها :

أقصر فبت زاروا لن يفاحرها فرغ انيم وأصل غير معروف  
وذكر وفائع زار في اليمن ، ولم الناس أنه عام ، ولم يحبه الآخر شئاً<sup>(١)</sup> .  
وكانت بعض الفرائص منصبة بدمشق لما فيها من مدح الخطبة أو لاتصال سياسة الدولة وعلاقتها بالقائل ولا سيما اليمن ، وتغلب ، وفرس ، ونعيم . من ذلك رائية الأحضل في مدح عبد الملك وهما فيس وبي كليب بن بروج<sup>(٢)</sup> وميمية الفرزدق في مقتل قنسة بن مسلم التي بدأت في الندسة وانتهت إلى دمشق الشام ، وكانت دمشق ، من الناحية السياسية والإدارية العامة ، مشرفة على هذه الحركة الأدبية بين الفحول من الشعراء إحياء للمصنعات التي تفرق بين القائل وتشغلها عن السياسة لعليا للدولة الأموية كما شرحه بعد قليل . وهل نشر من مروان ، وهو والي الكوفة من قبل عبد الملك ، كان سفيراً الشام إلى العراق يجمع لشعراء ووقع بينهم أو يؤلف بينهم على جرير الذي يمثل المعارضة القيسية . هي أن جريراً حين ناقض الأخطل لم يس هواناً تصب وذلها ، ودعها ، مع محمد مضر ودواتهم ودينهم فاستمد من سلطان الشام بعض معانيه في إحدى القصائد إذ يقول للأخطل :

(١) الأعالي ج ٨ ص ٨٠ (٢) فرائص جرير والأخطل ص ١٢٨

إن الذي حرم الكارم حلياً جعل السوء والخلافة يسيراً  
 هل تملكون من الشاعر مَثَراً أو تشهدون مع الأدب أدباً<sup>(١)</sup>  
 مُصَرَّأى وأبو الملوك فهل لكم يا حُرَّزَ تغلب من أب كأيدي<sup>(٢)</sup>  
 هذا من عَمَى في دمشق خليمة لو شئت ساقكم إلى قطينا<sup>(٣)</sup>  
 ولما سمع عبد الملك بيت جرير الأخير قال : ما راد من المراجعة على أن حطى  
 شرطياً ! أما إنه لو قال :  
 لو شاء ساقكم إلى قطينا .  
 لستهم إليه كما قال<sup>(٤)</sup> .

وما كان الأخطى كثير التردد على التيم فلا بد أن بعض نقائصه أشياء  
 هناك في دمشق خاصة وتأثر بما كان يجري فيها من أحداث ، وما يتراءى من  
 مشاهد ، وما ظفر هو به من تجارب .

### - ٣ -

ولعل العصبية القلبية خاصة كانت ، في العصر الأموي ، أقوى أسباب  
 انقراض و بواعثها ، وأبعد مقوماتها تأثيراً في عناصرها ، فإنه على الرغم من أنها  
 كانت تعمل في ظل السياسة إلا أنها كانت أقوى العوامل المباشرة نشأتها ،  
 والمصدر الحبيب معانيها ، والشرسة التي حدثت مواقف شعرائها في هذه  
 المعركة الأدبية السيفة .

والأصل الأول لمعنى العصبية هو كلمة (عصب) جمعها أعصاب وهي أطباق  
 (حبال) المفصل التي تلتصم بينها وتشدّها ، وعصب رأسه شدة ، وعصب الشجرة

(١) الأدب كعمل وكلمة ، الأدب

(٢) الخزر جمع آخر صق المين ومن مصر مؤخرها .

(٣) القطين الخدم ، (٤) لإغاث ج ٥ ص ٦٠

بعضه عصياً صم ما تفرق منها تحلل ، والعصاة بين العشرة إلى الأربعين ، وفي حديث علي : « الأبدال بالشام ، والنجاء بتمصر ، والعصائب بالعراق » . أراد أن التجمع للحرب يكون بالعراق ، والتعصب من العصية وهي أن يدعو الرجل إلى نصره عصته والتألب معهم على من ينوئهم طلائع كدوا أو مطهين ، وقد تعصوا عليهم إذا تجمعوا ، والعصاة الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم . والعصية والعتص والجماعة والمدافعة ، وتعصنا له أو معه مصراة<sup>(١)</sup> .

« أنت ترى أن معنى هذه المادة المعوى بدأ حياً متصلاً بالأعصاب والعصائب والجماعات والأقارب ثم استحال معوياً متصلاً بالمواررة والجماعة والمدافعة والنصرة فاعصية انتهت قديماً إلى التحرب والانتصار للرهط أو القبيل انتصاراً حياً أو أدبياً على أساس القراءة الحقيقية أو الوصية .

وكانت العصية لازمة لأعراب الجاهلية لتكوين وحدات من الأمر والقبائل تحقيقاً للعدالة الداخلية والأمن الخارجي والسيادة في المواطن رجاء الطفر بمادة الحياة ، ولشرف ، وحماية القريب والجار مادامت الحياة البدوية مضطربة لا تنظمها وحدة شعية شاملة ، ولا ترأسها حكومة عامة تمرض الصم ، وتقر الأمن ، وتنفذ القانون ، وتتصرف للمطون ، فقامت حكومة القبيلة مكان حكومة الأمة ، وصارت القبيلة للبدوى عملة القوة للحصري<sup>(٢)</sup> .

وعلى أساس العصية القبلية قبل الإسلام قامت الأيام بين القبائل وفي ظلها نشأت استقنص الجاهلية ونمت كما يبادلك في لباب الأول من هذا الكتاب .  
فما جاء الإسلام شريعة إنسانية عامة أنكر هذه العصية الجاهلية ودعا إلى

(١) راجع لسان العرب مادة عصص .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ج ٤ ص ١٠ - ٣٠ ، ومفكر الإسلام ص ١٥ وسحق الإسلام

ج ٩ ص ١٧ ، وتاريخ الشعر العربي ص ٣ - ٢٨

والدخى العام بين الناس جميعاً لا فرق بين الاحساس والقبول ، وإنما المؤمنون إخوة  
وكان أنصر الرسول من غير قومه قريش ، وسهولاء الأنصار من الأوس والخزرج  
يثر اعتر ، وعلى قبيلة انصر حتى فتح عبيهم مكة ، وأحد مدة حياته بمكر  
حياة الجاهلية ، وتبعه حلماؤه السابقون في ذلك ، ولو طان العهد برسول  
وأبى بكر وعمر خاصة لاستطاعوا أن يكسروا حدة هذه العصية الخفاء وأن  
يخففوا الحرب والمسلمين وحدة شرية أعدائهم وأطول عهداً على أقل تقدير .

ولكن هذه الحية الجاهلية بقيت ، مع الأسف الشديد ، ولم يستطع الإسلام  
اتقاء عليها بعد كثرة الحرب فتوشت حياتهم الإسلامية ، وصعدت وحدتهم  
السياسية والاجتماعية ، وإن أثمرت لنا فيما بعد من النقائص .

في حياة الرسول لم تحمل المارك الحربية والشعرية بين مكة والمدينة من  
لعصية ، وفي غزوة بني المصطلق كسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار  
فكان بينهما قتل تداعت على أثره عشارها دعوة جاهلية فأكرها الرسول ،  
فقال عبد الله بن أبي بن سلول « نئن رجساً إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعر منها  
الأدل » (١) .

ولما توفي الرسول ظهرت عصية المهاجرين والأنصار .  
ولما ولي عثمان الخلافة رأت فيها الأسرة الأموية استعادة جاتها القديم  
فحركت في الأسرة الهاشمية مكائدها القديمة والحديثة ، ولم تقتل عثمان حتى  
سمعت الأموية والهاشمية عن وجهها واعتزكتا إلى أن استقر الملك في بيت  
الأمويين .

وَرَفَعَهُمْ مَا كَانَ فِي عَهْدِ الْأُمَوِيِّينَ مِنْ عَصِيَّاتٍ مُتَصِلَةٍ مِنَ النِّقَائِصِ بِحَسَنِ



أن يعود قتيلاً إلى الجاهلية للاحظ أن العرب كانوا في ذلك العهد حين كبرين :  
 قحطان وعذس أو النيس والنماليين ولكل عصبه أمام الآخر ، وبين القبائل  
 النحسية عصياتهم وكذلك القبائل العدنانية ، وكانت قريش ذات منزلة ممتازة  
 بين القبائل العدنانية ، ولها عصيتها العامة ، وكان في داخل قريش بطون  
 متنافسة <sup>(١)</sup> لكل عزته واعتزازه حتى جاء الإسلام وقد بورت عثرها  
 وطائفها الدينية والبدنية والسياسية ، ومن أشهر هذه العشائر أو الأسر  
 بيت : هاشم وأمية ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وكان قصي شيخ قريش  
 في الجاهلية .

فما ظهر الإسلام في بيت الهاشميين كان من الطبع أن يفس عليهم ذلك  
 الأمويون فدموا حاسب المعارضة لهذه الدعوة حتى قبحت مكة ، وكان من الطبع  
 أيضاً أن تفس القبائل العدنانية على قريش مكانة هذه الدعوة فيها ، وأن يفس  
 اليمانية ذلك ، على العدنانية ، اللهم إلا هذه الأنصار يثرب التي استجابت بسرعة  
 إلى الإسلام وآوت الرسول ونصرته وكان من الطبع أيضاً أن يحشى اليهود هذه  
 النهضة العربية التي ، إن تمت ، كانت خطراً على كياناتهم الدينية والاجتماعية  
 والاقتصادية شمالاً الحجاز ، ذلك فوق ما لحظ به الفرس والروم هذا نشاط  
 البدوي المحيبي : أيمكن أن يظهر شيء ذو خطر ، بين هؤلاء الأعراب الجاهليين  
 الفرس ، بحيث بلغت نظر الفرس والروم أو يكون خطراً على كيان هاتين  
 الإمبراطوريتين ؟ :

واحة الإسلام هذه المصبات للمعدة وشن عليها حرباً أدبية فدعا ، كما  
 قلنا ، إلى وحدة إنسانية وقال الرسول في حطبة الوداع : « أيها الناس إن الله

معاى أذهب عنكم محوة الجاهلية وفجرها بالآباء ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،  
ليس لمرئى على محمى فصل إلا بالقوى » .

ولكن العصية كانت فى دم العرب وهوسهم أصيلة معمره ، لايسهل  
استئصالها . بقيت حية وإن نوارت تحت حزم ارسول ، وصرامة عمر ، وكثفت  
عن وجهها إثر مقتل عثمان .

وكان عثمان قد أصهر إلى بنى كلب اليميس من حجير فافتدى به معاوية حين  
تزوج مبسون بنت محمد الكلبة فظفر ببصرة بنى كلب وصاروا أحرار يزيد  
أبيه ، وبذلك فتح معاوية باب العصية البنية ، أو الكلبة خاصة ، ودخل فيه ،  
اعتقاداً منه أن لعداوية مسكون مع السياسة الحجازية أو العراقية ، ثم وقف  
أمام على ( صمين ) يطلب الملك لآله وتناست الأحداث حتى أقرت ما طلب ،  
وإن حشفت له معارضة من الخوارج والشيعة وغيرهم لم تحمل من عصية . فاستصاع  
مداراتها مادام حياً ، وعلم أن الدنيا متعصة على أنه يريد أن تركه فى اليأسدان  
أعزى ، فباع له وهو حى كما قدمنا حتى إذا مات معاوية انتهت الفتن وطهرت  
الزيرية حرماً قوياً<sup>(١)</sup> وهنا تنعدم العصيات التى أمدت النقاىص ، مبكرة ،  
بموضوعاتها ، ومادتها ، وانجهايتها ، وقسمت الأمة شيعاً وأحزانياً ، وصارت  
الشعراء بعضهم لبعض ، وأعادت ، فى ظل الإسلام ، النعمة الجاهلية التى  
ينكرها الإسلام .

فإذا لاحظنا ما سبق ذكره من مواقف السياسة من هذه لعصيات ، رأنا  
أن هذه العصية لها مع ذلك كيان خاص ذو أثر قوى مباشر فى النقاىص .

\*\*\*

(١) بذكر من ذلك ما كان بين بني كلب واليمانية عامة وبين قيس عيلان  
بعد التقيا بالشام فقد اصطدمت أسنمها السياسية والاقتصادية وحرب كل أن  
أن تكون ذات سلطان معه في هذا الإقليم ، حتى لقد أوشكت كلها أن تنظر  
بالخلافة<sup>(١)</sup> لولا رول كلب للأمويين ، والتمسية لاس الزبير ، وذلك أيام (الحامية)  
ووقعة (مرج راهط) فلما انتصر مروان كان ذلك انصاراً لليمن على قيس عيلان  
وقتل الضحائس قيس العهرى في هذا اليوم ومعه كثرة من قومه ، فبس عمرو بن  
مخلاة الكلبي قصيدته —

ويوم ترى رايتُ فيها كأنها عوايف طير : مستدير : وواقع  
فأجابه زفر بن الحارث الكلبي القيسي بأبياته : —

مُحَرَّتْ اسِ مَحَلَّةُ الْحَدَرِ تَشْهَدُ عِلَاقَ بِهِ فِي الْمَرْجِ مَنْ لَا يُدَافِعُ  
فَإِنْ نَلَيْتُ مَارَعًا قُرَيْشًا فَابْهَمُ أَخَوَا وَمَوْلَا الدِّينِ سَارِعُ<sup>(٢)</sup>  
فذكر قرابة قيس وقريش يريد إقصاء اليمانية .

وقال جواس بن قنطل الكلبي في ذلك أيضاً :  
كَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَبْلَ مَرْوَانَ وَأَنْتِ كَشَفْتَ أَعْطَاهُ الْمَوْتَ عَنْهُ فَأَهْرَا  
لَأَيَاتِ<sup>(٣)</sup> فَأَجَاهُ مَتَبِدَ بَنِ عَمْرِو الْكَلَابِيِّ : —  
تَقْبَا بَنِي كَلْبٍ يَحْمِلُ مُهْرَةً تُشِيرُ عَجَاجًا بِالسَّنَابِكِ أَكْدَرَا  
القصيد<sup>(٤)</sup> .

وهال زفر بن الحارث الكلبي القيسي بذكر يوم المرج قصيدته المشهورة : —  
أَرِنِي سِلَاحِي لَا أَبَالُكَ إِيَّايَ أَرَى الْحَرْبَ لَا تَرْدَادَ إِلَّا تَعْدِيَا

(١) ثلاث حُرُوفٍ وَأَحْصَى مِنْ ١ و ٢ و ٣ (٢) من المصدر من ١٩

(٣) نفس المصدر

(٤) نفس المصدر

فأجابه حواسب بن القمطر الكلبي قصيده :

حمرى لقد أنفت وقيفة راحط على زفرده من الداء بقيا<sup>(١)</sup>

ومما يدل على أن المصيبة العدنانية أو الإرارية كانت قوية في نفس زفر بن احارث وعيم نيس ، سخطه على عمير بن الحباب السلمي انقبض لما اثرت حرب كلب إلى حرب تغلب ، وتغلب من يرار العدنانية ، فقال زفر يدم عميراً . -

ألا من مبلغ عني عمراً مقله عانبر وعليك راري  
أترك حتى دى كلع وكلبر وتكبر حدك فإرار  
إلى آخر الأبيات<sup>(٢)</sup> .

وقد تدخلت المصيبة الجمية بين حرير والمرزوق فانثرت قبيصتين من أهم نقائسهما ، ذلك عند ما قدم المرزوق النديبة في إمرة أمان بن عثمان بن عفان وحلس في المسجد مع كثر عزة وارهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص يتناشون الأشعار ، فدخل عليهم أس أنى بكر بن حرم الأنصارى وقال للمرزوق : بلغنى أنك تقول إنك أشعر العرب ، قال المرزوق وترعه مصر ، فقال الأنصارى . وقد قال حسان بن ثابت شمرأ فأردت أن أعرضه عليك وأوحلك فيه سة ، فإن قلت منه فأت أشعر العرب وإلا فأت كدأب مستحل ، ثم أشده : -

والجففات أنعر يميني الصحن وأسيافنا يقطرن من حمدة دما

القصيدة . وفي اليوم الثاني جلس الثلاثة وطلع عليهم الأنصارى فأشده

المرزوق : -

عرفت بأعشاش وما كدت أعرف وأنكرت من حذرنا ما كنت أعرف

النفيسة . فاكثأب الأصارى وحاء أبوه فى مشبعة من الأصار فاعتذروا

للرردق . وقد رد حرير على الفرردى مقيصته :—

ألا أيها القسُ الطروبُ المكلفُ أفيقْ، بما بنأى هوالكُ وَيُسِفُ<sup>(١)</sup>

فاندفع الأول هو عصبية أنصاره بحمية لحسان من ثبات ومكانته فى الشعر ومحاولة الارتفاع به فوق الفرردى ، وقد انتهت بنسجة حسان وقومه ، واحتدام المعركة بين شاعرى تميم .

وهكذا تستمر فتحد مظاهر شتى لهذه العصبية بين قحطان وعمدان متصلة بالسياسة ، أوفعاً على القبيلة ، أو ملالة لأمر شخصية أوفية ، وقد مر شئ من ذلك كالأدى كان بين ابن ميادة من عظماء وعقال من هاشم حين اجتماع باب الوليد بن يزيد<sup>(٢)</sup> ، وكأبائى . وبذكرها ما كان بين الكهيت الأسدى من مصر وبين حكيم بن عياش السكلى من أهل الشام ، كما ابتهاجيان فى سبيل السياسة ، ثم أحد الهجاء صورة قلية ، قال السكلى : —

ما سرى أن أمى من سى أسد وأن ربيّ يحذى من السار  
وأهم روتحوى من شنتهم وأن لي كل يوم ألف دينار  
فأجابه الكهيت : —

يا كلبُ مالك أم من سى أسد معروفة فاحترق يا كلبُ بالدار  
لكن أملك من قوم شنت بهم قد قمموك قناع الخرى والمار<sup>(٣)</sup>  
فذهب الكهيت فى معصه مدهماً مستظفياً إذ به أن تكون أمه أودية  
وأحرقه بالدار تمعيداً لشرطه ، ثم رل بأمه إلى الهوان .

\*\*\*

(١) فائض حرير والفرردى = ٢ من ٤٦ (٢) الأغاني ج ٢ من ١٠٨

(٣) الأغاني = ١٥ من ١٢٨ بولاق .

(ب) أمّا كان بين قيس وتغلب فالكلام فيه مضمون<sup>(١)</sup> وحسبك أن تعرف أن بني تغلب كانت تسكن من قديم بلاد الجريرة بين دجلة والفرات والخابور وقد سميت على نصرانيتها واحتجبت أن نحافظ على كتابها المدي والأدي بين هذه المواضع السياسية الإسلامية وذلك النظام الإسلامي الروحي والاقتصادي الجديد ، فوفقت مع الأمويين في (مريج راعط) ثم حاصمت قيس عيلان واتهمرت درصة الخلاف بين قيس وأمية وانصمت إلى الأمويين ، وإن قامت المحصورة على أصل اقتصادي ، اجتماعي ، سياسي ، فقد راحت قيس تغلب في بلادها ، ثم أساءت حيرتها ، وكانت عاملاً سياسياً قوياً فيما كان بين أمية ولريير بين من صراع ، وكانت أيامها على تغلب شنيعة جارمة . كان لقيس أيام ما كسين ، والثائر الثاني ، وعديس ، والسكبر ، والطيح ، والسكحيل ، والبشر ، وكان لتغلب انتقام الأول ، والشرعية ، والخصاك ، ثم أصبح عبد الملك بين الحين فامر الوليد بن عبد الملك حمل الدماء بينهم قبل يوم البشر ، وصمّن الجحاف السمي قتل (البشر) وألزمه إياها عقوبة له فنجأ هذا إلى الحجاج القسي في حبر ملوبل .

وفي شأن تغلب وقيس قال الأحنط قصيدته : -

ألا ، يا أسلي يا هندُ هندُ بني بدرٍ      وإن كن حيا عدي آخر الدهر<sup>(٢)</sup>

فأحاده يُبيع بن صفار المحاربي القيسي : -

ألا حين هبدا بالنس إلى البشر      وكيف نُحْيِيها على النأي والخبز<sup>(٣)</sup>

وكان الأمر يهون لو بقيت المعركة بين هذين الثامرين أو بين الاخطل وشعراء قيس خاصة ، ولكن جريراً - وهو من تميم - كان شعر قيس ولسامها

(١) ديوان الاخطل ص ٢٦٢ (٢) غائص حبر والاحطل ص ٢٨

(٣) نفس المرجع ص ٢٨

في هذا النطال فلما التحم مع العرزدق ، ووقف الاخطل يعين العرزدق على حرير  
كان من الطبعي أن يهاجمه حرير تعلب وشاعرها ، وأن يرد عليه الاخطل  
بمحو كليهما من يربوع وقبس عيلان ، وأن ينصر جرير لرعدة ولقبس على دارم  
رهد العرزدق وعلى تعلب وهكذا تعقد الموقف وكانت « عناصر حرير والخطل »  
سجل هذه العصية بين تعلب وقبس أيضاً كما سمعته فيما يلي

\*\*\*

( ٣ ) أما عصية نعيم فاكثر حصولاً ، وأصحح نمر ، وأشد اضطراباً ؛  
فكادت في الجاهلية تكن بين نجد واليمامة إلى الفرات وحذرت قبائل أسد  
وباهلة وغطفان وعدد القبس ، وصديعة ، ومكرا وتعلب ، وأصلحت ثلوث الحيرة  
والا كاسرة ، وكثرت أيامها الجاهلية ، ثم أسفت متآخره ، وارتدت ، وعادت  
إلى الإسلام ، وشاركت في فتوح العراق وفي الأحداث السياسية العامة والقبلية ،  
وكانت لها نصيباتها على قبس عيلان في حادث قتيبة بن مسلم بسب بني الهم  
التميميين الذين قتلهم قنصة ، وفيما كان بين جرير والراعي حين نصب جرير لقومه  
وقال للراعي وهو يجاوره : « إن أهلك ( ساقوا بي وراحلتني حتى وصعوني ففارعة  
الطريق بالمريد ، والله ما ما أكسهم ديباً ولا أخرى ، إلا لأسب من سبهم من  
الناس »<sup>(١)</sup> ثم كان من ذلك قصيدة جرير المشهورة . —

أفلى السورم عادي والعيتابا وقولي ، إن أصت ، لقد أصاب  
التي هاجم فيها العرزدق ، وبنى عير ، والراعي الميمري ، وسارت في السداد  
لقوتها ، وموسيقاها ، وسهولة حفظها ، وكان حرير يسميها الدمنة ، ويسمها

الدهقانة ، وكان يسمى هذه القافية المنصورة ، قال : وذلك لأنه قال قصيدة على فافيتها كلهم أحاد فيها<sup>(١)</sup> وقد خصها عليه الفرزدق بقصيدته :

أما بنو العاصيين بنى تميم إذا ما أعظمُ الحديثُ بابا

حيث فخر بقومه ، وهجاء ردهم حرير ، ودافع عن بني عكر ، وذكر يوم تغلب على يربوع ( يوم إزابة حين غزا الهذيل النعلبي بن رباح بن يربوع )<sup>(٢)</sup> ومن ذلك ما كان بين تميم ( بن حاشم ) على لسان الفرزدق وبين قيس ( بن جهمر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة على لسان حرير ) وسبب ذلك أن ذا الأهدام متوكل بن عيص بن حكيم بن طفيل بن مالك بن جهمر بن كلاب هجا الفرزدق<sup>(٣)</sup> فقال الفرزدق بهجو بني جهمر : —

عرفت بأعلى رأس القأو بعد ما مصت مئة أيامٍ وشهورها

فأجابه جرير بمدح بني جهمر بن كلاب :

أررت دياراً أختي أم لا تزورها وأشي من الحى الجاذ ودورها

ومر ذلك ما كان بين جهمر بن كلاب وشقة بن أرقم المخشعي من حصومة حلت بن جهمر أن يرشوا ذا الأهدام<sup>(٤)</sup> فاستعان شقة بالفرزدق فلحق الفرزدق إلى عمرو بن لجأ التميمي فعرف منه مثاقيل الجهمريين التي هدم بها في قصيدته المذكورة .

ويتصل بهذه القصيدة بين قيس و تميم ما حدث بعد مقتل قتيبة وما قال الفرزدق في قيس في الليعة المشهورة ، فهجاء جندل بن راعي الإبل ودو الأهدام

(١) قيس المرحوم ص ٤٣٠

(٢) قصته ص ٤٧٣ : (٣) قصته ص ٤١٢

(٤) قصته ص ٩٠٧



الجعفرى<sup>(١)</sup> فهاجها العرزدق وهجا حريراً معها أيضاً فقال :  
 تحت الديار قد همت عرصاتنا نحو الصحيفة البليلى والمور  
 وأجده حرير فقال :

سقياً ليهو حصاة وعدير يسجل مرنجر الرقاب مطير  
 ومن ذلك ما هجا العرزدق الأصم الباهلى :  
 إخال الساهلى بضئ أبى ساقط لا يحوره ساي  
 فمحر الباهلى عن نقيصتها فأحانه جرير فقال :

ألا حتى المسارل بالجباب فقد دكوان عم ذلك ناشاب<sup>(٢)</sup>  
 وكان لاهصية بين تميم وتغلب مظاهرى القناص بدأت قوية حين تدخل  
 الأخطل بين جرير والسرزدق<sup>(٣)</sup> وأعلن العرزدق على ما يأتى تعصيده ، فقال  
 الأخطل : —

إحس كليب إنيك بن مجاشعا وأنا القوارس ههشلا أخوان  
 فقال جرير رد حكم الأخطل والعرزدق ويهجو محمد بن عمار بن عطار ،  
 ويهجو بنى تغلب فى كلمة له طويلة :

لمن الديار بركة الروحاني يد لا تبع رمنا رمان  
 ورد عليه العرزدق :

باس المرافة واهجاء إذا التفأت أعانقه ونماحك<sup>(٤)</sup> الخصيان<sup>(٥)</sup>

(١) غصن ص ٩٠ (٢) غصن ص ١٠٢٢ — ١٠٢٦

(٣) نقائس جرير والعرزدق ص ٤٩٤

(٤) غصن المربع ص ٨٧٩ ونقائس جرير والأخطل ص ١٩٧

ومن ذلك الحين احتلقت القائض باحتلاط العصبية وتعقدتها وصارت  
عصية تميم وتعلب عصراً من عناصر المناقصة ، بقف فيها الفرزدق مع الأخطل  
فيبحر قيس عيلان ، وكليب بن يربوع ، وحرير ، ويعفر سيم ودارم وتعلب  
وتقف فيها حرير عليهما فيبحر دارم وتعلب والأخطل والفرزدق ، ويعفر سيم  
يربوع وقيس عيلان ونميم ، وكلا شعري تميم يعفر عصر أو يحسد أيضاً  
ويشتم إلى فريش ، وهذا الموقف هو الشاع المسيطر على القائض فلا حاجة إلى  
الاستشهاد له ها .

وأما في داخل تميم فالأمر محجب ، إذ كانت العصبية التميمية الداخلية هي  
مثلاً لقائض أولاً ، وموضوعها الدرز ثانياً ، وما عدا ذلك لم يكن إلا ( مُصاعبات )  
إلى صرح لنا هذا الاصطلاح الطائي .

من نقرأ مقدمة قائض حرير والفرزدق يلاحظ أن نشأة القائض ترجع إلى  
رباع بن رهمط جرير ، وبين بني حبيش بن حارية بن سليط - وكلا الحيين من  
يربوع - سبب عذير فاستعان أبو حبيش بسان بن دهيل السليطي فهدأ بني  
الخطي رهمط جرير ، ويدخل في المناقصة القصاب أعور بن سنان حال بني ثمامة  
من سليط ، وفصالة العزني اليربوعي ، وإلى هنا عهد القائض تحوي حتى  
اليربوعيين ، ولكن الحوادث قصت تدخل التبعث المحاشي من رهمط الفرزدق  
من تميم أيضاً فيلتحم مع جرير فيطوّه حرير ويهجو محشاً فيأتي بهاء بن محشع إلى  
الفرزدق فيجعله على ردع شاعر يربوع فيشبهه كان ويسقط بينهما البعث وسائر  
من تدخلوا في المناقصة ما عدا الأخطل الذي أشبهك فيها أخيراً وقد ذكرت سنة .  
ومنذ أخذ هذان الفحلان يتناقضان ظهرت فروع العصبية التميمية الواحد  
بعد الآخر كالذي كان بين جرير من ناحية وبين الفرزدق وآل الرزقان من

بدر من ناحية وهؤلاء أقراء الفرزدق<sup>(١)</sup> وما كان بين بني صعصعة وبني تهمشال  
من محاشع — وكلاهما من دارم — وببصر حرير لتهشل<sup>(٢)</sup> وكان في دار بين  
الشاعرين حول النساء : النوار وخدراء روحى الفرزدق ، وحاربة حرير وموت  
روحه<sup>(٣)</sup> وهكذا اتحدت للنساء الصغيرة وغيرها فرص المناقضة والتب حتى  
عادت المسألة لجادة ومراء ، أو نوعاً من الموافقة العفية وحتى أتى على المناقضة وقت  
حلت فيه من العصب والتعاضد وأصبحت فناً أدبياً التفت فيه روح الشعراء  
وتشابه شيطانها ولم يجدوا في يداً يقف مواضعها ، فكانت مناقضاتهم مطهر  
امتدحهم وتقدر كل لصاحبه وحده عليه إلى درجة الصبرة والبطاع عنه وقت  
الشدة ؛ فقد هجا الفرزدق هشام بن عبد الملك ، وخالد بن عبد الله القسري ،  
حبسه خالد ولكن حريراً شمع للفرزدق عبد هشام ، ثم رثاه لما مات<sup>(٤)</sup> وكذلك  
حدث أن لقي الفرزدق عمر بن عطية أبا حرير ، وهو حينئذ بهاجى ابن حنظلة ،  
فقال له : ويلك ! قل لأخيك : نكلتك أمك ! ليت النبی من عل كما أصدرع  
أبا بك . وكان الفرزدق قد أنف الجري روحى من أن تنطق به نبي ، قال ابن  
سلام . فأشدى له حلف الآخر قوله فنبي .

وما أنت إن قرأ ما تميم تسمياً      أبا التميم إلا كالوشيطه في التميم  
فلو كنت مولى العز أو في جلاله      ظننت ، ولو لك لا يدى لك بالظلم  
فقال له النبي :

كذبت أبا القرم الذى دق ما لكأ      وأبناء يروع وما أنت بالقرم

(١) قال في حرير والفرزدق ص ٢٨ — ٧١٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٤٦ و ٩٥٧ .

(٣) نفس حرير والفرزدق ص ٨٠٢ و ٨١٩ و ٨٣٧ و ٨٣٩ و ٨٤٧ و ٨٧٩ .

(٤) نفس المرجع ص ١٠٤٦ .

فأصاحت تميم بين حرير والبيبي وابن لم ينه حرير<sup>(١)</sup>

وحكى أو عبده معمر بن لثمي قال : خرج حرير والفرزدق مرتدين على  
باقية إلى هشام بن عبد الملك الأموي وهو يومئذ مارصافة فدخل حرير لقضاء حاجته  
فعلت الباقية تنلفت فصر بها الفرزدق وقال :

إلام نبتين وأمتي حتى وحبر الناس كلهم دماي

مضى تردى الرصافة تستريحى من التهجير والله تر الدوامي

ثم قال : لأن يحبنى حرير فأشده اليبين فيقول :

تلقت ، أنها تحت ابن قين ، إلى الكبيرين والعائس الكهائم

مضى تردى الرصافة تحذر فيها يحزمك في المواسم كل عام

قال ، شاء حرير والفرزدق ، صحك ، فقال : ما مضحكك يا أبا فراس ؟ فأشده  
البيتين الأولين ، فأشده حرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله قد قلت  
هذا ، فقال حرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟<sup>(٢)</sup>

ومضى هذه القصة - إذا سمحت - أمران : أولهما ما سماه وحدة الشيطان  
أو وحدة الروح الشعرى من حيث فهمها موقعها كل من الآخر ، وكيف ينبغي  
أن يقال في كل حالة ، لما مرنا على القول وعرفنا كيف يكون نقص المعاني بينهما ،  
وهذا نمجده بين المتجادلين والمتخاصمين الآن لا يعرف كل ما إذا يحتاج به صاحبه  
عليه . والثاني أن القصة كما رأيت ، كانت في بعض الأحيان قد يحلو من الصعاش  
والأحقاد ، ويصبح ضرراً من الحوار النطقي ، وبحالاً للمنازاة الأدبية مع احترام  
كل صاحبه ، وعرضه قدره ومراعاة في قلب النقائص ، ونمردهما فيه بالذكاة  
المستارة .

(١) الأغاني ج ٨ من ٧٧ دبر المكتب

(٢) وفيات الاعيان لابن خلدكان - ١ من ١٣ والعنصر ١٠١ و ١٠٢

وأمر آخر تشير إليه هذه الأبيات ، هو مذهب الشاعرين في النقائص فقد  
علبت على الفردوق سمحة العجر واشتقاق المعاني من حسنه كأنست وعلى حرير سمحة  
المعج ، والسباب وبشر بخاري مباحه كما رأيت

• • •

( د ) وهناك هذه العصية بين العرب والموالي <sup>(١)</sup> لاغترار العرب الذين ،  
واللغة ، والحس ، وتعاليمهم على الموالي . فتولدت في نفوس هؤلاء عصية حسية  
تعتز ، وبخاصة عند الفرس ، بمناصبتهم المحيد وبلاتهم في الأيام الإسلامية ،  
وأنكروا على العرب حرواحهم على أصل المساواة التي هي روح الدين الإسلامي  
وتولد عن ذلك حرب سياسي يدعو إلى الكسروية . والذي يصيبنا هنا أن هذه  
العصية انصبت بالنقائص ، وكان حرير هو الذي أثارها كما كل موهبه من موالي  
مضطر <sup>(٢)</sup> ففي إحدى نقائص حرير مع الاحطال قال حرير :

لا تَطْلُبَنَّ حُؤُولَةَ فِي تَطْلُبِ فَالزَّيْجُ أَكْرَمُ مِنْهُ وَأَخْوَالُ

فصبت المييد من الزَّيْجِ وقال رحل منهم فقال له سبيح بن رباح مولى سي  
داحية يرد عليه :

إِنَّ الْفَرْدُوقَ صَعْرَةٌ مَمُومَةٌ	طَائِلٌ ، فَلَيْسَ تَقَالِمٌ ، الْأَوْعَالُ
قَدْ قَسَمْتُ شِمْرِي يَا جَرِيرُ وَشِعْرِي	فَضَرْتُ عَنْهُ يَا حَرِيرُ وَطَالَا
وَوَدِدْتُ حُرْكَ يَا حَرِيرُ وَخُزَّةَ	خَفَعْتُ عَنْهُ حِينَ قُلْتُ وَقَالَا
الزَّيْجُ لَوْ لَا قِيَتَهُمْ فِي حَقِّهِمْ	لَا قِيَتَ تَمَّ حَمَاجِمًا أَبْطَالَا
كَانَ إِنْ نَذِيَّةَ فَيَكُمُ مِنْ حُلَا	وَحُفَافُ الْمُتَحَدِّلُ الْأَثَالَا

فكفي ابن عمر وحين رآه رملحهم أدركي رملح الرمح ثم طوالا<sup>(١)</sup>  
ولا يستطيع أن يدرك خطر العصيات وبلغ آثارها في القنافس إلا من  
يعرأ القنافس خصوصها ، وشروحها ، وعواملها التاريخية والاجتماعية ، فهالك يدرك  
أن هذه العصيات كانت في طلي الإسلام أهدأ أثرأ في هذا الفن الشعري منها  
أيام الجاهلية .

#### ٤

على أن الحياة الأدبية ، في العصر الأموي ، كانت ذات أثر واضح في  
القنافس ، ولا سيما ما كان للشعر من مركز وأثر في هذه الحياة الإسلامية .  
من الملاحظ أن الأدب ، في هذه الفترة الأموية ، كان أدباً إسلامياً على  
العموم ، ولم أر مد إسلاميه أنه كان ثمرة هذه الحياة الخديعة التي بدأتها الدعوة  
المحمدية وكان القرآن الكريم عمودها الأدبي والشرعي وفي ظلها نشأ هذا الخيل  
الأموي من الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ؛ فكانت آثارهم متأثرة بهذه  
العوامل حاصلة لياراتها السياسية والاجتماعية والعقلية والقرآن الكريم ، وهو  
منفك مختلف عن الأدب الجاهلي وعن أدب المحصرمين الذين مثلوا فترة الانتقال  
بين الجاهلية والإسلام .

وأما عربية هذا الأدب ، فهما يمكن هذا الأدب متأثراً بالآداب الفارسية  
واليونانية ، فقد عتب عليه الطابع العربي من حيث موضوعاته ، ومعانيه ،

(١) قنافس حرير والأحطل من مد - القوم الفخمة نفوره ، والأوعال نبوس الجال .  
في مدية موضوعات أحد أعززة العرب ، وإن عمرو هو حصن في مد الشكي كان على  
شرطة المحتاج .

وأشاليه ، ومرت ذلك قرب الدولة من عهد ابتداءه ، ومكانة القرآن العربي ، وعدم عرق الأمة في الحصار الفارسية ، وميل الحكم إلى البرقة العربية وسنطها ، فكان الادب الأموي أدبا محافظا الغالب ، على الرغم من تأثره بالحياة الجديدة ، ولا سيما عند شعراء الفرائض المنساريين . تعرف ذلك إذا وازت بينه وبين الادب العباسي حين دخل الفرس في كيان الدولة سياسهم ، وثقافتهم ، وآدابهم ، وتاريخهم ، وعصيانهم فإذا بالادب العباسي أدب خصري حديد<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت الكتابة قد تأخر استوائها إلى أحزاب العهد الأموي فإن الخطبة قد بقيت تهمس بأغراضها الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية قوية موصلة إلى آخر العصر الأموي وشطر من العصر العباسي ، ولكن الشعر كان الفن الأدنى اعتبارا الذي أعاد نفسه مكانته الجاهلية وأربى عليها في طول قصائده ، ورقها الذي ، وتجدد فنونه ، واستخدامه في الغايات السياسية ، وما كان له من آثار اجتماعية ، وإقامة مدارس نقدية ، وبلغ نقده عايتها التي لم يضفر عنها في تاريخ ادب العربي جميعه .

واعل السعيد الشعري كان أشد ظهوراً في فنون الغزل<sup>(٢)</sup> والسياسة<sup>(٣)</sup> والهجاء . وهذا الأخير من فنون القائلين المهمة تصب إليه الفجر ، وتعد سائر الفنون نواحٍ للعنبر والهجاء في هذا الباب الذي نؤرخه .

كانت مهضة الغزل في الحجاز لما أسبقنا من أسباب<sup>(٤)</sup> وكانت مهضة الشعر السياسي في العراق إذ كانت العراق مقر المعارضة السياسية ومسح الأحرار

(١) راجع في ذلك شعر الاسلام وصحى الاسلام - ٢ لاهند أدبي

(٢) حديث الأربعة - ٢ لخطه حسن - (٣) بلوغ الشعر السياسي لاهند شام .

(٤) شعر الاسلام لاهند أمين ص ٢٩٢ .

والعرو ، كد كانت ، ثار العصيات ، وموطن النقائص الأصيل ، وكان هذا  
الصاحب السيلسي يسايره صنف عصبي بحيث يكون تدریج النقائص مسایراً  
- أو موارد - لتاريخ الشعر السيلسي ، والمواقع أن كلا من هذين القين بدأ حياته  
مد الحسية ، وكان طاهره طیعة للأطوار الاجتماعية التي مرت بهذه الأمة إلى  
آخر - وبعد - هذا العصر الذي طعت فيه العنفس دروتها .

والذي يصيبنا أن شير إيه ها أن نشاط اليد الأدنى كان من عوامل  
لمصافة ومنوماً من مقوماتها ؛ كانت انفاصله بين هؤلاء المحول أصلاً شائناً  
وثمره طبعية لإساحهم الشیط ، وصارعهم الغنى ، شغل الس في الأمصار  
والوادی وانتهى إلى مبادین القتال بین حیوش المهلب و بی صبرة والأراقة  
من الخوارج إذ تحكم جماعة من العرب إليه في الفصل بین جریر والفرزدق أيهما  
أشعر ، فأحاطهم على الأراقة بحكم عبدة بن هلال البكری جریر<sup>(٢)</sup> ، ووجد  
رجل من رهط الفرزدق على امرأة من بی حنیفة فمأعرت أنه من بی هشل  
فأت : أنت ، إدا ، من عام الفرزدق نقوله :

إب الذي سمك السماء بی لنا بیاً دعائمه أعر وأطول  
بیاً شاء لك ، الملک ، وما بیی ملک السماء فإیه لا یقن  
بیاً ردارةً محصیه بفمائه ونباشیع وأو الفوارس نهشل  
قال : نعم وأعجبه ما سمع منها ، فصحكك وقلت : فإن ابن الخطمي قد هدم  
عیکم بتکم هذا الذي فخرتم به حيث يقول : -

أحرى الذي رفع السماء مُحاشيماً وبي بذاك الخبيص الأسفل



يَبَا يُحْتَمُ قَيْفُكُمْ فِيْفسَانَهُ دَنِيَا مَقَاعِدُهُ خَبِيْثُ الْمَدْخَلِ

فَوَجِمْ اِرْحَلْ ، فَقَالَ لَهُ : لَا عَلَيْكَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُقَالُ فِيْهِمْ وَيَقُولُوْنَ <sup>(١)</sup>

ذلكَ شَيْءٌ ، وَشَيْءٌ آخَرُ أَنَّ الشُّعْرَاءَ وَغَيْرَهُمْ دَخَلُوا بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ،

وَكَانَتْ كَثَرَتُهُمُ السَّاحِفَةُ مَعَ الْفَرَزْدَقِ عَلَى حَرِيرٍ فَقَطَّوْا مَا عَدَا الْأَحْطَلَّ ، وَكَانَ

هَذَا السَّجْمُ لِعَوَامِلٍ سِيَاسِيَةٍ ، وَعَصْنِيَةٍ ، وَهَيْبَةٍ ، وَشَخْصِيَّةٍ رَأَى أَنَّ كَانَ مِنْهَا سَلَامَةٌ

حَرِيرٍ ، وَشِدَّةُ هَيْبَتِهِ ، حَتَّى عَادَ مَرِيْعُ النَّأْتِ أَوْ شَاعِرُ «مَرْكَبِ النَّقْصِ» الْفَقْرَاءُ فَصَبَّ

جَدَمَ غَضَبِهِ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ عَرَضٍ لَهُ . رَأَيْتُ ذَلِكَ حِينَ اجْتَمَعَ حَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ

وَالْأَحْطَلُّ عِنْدَ شَرِّ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ شَرُّ بْنُ مَرْوَانَ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ شَرُّ بْنُ الْأَحْطَلِّ :

أَحْكَمْ بَيْنَ الْفَرَزْدَقِ وَحَرِيرٍ حُكْمَ بَيْنَهُمَا فَصَبَّ جَرِيرٌ وَهَذَا الْأَحْطَلُّ ثُمَّ اسْتَطَارَ

بَيْنَهُمَا الْمَجَادُ <sup>(٢)</sup> ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ الْأَحْطَلَّ حَكَمَ أَوَّلًا لِحَرِيرٍ عَلَى أَثَرِ وَفَادَةٍ

أَمَّهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى شَرِّ بْنِ مَرْوَانَ بِالْكُوفَةِ ، فَرُشِدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نُجَيْمٍ

ابْنُ عَطَّارٍ الْمُخَشَّيْ بِمَنْ عَنِ رَأْيِهِ ، وَبَصُرَ الْفَرَزْدَقُ بِهَذَا ذَلِكَ ، فَسَبَّ ذَلِكَ

حَرِيرًا وَرَدَّ عَلَى الْأَحْطَلِّ ، وَهَجَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيْرٍ عَطَّارًا وَبَنَى تَعْلَبَ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ

الْفَرَزْدَقُ ، وَبَدَمَ الْأَحْطَلُّ لِدَحْوَلِهِ بَيْنَ رَحْلَيْنِ مِنْ تَيْمٍ ، ثُمَّ وَقَفَ خَيْرًا مَعَ الْفَرَزْدَقِ

وَسَقَطَ لِمُعْرِضُونَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ <sup>(٣)</sup> وَبَعَثَ أَعَانُوا عَلَى حَرِيرِ الْبَيْثِ ، فَفُضِّلَ

عِنْدَهُ عَدَسُ السَّيْطَلِيِّ ، وَالْفَرَزْدَقُ أَعَانَ الْبَيْثَ ، وَشَرُّ بْنُ مَرْوَانَ الَّذِي حَمَلَ

سُرَاقَةَ الْبَارِقِ عَلَى هَجَاءِ حَرِيرٍ ، وَاللَّيْثُ الْعَبْرِيُّ أَعَانَ ابْنَ حَنَ ، وَالرَّاعِي أَعَانَ

الْفَرَزْدَقَ ، وَعَمَرُو بْنُ جُلَاجٍ أَفْسَدَ شَعْرَ حَرِيرٍ وَبَعِثَ بِهِ ، وَالْعَلَسُ الْكَلْبِيُّ سَحَرَ بِهِ

(١) الْأَعَانُ ج ٨ ص ٤١ - (٢) شَرُّ الرَّحْمَنِ ص ٣١٦

(٣) رَاجِعْ هَائِلُ حَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ص ٤٩٤ وَ ٨٧٩ وَالْأَعَانُ - ١١ ص ٦٦ وَ ٨٠

ص ٩٧ وَهَائِلُ حَرِيرٍ وَالْأَحْطَلِّ ١٩٧

والزُّارِبُ مِنْ مَعْدِ أَعَانٍ عَلَيْهِ الْفَرْدَقُ ، وَهَيْبَةُ بْنُ الصَّلْتِ الرَّبَعِيُّ رَوَى شَعْرَ الْفَرْدَقِ  
وَهَكَذَا نَأْتَتْ كَثْرَةُ عَلَى حَرِيرٍ هَدَاهُمْ عَنْ نَفْسٍ سَائِطَةٍ قَوْماً مَقَاصِدُ<sup>(١)</sup>

وَبِحَسَابِ ذَلِكَ كَانَ هُوَ لَا، الْفَحُولُ فَقَدْ مَعْصَهُمْ مَعْصَاً ، وَيَعْتَرُونَ شَعْرَهُمْ ،  
فَقَدْ مَرَّرَا كَبَّ بِالرَّاعِي وَهُوَ يَفْقَى يَدَيْنِ الْجَرِيرِ وَهَذَا : —

وَعَدُوٌّ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، رَمِيَتْهُ      بِقَاعَةٍ أَمْسَاذُهَا نَقَطَارُ الدِّمَا  
خَرُوجُهَا نَافُوهُ الرِّوَاةُ كَأَنَّهَا      قَرَأَ هُنْدُلُونِي إِذَا هُرَّ صَمَّامَا

هَاتَمَةُ الرَّاعِي رَسُولًا بِسَالِهِ مِنَ الْيَتَامَى ؟ قَالَ : الْحَرِيرُ . قَالَ : أَوْ اجْمَعِ عَلَى  
هَذَا جَمِيعَ الْجَنِّ وَالْأَسْنِ مَا نَغْوَاهُ فِيهِ شَيْئًا . ثُمَّ قَالَ مَنْ حَصَرَ . وَيَحْكُمُ الْأَلَامُ عَلَى  
أَنْ يَمْلِكُ مِثْلُ هَذَا ؟<sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ الْفَرْدَقُ فِي جَرِيرٍ : مَا أَحْسَنَ مَا جِئْتُ ، وَأَشْرَدُ  
قَاعِيَتِهِ ، وَاللَّهِ لَوْ تَرَكُوهُ لَأَبْكِي الصَّحُورَ عَلَى شَبَابِهَا ، وَالشَّابَّةُ عَلَى أَحْسَانِهَا وَلِكُلِّهِمْ  
هَرُوءٌ مُوجِدُوهُ عِدَّ الْمِرَاسِ مَانِحًا ، وَعِدَّ الْخَرَاءِ قَارِحًا وَقَدْ قَالَ يَتَا لَأَبْ أَوْ كَوْنًا  
قَمَّةُ أَحَبَّ إِلَى مَا طَلَمَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ : —

إِذَا عَصِيتُ عَلَيْكَ بِوَيْ تَمِيمٍ      حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِصَابًا<sup>(٣)</sup>

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ الَّذِي أَتَى فِيهِ الْفَرْدَقُ عَلَى سَبَبِ حَرِيرٍ بِفُنْدِيَّةٍ ، وَلَمَّا  
أَحَارَ الْفَرْدَقُ أَشْطَارَ جَرِيرٍ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ أَصَابَ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : هَكَذَا يَسْنَى أَنْ  
يُقَالَ ، أَوْ مَا عَصَيْتُ أَنْ شَيْطَانًا وَاحِدًا وَقَالَ جَرِيرٌ : بَعْدَ الشَّمْرِ الْفَرْدَقُ ،  
وَلَا خَطْلٌ يُحِيدُ صَمَةً لِلْوَلَدِ ، وَيَصِيبُ نَسْتَ الْخَرِّ ، وَأَنَا نَحَرْتُ الشَّعْرَ نَحْرًا<sup>(٤)</sup> وَقَالَ  
الْفَرْدَقُ وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ دَارِمٍ ، هَلْ تَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا يَرَى مَعْلَكَ : لَا ، وَاللَّهِ  
مَا أَعْرِفُ مَانِحًا إِلَّا وَقَدْ اسْتَكَانَ ، وَلَا فَهْتَ إِلَّا وَقَدْ أَحْمَرَ إِلَّا حَرِيرًا<sup>(٥)</sup> وَقَالَ

(١) راجع الأغانى ج ٨ ص ٦١ — ٦٨ .

(٢) الأغانى ج ٨ ص ٩ (٣) حوس لم جمع ص ١١ و ٢٢

(٤) ص ٢٤ (٥) ص ٣٥

حرير عن نفسه إنه أشعر الناس لأنه فاحر بأبيه على لؤمه — ثمانين شاعراً وقارعهم به فغنمهم جميعاً<sup>(١)</sup> وقال في ذي الرمة ، وقد سمعه يشد . « لقد قال وما أنعم »<sup>(٢)</sup> وعرف كل من ذي الرمة وهشام للرقي شعر حرير قوته وقال حرير عن الأخطل : أدركته وله باب واحد ، ولو أدركته وله باب آخر لا أكلني به ، ولكن أعاني عليه خصني : كبر من وحش دين<sup>(٣)</sup> وقال فيه كل أشدما اجتراء بنفيل وأمننا للعشور والحر ، وقال الفرزدق : الأخطل أمدح العرب<sup>(٤)</sup> وقال الأخطل ، وقد سأل عن مكانته بين زميليه : أبا واللات ، شعر مهمل<sup>(٥)</sup> وقد وصع الأخطل نفسه صد الأعني وطرفة<sup>(٦)</sup> وفصلهما على الشعر ، في المديح والمجاء ، وليسيب<sup>(٧)</sup> وكان الفرزدق يقول لحرير : —

غلبتكم بالهنيء والمعنى وبيت المحتبي والخارقت

أنقاب أبيات له<sup>(٨)</sup> ويدعو جريراً إلى نفس قصيدة ، يقول : —

فدركت هذني فانتقمها فإنها شديد قوى أمر يسها ومواصية<sup>(٩)</sup>

كل ذلك ، وغيره كثير ، يدل على إدراك هؤلاء المحول مكانتهم في الشعر ، وموافقهم في السعة والناقصة ، ومقدار إعظام النفس والمعنى حتى صاروا مدرسة عصرهم الأولى وزعماء الشعر القديم .

كذلك شغلوا مفاصلهم ومن عدم تقدم هذه القائس ، ودرجة فهم وما علوا به إلى دورة اسلم العربي القديم حتى قال ابن الأثير بهم أشعر العرب<sup>(١٠)</sup> وقد كان تقدم اجتماعياً وفنياً ، وكثيراً ما ورد النوعان مختلطين فيروى بن سلام

(١) الأعاني ٨ من ٢٩

(٢) غنمهم ٥٤

(٣) قاتس ٢٨٥

(٤) قاتس ٢٨٨

(٥) قاتس ٢٨٦

(٦) قاتس ٢٩٢

(٧) قاتس ٢٩٢

(٨) قاتس ٢٩٢

(٩) قاتس ٢٩٢

(١٠) قاتس ٢٩٢

ث حريراً وصاحبه أشعر أهل الإسلام وعلحق بهم الراعي ، وكان حوس وردقياً  
وقال ابن دأب : الفردق أشعر عمه وحريراً أشعر حاحه (والمشهور نقيض ذلك)  
وأما عمرو بن نه حريراً بالأعشى ، والفردق برهير ، والأحطل بالساعة ، ويخرج  
من فقه حريراً بأنه كان أكثرهم قسوس شعر وأسمدهم أفعالاً ، وأقلهم سكناً ،  
وأرقهم بسد ، وكان دنيئاً عفيفاً<sup>(١)</sup> وقال الملا : حريراً المصري ، وكان شيعياً  
قد حانس الدس ، إذا لم ينج ، الأحطل بغيره وسكيت ، والفردق لا ينج ،  
بغيره ولا سكتياً ، وحريراً ينج ، بغيره ، ومصيباً ، وسكيتاً ، وسو أسد يرون  
حريراً قد غلب في بيوت الشعر الأربعة : العجر والمريخ والهمعاء والسبيب<sup>(٢)</sup>  
وسئل شارح نوذ : أي الثلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن إلا أحطل منهم ، ولكن  
ربعة تعدت له ، وأقرب فيه ، وكانت حريراً صروب من الشعر لا يحسها  
الفردق<sup>(٣)</sup> وعبد حماد الراوية أن حريراً أشعر إذا أرحى من حياقه والفردق  
أشعر إذا حاب أورشاً<sup>(٤)</sup> وقد فصلت سكتية بنت الحسين حريراً على الفردق<sup>(٥)</sup>  
وعده بن منادر أشعر الدس أقوم شعره<sup>(٦)</sup> وقد اتى الوليد بن عبد الملك حريراً  
وابن لجأ بلديفة فقال ، أغدقان المحصيات وتعصانهن ، ثم أمر أبا بكر محمد بن حرم  
الأبصري - وكان وائياً - بخدمته - بصرهما<sup>(٧)</sup> وقال جريراً لرجل من بني طهية :  
أيما أشعر أنا أم الفردق ؟ فقال له : أمت عبد العامة ، والفردق عبد العلاء ، فصاح  
جرير : أنا أبو حررة ! عليه ورب الكعبة ! والله ما في كل مائة رجل عالم  
واحد<sup>(٨)</sup> . ولشعة بن عقال وخالد بن صعوان موازنة بين المحول الثلاثة ما سألها

(١) الأعمالي ج ٨ ص ٥٠ . (٢) نفس المرجع ص ٦  
(٣) ص ١٠ (٤) ص ٣٧ (٥) ص ٣٨  
(٦) ص ٥٩ (٧) ص ٧١ (٨) ص ٢٩

ذلك هشام بن عبد الملك عن هؤلاء الذين قد عرفوا أعراضهم : وهتكوا أستارهم ،  
وأغروا بين عشائهم في غير خير ولا بر ولا مع أيهم أشعر<sup>(١)</sup> وكان يونس وصحه  
يقدمون الأخطل<sup>(٢)</sup> وأما عبد الملك في مروا فقد قل للأخطل - لما سمع مدحه -  
ويحك يا أخطل ! أتريد أن أكسب إلى الأفاق أنك أشعر العرب ؟ قال :  
أكتفى بقول أمير المؤمنين وأمره نعمة كانت بين يديه فشتت دراهم وألقى  
عليه جميعاً وخرج به مولى لعبد الملك على الناس قحون : هداية شر أمير المؤمنين ،  
هذا أشعر العرب<sup>(٣)</sup> .

وقد ذكرنا لفرزدق وحريراً في حلقة المدائني فكان أبو عبد الصباح  
ابن حاتم : أشدك بيتين للأخطل وودعني لحرير وفرزدق مثلهما ! قال : هات  
ونشدته : -

ألم يأتها أن الأراقم فلفت      جاجيم فيس بين راذاب وانخضمير  
جرحهم قود لم يساهوا حلالة      ولم يعرفوا أين الوفاء من العدير  
فككت<sup>(٤)</sup> وقال ابن سلام إن معاوية بن أبي عمرو من العلماء : أي البيتين  
عند حدود ، قول حرير : -

- أستم خير من ركب المطايا      وأندى العالمين طوبى ربح  
أم قول الأخطل : -  
شيس اعداوة حتى يستقاد لهم      وأعظم الناس حلاماً إذا قدروا  
فقال ابن سلام : بيت حرير أحلى وأمير بيت الأخطل أجزل وأرزن ،  
فقد صدقت ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة<sup>(٥)</sup>

(١) الأغاني ج ٨ ، ص ٨٦ (٢) من ٢٨٣ (٣) من ٢٨٨

(٤) من ٢٩١ - الأراقم حتى من قلب - (٥) من ٢٠٥

هذه النصوص النقدية التي أُشربا إليها تدل على أن القائض كانت مسكرة من حيث تناولها الأعراض ، وتقرئها بين العشائر ، وإشاعتها الساب وهجر القول ، وتجاوزها في ظل الإسلام حدوداً لم تبلغها في الجاهلية ، ولكنها كانت مشغلة الفحول ، ومدرسة القاد ، وصحف الصائل ووسائل الرفعة والسمعة شأن الشعر الجاهلي ، وكانت الحياة الأدبية وتياراتها النقدية ومقاييسها الفنية ، من دوافع المناقضة ، ومحاولة تجويدها ، فكانت القائض متفاعلة مع الحياة الأدبية مؤثرة ومتأثرة ؛ فاحتفظت بأساليب الشعر العربي القديم ، وأبقت على فنونه ، ورقتها ، وأطالت القصائد ، وتمسكت بأصول المناقضة ، وغدت الذوق السائد بين المحافظين ، وانتفعت بالنقد الذي اتصل بهما .

هذه العوامل التي ذكرناها - سياسية ، واجتماعية ، وفنية - كانت معالم البيئة التي أحاطت بالقائض ، وأثرت فيها ، وهناك الصلات الخاصة بين الشعراء ، أو العوامل القبلية الجزئية التي لم تسر في غمار العصبية الكبيرة التي شغلت الفحول ، فكانت أمثلة متفرقة تعرض لها في فصل خاص . ومعنى هذا أن القائض في العصر الأموي كانت قسمين قسماً خاصاً نهض به الفحول ، وقسماً عاماً مفرقاً بين الشعراء .

## الفصل الثاني

### نشأة النقائص الأموية وفنونها

١

رأينا فيما سبق أن النقائص حلت صورتها ماتمها المروءات الإسلامية في حياة الرسول عليه السلام ، وأن عهد حلفائه الأولين كان عهد فتوح خارجية لنشر الدين وإقامة الدولة ، لذلك شغل العرب بالجهاد عن الفراغ للمفاخرة والمهاجاة الداخلية ، واستمتع ذلك أن يكون الشعر الذي ينشأ متصلاً بهذه الفتوح وأن يكون حماسة وفحراً في العال وأب يتصل ببلاء الجيوش الإسلامية ، وفتوحها في بلاد فارس والروم ، كما استمتع أمراً آخر هو العناية بالأمن الداخلي وأحد الناس ، وبخاصة الثمراء ، شعاع الإسلام وترك المهاجاة الحاهلية وما نتج من ملاحات ومدهرات<sup>(١)</sup> فرأينا عمر بن الخطاب يهدد العباسي الحارثي لهجته بنى العتالان<sup>(٢)</sup> ويحبس الخطيئة لما هجا الرزق بن بدر ثم يطلقه ويشتري منه أعراض الناس<sup>(٣)</sup> ورأينا عثمان بن عفان يعزر ضامناً الرهمي ويحميه حتى يموت في السجن لأنه هجا قوماً من الأنصار هجاء فاحشاً<sup>(٤)</sup> .

وقد تأثر الشعر بذلك كله فقلت العناية به وهذا سلطانه وإن لم يتركه العرب

(١) تاريخ الشعر لسياسي المؤلف ص ٩٩ (٢) الشعر والشعراء ١١٥ مصر

(٣) الأعاني ج ٢ ص ١٨٥ دار الكتب -

(٤) لطري ص ٦ و ٢ ص ٢٨٤ والنقائص ٢٦٩

تماماً بل ظل جماعة من الشعراء يقولون في مدح والثناء والفخر كالحطيئة والشماخ  
ابن يضرار ، وكعب بن زهير . والناسمة الجعدي ، وغيرهم ممن أطاعوا مواهبهم  
الأصبيلة ولم يصغوه .

ولد قبل عثمان بن عمار ، وكانت الفتى بين العراق والشام أو بين علي ومعاوية  
في سبيل الحكم الإسلامي والفخر بكرسي الخلافة<sup>(١)</sup> كان من الطغى أن يدخل  
الشعر في هذا الخلاف ، وأن يأخذ صورة الجد بين هذين تعصيرين أو صورة  
المنافضة ، فكان كعب بن جعيل شاعر معاوية كما كان السعدي الحارثي شاعر  
علي ، وكان من ذلك منافضة سياسية مشهورة<sup>(٢)</sup> دارت على كراهة لعراق ممالك  
النساء وكراهة لنام ممالك العراق . وكذلك كانت بين علي ومعاوية منافصات  
نثرية في صورة رسائل أشرنا إليها في التمهيد لهذه الفصول<sup>(٣)</sup> .

ولما استمرت الحكومة في البيت الأموي وسلم معاوية بن أبي سفيان  
زمام السلطان بدأ طور جديد في نظام الدولة الإسلامية وروحها ، يندرج في أنه  
ملك عصوص . وحكم ديبوي ، يحبس الخلافة في بيت أبيه ، يتورثها بعده ،  
ومن خرج عنهم كان ثأراً ينبغي ثمة بكافة الوسائل ، ومتى كانت هذه هي  
الغاية فتلك الوسائل ما سكون ولو بالجور على الدين ، وتلك توارى هذا  
التحرج الديني ، وذلك المدالة المثالية ، والقصد على الحية الجاهلية ، وعادت الحياة  
الإسلامية في ظل الأمويين بحاصة لعوامل فيها عناصر جاهلية وأخرى إسلامية ،  
ولكنها تسم جميعها نسبة واحدة عامة هي ملامتها للسياسة القائمة وخصوصاً  
لرغائب العملية ، فهذه المصريات القبلية تقوى وتستأنف شعاعها القديم وتطلع في

(١) تلخيص لشعر السياسي من ١١٠ ط ١ (٢) الأخبار الطوال ص ١٦٢ .

(٣) راجع العهد القديم ج ١ - ٢٠٠ الصفحة الشروية



آثارها درجة حامية أو تزيد. ويكون أقوى العوامل في شدة النقائص وسعة مياديتها، وهذه الأحزاب السياسية تصطرح في سبيل الحكومة وتدافع النقائص عمد دفين وتوجهها في كثير من المواقف، وتلك الحجة الاجتماعية التي أطلعت فيها الحريات إلى حد ما، فظهرت ملاحاة الشرعية واعتمدت على النقائص في تصوير حوادثها، ثم المعصية العربية على التوالي التي بدت تنحرف في الشعر السياسي والنقائص، وكانت هذه الحياة الأموية صخرة غريبة هنا «تقن» وسعداته مكانه الجاهلية الأولى وأن هذه الحياة الأموية كانت في الشعر حياة جاهلية إلى حد كبير، لذلك عاشت النقائص في طله، وسارته إلى مهسه، وبعثت في درجتها الغنية، وآثارها الأدبية والاجتماعية منتهى ما بلغت في تاريخ الشعر العربي جميعه

## - ٢ -

فإذا رحنا لننسى شواهد النقائص في هذه الحقبة الأموية، وشبين دواعيها لتعرف شأنها، رأيناها كثيرة متنامية من عهد معاوية إلى سقوط الدولة وهدم سقوطها، وكانت تسير في سبيل عامة تعود أنسبها إلى السياسة أو المعصية القلبية أو العلاقات الشخصية. كذلك سارت في سبيل خاصة أو مختارة لمثل ذلك الأسباب وتعبيرها بما يمر بك قريباً. وهي سبيل الفحول الذين شغلوا بها كعزير وصاحبه.

وإذا لاحظنا أن ما دار بين كعب بن حليل والسعدي الحارثي من أول النقائص الأموية - إن لم يكن أولها - فلما رى أنه في عهد معاوية معه أحدث النقائص تجري على أسنة السراة في مسائل شتى، من ذلك ما دار بين هذمة ابن خشرم العنبري وريادة بن زيد الديلمي، فقد اصطعبا وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما إلى المدينة زمن معاوية وعلى المدينة يومئذ سعيد

ابن العاص ، فكما يتفق السوق بالإبل . وكان مع هدية أحبه فاطمة وهرل  
زيادة فارتحز : —

عوجى عسى وارنى يا فاطمة ما بين أن يرى العبير فأنما  
الآن ترين الدمع بيني سحبا حيدار دار ملك نبي تالما  
إلى آخره . فقص هدية حين سمع ريادا يرتحز وأحبه وهرل فرحرت بأخت  
زيادة وكات تدعى أم حارم أو أم قاسم : —

فد أراي والسلام الحارما ترحي الملقى صمرا سواهما  
مضى نقول القاص الرواسي يلحن ، أه حارم وحارما

الآيات ، ثم جلا بتهاديات الأشعار وبتعاهرات وبطلب كل منهما العلو  
على صاحبه في شعره وسبني شيء منه <sup>(١)</sup> وكذلك ما كان بين ابن أرواح وعض  
الشراء في مقتل سعيد بن عثمان <sup>(٢)</sup> وما كان بين حازنة بن بدر البربوعي وأُس  
ابن زعيم اللبني <sup>(٣)</sup> وبين سليمان العجلي والأبيودس رباح البربوعي <sup>(٤)</sup> وبين  
الأبيودس — ومعه ابن عمه الأخوص الرياحي — وسعيم بن وثيل الرياحي من  
بربوع <sup>(٥)</sup> .

ولما مات معاوية وقام بالأمر يزيد أنه وتحركت الأحزاب السياسية ومعها  
المعصيات مهد ذلك لنشاط النقائص حتى إن نقائص حرير ومهاجنة مع عسل  
السلطى والعيث الحشبي بدأت أيام ملك ابن الزبير هيا يقال ، واستمرت حتى

(٢) من مخرج ٢٢ ص ٨٤ ب ١٤

(١) ١٢ ص ١٠

(١) الأغاني ج ٢١ ص ٢٦٥

(٢) ٢١ ص ٢٣

(٣) ١٢ ص ١٠

الزعم حرير والوردق<sup>(١)</sup> ولما كانت وقعة مزيج راحط التحم عمر بن محبلة الكلبي ، في عهد مروان بن الحكم ، مع رُفوس الحارث الكلبي<sup>(٢)</sup> وساقص جونس الكلبي مع سعد بن عمرو الكلبي<sup>(٣)</sup> ثم رُفوس الحارث مع حواس ابن القمطل الكلبي<sup>(٤)</sup> واتصل ذلك بما دار بين حرير والأحطل في شأن قيس وتطلب<sup>(٥)</sup> .

فما كان عهد عبد الملك كانت الأحزاب تامة التكوين والعصبات على أشدها ، ولقائس ، بذلك ، حامية الوطيس ، والفحول ولا سيما حريراً وصاحبه يشعلون الحياة الأموية بما يتنادون من انتفاحر والأهاجي والعالم العربي يستمع إليهم ما بين مضج ، وساحط ، وراص ، والأمور متأثرة بصيحات هؤلاء ، والقائل بحصية بما نكسها النقائس من صيت ، أو باقية لما أوصها من صفة وهون ، ويموت عبد الملك وتبقى النقائس غالبة الصوت ، متأثرة بالسياسة ، رمن حلفائه ، ويموت الأخطلسة حمس وتسعين في عهد الوليد بن عبد الملك ، وتستمر المعركة قائمة بين خلفي نعيم حتى يموت سنة عشر ومائة أيام هشام بن عبد الملك وبذلك تنهى هذه المناقصة الخاصة ، ولكن هذا المن كان يجري على ألسنة اشعراء الآخرين حافيت الصوت مسامر العوائل والاصوص كما نُصوره في فصل خاص ، حتى وحدا الكتبت الأسدى ملحوظ المكاة في هذا الفن وبخاصة حين أثار ما بين النزارية واليمامية تفصيده التي أولها : —

أَلَا حَيْثُ عَمَّا يَا مَذْيَبَا وَهَلْ نَأْسُ نَقُولُ مَسْلَمِينَا

(١) النقائس ص ١٢٤

(٢) نقائس حرير والأحطل ص ١٧ .

(٣) نفس المرجع ص ١٩ .

(٤) نفس ص ٢١ (٥) نفس ص ٢٧

فبأنى وعمل من على الخراعى فسقطها عليه و يذكر مناقب النعمان و يعرض  
معيده ، وذلك فى قصيدته التى أولها : —

أفنى من ملامك طاميا كعاشر اليوم مرث الاربع  
وهذه القصيدة لثنية من آثار العصر العباسى<sup>(١)</sup>

### ٣ -

فإذا أردنا تبيين الأسباب التى أشعلت هذه العناصر وحدتها تدحرجت فى  
عدة أبواب بوحدها هنا وإن تناولناها من قبل بصفة عامة : —

منها الاقتصاد وأسباب العيش ، ولا شك أن تقاض جرير والأحطل متأثرة  
بهذا السبب إذ أنها قامت على ما كان بين يسى وعبس من عداوة مردها مناصرة  
على أرض الحرية والاعلان مد نزلت يسى يسيرين ، واعتصمت بقرقيسيا ،  
وأسماء حرار تغرب ، وكانت بينهم أيام شعبة أرثت الأحقاد ، ووقفت جريرا  
والأحطل وغيرهما متاقصين<sup>(٢)</sup> كذلك كانت تقاض جرير مع عباس والعبس  
سبب عذير دفاع اعترك فيه سو خنيس بن سيف من حذيفة بن كليب ،  
وسو الحطافى قوم جرير<sup>(٣)</sup> وقد قامت الملاحاة بين خالد بن عتمة بن دارم وبين  
سويد بن كراع المكنى فى حبراء بالصمان يقال لها ذات الرجاج تارح فيها  
سو السيد بن مالك من حبة وسو عدى بن عبد مناة<sup>(٤)</sup> وكانت بينهما دماء

ومنها السياسة الدولية والحرية ، وهذا الحاسب ذو مظاهر شتى ، فقد كان  
موقف قيس عيلان مع الزبير بن عالى بن أمية فى ( مرج راهط ) ثم مكاتبتهم فى

(١) مروج الذهب ٣ ص ٢٥٩ (٢) وخاض جرير والأحطل من ١ ٢٧

(٣) فائض جرير والفرزدق من ٢ ٧ (٤) الأعرابي ج ١ ص ٢٧٧ .

في الشام والجزيرة مما أحوف تغلب وشعل بنى أمية وعين موقف حرير من  
الاحطل تم موقف الفردوق مهباً في هذا الفن العنيد ، وهذا يعسر له ، كما مر ،  
احتفاء تغلب بالعت الحاكم في دمشق ومكانة الاخطل في لقصر الملك ، وإشارته  
على حرير ، ثم فرع النعميين ما رأوا قيس عيلان يقترب من دمشق ، وما دار  
حول هذا من مناقش اشراء فيها أقطابها الثلاثة هذا وقد رأينا نشر من مروان  
يجمع الشعراء على حرير وعمرهم به ما دام يحط بحرير في حبال قيس ، وذلك  
كان من سر تأييداً لسياسة آل مروان كما عرفت<sup>(١)</sup> وكانت ولاية العهد ذات  
أثر في المناقص ، وقد أشرنا إلى نظرة سيبان بن عبد الملك إلى موقف نجم مسه  
في خراسان أول عهد الخلافة ، وكيف أصلحه وكيع بن أبي سؤد وصورة  
الفردوق إثر مصرع قتية بن مسلم الباهلي ولم يخرج ريد بن عني على هشام  
مع أهل مكة وأهل المدينة أعطيتهم سنة ، فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب  
إلى أهل المدينة :

ألا أيها الركب المحبون ، أما  
وقولوا : يا كرم أشبه الناس سنة  
سيؤشك إلحاقكم بكم وزيادة  
صحتكم لكم إن ، صابوا معي حتى  
سلامي سكان بلادهم  
بوافده فاستسروا وتوقعوا  
وأعطيتني تأتي ثباً عما فتشع  
من سماة النصر عكم سنفيع

فقال حمزة بن ريمس يرد على الوليد ما فعل خلاف ذلك . —

وصلت سماة النصر بعدما  
فليت هشاماً كان حياً يسوم  
فكذبه فيما ادعاه ، وفضل عليه هشاماً .  
رعت سماة النصر عما سفلع  
وكنا كما كنا نرعى وطمع<sup>(٢)</sup>

(١) الأغني ٨٠ ص ٦٨ - ٦٩ و ٦٥

(٢) مبدع الأغني ٧٠ ص ٦٠ وديوان الوليد ص ٦٦ دمشق .

وهذا شهاب قلبية أو اجتماعه ؛ فإنه — على الرغم من العوامل السياسية والاقتصادية التي ذكرناها — من الباصح أن العصبية القلبية كانت السامع المباشر لما نذر من مناعة بين الشعراء ، في الأغلب الأعم ، فالأحطل تعلّق في غائضه مع حرير وكان انصاره لامية أو نذارم في سيل قومه ، وكان يفرح بما نزلت وأيامها في جميع مواقفه حتى لقد غرّسها على عهد الملك بن مروان <sup>(١)</sup> وأمن بمواقفه مع الأمويين على الأنصار ، وكان حرير ، على الرغم من رغبته مع قيس ، تيمناً بغير تميم عامة ويربوع رهطه الأدب خاصة حين يلتحم مع صاحبيه ، فقد قتلت تميم قلبية لنفسى بسبب محر ذلك ، حقاً ، ليربوع ونبه قياً إلى أن ذلك نأز لبني الأهم ، ثم عاد يخاص قيس عيلاً <sup>(٢)</sup> وأما الفرزدق فقد علقت عليه لقبية في هذا الفن وفي سواه فهو رعيم تميم وانغمى عنها ، خاصم في سيلها الخفاء والولاء ، وسعى حريراً عنها لدفاعه عن قيس عيلاً ، وساعد الأحطل على يربوع رهط حرير لما فصل الأحطل دارماً على بني كليب بن يربوع ، وتيمناً على قيس ، والفرزدق كان لسان تميم أمام سبيل بن عبد الملك إثر مصرع قتلة وهو الذي سطت لخبيلة رداً رهناً عن بني تميم وقال في ذلك من نصيحة —

وَذِي إِسْيُوفٍ مِنْ تَمِيمٍ وَفِي سَهْلَا	رِدَائِي ، وَحَلَّتْ عَنْ وَجْهِ الْأَهَاتِمِ
شَمْسٌ حَرَارَاتِ الْعُيُوسِ وَلَمْ تَدْعُ	عَلَيْهَا مَقْدَلًا فِي وَفَاءٍ لِلْأَتَمِ
أَتَانَاهُمْ قَتَلِي وَمَا فِي دِمَائِهِمْ	وَفَاءٌ ، وَهَنْ الشَّافِيَاتِ الْخِرَانِمِ
حَرَى اللَّهِ قَوْمِي إِذَا أَرَادَ جِعَارَتِي	قَبِيضَةً ، سَمَى الْأَفْضَلِينَ الْأَكَارِمِ
هُمْ سَمَّوْا يَوْمَ الْحَصْبِ مِنْ مَيِّ	يَدَاتِي إِذَا التَّمَّتْ رِفَاقُ الْفَوَاسِمِ <sup>(٣)</sup>

(١) ياقوت حرير والأحطل ص ١٥٧ . (٢) خاتم حرير والفرزدق ص ٤٠ .

(٣) من المرجع ص ٣٧١ .

وكان اشتراك حرير وغسان على أصل قبلي اقتصادي ، كما كان التعمد حرير  
والمعبد سبب ما فصل النعش بنى النوار ست محاشع على بنى دهل من  
بر نوع<sup>(١)</sup> وأخيراً يتصر الفرزدق لقومه محاشع على جرير<sup>(٢)</sup>

هكذا تركنا المحول إلى غيرهم رأساً هذه العصبية أو القلبية تحمل الشعراء على  
المناقضة كالكندي دار بن يزيد بن هيرة الغمري وأمة الحكم بن عبد الله الأسدي  
لما تمثلا بيتي الاحطل<sup>(٣)</sup> وبين الأبيد البر نوعي وسلمان العجلي<sup>(٤)</sup> وأحدث هذه  
العصبية تصيق وتدبو حتى تدخل بين رجال العشرة أو القبيصة الواحدة ، فقد  
نشأت النقائص الكبرى في بر نوع ثم عدتها إلى غيرها ، وهذا الأبيد مع ان  
عمه الاحوص من بنى رياح بنافصان سحيم بن وثيل الرياحي<sup>(٥)</sup> وأحياناً تتسع  
وتتسع حتى تتناول القبال العامة كما قدمنا وكما أقامها السكيت بين البرارية  
والقحطانية<sup>(٦)</sup> ومثلما ان ميادة العطلاني وعقل س هاشم حين احتتمه سب الوليد  
ابن يزيد وغير ذلك كثير<sup>(٧)</sup> .

وهناك عوامل فية تقوم على قيمة الشعر والمفاصلة بين الشعراء ، من ذلك  
ما جرى من الاخطا حين سب امة مالكا إلى المسراق ليأنيه بحر حرير  
والفرزدق ، فقال له ابيه : وجدت حريراً يغرف من نحر ، ووجدت الفرزدق  
يمدح من صحر ، فقال الاحطل : الذي يغرف من نحر أشعرها وقال بفصل  
جريراً على الفرزدق : —

(١) من ٣٢

(٢) مهدي الأغانى ٢٨ من ١٢٩ بلاف

(٣) من ١٦٧ .

(٤) المرجع السابق ١٢٣ من ١٢٤ .

(٥) مروج الذهب ٣٠ من ١٥٩

(٦) ١٢٣ من ١٤

(٧) الأغانى ٣٠ من ١٠٨ بلاف

إلى قصبتُ قصاء غير ذي حَفٍ      ما سمعتُ ولما جئني الخبرُ  
 أن الفرزدق قد شالتُ نعاتهُ      وعصّة حية من قومه ذُكرُ  
 فما دحل الكوفة بشر بن مروان قدم عليه الاخطل فبعث إليه محمد بن  
 عمير بن عطارذ بألف درهم وكسوة ونقطة وحرر على أن يبرح حكمه ونقصي للفرزدق  
 فقال الاخطل قصيدته في ذلك :

أحريرُ إنك والذي تسمو له      كأسيفٍ فحرتُ بمؤدج حصان  
 فرد عليه جرير :

لئن الدمارُ بركة الرّواحِلِ      إذ لا يبيعُ رمانَ زمانٍ<sup>(١)</sup>  
 وقيل إن ذلك كان بحضور الشعراء الثلاثة عند بشر بن مروان<sup>(٢)</sup> ومن ذلك  
 ما قال الراعي :

يا صاحبي دنا الرواح فيسيرا      غلب الفرزدقُ في اصحاب جريرا  
 وقال :

رأيتُ الجحشَ حشّ بن كليبُ      تيسمُ حوضَ دجلة ثم هابا  
 ففتح بذلك على نفسه باب البائية المشهورة لجرير . —  
 ألقى اليوم عاذِلَ والعنايا      وقولي ، إن أصتُ لقد أصابا<sup>(٣)</sup>  
 وقد نقصها عليه الفرزدق .

وكانت السرقعة الشعرية من هذا الجانب القبي ، فإنه لما قال الفرزدق في بني  
 دُبيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مائة : —

• (١) راجع الاغانى ج ١٩ ص ٦١ دُر الكلب

(٢) ج ٨ ص ٣١٥ وقائس جرير والفرزدق ص ٤٩٤ وقائس جرير والاحطل ص ١٩٧

(٣) الاغانى ج ٨ ص ٢٠ و ٢٩ وقائس جرير والفرزدق ص ٤٢٧



أترحو رُبَّعَ أُنْ تَحْيَ، صَنَّاها      بحير وقد أُعِي رُبَّعاً صَكَارُها  
أَحْذَهُ الْبَيْتُ قَالِ جُرَيْرِ :

أترحو كَلْبَ أُنْ يَحْيَ، حَدِيثُها      بحير وقد أُعِي كَلْباً قَدِيمُها  
قَالِ الْفَرَزْدَقُ فِي الْبَيْتِ : —

إِذْ مَا قُلْتُ فَاغِيهَ شُرُودَا      تَحَلَّلَهَا ابْنُ حِرَاءِ الْإِبْعَالِ  
فَتَجَابَهُ الْبَيْتُ : —

سَاوَهُتُمْ لَأُعِينَ إِذْ دَعَاكُمْ      فِي الْقَبَائِلِ لِلْقَبِيلِ الْبَيَانِ  
تُضَادَّةُ سُيُوفِ نَبِي حَوَيِّ      كَانَتْ عَلَيْهِ شُقَّةٌ أَرْجَوَانِ<sup>(٢)</sup>

ويتضمن ذلك تأليب الشعراء على حرير وتعاونهم عليه بغاسة منهم عليه  
بسرورة شعره ، أو عيطاً من سفاخته وسوء لسانه ، أو جرياً وراء الرشوة ومرصاة  
الزعماء ، أو سخطاً على حرير لمجده ، فقد أعان الفرزدق البيت المحاشمي ،  
والبيت أعان عسار بن ذُهَيْل ، والأحطل يغفل رشوة ابن عَطَّارِد ، وعمر بن  
بَلْأ يعيث شعر حرير ، وسراقة البارق يبهجو حريراً بأمر بشر بن مروان ، والبستغ  
يُغَيِّس ابن بَلْأ ، والعباس بن يزيد السكندى يتحدى حريراً ، وحفصة الهراثي يسأل  
جريراً ما لا قبل له به فيأني فيبهجوه وكذلك الأعور السهلي . وهكذا حتى وجد  
حرير نفسه عرصاً لكل رام فناء ظله بالشعراء وأصيب ( بمركب النقص ) وصار  
شديد التأثير يصب لأقل هموة فيهبش أعراض خصومه مقدعاً مهجئاً حتى هاهنا  
النام<sup>(٣)</sup> .

(٢) قانص حرير والفرزدق ص ١٢١

(١) راجع في ذلك الأغاني ص ٣٤ - ٣٥ و ٧٠ - ٧١ و ٧٨ و ٨١ والشعر

والشعراء ص ١٩٦ و ١٩٧ و ١١٣ و ١١٤ .

ومن عوامل المناقصة أمور خاصة حالصة أو متآخرة ببعض ما سبق من أسباب  
كالكدي كان بين ابن الدُمَيْة وأمامة من مناقضة غربية ذكرناها في التمهيد أول  
الكتاب ، وكالكدي أشرنا إليه بين هُدْمة بن خَشْرَم وزيادة بن ريد الديلمي ،  
ومن ذلك ما قال رجل للحيث . أي رجل هو أبو كلدة ؟ قال : فتادة بن معرب  
أعرف به حيث يقول : —

إِن أَبَا كُلْدَةَ مِنْ سُكْرٍ      لَا يَعْرِفُ الْحَقُّ مِنْ لِبَاطِلِ  
الْأَيَّانِ ، فَقَالَ أَبُو كُلْدَةَ بِحْيِهِ :  
قُبِّحَتْ لَوْ كُنْتُ أَمْرًا صَاحًا      تَعْرِفُ مَا لَحِقَ مِنْ لِبَاطِلِ  
إلى آخر ما قال <sup>(١)</sup> .

وهذا المغيرة بن حَبَاء يرجع إلى أهله وقد ملأ كفيه بحوائز المهيب وصلاته  
والفوائد منه ، وكان أخوه صحرأضر منه فكان يأخذ على يديه ويبهأه عن  
الأمر بذكر مثله ولا يزال يتعجب عليه في الشيء حد الشيء مما يكره عليه فقال  
فيه صخر : —

رَأَيْتُكَ لَمَّا بِلَتْ مَلَا وَعَصْنَا      زَمَانٌ رَى فِي حَدِّ أَيْيَاهِ شَسْبًا  
يَجْنَى عَلَى الدَّهْرِ أَنَّ مُدْنِبٍ      فَامِيكَ وَلَا تَجْمَلُ غِيْلُكَ لَنَا دُبًّا  
فقال المغيرة بِحْيِهِ :

لَحَى اللَّهُ أَبَانَا عَنِ الصَّيْبِ بِالْقَرَى      وَأَقْصَرْنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبًّا  
أَبْنَاكَ الْأَعْيَاكَ عَنِّي أَتَى      أَحْرَكَ عِرْصِي أَنْ لَعِبْتَ بِهِ لَبًّا  
ثم ما دار بينهما شأن أحتهما لما أنلف ماله صحر <sup>(٢)</sup> .

(١) الأغاني ٣٠٠ من ١٤٨ بولاق

(٢) الأغاني ١٦٨ من ١٦٨

وسياتى القول في هذا النوع خلال النقائص العامة .

— ٤ —

تلك هى العوامل الرئيسية التى بعثت النقائص أيام الامويين ، أوجلتها هنا على أن تنقاه مفصلة حين تعرض فيما بعد لشعراء النقائص ، وعناصرها ، ونصوصها ، إلا أن هناك نقطة نشير إليها الآن باختصار إلى أن يأتى تحقيقها . ذلك أننا أشربنا إلى أن ما دار بين كعب بن جعيل والنخاشى الحارثى بعد أول مظاهر النقائص في هذه الفترة التاريخية بعد حموها زمن الخلفاء الأولين ثم استمرت متتابعة الشواهد إلى قيام الدولة العباسية ، ولكن النقائص الخاصة بين جرير وخصومه ، متى بدأت ؟

هناك نص يقول : إن جريراً كان يهاجى عباس عام الجماعة<sup>(١)</sup> وذلك عام أربعين الهجرى ، ونص آخر يقول : إن جريراً كان يقول الشعر في حياة معاوية وأن بعض شعراء كان يردده يريد الله أمامه فيطن أنه له<sup>(٢)</sup> وهو أول شعر قاله جرير زمن معاوية . وهناك نص ثالث بأن أول شعر قاله جرير إنما كان رجزاً هجاء به بنى سليط لثأس سمع غسان ابن ذهل السليطى يرحل بقومه ، وذلك وقت ملك ابن الزبير<sup>(٣)</sup> أى بعد موت معاوية ابن أبى سفيان ، وكان هذا الرجز هو الخطوة الأولى لنقائص جرير مع خصومه وبعدها التعم مع البيت فالفرزدق وغيرهما .

فإذا عسى أن يكون الحق من هذه الأقوال ؟

(١) نقائص جرير والفرزدق ص ٢٥ — ٢٦ (٢) الأغنى ج ٨ ص ٥ دار الكتب .

(٣) نقائص جرير والفرزدق ص ١٢ .

يروى من حلكان أن جريراً عُمرُ ثَقِيلاً وثَمَاجِي سنة وأن وفاته كانت في  
سنة عشر ومائة أو في سنة إحدى عشر ومائة<sup>(١)</sup> فيكون ميلاده سنة خمس وعشرين  
هجرية على وجه التقريب وذلك في خلافة عثمان بن عفان (٢٢ ٥٢٥)  
ومعنى ذلك أن يقرب من الثلاثين أيام معاوية فيكون شاعراً على الأرجح ،  
ويجوز أن تكون له أبيات العتب التي تمثل بشيء منها يزيد بن معاوية مع أبيه  
وهي لقي غائب بها جريراً أباه كما يرجح ذلك مصها إذ يقول فيها : —

وإني لمسرورٌ عَظْلُ يَلْمِي	لَيْلَى أَرْجُو أَنْ مَلَكَ مَايَا
فَأَتَى أَبَى مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاحَةً	فَإِنْ عَرَصَتْ أَيْفَتَ إِلَّا لَا أَبَايَا
نَأَى يَحَادِرِ تَحْمِلِ السَّيْفِ سَدَمَا	قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا
بَأَى حِمَانٍ تَعْلَمُ الْقَوْمَ بَعْدَهَا	رَعَتْ سَدَامًا مِنْ قَتْلِكَ مَا ضِيَا
أَلَمْ أَكُ دَرَاً يَصْطَلِيهَا عَدُوْكُمْ	وَجِرَرًا نَا أَلْحَانُمُ مِنْ وَرَائِيَا
وَهَاسِطَ خَيْرٍ فَيَكُمُ سَمِيهٍ	وَقَامَسَ شَرًّا عَنْكُمْ بِشَاهِيَا
أَلَا ، لَا تَحَا نَبَوَى فِي مُبْنَةٍ	وَحَا النِّيَا أَنْ تَفُوْكَ سَايَا <sup>(٢)</sup>

وإن روى أبو الفرج أنه قال هذه الأبيات لآله<sup>(٣)</sup>

فإذا عرَضَ ذلك صادقا أمور : منها أن جريراً كان يهاجى غسان من  
عام اجتماع الناس على معاوية وذلك سنة أربعين فيكون سه نحو خمسة عشر  
عاماً وهي سن لا تمنع أن يرجع جرير وإن كانت تعد ذلك إلى حد ، ومنها أن  
جريراً إنما بدأ مراجزته مع غسان أيام ابن الزبير أي بعد موت معاوية وكانت

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠١ (٢) غانسي جرير والفرزدق ص ١٢٧ .

(٣) الأغانى ج ٨ ص ٥ دار الكتب .

هذه المراجعة أول ما شُعر ، فهذه الرواية تناقض شعرية حرير أيام معاوية ،  
ومنها أن هذه الآيات إنما وردت في نقيضة لحرير رد بها على الفرزدق  
قصيدته : —

ألم تر أني يوم حَوْسُوبَةٍ      نكيتُ هادتي هُبْدَةً مَالِيَا

وهي أول قصيدة هجاءها جريراً والبيث<sup>(١)</sup> ، وهي أيماً رد على قصيدة  
للبيث في هجاء حرير من جهة وفي إجابته للفرزدق<sup>(٢)</sup> عن قوله في البيث : —  
ألا استهزأت مني هُبْدَةً أَنْ رَأَتْ      أميراً يَذَانُ خَطْوَهُ حَلَقُ الْحِمْلِ<sup>(٣)</sup>  
وفي هذه القصيدة يترك الفرزدق قيدَه الذي أخذ به نفسه حتى يجمع القرآن  
منصرفاً عن الشعر ، ويقول إنه قصي ثلاثين علماً و عديّة<sup>(٤)</sup> .

ومعنى ذلك أن آيات حرير البينة إما أن تكون قيت أيام معاوية ثم  
أصبحت إلى النقاظ بعد ذلك مابرة لرواية أبي عبيدة في تريب النقاظ ، وإما  
أن تكون الماقصة بدأت أيام معاوية وفي ذلك ماقصة لرواية أبي عبيدة أن  
النقاظ بدأت أيام ابن الزبير كما أسفنا

فإذا تركنا المسألة ، من ناحية جرير ، عد هذا الحد ، وعدنا إلى الفرزدق ،  
وحدنا ابن حنكاس يروي أنه توفي سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوماً ،  
وقيل ثمانين يوماً ، وقيل إنهما موفا سنة إحدى عشر ومائة ، وقيل إن الفرزدق  
لقي علي بن أبي طالب وتوفي سنة عشرة وقيل اثني عشر وقيل أربع عشرة ومائة ،  
ومات وقد قارب ثلاثة<sup>(٥)</sup> فإذا أخذنا المسألة بالتقريب كان ميلاد الفرزدق سنة

(١) نقاظ حرير والفرزدق من ١٦٧ . (٢) من المرجع من ١٣٢ . (٣) المرجع  
السابق من ١٢٢ . (٤) من المرجع . (٥) ويأت الأعيان ج ٢ من ٢٠٠ .

خمس عشرة أيام عمر بن الخطاب ، و يؤيد ذلك ما روى عن الفرزدق أنه كان في خلافة عثمان بن عفان علما يهاجى شعراء قومه وكان قومه يحشون معرفة لسانه بمد يرمثد<sup>(١)</sup> وأنه لقي على بن أبي طالب مع أبيه عام الجمل (سنة ست وثلاثين) وهو شاعر فأشار على بن أبي طالب على أبيه أن يعلمه القرآن<sup>(٢)</sup>. وليس من شك أنه وفد على معاوية سنة خمسين هجرية وكان شاعرا كامل الأداة حريء اللسان تناول على معاوية واعتذر عليه لما ردت عطاء الخنات المجاشعي إلى بيت المال<sup>(٣)</sup>. كان الفرزدق بكبير جريرا بسحو عشر سنين أو خمس عشرة سنة ، وذلك أمر مقرر مشهور ، فيكون ميلاد جرير ، سنة خمس وعشرين إلى ستة ثلاثين ، وتكون سنة عام الجماعة من عشر سنين إلى خمس عشرة سنة ، وهالا يميل إلى أنه كان يهاجى غسان حين اجتمع الناس على معاوية ، وتكون سنة أيام ابن ازيير نحو خمس وعشرين سنة أو تزيد وهي من صالحه لبدء المراجعة كما تروى لها .  
بقي أن نعرف الأمر في رواية الأغاني للتصلة تتمثل يزيد بأبيات جرير ، والأرجح أن هذه الأبيات ليست في محاطة جرير لآبيه ، فهي إما متجهة إلى أبيه وإما إلى أخيه دليل ما يروى : —

فانت أحى ما لم تكن لي حاجة فان عرست أبقت أن لا أحال  
و دليل ما ورد قلله : —

وإني لأستعيبك وانلرق بيننا من الأرض أن في أخائي قاليا<sup>(٤)</sup>  
ويقول شارح القائض : إن جريرا يعاتب عمه في هذه القصيدة لأنه وعده بشيء فلم يف به له وروى أنها في عتاب جده الحظفي<sup>(٥)</sup>.

(١) و (٢) الأغاني ١٩ ص ١٠ • (٣) الصري وديوان الفرزدق ص ١٩ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق ص ١٧٧ .

(٥) ديوان جرير ص ١٦٥ مصر ١٣١٣ هـ .

وبعد ذلك ألاحظ أن هذه الأبيات ليست مَكِينَةً في موضعها من القصيدة فإن قَبْلَهَا السببَ التعليلي وسدّها المعرّ فالهجاء ، وهذا هو الطابع العام للقائض أما أن يتوسطها عتاب خاص فهذا شيء غريب . ومهما نقل في فنون القصيدة القديمة وعددها والاقتضاب بينها ، فإنه يبقى أمامنا هذا العتاب الخاص الذي لا يتصل بموضوع النقيصة إلا بمحل غير مألوف ؛ لذلك أميل إلى أنها مضافة إلى هذه النقيصة وليست منها في أصلها الأصيل .

فإذا صح ذلك ، خرجت رواية الأعاني من صميم الحركة ، وصار وضع المسألة هو : أدأت القائض ، بين جرير وعسان ، ومن ابن الزبير أم قبله ؟ وإذا كان الأول فهل كانت هذه المراجعة أول شعر جرير ؟ وإذا لم تكن أول شعره فهل تكون الأبيات السابقة أول شعره ؟ وأما إذا كانت أول شعره فقد بطلت رواية الأعاني ، وكان علينا أن نبحث عن مكان هذه الأبيات من ديوان جرير .

لا أميل إلى أن القائض بدأت عام الجماعة لصغر سن جرير إذ ذاك ، فهل بدأت أيام معاوية ، وقبل ذلك ابن الزبير ؟ أميل إلى أنها بدأت آخر عهد معاوية وقبل الملك الزبيرى ، وأن هذه المراجعة ليست أول ما شعر بدليل غيبة جرير على عسان — على الرغم من بياضة عسان وقتذاك — وإنشائه القصيد ردأ عليه في الحال ، وأن هذه المراجعة من ناحية جرير كانت مسابقة لفن عسان الذي هجا به رهط جرير .

وأما الأبيات المذكورة في العتاب فلا مانع عندي أن تكون من شعره أيام معاوية وأن يكون يزيد قد تمثل بها أمام والده .

وهنا لا تنفق مع شرح القائض حيث يقول<sup>(١)</sup> : إن جريراً أوفت رجز

(١) قائض جرير والهرردق ص ٢ .

غسان يقومه كان يرعى على أبيه الغنم لم يقل الشعر بعد ، ذلك أن سن جرير  
كانت ثلاثين سنة على أقل تقدير . أفيلغ جرير هذه السن دون أن يقول  
شعراً ؟ وإذا كانت تناقضه مع الفرزدق دامت حسين سنة فيما يقال ، وأن  
بدأها تأخر عن سراجته مع غسان ومهاجته البيهقي ، فلا بد أن هذه المراحة  
بدأت آخر عهد معاوية .

— ٥ —

أما عن فنون النقائض فلما نقول شيئاً جديداً ، بعد ما ذكرنا في التمهيد ،  
أنها استملت جميع فنون الشعر العربي إذ ذاك ، من سيب ، وحجاسة ، وفجر ،  
وهجاء ، ورناء ، ووصف وغيرها ، وإن كان الفخر والمجاء فيها الأساسيين يقومانها  
ويُضفيان طائفتها على الفنون الأخرى فتأثر معايبها بالفخر والمجاء .

وهذا أمر طبعي : فإن التصبغة العربية تبدأ بالنسب عادة وقد علب ذلك  
على النقائض ولا سيما عند جرير الذي يعد أستاذ هذا الفن بين رملاته خاصة ،  
وكانت معنى هذا الفن محالاً للتناقض في بعض الأحيان كما سحر جرير باصطلاح  
الفرزدق الحلال والحنه في ديباجة ميسئة : —

تَمَحَّنْ بَزُورَاءَ الْمَدِينَةِ بَاقِي حُسَيْنِ عَمُولِ تَبْنِي الْبُورَاءُ أُمِّ  
فَقَالَ جَرِيرٌ فِي تَضَمُّنِهَا عَلَيْهِ : —

أَتَيْتَ حُدُودَ اللَّهِ مَدَّ أَسْتِ يَاقُمِ وَشَتَّ مَا بَيْنَهُكَ شَيْبَ الْهَارِمِ  
هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَاحْذَرُوا مَدَّخِلَ رَجْسٍ بِالْخَيْثَاتِ عَالِمِ  
لَقَدْ كَانَ إِحْرَاحُ الْفَرَزْدَقِ عَكُمْ طَهُورًا لِمَا بَيْنَ الْمُصَلَّى وَوَقْعِ<sup>(١)</sup>

(١) نقائض جرير والفرزدق ١٥ ص ٢٩٦ ميم أوروبا .



وكانت لحاسة من لوازم الفخر إذ هي من اتقوة والتعالى ولا سيما عند ذكر مواقف القتال والظفر بالمجد والسيادة ، فصارت بذلك عصباً من عناصر هذا الفن القائم على الخذل والملاحاة ، وقد عرّض جرير في رثاء روحه لهجاء الفرزدق فردّ عليه وهجا زوجته التي أحسن جرير الثناء عليها فصار الرثاء من بجالي القائض أيضاً ، وكان وصف الثمائل والرذائل وتصوير ما يلبسها من معاني الهجاء والمداخلة حتى عدت بعض الصور غاية في الهجاء والسخرية أو العبر والنساء .

غير أننا نلاحظ هنا سراعاً ، إلى أن يمر عصيته ، أن جريراً كان مقدماً في النسب والهجاء المنتصين بالقائض ، وأن الفرزدق امتار بالعجز في هذا السلب ، وكان الأخطل يعجز ويهجو معتدلاً وواصل ذلك بلندح والخريات .

وكل ذلك طمى عند الثلاثة المحول الذين يمثلون هذا الفن أصداق تمثيل وأقواء ، وإن اشتركوا جميعاً في تناول هذه الصون كلها ، ما عدا الخمر ، فلم تكن من فنون جرير والفرزدق ، وكانت الصون عديم مختلفة متعوبة غير مفصلة ولا دقيقة الحدود .

اعتمد السيب عند جرير على رقة طبعه ، وصنف شعوره الإنساني الطمى ، وتهذيبه الإسلامي ، فكان عنده فناً رقيقاً ، مطرداً ، حصياً ، طويل النفس غالباً كأنه دور موسيقى رائع يحتل مطالع غنائمه تعبيراً عن منه وإعداداً لها حتى ليعد جرير أساداً لشعره في هذا الصرب من السيب وقد يكون المحترى خبيثته فيه ، فإذا أرمى نفسه منه انتقل إلى الفخر أو الهجاء . وقد يصطدم سيب مصططع عند خصمه فيعرض له بعد ذلك ناقصاً أو ساحراً مكذباً كالمثال السابق ، في حين أن الفرزدق مثلاً لا يتقيد بهذه الدباجة ناسياً فيهمج على موضوعه أو مسبب موحراً جداً وكذلك الأخطل إلا أن تقلب عليه الخريات أو بسبب نسياناً لا روح فيه ، فاقراً رأيته الأخطل : -

حب القطبين فراحوا منك أو نكروا      وأدعيتهم نوى في صرفها غير<sup>(١)</sup>  
وأقرأ يائية جرير : —

ألا حتى رَغِي نَمَّ حَيُّ المَطَالِيَا      قد كان ما نوساً فأصبح خالياً<sup>(٢)</sup>  
أولاميته : —

لَمِن الدَّيَارِ كَأَنَّهَا لَمْ تُحَلَّلِ      بين الكِباسِ وبين طَلحِ الأغرْلِ<sup>(٣)</sup>  
أولاميته : —

أَفَلَى اللُّسُومِ عَادِلَ وَالْعِشَابِ      ومولى إن أصمتُ لقد أصابا<sup>(٤)</sup>

كذلك اعتمد المجيء على صدق حبه ، وشدة تأثره ، وتخاص خصومه وتأنسهم عليه ، وكثرة ما بالوه من بواحي فقره ، وهوان حبه ، وقلة جوده ، فكان بشور عليهم و نشر محاربتهم أو يحقها في صور مضحكة ساحرة انتقاماً لنفسه وتسيباً عنها ما بها من غيظ واستحابة (لمركب النقص) انهدى أصابه ، وساعد ذلك سبرورة شعره لسهولة حفظه وعجيب خياله كقوله للأحطل :

والعلبي إذا تجمَّعَ للقيرى      حَكَّ أسنَّه وتغَّثَل الأمثالا<sup>(٥)</sup>  
وقوله لثراعي : —

فغص الطرف إنك من نعيم      فلا كعباً طعت ولا كلالاً<sup>(٦)</sup>

ومن الملاحظ أن المجيء ببلغ على أيدي هؤلاء المعول حذ السباب والعش إلى درجة لم يعرف الشعر العربي من قبل كما وكيفا .

(١) قائل جرير والأحطل ص ١٤٨ . (٢) قائل جرير والفرزدق ص ١٢٢

(٣) نفس المرجع ص ٢١١ (٤) نفسه ص ١٣٢

(٥) قائل جرير والأحطل ص ٨٩ (٦) قائل جرير والفرزدق ص ١٤٦

وقد طفر العهر عند الفردق بطبع قوى ، وحسب ضخم ، وغنى عرس ،  
ومعحر شتى ، وأيام عدة ، فاستمد منها عتاداً مكياً وأسلوباً حرلاً وكان ميمته  
العالية فى النقائص وإن لم تحل قصائده من هجاء مقدع فاحش ، واحتلاق المعجازى ،  
وأحد بالنسب ، ليود بذلك على جرير كما أن جريراً وجد فى نعيم عامه ما أثر شتى ،  
وفى يروع رهطه معاهر وأياماً أشاد بذكرها فى خائضه ، وفى قيس عيلاً مواضعها  
ووقائصها التى وصعها أمام ربيليه ، تحم الفردق قوى الفهر فى لاميته : —

إن الذى سلك السماء بى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول<sup>(١)</sup>

وفى ميمته : —

تحين بزرواه للدينسة ناقتى حنين عحول نشفى البورائهم<sup>(٢)</sup>

وفى قائمته : —

خرزت بأعشاش وما كدت نعرف وأنكرت أئمن حذرأه ما كنت تعرف<sup>(٣)</sup>

وفى لاميته : —

سموا لجبران اليماني وأهله وعمران أرض لم تدبث مفاولة<sup>(٤)</sup>

وفى فصاحتها جرير ، وعد الشعراء المصورين . فى باب النقائص . مثل  
جميع ما سبق مرد عليك فيما يلى .

وقد وجد الأخطار فى أيام سلب القديعة والحديثة مدداً لفهره كما فخر مدارم  
على يروع وقيس عيلاً ، واستطاع أن يهجو جريراً بما هجاء به الفردق ويعرض  
ذلك فى صور قبيحة نصاً كقولها فى رهط جرير : —

قوم إذا استبح الأصباح كتبهم قالوا لأهمهم : بول على النار<sup>(٥)</sup>

(١) المرجع السابق من ١٨٢ . (٢) نفس المرجع من ٢٢٤ .

(٣) من ٤٥٨ - ٢ . (٤) ج ٢ من ٦٠٠ .

(٥) نقائس جرير والأحطل من ١٢٥ .

من قصيدته ٦ :-

ما زال يرباطُ الحيلِ مُعلَمةً وفي كُتَيْبٍ رِبَاطُ الدلِّ والعارِ  
وبينا الرثاءُ ، فمَارَتْ جَرِيرَ زَوْجِهِ حُلَّةُ بِنْتِ سَعْدِ أُمِّ ابْنِ خَرَّةِ

قصيدته ٧ :-

لولا الحُبُّ لَعَادَى اسْتِعَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالحَيْبُ يُرَارُ<sup>(١)</sup>  
هجا فيها الفرزدق والهميث فتقصها عليه الفرزدق قصيدته ٨ :-

أَعْرَفْتُ بَيْنَ رُؤَيْتَيْنِ وَحَسَلٍ دِمَاسُ نُلُوحٍ هَكَأَهُمَا الْأَسْطَارُ<sup>(٢)</sup>  
وهجا فيها جريراً وروجه ٩ :-

كَانَتْ مَنَاقِبُ الْحَيَاةِ ، وَمَوْنُهَا خَزَى عِلَانِيَةً عَلَيْكَ وَعَارُ  
فَلَنْ تَكُنَّ عَلَى الْأَنْبَانِ لَقْدَمِي جَزَعًا غَدَاةً يَفْرَقُهَا الْأَعْيَارُ  
تَسْكِي عَلَى أَسْرَافَةٍ وَعِنْدَكَ مِنْهَا قَسَاةٌ يَسْ لَهَا عَلَيْكَ خَمَارُ  
وهكذا كانت الفنون كلها ممرِّصاً للنقائص ، وأدواته الباطنة ، يدافع بها  
الشعراء عن أنفسهم أو يردون عن غيرهم من الشعراء ومن يلوذ بهم كما هو  
مقرر معروف<sup>(٣)</sup> .

هذه الفنون ، على الرغم من التطور الذي أصابها في القرن الأول ، اعتمدت  
في معانيها على الأسباب ، والأحساب ، والألحان ، والدين ، والصدق ، وتمحيد  
الشعر ، وعلى حوادث وأمر خاصة طارئة حقيقية أو خيالية محتملة ، كحادثة السيف ،  
وجيش ، والزيار بن الموام ، وجارية جرير ، وأزواج الفرزدق ، وشاعات قيس  
مع تغلب ، وغيرها تناولها الشعراء وشروها في قائلهم الباقية ، وفي الفصلين  
التاليين نلمسه هولا الشعراء وبتلك العناصر أو المقومات .

(١) قائل جرير والفرزدق ص ٨٢٧ - ٢ .

(٢) قائل جرير والفرزدق ص ٧٦٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢ - ٦ و ١٢٧ و ٢٥١ و ٥٢٧ و ٥٧٦ .

# الفصل الثالث

## شُعراء النقائص الأموية

— ١ —

سُئِلَ جرير : مَنْ أشعرَ الناس ؟ قال للسائل : قُمْ حتى أعرفَكَ الخواب ، فأخذ يده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عزاء له فاعتقلها وجعل يمحسّ طَرَعها ، فصاح به : اخرج يا أَسَدَ الحُجْرِجِ شيخَ دميمٍ رَثَّ الهيئة وقد سالَ ابنُ اعمَرَ على لحيته ، فقال ألا ترى هذا ؟ قال سم . قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ، أفتدري لم كان يشرب من صَرعِ المنز ؟ قال : لا . قال مخدفة أن يُسمع صوتُ الحُلُبِ فيُصلبَ منه ابن . ثم قال : أشعر الناس مَنْ فاخرَ بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وفارَعهم به ففلسهم جميعاً<sup>(١)</sup> .

هذه القصة ، على فرض وضعها ، تدل على كثرة من فاخرهم جرير حتى بلغوا ثمانين شاعراً ، وإن كانت المفارقة لا يتحتم أن تكون في صورة المنافسة بوجهها الإصطلاحي المعروف . كذلك يحسن أن تلاحظ منذ الآن أن لفظ مدخرة معناه تبادل الفخر من جانيين ، فهل كان بين جرير وبين هؤلاء الثمانين معاصرة من الجانين أو أن الفخر كان أكثر من ناحية جرير على أقل تقدير ؟ ومن هم الثمانون شاعرا الذي التحم معهم جرير في سبيل أبيه ؟ ألا يجوز أن تكون كلمة (شاعرا) هنا من باب التغليب وأن من بين من افتخر عليهم أو هجمهم عشائر أو أناس ليسوا من الشعراء ؟

(١) الأغاني ج ٨ ص ٤٩ دار الكتب

وقال الأصمى ، وذكر جريراً فقال : كان نهشه ثلاثة وأربعون شاعراً  
فيسدهم وراء ظهره ويرى بهم واحداً واحداً ومنهم من كان ينفحه فيرى به ، وثبت  
له سرردق والأحطل . وقال جرير : والله ما يهجوني الأحطل وحده وإنه يهجوني  
معهم حسون شاعراً كلهم عريز ليس بدون الأحطل ، وذلك أنه كان إذا أراد  
هجائي جمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتاً ويستحل هو القصيدة بعد أن  
يشموها<sup>(١)</sup>

ورواية جرير عن الأحطل وشركائه تقرب منها رواية لجرير أيضاً وردت في  
إحدى نقائصه حيث يقول : —

أعدتُ لشعراءِ ككأساً مَرَّةً	عدى مُحاطُها السَّيَّامُ المنقَعُ
فَلَا يَهَامُ نِسْفَةً قَتْنُهُمْ	أو أربعون حدوتهم فاستجمعوا
حَصَبُ مَعْضَمٍ وَمَعْنُ خَذَعُوا	فشكا المَحوَانِ إلى التَّلْعِي الأجدعُ
كَانُوا كَشَرَكَيْنِ لِمَا بَايَعُوا	خسروا وَشَفَّ عَدِيهِمْ فاسترضعوا
أَقَيْنْتَهُمْ وَقَدْ قَصِيتُ قَصَائِهِمْ	أَمْ يَصْطَلُونَ حَرَّ نَارٍ تَسْفَعُ
ذَاقُ التَّرْدُقِ وَالْأَخِطَلُ حَرَهَا	والتَّارِقُ ذَاقَ مِنْهَا التَّلْتَمُعُ
وَلَقَدْ قِيدْتُ لَذِي الرِّقَاعِ هَدِيَّةً	وَتَرَكْتُ فِيهِ وَهِيَّةً لَا تُرْقِعُ
وَلَقَدْ صَكَّكْتُ بَنَى الْعَدُوِّ كَيْ صَكَّةَ	فَقَفُوا كَمَا لَقِيَ الْقَرِيدُ الْأَصْلَعُ <sup>(٢)</sup>

الفرد الأصمعي هو الفرزدق .

أما قول الأصمى يهبط بالمدد إلى نحو النصف ، وهذا شيء ، يرد تحقيقه .  
وأما حكاية جرير فلا أظنها حقاً هذه الصورة التي وصفها ، وإن لم يبعد كثيراً  
عن قول الأصمى .

قيت قصة أخرى طرفة حلاصتها أن جرير وفد على الخجاج فسأه : علام  
تشم الناس ونظامهم ؟ فقال جرير : ولله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلموني  
فأقتصر<sup>(١)</sup> ، وأخذ يسرد له من التحم بهم في المعاء فكانوا عشرة ماقصوه هم  
غان بن دهيل السليطي ، والبيث الحاشي ، والفردق ، والبتع وهو المسنير  
ابن سيرة القصري وهؤلاء من تميم ، ثم الأخطل التليبي ، وخمة الهرازي وكلاء  
من ربيعة بن يزار ، ثم الراعي من قبس عيلان ، ثم سراقه البرقي من كهلان ،  
ولماس بن يزيد الكندي ، وسحمة الأعور النباهي الكهلي وهؤلاء من اليمن  
وهم جميعاً غير ستة أعانوا عليه هم المزاريق سفد التميمي أعان عليه الفردق ، وحكيم  
ابن معية التميمي أعان عليه غسان السليطي ، وتور بن الأشهب بن ربيعة النهشلي  
من تميم أعان عليه الفردق ، والدلمس أحد بني ربيعة من مالك بن زيد مائة  
من تميم أعان عليه الفردق ، وقبضة الكلب أعان الدلمس وقومه ، وعائقة ،  
والسرندي من بني الزباب (أحياء من ضنة بن أد بن طابخة من مصر) أعانوا  
عليه ابن لجأ ، ثم اثنان رؤيا شعر الفردق هما هيرة بن الصلت الرقي من ربيعة  
ابن مالك من تميم ، والظموي من بني مطوعة بنت مالك بن حنظلة التميمي ، وهذان  
تمردوا لجأ الذي عبث بشعر جرير وأمد روايته وسحر به ، وعقبة بن السبيع  
الظموي وكان يذردم جرير ، وهؤلاء جميعاً هجأهم جرير دون أن يماقصوه وإن  
هيجأ بعضهم<sup>(٢)</sup> .

وهذه القصة كما أوردها أبو القرج يظهر أنها موضوعة ، لعدة أمور :  
أولها : أنها تدل على أن هذه الواقعة كانت أول ما وفد جرير على الخجاج من  
قبل وإلى له على النصرة هو الحكم بن أيوب الذي رأى في جرير أعرايا شيطانا وشاعراً

(١) الأعاني ج ٨ من ١٤ دار الكتب ، وراجع النقاش من ٥٠٠ بيت ٣٥ و ٣٦

(٢) اقرأ القصة في الأعاني ج ٨ من ١٤ دار الكتب

طريقاً فعث به إلى الحجاج ، وفي هذا الوقت لم يكن جرير قد النعم بالأحطل ، مثلاً ، فإن يقرر أنه النعم به بعدما عرف وشهر تقاضيه مع الفرزدق وقدم الأحطل على بشر بن مروان فرشاه محمد بن عمار بن عطار الجاشعي ليحصل الفرزدق على جرير فحصل عطار بينهما التهاجي ، والقصة تدل على أن جريراً كان محبباً عند الحجاج وحليفته الحكم بن أيوب ، ولم يكن اتصال دمشق ورحال الأسرة الحاكمة .

وثانيها : أن قصة جرير مع جمة الميراني تدل على أن جمة سأله الحقة التي كساه بإياها الوليد بن عبد الملك ، ولم يكن الوليد حبيفة — إذا صح أنه أعطاه إياها وهو حليفة وهو أمر راجح — حين قدوم جرير على الحجاج أول مرة ، إذ كان الحجاج هو الذي عث جرير إلى عبد الملك بعدما سارت مدامحه في الحجاج ، وكانت صلة الشاعر بالحليفة الوليد بعد ذلك لا قبله .

وثالثها : أن أسلوب القصة يفسح وصفاً ويدل عليه ، فإنك تجد الحجاج يسأل جريراً عن حصومه واحداً واحداً فيذكر جرير غسان مثلاً فيقول له الحجاج : ماذا قال لك ؟ فيجيبه ، ثم يسأله الحجاج : فماذا قلت له ؟ فيجيبه وهكذا يجرى السياق طبعاً مؤيداً حجة جرير في أنهم يبدأونه ألقاء فبرد عليهم منتصفاً نفسه ولكن العجيب أن هناك حصوماً لم يبدأوا جريراً بالثمر وإنما رويوا شعر الفرزدق أو أعانوا على جرير ، فوجد الحجاج — وكأنه يعرف هذا الغيب — لا يسأل جريراً عما قال هؤلاء ، وإنما يسأله توماً : فاقلت له ؟ فيجيب جرير عما قال . تجد ذلك شأنه مع ثور بن الأشهب النهشلي ، والد الحمس ، وهيرة بن الصلت وغيرهم .

هذه القصة بصورتها الواردة في الأغاني موصوعة من غير شئ ولكنها



لا تنفى لتعام هؤلاء مع جرير وأن منهم من ناقصه كما رأيت في العشرة الأولى .  
وعلى أية حال هناك رواية الأصمعي نص على أن من هاجم جرير بلغوا  
ثلاثة وأربعين شاعراً وهي صريحة في أن المهاجاة كانت من الحاسين ، وهناك  
رواية جرير الثانية تدل على أن عصبة تبليغ الحسين شاعراً تعين عليه الأخطل ،  
وهذه الرواية ليست في قيمة سابقها ، إذ لا تنص على أن أحداً من الحسين قد  
التحم بجرير مباشرة ، وإن كان المحسون أعواناً للأخطل ، وهناك العشرون  
الذين ذكروهم جرير للحجاج ، أو الذين ورد ذكرهم في هذه القصة ، فلم يناقضه  
منهم إلا عشرة والبقون إلـب عليه .

نقت رواية الثمانين التي رويت عن جرير وهي مشهورة سائرة ولئن لم تعين  
أحداً منهم ، وهذه يصح أن تقرأها بروايته عن الحسين أعوان الأخطل لأنها تجمع  
إليهم سوام من انفردوا بالمهجة أو كانوا مع الفرزدق أو أسيث ، أو كانوا أناساً  
مبعوثين دون أن يصكروا شعراء هجائين .

فما الرأي في هذا العدد الذي اتصل بجرير في هذه المعركة الهجائية أو التمهيرية  
كما تقول الروايات ؟!

رجعنا إلى ما بأيدينا من المراجع فبيننا أن الذين اتصلوا بجرير في باب المهاجاة  
طوائف أربعة : —

١ شعراء التحم بهم في صورة مناقصة وهؤلاء لا يتحاربون ستة عشر  
شاعراً في الغالب ، ذكرنا منهم عشرة من قبل وضميف إليهم عدي بن الرقع ،  
والحناني ، والصلتان العبدى ، وخـلـيد عـيـتـن ، وأبا الورداء عتمة بن مليص المقلدى ،  
وعمر بن لـجـة التيمي .

٢ — وشعراء وغيرهم أعابوا عليه الفرزدق وغيره فيها حرم وقد ذكر بعضهم فيما مضى .

٣ — وشعراء وأحياء وأدباء هجاء جرير لأسباب شتى وهؤلاء أكثر عدداً فقد يتجاوزون السنين ، وقد يكون بعضهم هجاء .

٤ — وشعراء عرضوا بده و بين الفرزدق فلم تلتصنا إليهم كالعين المقرى ، وربما كان هؤلاء أقل عدداً .

وحلة هذه الطوائف تبلغ الثمانين أو تزيد<sup>(١)</sup> .

وربما كان القريب أن عدد رجلا ، كجحرقي و شريك من بني ذهل بن الدؤل بن حبيفة ، ضلعه مع جرير ، فبهاء الفرزدق مرتين فلم يبت ، فبهجوه فبرد عنه جرير<sup>(٢)</sup> .

أمام ذلك تكون قصة جرير مع المجاج سليمة لامن ناحية صورنها وتاريخها يمكن من حيث ماورد فيها من الشعراء الذين ناقضوا جريراً ، أوهاجوه ، أوأعابوا عليه ، أوآروا شعر الفرزدق ، ثم تكون رواية الأصمى صحيحة إذ أصبح أن الذين هجاء كان فريق منهم ، على الأقل ، يهجونه أيضاً .

وأخيراً لا يصح عدد الثمانين إلا إذا تساهلنا في معنى ( فاخر ) الواردة في كلام جرير . وأردنا منها مجرد الاشتباك المحقق ولو من ناحية جرير وحده .

وإنما هذه المسألة مذكور ، أولاً ، أن الفرزدق ناقص مع جرير الطرمالغ ، وابن ربيعة الهشلي ، والبيث ، ومكيبة الدارمي ، والأصم لاهلي ، وهاجي جندل بن الراعي وذا الأهدام الجعفي ، وبني جعفر ومنهم حاجب وحبيب

(١) راجع ديوان جرير قصوى ، والأغاني ٨٠ ، والشعر والشعراء وطلقات ابن سلام والفاطس .

(٢) الفاطس ص ٨١٦

ابن حبيصة<sup>(١)</sup> وأن الأخطى ناقض مع جرير تُفيع من صفار المحاربي ، وتميم بن أبي مقبل العامري ، كما هبنا أرهاصاً وأشخاصاً آخرين وعمر عليهم ثم يذكر ، ثانياً ، أن كثرة الشعراء الذين التحموا مع جرير من تميم ؛ فقد نشأت نقائضه في رعدة بني يربوع ، وامتدت إلى أحياء تميم ، ثم تجاوزتها إلى غيرها من القبائل . كما ينصح نماني . وإذا حاولنا ردّ الذين هاجم جرير إلى قبائلهم تبين لنا أن حظ تميم أكثر والباقي موزع بين قبس ، وربيعة ، والجن ، وقريش ، والموالي .

## — ٢ —

أما كيف التحم شعراء النقائض معاً فمن الخير للباحث أن يسير تاريخ هذه النقائض الخاصة ثم يفرغ للإشارة إلى شعراء النقائض العامة . ولما كان جرير حبر الزاوية في هذا الفن ونقطة اشتراك رأينا أن نبدأ منه في بيان مواقف الشعراء في هذه النقائض راحمين أولاً إلى مقدمة نقائضه مع الفرزدق .

١ — كانت بكرة بنت ملبس أحد بنى مُقَلَّد بن كليب بن يربوع من تميم نحت تميم بن عُلانة أحد بني سليط بن يربوع أيضاً ، فصر بها تميم فشجها ، فلقى أخوها روجَ أخته نعيماً فلامه على ضربه وشحه لهاها ، فوقع بينهما لحد ، فشج تميم أخا بكرة أيضاً ، فحمل هلال بن حصصمة أحد بني كليب ثلث الدية وهو ثلاثة وثلاثون بيراً وثلاث جير ، وكذلك دية الآمة ( أي الشحنة ) فالنأم ما بينهم على دخن .

ثم ندرع بهو جُحيش بن سيف بن جارية بن سليط وسوا الخطى — عشرة

(١) ديوان الطرماح والنقائض والأعاني ، وفي النقائض بحاشية ص ٨٠٧ و ٩٠٩ و ٩٠٧

و ٩٠٧ والشعر والشعراء ولفظان ابن سلام -

جرير - في عدير بالقصاع ، حملت سوا الخططي تهجوم ، وكان سوا جحش  
مُعْتَمِن لا يقولون الشر ، فاسماوا ( غسان ) بن ذهيل بن البراء بن سليط ،  
فهما عسان بنى الخططي عن أبي عمه بن سيف بن حارثة ، وجرير بن عطية يرعى  
عم أبيه إذ ذاك ، فمر ذات يوم على غسان بُشْدَ بشيرته ، فركب معيراً وأقبل  
حتى أشرف على غسان والحجاعة فرجزهم رحرراً قبيحاً بالغ فيه ؛ ولحم النهاجي  
بين جرير وغسان لذلك ، وأخذ النهاجي صورة للماقصة الشعرية بعد الرحر ،  
فقال غسان أبياته :

لمرى لئن كانت بحيلة راتها جرير لقد أخرى كليباً جريراًها  
فأجابه جرير بقصيدته : -

الابكرت سمي لحد بُكورها وشق القصاص اجتماع أميرها  
واستمر ابتلاحيان . وقد رد على جرير أيضاً أبو الوراق عتبة بن مكيص  
المقدي من كليب بن يربوع فقال : -

إن الذي يسى بحر بلادنا كبتش نارا يكف بشيرها  
وما حارنا من ممد قيسلة فتفليح إلا وهي ندى محورها  
وإلا رميناها بصدر وكلكل من لشر حتى ما يهر غفورها  
أيا خططي واتى مُعِيد ومُعْرِض تُدْى أموراً جنة لا تُبْهِرُها  
ويسا كان عسان ذات يوم يُبْشِد كبيد بن عطار بن حاجب بن رزاره  
بالكلمة ويحدثه إذ جاء ( جناء ) بن حجاب الكلبي ولاحي عسان لا عتزاره  
بنفسه ( وكانت تميم حائفت كلها الحنية بعد مقتل عثمان ) فقطع هذان الخلف  
وأغار غسان على الكلبي وأخذ إليه فرجعت بنو ثعلبة بن يربوع إلى بني سليط  
فحبسها قيس بن حنظلة السليطي عن أحواله ، فقتل غسان في ذلك ، وقد جاء  
الكلبي يُنشد إليه : -

يُسألني حياء : أين مَخاضُ قَلتُ له : لا ملُ عثرةُ ناعيس  
فأجابه جرير عن حياء وحض عليه بنى عاصم وعثره العذر بحار بن  
يرجوع فقال : —

الآحى أطلال الرسوم النوارس وآرى أمهـلـر وموقـد قانس  
القصيدة ، والح جرير على بنى سليط بالهـجاء .  
٢ — وى أعقب ذلك أتى ( الصاب ) أعور بن بهان الطائي بن أخته  
( كهنة ) من ثمامة بن سيف بن حارية بن سليط يستقدم فى حالة أو حفر  
رَكبة فاعطوه فأرضوه وربنوا له أن يسأل جريراً ، وكان جرير لا يعطى أحداً  
لا يحافه — وإنما أراد بوثاممة أن يحميه جرير فيهموه — فلم يرض الأعور  
النهارى بحياء جرير فاصرف فهبها جريراً فقال : —

قلتُ لها : أهدى سليطاً بأرضها فتنسُ مَساخُ النازلين جرير  
ولو عند غسان أتلى على عرست رغا قرن منها وكاس قنبر  
وأنت كلبى لـكـلب وكـلبـة لها عـد أطلاب البيوت جرير  
فقال جرير برد عليه بقصيدته : —

عما دو حـمـيم بـعدـا وحـفـير وبالسر عـبـدى منهم ومـير

يقول فيها : —

وجدنا بنى بهان أذنب طيء ولقاس أذنب ترى وصـدور  
وأعور من نهان أما مهـلـر فاعنى وأما ليله فبـصـير

٣ — وكان ( البعيث ) الحاشى البارى من نعيم قد سُرقت لاله ، سرقها  
ناس من يرجوع يقال لهم منو ذهيل ، فطلبها البعيث حتى وجدها فى أيديهم ،  
فقالوا : إنما كانت مع لص فأنزعناها منه ، وكانت بينه وبينهم صلة رحم من قبل  
النوار بنت مجاشع ، وكانت ولدتهم ، وغان يومئذ بها بنى جريراً ، فجعل البعيث

يقول : وجدنا الشرف والشر في بني النوار بنت محاشع ، فبلغ ذلك عطية بن  
جمال أحد بني غدامة بن يربوع ، فقال :

وما أنت وهذا يا نسيث ؟ أنتدخل بين يربوع وأمت رجل من بني محاشع ؟  
صلف ذلك جريراً فهجا البيث وقومه بنصيده :

طاف الخيال ، وأين ملك ، لما  
فارح لزورك بالسلام سلاماً

فقال البيث وقد أغضه قومه بما كان صعب عن بني الحطائي : —

أجرير أقصير لا تحزن بك شقوة إن الشق نرى له أعلاماً

فركب عطاه بن الحطائي إلى بني محاشع فقتل لهم : أتم الإخوة والعشيرة وقد

قلنا فأنهبوا عنا ، فبني البيث بلا هجاءهم فالتعم الهجاء بين جرير والبيث

فسقط ( غسان ) وقال البيث يهجو جريراً : —

ألا حياء الرمح القواء ومثلنا وربما كجثمان الحمية أدهما

قال جرير يرد على البيث : —

لمن طلال هاج القواد للثيما وهم بلمايين أن يتكلمنا

وألح فيها على بني محاشع بالهجاء ، وأخذ يتهاجان بالنقائص .

٤ — وكان ( الفرزدق ) قل قول البيث ، وقد هجا بني ربيع بن الحارث

بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة فقال : —

أترجو ربيع أن يحى صفارها بخير وقد أعى ربيعاً كدارها

فلما سمع قول البيث في بني كليب : —

أترحو كليب أن يحى حذبها بخير وقد أعى كليباً قديمها

قال الفرزدق : —

إذا ما قلت قافية شرودا تمحلها ابن حراء البجان

فجاءه البعث : —

تَأْتِيهِمْ لِأَعْيُنٍ إِذْ دَعَاكُمْ بَنَى الْفَيْنَاتِ لَقَيْنَ الْيَمَانِي  
تَدْرَهُ سَيْوَفَ نَبِي حُوتَى كَأَنَّ عَلَيْهِ شَقَّةَ أَرْحُوانٍ<sup>(١)</sup>

حتى إذ عمَّ جريرُ ساءَ بنى محاشعِ أتى الفردق — وكان قيدهم حتى  
يجمع الله آثر وعاهد الله ألا يهجو أحداً أبداً — قتل : قَتَحَ اللهُ قَيْدَكَ فَقَدْ هَتَكَ  
جرير عورات فساتلك ، فُلِحْتَ شَاعِرَ قَوْمٍ فَأَحْمَطَهُ ، مَصَّ قَيْدَهُ ، وَكَانَ قَدْ  
نَبَأَ بِالْتِّحَامِهِ مَعَ حَرِيرٍ . فَلَمَّا رَأَى مَا وَقَعَ فِيهِ الْبَيْتُ قَالَ قَصِيدَتُهُ : —

أَلَا اسْتَهْرَأْتُ مَنِي هَيْدَةً أَنْ رَأَتْ أَسْبِرَ أَيْدَايَ خَطْوَةَ حَلْقٍ أَجْبَلُ

يَبْلُغُنِي الْبَعْثُ ، وَيَهْصُ لِلدَّفَاعِ عَنْ قَوْمِهِ فِي وَجْهِ حَرِيرٍ وَيَمْعُرُ بِنَفْسِهِ  
وَقَوْمِهِ ، فَقَالَ الْبَيْتُ يَهْجُو جَرِيرًا وَيُحْيِي الْفَرْدَقَ : —

أَهَاجُ عَلَيْكَ الشُّوقَ أَطْلَالُ دِمَةٍ سَاصِفَةِ الْخَوَّيْنِ أَوْ حَاسِبِ الْهَجَلِ

وهيها يبعث الفردق ، ويسحر قيده ، ويمعر نفسه ، وذنه عن رهطه ،  
ويدكر مآثر قومه وأيامهم ، ويهجو جريراً ونبي كليب .

فقال جرير يحيب البعث ويهجو الفردق : —

عُوجِي عَلَيْهَا وَارْمِي رِثْمَةَ التَّمَلِّ وَلَا تَقْلِبِي ، لَا يَحُلُّ لَكُمْ قَتْلِي

نعي فيها على الفردق مسلكته معه ، وذكر إشارات بهيم ودفاعه عنها ،  
وهجاء البعث والفردق ، وانحزير نوع ، وأشار في آخرها إلى أبي خالد الخمار  
من أنى ربيعة المخرومي وإلى البصرة من قبل عبد الله بن الزبير ، وأثنى عليه ،  
ورحاه ألا يشمت به أعداءه المترصين به الملائك .

وطاهر من النصوص والروايات<sup>(٢)</sup> أن الفردق كان حرماً ألا يلتحم

(٢) راجع النقائش من ١٢٣

(١) راجع شرح البعث في النقائش من ١٢٥

محرير في المهاجرة ، ولكنه وحده معه محرراً فقد هجا جرير رده في اشتراكه مع البعيث ، وأحبطه ساء قومه ، وحرره البعيث إلى المركة ، فلم يستطع أن يفرب بعيداً واضطر بعد ما سبق ذكره أن يجيب جريراً ولكنه يهجو معه البعيث هذه القصيدة التي يقول أبو عبيدة إنها أول قصيدة هجاها جريراً : —

ألم ترأني يوم حوَّ سُوَيْقَةً      مكيتُ فنادى هَيْدَةً : مَا لِيَا

دلَّ فيها على البعيث ، وهاء عن مجاشع ، ورماء بحر الشرور : —

وما أنتَ مِنَّا غيرَ أُنْكَ تَدْعِي      إلى آلِ قُرْطُيبٍ بعد ما كنتَ عاليا

تَكُونُ مع الأَدَى إِذَا كُنْتَ آسَا      وادْعِي إِذَا عَمَّ العناءُ التراقيا

ثم التفت إلى جرير وقومه ، فأندره بالويل لما تعرض له بالهجاء ، وتزل بقومه إلى الحميم أمام محمد دارم وسائهم وجلال أصحابهم

فأجابه جرير بنقيضته : —

أَلَا حَتَّى رَهْبِي نَمَّ حَتَّى المَطَالِيَا      قد كان مأبوراً فأصبح خاليا

وفيهما يشتكى السيب الرقيق الرائع ، ثم يورد هذه الأبيات التي عاتب بها أبا له أو أباه أو أحماء أو عمه على اختلاف الروايات والتي يقال إن يزيد بن معاوية تمثل معها أمام أبيه فطنها له ، وسها توسل جرير حتى دخل على يربد لما ولي الخلافة ، ثم افتخر معه ومكاته من خدع والتفت إلى ( قيون مجاشع ) الذين عدوا بالزبير في أعقاب وقعة ( الجمل )

فقال البعيث للفرزدق — لما وقع الشر بينه وبين جرير وجلا لا يلتفتان

إلى البعيث ، فقال لنا سقط البعيث : —

أشاركتني في تعبٍ قد أَكَلْتُهُ      فلم يبقَ إلا رأسه وأكارعُهُ

فدونك خُصْمِيهِ وما صُنَّتْ أَسْتُهُ      فإنك قمامٌ حَبِثَ مَرَاتِعُهُ



سَتَلِظُ يَوْمًا إِنْ تَخَطَّقَ لِحْمَهُ      وَتَدْنِعُ مِنْهُ بِالَّذِي أَنْتَ بَالِغُهُ  
وقال البعيث لذي يقان بن محمد بن عيلان بن محاشع في شيء كان بينه وبين  
الفرزدق : —

وإني لأستغنيكمُ ولقد أرى      ليسَ الموالي لو يرقَ لكم عطفي  
همُ استعدوا مني الكسبيَّ بعدما      هوى بين أيابٍ شُبَّكن من اللحمِ  
فلقي البعيثَ ناحيةً من صمصمة أخو غالب أبي الفرزدق ، فقال له ناحية :  
أنت المغيرُ ، يا عين ، والسَّاتمُ أعراضا ، والملقى ذبك علينا ، وقد متنا عليك ،  
ورمينا دومتك إذ كُلت مراميك ، فقال البعيث لناحية من صمصمة في ذلك : —  
أدحى ، إني لا إحالةً ناحيا      ولا مُعذِّي إلا رَكْوًا مَوْقعا  
أباحيَ قد عُذَّ اللثامُ فلا أرى      من الناسِ أدنى من أهلك وأوصعا  
نميتم أن تشمونا وتتركوا      أصمضعَ لثوكم المصلَّ صمضعا  
وما ترك الهجون لي في أدعكم      مصححا ، ولكي أرى مُترفا  
قال أبو عبدة : لم يرل الفرزدق وحرير يتهاجيان حتى هلك الفرزدق .

هـ — وأما ( الأخطل )<sup>(١)</sup> فقد قيل إنه لما مله تنهاجى جرير والفرزدق قال  
لابنه مالك : اهدر إلى العراق حتى سمع منهما فتأنيبى بحبرهما ، فاحسدر مالك  
حتى لقيهما ثم استمع منهما ، ثم لقي أباه فقال : وجدتُ جريرا يعرف من بحر ،  
ووجدت الفرزدق يبحث من صحر ، فقال الأخطل : الذي يعرف من بحر أشعرهما ،  
ثم قال : فصل جريرا الفرزدق : —

إني قصبتُ قصاءَ غيرِ ذي جَنَفٍ      لما سمعتُ ولما جاءني الخبرُ

(١) راجع طائفة جرير والفرزدق من ١٩٤ و ٨٧٩ والأعلى ١١ من ٦٦ و ٨٠ من ٦٢  
و ٧٤ و ٢١٥ و طائفة جرير والأخطل من ١٩٧ .

إن الفرزدق قد شالت رصامته وعصه حية من قوم دكر  
ولما ولي شر بن مروان الكوفة سنة اثنين وسبعين هجرية قدم عليه  
الأحطل فعت إليه محمد بن حمير بن عطار الجاشعي ألف درهم و نفقة وكسوة  
وخر وقال له : لأنني على شاعرنا واهج هذا الكلب ( يعني حريراً ) الذي  
يهجو بني دارم فإنك قد قصبت له على صاحبنا قل له أياتاً فاقص لصاحب عليه ،  
فقال في ذلك الأحطل : —

أحب كليب إليك ، إن نحاشماً  
قوم إذا خطرت عليك قرومهم  
وإذا وصمت أباك في مبراهيم  
ولقد تحاربتم إلى أحاسنكم  
فإذا كليب ليس تبدل دارما  
أجرير إنك والذي تسمو له  
وإذا سمعت يدارم قد أقبلوا  
فهم ذلك حريراً فقال يرد عليه حكه ويهجو محمد بن عطار و بني تغلب  
والفرزدق وقومه وبتحر رهطه ، وذلك في بقيضته للشهورة : —

لمن العيار يرق الزو حان يد لاسبع رمانا بزمار  
فرد الفرزدق على جرير بقيضته :

يا بن المراجعة والهجرة إذا التقت أعناقكم وتماحكت الخصال  
وذلك دخل الأحطل المركة مع الفرزدق ، قدم الأحطل لما هجاء جرير  
وقال : ما أدخلني بين رحلين من بني تميم ، وسعط للعرضون بين جرير والفرزدق ،  
وتكاوح شر بين الثلاثة ، ولما بلغ الأحطل قول جرير : —

لَا قَيْتَ مُطْلِعَ الْجَرَاءِ سَائِرَ رَوْقَ شَيْبَتُهُ وَعَمْرُكَ فَا  
 قَالَ الْأَحْطَلُ : صدق ، إنه شاب ، ولقد وليت . . . . . ومعنى في المعركة حتى  
 هلك ، فقال فيه جرير : —

رَأَى الْقَبُورَ أَبُو مَالِكٍ فَأَصْبَحَ أَهْوَى رُؤَايَا  
 فَأَجَابَهُ الْمُرْدُقُ فَقَالَ : —

رَأَى الْقَبُورَ أَبُو مَالِكٍ بِرَعْمِ الْمَدَائِقِ وَأَوْنَارِهَا<sup>(١)</sup>  
 وَلَمَّا سَمِعَ جَرِيرَ يَمُوتُ الْمُرْدُقُ قَالَ : —

هَلَكَ الْمُرْدُقُ بَعْدَمَا حَدَّثَهُ لَيْتَ الْمُرْدُقُ كَانَ عَاشٍ قَلِيلًا  
 ثُمَّ بَكَى ، فَسَأَلَ الْقَوْمَ مَا يُبْكِيكَ ، قَالَ نَكَيْتَ لِنَفْسِي وَاللَّهِ إِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ  
 لَقَلِيلٌ ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ اثْنًا قَرِيبًا أَوْ مُصْطَاحِيًا أَوْ رَوْحَانٍ إِلَّا كَانَ أَمَدُ بَيْنَهُمَا  
 قَرِيبًا ، ثُمَّ أَحَدُ يَرَى الْمُرْدُقَ ، وَمَا غَيْرَ بَعْدَهُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى هَلَكَ<sup>(٢)</sup> .

٦ — وَكَانَ عَرَادَةُ السُّعْرَى مِنْ قَبْلِ عِيْلَانَ مَدِينًا لِلْمُرْدُقِ فَقَدِمَ ( الرَّاعِي )  
 الْبَصْرَةَ فَاتَّخَذَ عَرَادَةَ طَعَامًا وَشِرَاءً وَدَعَا الرَّاعِي ، فَلَمَّا أُحْدِثَ الْكَدْسُ مَعَهُمَا قَالَ  
 عَرَادَةُ يَا أُنَا جَدُلْ : قُلْ شَرَأْتُ نَفْسَكَ مِنَ الْمُرْدُقِ عَلَى جَرِيرٍ<sup>(٣)</sup> فَمَنْ يَرُلُ يَزِيحُ لَهُ  
 حَتَّى قَالَ : —

يَا صَاحِبِيَّ دَمَا الْأَصِيلُ قَسِيرًا عِلْبَ الْمُرْدُقِ فِي الْهَيْجَاءِ حَرِيرًا  
 وَكَانَ الرَّاعِي شَاعِرَ مِصْرَ وَدَارِسَهَا فَلَامَهُ جَرِيرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي وَإِنْ عَمِي هَذَا  
 لَسَنْتُ صَبَاحَ مَسَاءٍ وَمَا عَلَيْكَ عِلَّةٌ لِلطُّوبِ . وَلَئِكَ عَلَيْهِ الْعَالِبُ ، فَإِنَّمَا أَنْ  
 تَدْعُنِي أَنَا وَصَاحِبِي ، وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ وَجْهَ مَكَ إِلَى أَنْ تُعْلِبَنِي عَلَيْهِ فَبِنِي أَحَقُّ

(١) قاتل جرير والمردوق من ١٠٤١ . (٢) نفس المرحوم من ١٠٤٤ .

(٣) من ١٢٧ والأعاني ٨ من ٢٩ .

ذلك منك لا تقطاعى إلى فوس ، ودى عنهم ، وخطى فى حنهم ، فقال له الراعى  
 - وهو من بنى القبية - صدقت ، نعم ، لا أعتك من خير ، ميعادك ( المرید )  
 عدا ، فصحه حر بر فينما هما يستنث كل واحد منهما مقالة صاحبه رآهما حدل بن  
 عبید الراعى فاقبل بركص على فوس له حتى صرب وجه العلة انتى تحت أبيه  
 الراعى وقال : مالك يراك الناس واقفاً على كلب من كليب ، وصره ، فحمى  
 حر بر وقال : أما والله يان روع لثاين بنى عمير ، أعيا تقال ، إن أهلى ساقوا نى  
 وبرا حلقى حتى وصونى سارعة الطيق بالمرى ، والله ما أكسهم ديا ولا أخرى  
 إلا لأسب من سبهم من الناس ، وإن عبيداً منه أهله على رواحلهم من أكاف  
 ( حلص وهبؤد ) يلمس عليها البيرة والخير ، واسم الله لأوقرن رواحد مما ماء  
 يسوة نى عمير ، وجات جبرير ليلته حتى طلع مع الصباح على المرى ببائيته  
 المشهورة فى الراعى واسه وقومه والفرردق معترأ قومه حتى ملأت قصيدته  
 الآفاق : —

أقلنى اليوم عاذل والعنايا      وقولى ، إن أصبت ، لقد أصابا  
 فأجابه الفرردق سقيسته . —

أما بنى العاصين نى تميم      إذا ما أعظم الحدان ما  
 وكان الراعى قال وهو يريد قضا : —

أنا نى أن حش بنى كليب      تمرض حوا دجة ثم هبا  
 فأولى أن يظل الصد مطو      بحيث يبارع الماء السحابا  
 أنك المعر يضرب جانيه      أغر ترى الجريسه حبابا

ثم كف الراعى ورأى ألا يحبه وتولى عه الفرردق ذلك ، ولكن هذه  
 المحالفة بين فوس والفرردق صدت بعد موت الراعى ، وسب ذلك ما قال الفرردق

في قيس عيلان حين قُتل قتيبة فهجاه جدل بن راعي لإبل ودو الأهدام المعمرى  
فهجاهما الفرزدق وهما حريراً معهما<sup>(١)</sup> ، ووقف جرير مع بني جهم  
مناقضاً الفرزدق .

٧ - وكان ( العباس بن يزيد الكندي ) لما سمع قول جرير للراعي :

إذا غصت عليك سو نعيم حمت الناس كلهم عصاباً

قال : -

ألا رَغِمَتْ أَوْفُ نَيْ نعيم فَأَوْرَثُوا كَانُوا عَصَاباً

لقد غصت عليك سو نعيم فما سَكَتَ تَعَصَّبَهَا دُهَاباً

لو أطلع الغرابُ على نعيم وما فيها من السوءات شدا

فانهز جريراً إنما تورط فيه الكندي بعد ذلك بسين ، فقال له : -

إذا جهل الشقي ولم يندُر لحص الأسر أوشك أن يصاباً

أعبداً حل في شُعبى غربياً أُلُوماً لا تُهالك واعتراها ؟

إلى آخر ما قال مما لا نذكره هنا<sup>(٢)</sup>

٨ - وأما ( سُرَاقَةُ البَارِقِي ) فقد حمله بشر بن مروان وأكرهه على هجاء

جرير فقال سُرَاقَةُ :

إن الفرزدقَ رَمَتْ أَعْرَاقَهُ عَمَواً وَغَوْدِرَ فِي الْعَبَارِ حَرِيرُ

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مِجْحَرٍ قَطَعَتْهُ مَسَاحَتُهُ إِنَّ اللَّثِيمَ عَتُورُ

هَذَا قِصَاءُ الْبَارِقِ وَبِأَنَّهُ تَالِيْلٌ فِي مِيزَانِكُمْ لَتَبِيرُ

ثم نهت جريراً عن رمي رسولها وأمره أن يحبسه فقال جرير : -

بِأَشْرُ حَقٍّ لَوَجْهَكَ التَّنْشِيرُ هَلَّا غَصَّتْ لِمَا وَأَنْتَ أَمِيرُ !

شَرُّ أَوْ مَرَوَانٍ فِي عَاسِرَتِهِ      عَصِيرٌ وَعَدَّ بَارِقَ مَيَّسُورٍ  
إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرِيمَ ابْنًا      وَإِنَّ اللَّئِيمَةَ لِلْإِسْهَامِ تَصُورُ  
قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ      يَا آلَ بَارِقٍ ، فِيمَ سُبِّ حَرِيرٍ  
وَكَسَحْتَ بِاسْتِكَ لِلْمَحَارِ وَبَارِقٍ      شَيْخَانِ : أَعْمَى مُقَعَّدٌ وَكَبِيرٌ<sup>(١)</sup>

٩ - وكان ( عمرو بن لجأ ) النعمي من نيم الرباب يُشَدُّ أَرْحُورَةً لَهُ نَصَفٌ  
فِيهَا لَمْلَهٌ وَحَرِيرٌ حَاصِرٌ ، صَاحِبُهَا جَرِيرٌ ، صَادِقُ لَجَأٍ سَقَدَ قَوْلَ حَرِيرٍ وَيَعِثُ  
بَشَعْرَهُ ، فَقَالَ جَرِيرٌ لَهُ إِنَّهُ مُعِينٌ لِلْفَرَزْدَقِ وَهَجَاهُ قَوْلُهُ - -

هَلَّا يَسْـَٔوَانَا إِذْ رَأَيْتُمْ يَا بَنِي لَجَأٍ      شَيْئًا يُفَارِبُ أَوْ وَحْشًا لَهَا غِرْرُ  
أَحَبُّنَ كُنْتُ يَتِمَامًا يَا بَنِي لَجَأٍ      وَخَاطَرْتُ بِي عَنْ أَحْسَابِهَا مُضَرُّ  
حَسْبُ الطَّرِيقِ لِمَنْ يَسَى الْمَارَّةَ      وَابْرُورٌ بَرَزَةٌ حَيْثُ اصْطَرَكُ الْقَدَرُ  
أَنْتَ ابْنُ بَرَّةٍ مَسُوبًا إِلَى لَجَأٍ      عَدَّ الْمَصَارِقِ وَالْعِيدَادُ تُقْتَصَرُ  
فَقَالَ ابْنُ لَجَأٍ يَرُدُّ عَلَيْهِ : -

قَدْ كَدَنْتَ وَشَرُّ الْقَوْلِ أَكْدَبُهُ      مَا خَاطَرْتُ بِكَ عَنْ أَحْسَابِهَا مُضَرُّ  
بَلْ أَنْتَ زَوْدٌ خُـَـوَارٍ عَلَى أَمَةٍ      لَا يَسْقِي الْخَلَلَاتِ اللَّوْمُ وَالْخَوَارُ  
مَا قُلْتَ مِنْ هَدْدٍ إِلَّا سَاقَضَهَا      يَا ابْنَ الْأَتَانِ ، يَحْتَلِي نَقْصُ الْمِرَارُ  
وَتَهَاجِيَا بَعْدَ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup> .

١٠ - وَوَحْدَ ابْنِ لَجَأٍ مَنْ أَعَاهَهُ عَلَى حَرِيرٍ وَهُوَ ( التَّلْعَمُ ، الْمُسْفِيرُ مِنْ شَبْرَةٍ  
الْمَنْجَرِي ) فَقَالَ لِحَرِيرٍ : -

إِنَّ الَّتِي رَجَيْتُكَ لَهَا مَطْلَقَتٌ      قَعَدْتُ عَلَى حَشْرِ الْمَرَاةِ تَمْرَعُ

(١) مَرَجَعَ السَّابِقُ مِنْ ١٨ - (٢) الْأَعْيَانُ ج ٤ مِنْ ١٨ وَ ٢٠ وَالنَّعَائِمُ مِنْ ٤٨٨

أَتَعِيبُ مَنْ رَضِيَتْ فَرِيضُ صَهْرَهُ وَأَبُوهُ عَدُوٌّ بِالْحَبِ وَرَقِي أَذْلَعُ  
فَأَجَابَهُ جَرِيرٌ : —

فَمَا مَسْتَفِيرُ الْحُبِّ إِلَّا فَرَاثَةُ هَوَا بَيْنَ مَوْجِ الْحَرِيقَيْنِ سَاطِعِ  
سَهْمِ بَدَنِ الْمُسْتَفِيرِ عَنِ الرُّقَى وَعَنِ مَشِينِ اللَّيْلِ بَيْنَ أُرَارِغِ<sup>(١)</sup>  
١١ — وَأَقْل ( حَمَّةُ الْهَرَّانِيِّ الْفَرَزِيِّ ) يَمْدَحُ حَرِيرًا وَيَسْأَلُهُ فَلَمْ يَعْطِهِ حَرِيرٌ  
الْمَلَّةُ الَّتِي طَبَّهَا فَفَضَى جَمْعَهُ إِلَى الزَّرَّارِ مِنْ مَقْدَادِ بَنِي الْعَدَوِيَّةِ ، وَجَعَلَهُ عَلَى  
مَالَةٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا الْقَصَوَاءُ ، فَقَالَ جَمْعُهُ :

لَعَمْرُكَ تَهْرَارُ بَوْمَ لَقِينَهُ عَلَى النُّحْطِ حَيْرٌ مِنْ حَرِيرٍ وَأَكْرَمُ  
فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ : —

لَقَدْ بَعَثْتُ هَرَّانُ جَفْنَةً مَارَأَ قَابَ وَاحِدَى قُوْمَهُ شَرُّ مَعْنَمِ  
فِيَارِ كَبِّ الْقَصَوَاءِ ، مَا أَتَى قَاتِلَ هَرَّانِ إِذْ أَسْلَمَهَا شَرُّ مُسْلِمِ  
أَطْنُ عِجَانِ النَّبَسِ هَرَّانَ طَالَا عِلَالَةُ سَبَاقِ الْأَصَابِمِ مِرْجَمِ  
كَانَ بَنِي هَرَّانَ حَبِيبَ رَدِيَّتِهِمْ وَبَارُ نَصَاعَتِ نَحْتِ عَارِ مَهْدَمِ  
بَنِي عَبْدِ عَمْرِو قَدْ فَرَعْتُ إِلَيْكُمْ وَفَدَّ طَالُ رَجَرِي لَوْ سَأَلْتُكُمْ تَهْدِي  
وَرَضَاءَ هَرَّانِيَّةٍ قَدْ تَحَفَّتْ عَلَى مِثْلِ حَيْرَاءِ الْعِلَالَةِ الْمَعْمِ<sup>(٢)</sup>

١٢ — مَارِعُ جَرِيرٍ بَنِي رَحْمَانَ — حَى مِنْ نَيْمِ أَحَدِ حَيِّ سَمَدٍ مِنْ دِيْدِ  
مَنَاةَ — فِي رَكِيَّةٍ لَهُمْ ، مَصَارُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَدَى مَالِيَمَةَ يَتَحَاكُمُونَ إِلَيْهِ  
فَقَالَ جَرِيرٌ : —

أَعُوذُ بِالْأَمِيرِ غَسِيْرِ الْجَبَارِ مِنْ ظَلَمِ رَحْمَانَ وَتَحْوِيلِ الدَّارِ  
مَا كَانَ قَلَّ حَفَرْنَا مِنْ مِحْفَا وَضَرَبِي الْمَقَارَ مَعْسَدَ الْمَقَارِ

في جـل أصم غير حواز      يصيح بالحب صياح الصراذ  
له تصيل كصيل الأمهز      فاسأل بني صخب ورهط الجراز  
والسبيين المعظم الأخطاز      والحار قد يحبر عن دار الجراز  
فقال الجاني :-

ما لكبير من رحنى ولا دار      غير مقام أنى وأغيار  
ففس الظهور دأيات الأنعار

فقال جرير : فمن مقامين ، جعلت يدك ، أحادل . فقال ابن عدي  
للجاني : قد أفررت عضمك ، وحكم بها لجرير<sup>(١)</sup> .

١٣ - وقد عرض ( الصلتان العبدى ) للحكم بين جرير والفرزدق ، فلم  
يرص واحد منهما قوله ، فقال الفرزدق : أما الشرف فقد عره وأما الشرف فما  
للبحراني والشرا ؟ وقال جرير :-

أقول ولم أملك سوا بقى عبرى      متى كان حكم الله في كرب السحل  
فقال الصلتان :-

أعبرت بالسحل أن كان مائسا      لود أبوك الكلب لو كان ذا تحلى  
فاعترضه ( خليل عتيق ) من أهل هجر فقال :-

رأى نبي كان في غير قرية      وما الحكم بأن اللوم إلا مع الرسل<sup>(٢)</sup>

١٤ - هد وقد التحم الفرزدق مع الطرماح ( بن حكيم الطائي الخارجي ) ،  
ومن قول الطرماح في ذلك :-

تميم يلقى اللوم أهدى من القطا      ولو سلكت سبل المكارم ضلت  
فخرت يوم لم يكن لك فخره      وقد نهلت منه الرياح وعلت



كفر الإمامه أو أخت عشيقة برقم حُجوج الحى لما استقلت

ومن نقص الفرزدق لهذه القصيدة :-

لقد هتك لعد الطير ماح يستره وأصلى بسار قومته فتصلت  
سعيراً شوت منهم وحوهاً كأنها وأجود حنارير على النار مادت  
فما أعجبت أم العلاف طيحه ولكن عصور أحنث وأقت<sup>(١)</sup>

١٥- وفي أثناء حرب الفرزدق من ريادة أتى الروحاء فبرل في بكر بن وائل فأمن

وقال في ذلك قصيدته :-

قد مبيت بين لمير فلم تحذ لقورتها كالحى بكر بن وائل  
أعف وأوفى دمة يقدوسها إذا وارت شم الندى بالكواهل

فقال (الأشهب بن ربيعة النهشلى) بنقصها :-

إلى نيماء شرها وأدلتها والأما جبران بكر بن وائل  
ولست برواع برودع لظهير إذا ركدته الحرب ذات النلاتل<sup>(٢)</sup>

١٦- وفي ثلاث وسعين هجرية قتل عبد الله بن الربيع ، وهدأت الفتنة

واجتمع الناس على عبد الملك ، ونكفت قيس وتعلب عن المعارى بالشام والجزيرة

وظن كل واحد أن عبده فصلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم

الصلح ، فبساهم على تلك الحال إذ أئند الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده

وجوه قيس قوله :-

الأسائل الجحاف هل هو ثائر يقتلى أصيت من سليم وعابر  
أحجاف إن نهيط عليك فتلتقى عليك بحور طاميات زواجر  
تكن مثل أدهاء الجباب الذى جرى به البحر ترهاه الرياح الصراصر

(١) ديوان الطرمح من ١٢٩ وديوان الفرزدق من ١٢٥ .

(٢) غائص حرير ولفردق من ٦١٢ - ٦١٥ .

فوثب (اجتأف) بحر مطرفه وما نعلم من الغضب وهو يقول :-  
 هم سوف تمكيتهم بكل مهتر ونسكى تحبوا بالرماح الخواطر<sup>(١)</sup>  
 فأت نجد أن اشتراك شعراء العصر الأموي يرجع إلى السياسة ، والفيل ،  
 والفن ، والطمع والرشوة ، وأسباب العيش ؛ وال سلطان الأدبي ومحوها ولنا  
 بحرم نأنا أخطأ من اشتركوا مع هؤلاء الفحول الذين يمثلون النقائص الخاصة ،  
 فقد يكون بعضهم خفي علينا .

### — ٣ —

ويبقى علينا بعد ذلك هؤلاء الشعراء الذين اشتبكوا في مناقصات عامة ،  
 وأريدُ بهم جماعة لم يشهروا بهذا الفن ولم يعرفوا له فراغ حرير وصحبه ، وإنما  
 جرت المناقصة على ألسنتهم أحياناً دن أن يلتموها ، وهؤلاء سنورد لهم فصلاً  
 خاصاً لم فيه بأمثلة من نقائصهم ، لذلك ندع ذكرهم إلى موضعهم من هذه الفصول .

## الفصل الرابع

### مَقَوِّمَاتُ النِّقَاطِ الْأُمُومِيَّةِ

— ٩ —

وإِذَا نَحْنُ نَحْوُلُ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَنْ نَتَقَدَّمَ خُطْوَةً أُخْرَى دَاخِلَ مَوْصُوعِنَا ، فَلَمْ نَمَقَوِّمَاتِ النِّقَاطِ فِي هَذَا الطُّورِ مِنْ تَرْجِيحِهَا الْأَدْبِي أَوْ هَذِهِ الْعَوَاصِرُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا النِّقَاطِ لَتَقْسِيمِ عَلَيْهَا فَنُونِهَا السِّيَاسِيَّةُ ، وَالْمُجَاجِيَّةُ ، وَالْفَخْرِيَّةُ ، وَالْفَرْزِيَّةُ ، وَالرِّثَائِيَّةُ ، وَالْمُجَاسِيَّةُ وَمَا إِلَيْهَا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْبَابِ .

كَانَتْ هَذِهِ الْعَوَاصِرُ ، إِذَا ، هِيَ الْمَوَادُّ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي يَبْنِي مِنْهَا الْمُتَنَاقِصُونَ قِصَاصَهُمْ ، وَكُلُّ يَتَعَدَّدُ لِنَفْسِهِ مِنْهَا مَا يَلِثُ مَوْقِفُهُ ، وَيُسَدِّدُ حُجَّتَهُ ، وَيَرَوِّعُ خَصَمَهُ ، وَيَكْسِبُهُ هُوَ الطُّفَرُ ، وَبُعْدَ الصَّيْتِ ، وَعُتُوَّ الْمَكَانَةِ لَهُ وَلَقَبِيْلَتِهِ .

وَلَيْسَ مِنْ حُطَّتْنَا ، هُنَا ، أَنْ نَتَقَصَّى الْمَعَانِي الْجَزْئِيَّةَ الَّتِي أَوْرَدَهَا كُلُّ مَنَاقِصٍ فِي شِعْرِهِ ، وَحَسْبُنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّمَا تَدْخُلُ فِي أَجْوَابِ : الْأَيَّامِ ، وَالْأَسْبَابِ ، وَالْأَحْسَابِ ، وَالْدِّينِ ، وَالشَّعْرِ ، وَالشَّمَائِلِ ، وَالْخَوَادِثِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالْمَوَاقِفِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَعَبِيْنَا أَنْ نَشِيرَ إِلَى كُلِّ مِنْ هَذِهِ النِّوَاحِي بِالْإِيجَازِ وَالِاسْتِشْهَادِ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ مِفْتَاحًا لِلْبَاحِثِينَ .

وَكَانَتْ ( الْأَيَّامُ ) فِي مَقْدَمَةِ هَذِهِ الْعَوَاصِرِ شَيْعُوعًا فِي النِّقَاطِ ، اسْتَغْنَاهَا الْمُتَنَاقِصُونَ إِمَّا فَخْرًا بِهَا إِذَا كَانَتْ فِي جَانِبِهِمْ وَإِمَّا حَيْبِيرًا لِمُخْصِوْمِهِمُ الَّذِينَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ لَاى قَبِيلَةٍ كَانَتْ . وَكَانَتْ الْأَيَّامُ جَاهِلِيَّةً تَتَّصِلُ بِتَارِيخِ الْقَبَائِلِ الْمَاضِي ،

وإسلامية تلاس تاريخها الحديث ، وكانت الأيام الجاهلية أشد ظهوراً فيما دار بين جرير والفرزدق كما كانت الإسلامية واضحة فيما دار بين جرير والأحطل .

وسرى أيضاً أن موقف جرير الذي شرحناه من قبل جعله يفتخر بأيام تميم عامة حيناً ، وأيام بروع خاصة حيناً آخر وذلك بكون في وجهه محاشع رهط الفرزدق ، وأيام قيس عيلان أمام الفرزدق والأحطل ، وأن موقف الفرزدق جعله يفتخر بأيام تميم كثيراً إذ حمل معه رعيها والشكلم باسمها ، كما جعله يفتخر بأيام دارم رهطه خاصة ولعل ذلك قليل ، وكان كذلك يدكر أيام تعب رهط الأحطل يتحدى بها قيس عيلان ويدكر أيام صبة أحواله . وقد ذكر البهيث يوم ( أواره الثاني ) على اعتزاز أنهم ذاروا له كما يلي . وكان الأحطل يدكر أيام تعب رهطه ، وأيام دارم خاصة بمألة للفرزدق ، ويواجه قيس عيلان بما عليها من أيام وهكذا .

وهناك أيام أخرى اشترك في الصربها شاعران أو أكثر لأنها قد اشترك بين القبائل مكان من حق الثمره أن يساهموا في الإثارة بها ، أو لأنها ذات جانبين ، كل شاعر له وجهه نظر إليها من حيث تاريخها ، الواقع أو من حيث ما لابسها من حوادث .

وذلك استدعى ورود هذه الأيام على أنسة المتناقصين مفتخرين بها أو معبرين خصومهم بما لابسها من أحداث .

وهناك ظاهرة أخرى هي أن بعض المواقف اقتضت الخروج عن ذلك الأصل انعم الذي يبدأ من قبل ، من ذلك أن الفرزدق يفتخر بيوم ( فيف الريح )<sup>(١)</sup> وهو لسان قيسية على بعض القبائل ، وقد دعاه إلى ذلك دفاعه عن الراعي القيسية

أمام حرير، كما في يوم (المزوت) <sup>(١)</sup> وهو ليروبوع على قشير، وهذا آخر يتجه به إلى قيس عيلان فهو يتكلم باسم تم كاتها، وكذلك فصل بيوم (دو تحب) ليروبوع على عامر القيسية <sup>(٢)</sup> وبحو ذلك فخر جرير على الراعي القنسي بيوم (الكلاب الثاني) لتحييم على مدحج <sup>(٣)</sup>.

على أن نتج بعض هذه الأيام وحوادثها موضع خلاف بين الرواة في أثرنا هـا بحارة شراح النقائص إذا كان ذلك مضائق لسياق القصائد وتفسير أبياتها، ومهمة المؤرخ، في مثل هذا الموقف، أن يصف ما كان يعتقد الشعراء قصوره في شعرهم، وإن كان عليه بعد ذلك عمل التحقيق التاريخي، ذلك شيء.

وشيء آخر أرى لم أستقص ما ورد في النقائص من أيام، إذ كانت كثيرة جداً يعورها إحصاء دقيق ودراسة خاصة، فاقصرت على أشهرها واستعنت على حصرها بما ورد منها في مهارس نقائص جرير والفرزدق، ومهارس نقائص جرير والأحطل، ثم ما ورد في ديوان الأحطل أيضاً <sup>(٤)</sup>، وقد آن الأوان لعرض شواهد هذا الحذب من مقومات النقائص وعبرها متوجهاً إلى البحار، وعلى من يريد التوسع أو الاستقصاء أن يرجع إلى النقائص والموالين وشروحها ففيها ما يشق عليه.

(١) غنس المرجع ص ٣٨٥ و ٣٨٨ - (٢) ص ٢٧٥ و ٢٨٨ و ٢٩١ و ٣٩٢ (٣) ص ٤١٨  
٤٥ صها أيام: إرباب، أقرن، أولوة، إلباد، رجة، شعر، تيار، ثيل، حيلة، حدود، حرج طلال، حومل، حراز، الدبسة، دو قار، دو عجب، دهرجان، ارباع، رماله، سعنون، شبعان، الصراخ، صوعر، طعنه، اسبيد، عول، كشل، امروى، صب الرشح، القوير، ثلوة، الكلام الأول، الكلام الثاني، القوي، المزوم، ملوق، اسما، وبتل، البسر، ظا الحس، النقة، المساء، هرييت، اونداب الوقيط، ماكبر، اثرتار، دين، لكر، المسارك والمصر، اببيع، لكعب، سعار، الشرعية، الحناك، دو جدا، الصان، السلطان، راهط، الدنائب، شراجيل، وبرداه.

١ - كان يوم ( إرابت ) لتظلب على يربوع حين أعار الهذيل بن هيرة

التعلي على بني رياح بن يربوع ، وفيه يقول الفرزدق لجرير : —

لقد ترك الهذيل لكم قديماً محاربي لا يبتئ على إرابت<sup>(١)</sup>

ويقول في نفس التقية : —

يساء كثر يوم إرابت حلت بؤلاتهن تنسدر الشعاب<sup>(٢)</sup>

ويقول في أخرى : —

ولم تمعوا يوم الهذيل ثنائكم تبي الكلب ، والحامي الحقيقة ماع<sup>(٣)</sup>  
غداة أنت خيل الهذيل وراءكم وسدت عليكم من إرابت المطاع<sup>(٤)</sup>

ويقول في ثالثة : —

وكان إرابت الهذيل إذا مدت فوق الحيس كواسر العقب  
وردوا إرابت بحفيل من وائل حب العشي صبرك الأركان  
ويبيت فيه من الخافة عائدا ألف عليه قوائس الأبدان  
تركوا يتعلب إذا رأوا أرماعهم باراب كل لثيمة يدران  
يمشون في أثر الهذيل وتارة يردعن خلف أواخر الز كان  
أحبين تنسب إذا هبطن بلادهم لما تمين وكس غير سمان<sup>(٥)</sup>

٢ - وكان يوم ( أقرن ) لمس على دارم فبيعه جرير المرزوق : —

عرفتم بني عس عشية أقرن فحلى للبحش الهواء وحامله<sup>(٥)</sup>

(١) طائس جرير والمرزوق ص ٢٧٣

(٢) نفسه ص ٢٧٦

(٣) نفسه ص ٢٧٢

(٤) نفسه ص ٨٨٢

(٥) نفسه ص ٦٧٨

وفي قصيدة أخرى يقول له : —

هل تعرفون على ثنيّة أقرن أنس الفوارس يوم شئت الأسلم<sup>(١)</sup>

٣ — وأما يوم (أواراة الثاني) فكان لعمرو بن همد ، وقد تناوله البيهقي مفتحراً بالنار له بيوم طيء إذ يقول : —

ومحس حدرنا طيناً عن ملادها ونحن رددنا الخوفان مسكناً<sup>(٢)</sup>

وعبّره جرير الفرزدق إذ كانت نارلته مدارم فقال : —

وسا يذبح الحيش يوم أواراة ولم يستبحا عامراً وقاسله<sup>(٣)</sup>

٤ — ويوم (الإباد) يرموع على تكرّره افتخر جرير أمام الفرزدق :

وما شهدت يوم الإباد مجاشع ودانعب يوم الأسته ترعف<sup>(٤)</sup>

٥ — وكان (بُراحة) لصّة (أخوال الفرزدق) على إباد ففخر به الفرزدق :

مليكان يوم بُراحة قتلوما وكلاهما تاج عليه مسكّن<sup>(٥)</sup>

٦ — ويوم (الشير) من الأيام الإسلامية المشهورة لقيس على تغلب ،

فأحده جرير وعبّره الأخطل وقاس عليه هراثم مجاشع فقال للفرزدق : —

وقبلك ما أخرى الأحيطل قومه وأسلمهم للمأرق السلاجيم<sup>(٦)</sup>

وقال في قصيدة أخرى وسماء يوم الرحوين : —

وظل لكم يوم يسحار قاضح ويوم باعطان الرحوين أضع<sup>(٧)</sup>

وفي يوم لسر أشار الشرذى البكرى على بني نضل أن يحرقوا قسلاهم

ثلاثا يبيروا بهم ، دا قبروهم لكثرتهم ، فوقع شهاب على جيب الشرذى فأحرقه

(١) نفسه من ٩٥٢

(٢) نفسه من ٤٥

(٣) فائس جرير وشرزدق من ٩٧٧

(٤) نفسه من ٤٠٩

(٥) نفسه من ٩٩٢

(٦) نفسه من ٥٨٠

(٧) نفسه من ٥٠٨

ثم قنته قيس بعد ذلك بالأمس ، قتله رجل من غنى ، وفي ذلك يقول جرير .

ولقد شقوت من المكوى جنة واقفه أنزله يطار هوان<sup>(١)</sup>

ويقول الأخطل لسان قيس عيلان :

ولقد شققت يوم الرحوب سيوفنا عوانق لا يثت عليهن محمل<sup>(٢)</sup>

ويقول في أم الأخطل : —

أم الأخطل بالرحوب إذا انشت علفت يشققة العجان هدير<sup>(٣)</sup>

وفي هذا اليوم يقول نعيم بن صفار الحنظلي لنفسه الأخطل : —

أها مالك لو أدركتك رماحنا لحر البواق من نواجذك الخضر

وإن بدامك الدين خذلهم أها مالك عند المزاماة والصير

تورا إذ لقونا بالرحوب كما نوت نمود إلى يوم القيامة بالخضر<sup>(٤)</sup>

ويقول جرير أيضاً . —

رقت باجنة الرحوب نساؤكم رقص الرئال ومالهن ذيول

أين الأراقم إذ تجسر نساءهم يوم الرحوب محارب وسلول

قد كان في جيف مديلة حرقت أوفى للدين على الرحوب شغول<sup>(٥)</sup>

٧ — ويعد يوم ( جلة ) من أعظم أيام العرب لعامر وعس على تميم وذبيان

وفيه أسر حاجب بن رارة الدارمي من تميم ، ادعى أسره ذو الرقيقة القشيري من

عامر بن صعصعة من قيس عيلان وادعاه الزهذمان من عس لحكمته عس

وعامر في نفسه لحكم أنه أسير دي الرقيقة وأعطد ألب بغير ، وأطلق له مائة

(١) نقبه من ٨٦٩

(٢) قنات جرير والأخطل من ٦٩

(٣) نقبه من ١٣٦

(٤) نقبه من ٣٩

(٥) نقبه من ١٨٦



أسير من أسرى قبس في بني نعيم ، وأعطى المسلمين بما نالا من ثيابه مائة دقة ،  
وإعسا ديانتُ الملوك ألفٌ معبر فرادهم صاحب على فداء الملوث مائه مائة ومائة أسير  
واقتك معه من الأسر .

هذا الحادث سار من الفرزدق جاباً بلائهم حره وهو صاحب الافداء ،  
وسكت عن جانب الأسر فقال من نقيصة معجراً :

وما عِلمَ الأَقوامُ منلَ أسيراً أسيراً ، ولا أجداً بالكوفم<sup>(١)</sup>  
أما جرير فقد عير الفرزدق بهذا الأسر وقرن به قتل لقيط بن زُرارة هـ  
اليوم ، وفِرَّارَ عمرو بن عمرو الدارمي ، فضل جرير :

كأنك لم تشهدْ لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعوا يا أهديم<sup>(٢)</sup>  
ثم عـبر قوم الفرزدق بذلك اليوم (وسماه الصفا) ومعه يوم الوقيد  
(الحرن) : —

ويومَ الصفا كنتم عبيداً عامراً وما نحن أصبحتم عبيدَ اللهارم<sup>(٣)</sup>  
ثم وقف عند مسألة الافداء فتعصها على المردق وفسرها بأنها حصوع  
لحكم مفروض ، وذلة لغير غالب :

ألم تُعطِ عَصاً ذا الرُقِيَّةِ حُكْمَهُ وَنُيَّةَ قَبْسٍ فِي نَصِيرِ الرَهْدِمِ<sup>(٤)</sup>  
٨ — و (ذو حَب) يوم لير يوع على عامر بن منقصة من قبس عيلا ، أما  
جرير فقد اعتر به على الفرزدق وقرنه بيوم (جريح طلال) وإن كان اليوم على عامر  
القيسية ، قال جرير : —

(١) طائس جرير والفرزدق من ٢٦٩ (٢) من المرجع من ٤٠٩ .  
(٣) منه من ٤٢٦ . (٤) نفس من ٤٢٥ .

فاسأل بدي نجب هوارس عامر<sup>(١)</sup> واسأل عيمة يوم جرع ظلال<sup>(٢)</sup>  
ويقول في نأسه للشهيرة :-

نحيا يوم دى نجب رحمانا وأحردنا الصنائع والنهابا<sup>(٣)</sup>  
ويقول في نقيصة له :-

بدي نجب دود وواكل مالِك<sup>(٤)</sup> أحام لم يكن عند الطعن بواكله<sup>(٥)</sup>  
ثم يقول في أخرى هاجياً الفرزدق :

أقبن من قيس لا يسرنا ما بدي نجب أبا دعينا لدارم<sup>(٦)</sup>  
وغير ذلك . أما الفرزدق فقد خلق بهذا اليوم في أفن أوسع واتحده لتقيم عامة  
وافتحربه على قيس عيلان وقال لخرير في شأن قيس :-

وكان لهم يومان كما عليهم<sup>(٧)</sup> كأيام عاد بالسحوس الأشائم<sup>(٨)</sup>  
يريد يوم دى نجب ويوم الوفدان ، ويقول في حس القصيدة :-

بدي نجب يوم قيس شربد<sup>(٩)</sup> ككبير أقياسي في ظلال الماتم<sup>(١٠)</sup>  
ويقول الفرزدق لثني جعفر بن كلاب من قيس في فارس (قرزل) وهو طليل  
ابن مالك بن جعفر الذي فر من ربوع يوم دى نجب على وره قرزل :

هل تعرفون إذا ذكرتم قرزلاً أيام ند يفارس مذعور<sup>(١١)</sup>

٩ - وكان يوم (صوة ر) - وإن لم يكن قتالاً بل مدحمة حيوانية - معاقرة

بين غالب بن صعصعة المخاشمي والد الفرزدق وبين سُحيم بن ذؤيبيل الرياحي من ربوع  
أيام عثمان بن عفان وقد أسرف غالب في عقر البوق مواومة حتى عطى على عمل سُحيم ،  
وأسكر ذلك على بن أبي طالب وحرّم أكل لحومها لأنها أهلت لغير الله . أما  
الفرزدق فقد أكثر الفحش هذا اليوم فذكر به أماء وهو بعد رجال قومه . -

(١) ظهير ٣٠١ (٢) من ١٢٨ (٣) من ١٢٧  
(٤) من ٧٠٦ (٥) من ١٢٥ (٦) من ١٢٦ (٧) من ١٢٦

وصاحبِ صَوِّيرٍ وأبى شُريحٍ وَسَلْمَى من دعائهم ثابِتات<sup>(١)</sup>  
 ودكر النوف التي عُفرت ذلك اليوم أثناء محرم بالكرم : -  
 وما جبرت إلا على عَتَبِها عُرْفَت يوم صَوِّير<sup>(٢)</sup>  
 ولكن جريراً أحد يسحر بهذا اليوم ، ويقربه دايماً المراك ، ويصحك  
 الناس بادعاء الفرزدق له ، فيقول بحساب مسألة السيف الآية : -  
 صربت به عُرقوت بابِ بصوِّيرٍ ولا تصرنون التبيص تحت العمايم<sup>(٣)</sup>  
 ويقول له في قصيدة أخرى : -  
 ولا يستوى عُقْرُ الكروم بصوِّيرٍ وفوالج نواح تحت اراة المشيِّف<sup>(٤)</sup>  
 ثم يقول في أخرى : -  
 لقد سُرِّي ألا تمدَّ محاسن من الفخر إلا عُقْرَ بابِ بصوِّيرٍ<sup>(٥)</sup>  
 ١٠ - وكان يوم (الكلاب الأول) ليلة بن الحارث الكندي ، ومعه ثعلب ،  
 على أخيه شرحبيل ، وهذا اليوم يفخر الأخطل على قيس ويهجو جريراً ورهطه :  
 أبى كليب إن عَمِّي اللبدا قتل الملوك وفككا الأعلالا  
 وأخوها السماع طئاً حيلة حتى وردن جيتي السكلا بيها  
 بخرجن من ثغر السكلا عليهم حسب السماع تبادرُ الأوشالا<sup>(٦)</sup>  
 وهكذا ، ويأتى جرير فتذكر أنهم قتلوا في هذا اليوم أبا سدوسة مرة بن  
 محاسن والصة بن الحارث الجشعي ( حاربية المحاسني ) :  
 بدشنا أبا سدوسة القين بالقفا وما ردَّ من جارية نافع<sup>(٧)</sup>  
 وأما (الكلاب الثاني) فكان لثيم على مدحج ، قال جرير يفخر به على

(١) عائص حرر والفرزدق من ٢٧١ و ٢٢٥ (٢) من ٩٥٣

(٣) من ١١٣ (٤) من ٥٨ (٥) من ٩٥٥ (٦) ديوان الأعص من ٤٥

(٧) النفاص من ٦٩٣

الرعى وقومه ، ويدكر تعرضه فبأ للهواء ، كما يدكر ما أثر نعيم

وشى القرص قرصك علفيس تهجهم وتمسح الوطاء  
فلن تطعم حطاتي وسعدى ولا تعمري بلعت ولا اريانا  
ثم مكوا اللوث بذات كهف وهم صموا من اليمى الكلا  
إذا عصت عليك بو تيم حسنت الناس كلهم غصبا<sup>(١)</sup>

وكذلك الفرزدق ، لم يس هذا اليوم فأشار إليه في غير موضع فقال :

وأى لدى ورد الكلاب مسوماً والخيل تحت عجاجها المذجال<sup>(٢)</sup>

١١ — وقد قلنا إن يوم (المروث) كان ليربوع على قشير القيسية ، ووحداً

جرباً يفتخر به على العيث فيقول :

وقد أشكلت أمّ البحرين خيلنا يوردي إذا ما استعان الربوع سوماً<sup>(٣)</sup>

وقال وسماء يوم (الصاب) :

رأدما بحراء الصاب يساءكم وقد قان عتق اليوم أو رقما عدا<sup>(٤)</sup>

وقال :

ألا تأنور الردفات عتبة مع القوم لا يحدن ساقاً لجندر<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

ومحن تداركنا بحيراً وقد حوى ينهاب الصائين الحبس ليرتما

فماين بامروث أسمع معشر صرير رباح واللواء المزعرعا

فوارس لا يدعون بال محاشير إذا كان يوماً كواكب أشعا<sup>(٦)</sup>

ويأتى الفرزدق فيفتخر به على قيس وإن كان ليربوع خاصة فيقول :

ويوم جعلنا الطل فيه لمام مضممة تنأى مشون الجاحم

(١) غنى المرحم ص ١٤٨ (٢) غنى حيد والفرزدق ص ٢٨٩ (٣) ص ٧٠

(٤) ص ٢٨٢ (٥) ص ٧-٩ (٦) ص ٨٣٥

فمن يومئذ يَكِينُ إِذْ تَرَى تَوَّاعِمَ أَنْ عَامَ كُلِّ سَلَامٍ<sup>(١)</sup>  
وَالْبَرْكَالِ ٥ رُبُّكَ وَأَحْوَهُ بَارِكْ مِنْ بِي فَشِيرِ بْنِ كَعْبٍ قَتَلَهَا سَوِيْرُوعَ  
يَوْمَ الْمَرْوَةِ .

١٢ - ومن أيام قيس على تغلب يوم (الكحيل) ذكره حرير الأخطل فقال:  
وحامى الفوارس يوم الكحيل ولم تحسم تغلب أدارها<sup>(٢)</sup>  
١٣ - وكان (الثرثار الأول) لتغلب على قيس فذكره الأخطل فقال في نقيصة:  
لعمرى لقد لاقت سليم وعامر على جاب التردار راعية البكر<sup>(٣)</sup>  
ولم كان (الثرثار الثاني) لقيس على تغلب ذكره حرير ، فيما يظهر ، قال :-

لقيم ، الجسيرة خيل قيس فلقم : ماز مترجس لا قتالا  
فم أرحيلكم صبرت لحيلى ولا أغت رجالكم رجلا  
وأسمتم شعثى بنى مليل أصاب السيف عاتقه فلالا<sup>(٤)</sup>

١٤ - وكذلك يوم (الشرعية) لتغلب على قيس ، قال الأخطل :  
وقد بكى الجحاف مما أوقعت بالشرعية إذ رأى الأطلا<sup>(٥)</sup>  
ولكن حريراً ذكره فى جاب قيس عيلان حيث يقول .

ألم تر قيساً قيس عيلان دثرت خاربز بين الشرعية والدر<sup>(٦)</sup>  
١٥ - ويوم (الحثك) لتغلب على قيس وفيه قتل عمير بن الحباب  
السلى ، وفيه يقول الأخطل من نقيصة يمدح فيها عبد الملك بن مروان ويهجو  
قيساً ونفى كليب بن يربوع مشيراً إلى موقف تغلب من الأمويين :  
وقد نصرت أمير المؤمنين بنا لما أنك بطن العوطة الحنكر  
يعرفونك رأس ابن الحباب وقد أصحى والسيوف فى خيشومه أثر

(١) قصه مر ٢٨٥ (٢) حاتمى حرير والأخطل مر ٤٦ (٣) قصه مر ٤١ (٤) مر ١٩٥

(٥) مر ٨٠ (٦) قصه مر ١١٣

لا يسمع الصوت مُتَكَا مامعه وليس يطق حتى يطق الحجر  
 أمست إلى حاب الخشائر جيفته ورأسه دونه ليعموم والصور<sup>(١)</sup>  
 وقد أمكت عن الاسرار كارهاً ، خوف الإطالة والإملال ، ولكن هذا  
 الخطاب في حاجة إلى أن يُعَرِّفه مؤلف خاص بقاويل الأيام وما دار حولها من  
 مغاخر ، وأهاس ، ومناقصات ، وأفاصيص ، ويُبين كيف يكون ذلك كله مصدراً  
 لتصوير شخصيات القبائل ، والأبطال ، والحوادث تصويراً تاريخياً أو خيالياً .  
 ويجب أن يلاحظ أن هذه الأيام حين كانت ترد على لسان شاعر فإن خصمه  
 كان يضع نظرها أمامها أو يتقصها مكذبة أو مفسراً تعبيراً آخر كما قلنا وكما  
 يمر بك بعضه .

— ٢ —

وأم مسألة الأسباب فلسفاً في حاجة إلى الوقوف عندها بعدما أُسْتُفْتِ من القول  
 في الفصل الثاني من الباب الأول ، وكل ما شبر إليه هنا أن هذا المصدر اعتمد  
 عليه استأقضون الأمويون وانحدوه معمرة لهم حياً كما عمروا به خصومهم حيناً  
 آخر ، لحرير يذكر أن أم البعيث من بني أصفهان : —  
 أَسِيتُ أَلِكْ يَابْنَ (وَرْدَةَ) أَلْفُ لَبْنِي حُدَيْةً مَقْعِدُ وَمُقَامَا<sup>(٢)</sup>  
 وردة هبة من القنقاع بن معبد بن زرارة لأبي الميث وحُدَيْةُ أم بني ذهيل  
 عمار وإخوته ، ويَهْوِلُ فيه من نقيصة : —

لَعَمْرِي لَقَدْ جَارَى دَعَى مُحَاشِعٍ عَدُومًا عَلَى طُولِ الْجَارَةِ مِرْجَا<sup>(٣)</sup>  
 ويأتي الميث في إحدى نقائضه فيعتز بسبه الدارمي : —  
 فإني لمرؤ من آل نَيْبَةَ نَابِ وَسَادَ بَنِي سُمَيَانَ أُولُهُمْ قَبْلِي

(١) القاهر حرير والأحطل ص ١٦١

(٢) قنن بن جبر والفرزدق ص ٤٠ (٣) حسن للرجع ص ٦٣

وحدثني أني من مالك حلّ بيته بحيث تمصّي كل أبيض دى فصل  
من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء الحكة واحيل<sup>(١)</sup>

ولكن الفرزدق ينفي العبث عن مجاشع الدارميين فيقول له : —  
وما أنت منا غير أنك تدعى إلى آل قُرطٍ بعد ما شئت عالياً<sup>(٢)</sup>  
قُرط بن سفيان بن مجاشع ، والمعاني هي العبد الخادم .

وجريير يذهب الفرزدق إلى القين ومعه مجاشع ، وذلك لعدم كان مصعصة  
ابن ناجية بن عقال يسمى جُبَيْراً فنسب جريير غالباً أبا الفرزدق إلى القين فقال : —

وجدما جُبَيْراً أبا غالب عيّد القراءة من مصدٍ  
أنحسُ ذا الكبر من دارمٍ وابنُ مُسَيْلٍ من العَرَفَدِ<sup>(٣)</sup>

ويقول للفرزدق : —

أعينك مائرة القيون مجاشعٍ فاطر لعلك تدعى من نهشل<sup>(٤)</sup>  
إذا صحر امرزوق مأبائه في حنظلة بن مالك وأحواله صبة فنان : —  
وأنا ابنُ حنظلة الأغرّ وإنتي في آل ضبة للقيم الخسوف  
فرعان قلدت مع السماء دراهما وإليهما من كل خوف يُمقل<sup>(٥)</sup>  
نقص فيه جريير ذلك فقال : —

كان الفرزدق إذ يعمودُ بخاله مثل الدليل يمود تحت القمر  
واصغر بضعة إن أمك منهم ليس ابنُ صبة بالمعج الخول<sup>(٦)</sup>  
ويمدح الفرزدق سعد بن زيد صفة من تميم فيقول له جريير : —

(١) نسخة من ١٧٢

(٢) النظم من ٧٨

(٣) نسخة من ٢٢٥

(٤) من ١٧٠

(٥) المرجع السابق من ٢١٤

(٦) من ٧٠

تُمدح سعداً بعد أسلاب حاركم      وجترّ فساخ عقرها لم يُحلّل<sup>(١)</sup>  
والجبار هو ابن الزبير ، وقائله ابن جرموز السدي ، ولكن الفردق  
يدكر لحريز عدي بن يربوع سعد حين أذكر كوا الخوفزان ومن معه من بكر  
ابن وائل في إعارتهم على بني ربيع : —

تُدسى سوسد جدود التي بها      خدتم بني سعد على شرّ تحدل  
عشيرة ولّيتكم كأنّ سبؤكم      دآمين في أعناقكم لم تسأل<sup>(٢)</sup>  
وسب الفردق سليم في حصيص قيس عيلان مكانة وعدداً فيقول : —  
فإنتم من قيس عيلان في الدري      ولا من أنافيتها العظام الجاجم  
إذ حصّت قيس فأنتم قليلها      وأبعدوها من صلب قيس لعالم  
وأنتم أذلّ قيس عيلان حوة      وأعمرها عند الأمور العوارم<sup>(٣)</sup>  
ثم يأتي الأخطل في رأيته فينبههم عن قيس كذلك حيث يقول : —  
ولا يلاقون مرأصا إلى نسب      حتى يلاقي جدى الفرقد القمر  
ولا الصبا إذا اخضرت عيونهم      ولا سواة إلا أنهم بشر<sup>(٤)</sup>  
وأما شاعرنا فبدأ كثيرا العبر بنسبها النيمي أحيانا ، وأحيانا يرتفعان به  
إلى مصر وخدف ، وكثيراً ما اتصلاً بقريش المصرية ، يقول الفرزدق : —  
أما ابن نعيم والحمامي ورائها      إذا أسلم الجاني ذمار الحارم<sup>(٥)</sup>  
ويقول جرير : —

مضر أبي وأبو ملوك فهل لكم      يا حزر تعب من أب كائنا<sup>(٦)</sup>

(١) نسخة من ٢٠٨

(٢) من ٢١٠

(٣) من ٢١٣

(٤) نقائس جرير والأخطل من ١٦٠

(٥) نقائس جرير والفرزدق من ٢٢٩

(٦) ديوان جرير من ٥٢٩



وإذا كان الحسب مأخوذاً من معاصر الآباء أو هو المال أو الدين أو الكرم أو الشرف في الفعل أو الشرف الناتج في الآباء<sup>(١)</sup> ، فقد كان كل ذلك من أهم مقومات القناص وأكثرها شيوعاً فيها ، وأيمتها على الملاحاة والحدس ، ودعاها إلى البحث عن معاصر القبائل والرجان أو مثاليهم للمعاصرة والمهاجة . احتشد في ذلك المحول وغيرهم قرأيا لكل من دارم ، وبر بوع ، وقيس ، وتعلب ، وتيم ، وليمين ، مأثر تشر ، ومثالب تداع ، كما رأينا ذلك للشعراء ، والزعماء ، والنساء ، سواء أكانت حقائق مفرقة أم أكاذيب مخنقة ، وفي أثناء ذلك رأينا حرماناً تُنتهك ، وأعراساً تترق ، وصوراً شنيعة تشتر ، وتهمناً تكال جرافاً ، وأحفاذاً تُدش ، وعصيات تحيا وتثور ، ومعارك تقوم ، والدولة ترى ذلك وكأنها راضية عنه ، مطامنة إليه ، حتى عادت القناص ، في بعض تصويها ، نوعاً من الأدب القبيح الذي ينافي الموق ، والنفاق ، والدين ، ومن عجب أن يكون ذلك في ظل الإسلام ، وأن يسمع من ذلك ما لم يدر بخالد الجاهليين .

وبذكرها بعض شواهد هذا العصر من عناصر القناص أركبنا ما لا يصح أن يوردها اعتماداً على ورودها في القناص والدواوين يرجع إليه من شاء الدرس والاستقصاء .

ولاشك أن دارما ، قوم المرردق ، ذات مأثر رجعة ، ومعاصر مأثورة ، وأن أسرة المرردق ترجع إلى حسب صخيم ومكارم عدة ، وإن شر لها جرير

(١) راجع القاموس المحقق مادة حسب .

مثالب شتى وصوراً قبيحة ، وقد ذكر الفرزدق بعض ما أثر قومه في مطلع نقيصته التي يردسها على جرير إذ يقول :

مِمَّا الَّذِي احْتِيرَ الرِّحَالَ سَمَاحَةً	وَحَيْرًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرِّعَارِعُ
وَمِمَّا الَّذِي أُعْطِيَ الرَّسُولُ عَطِيَّةً	أَسْأَلُ بِرِي تَمِيمَ وَالْعَيَّونَ دَوَامِعُ
وَمِمَّا خَطِيبٌ لَا يُعَابُ وَحَامِلٌ	أَعْرُ إِذَا التَّمَّتْ عَلَيْهِ الْحَامِعُ
وَمَنْ الَّذِي أَحْيَى الْوَيْدَ وَعَالٌ	وَعَمْرُو وَمَنْ حَاجِبُ الْأَفَارِعُ
وَمَنْ الَّذِي قَادَ الْحَيَادَ عَلَى الْوَجَى	لِجِرَانٍ حَتَّى صَبَحَتْهَا التَّرَائِعُ
أُولَئِكَ آبَائِي فَجَنِّ عَنَّهُمْ	إِذَا حَمَعْنَا بِأَحْرَبِ الْحَامِعِ <sup>(١)</sup>

الأفرع بن حاس كرم الرسول في أصحاب المحررات من تميم فرد سيهم ، وخطيب الناس هو شبة بن عقال ، والحامل هو عبد الله بن حكيم الجشمي الذي حمل الحملات يوم المرد ، ومحيي المورودات هو جد الفرزدق صمصمة بن ناجية ابن عقال ، وعال أبوه صاحب ( صوير )<sup>(٢)</sup> ، وعمرو بن عمرو بن عدس ، والأفرع الأقرع وفراس أبا حاس بن عقال ، والأقرع بن حاس هو الذي أغار على أهل نجران .

وقد انتحر كل من البيث والفرزدق بهذه الحكومة التي كانت فيهم مدد الجاهلية إلى ظهور الإسلام ، كان الأقرع بن حاس أحد حكام تميم فقال البيث : —

وَعَمِي الَّذِي احْتَارَتْ مَعَدَّةَ فَحْكُمُوا      فَأَتَقُوا بِأَرْسَانِي إِلَى حَكْمٍ عَدَلٍ<sup>(٣)</sup>  
وقال الفرزدق : —

(١) نقاس جرير والفرزدق من ٦٩٦ — ٦٩٩ . (٢) من ٩١٤ .

(٣) العائس من ١٣٩ .

إلى وحدت بني بني في دوحه الرؤساء واحكام<sup>(١)</sup>  
كذلك اقتصر الفرزدق بقومه غير في تقيصة وذكر فيها فك آل محاشع  
للأسرى ومبادمتهم للفلوك : —

وَمَكْتَلٍ نَزَلَ الْحَرِيدُ بِسَاقِهِ      أَرَأَى مِنَ الرِّسْقَانِ فِي الْأَحْصَالِ  
وَهَدَتْ عَلَيْهِ شُيُوحُ آلٍ مُحَاشِعٍ      مِنْهُمْ مَكَلٌ مُسَمِّعٌ بِمِصَالِ  
فَقَدَّوْهُ لَا لِثَوَابِهِ وَلَقَدْ يُرَى      بِبَيْتِهِ نَذْبٌ مِنَ الْأَغْدَالِ  
مَا كَانَ يَنْسُ نَاحِ آلٍ مُحَرَّقٍ      إِلَّا هُمْ وَمَقْبُولُ الْأَقْوَالِ  
كَانَتْ مَادَّةُ الْمَلُوكِ وَتَاحَهُمْ      لِلْمُحَاشِعِ ، وَسُلَاقَةُ الْخِرَالِ<sup>(٢)</sup>  
كذلك ذكر الإجارة بقبر أبيه مع مسألة الموءودات فقال : —

وَكَانَ لِي شَيْعَانِ ذُو الْقَبْرِ مِنْهُمَا      وَشَيْخٌ أَجَرَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَقْبَرٍ  
عَلَى حَسْبٍ لَا حَيَاةَ الْبَيْتِ وَبِذَمٍّ      عُكُوفٌ عَلَى الْأَصَابِ حَوْلَ الدَّوَرِ  
أَجَارَ نَفَاتِ الْوَالِدَيْنِ وَمَنْ يُحِيزُ      عَلَى الْفَقْرِ يَمُوتُ أَوْ غَيْرُ مُخْفَرٍ<sup>(٣)</sup>  
وقد مرث أبيات<sup>(٤)</sup> لحرير بنفخر فيها بالدين والخلافة ، وهذا الفرزدق يفعل  
ذلك إذ كانت مضر مؤثلاً هذين فيقول من تقيضه : —

مِنَ النَّهْيِ عَمْدٌ يُجَلَّى بِهِ      عَمَّا الْقَتْلَى بِمَصْدُقِ الْمَوْرِ  
حَسِيرُ الدِّينِ وَرَاءَهُ وَأَمَامَهُ      بِالْمَكْرَمَاتِ مُبَشِّرٌ وَبَذِيرٌ  
إِنَّ السُّبُوءَةَ وَالْخِلَافَةَ وَالْهُدَى      فِينَا وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا يَطْمُورُ<sup>(٥)</sup>  
مخانب ذلك نشر حرير الفرزدق وأسرته ورهطه مثالب شتى بعضها كذب  
واختلاف ، منها مسألة القيون السابقة ، ومنها فسق الفرزدق وزملاء إذ يقول حرير  
من تقيصة : —

(١) نفس المرح من ٢٦٤ . (٢) من ٢٧٣ . (٣) من ٢٨٠ و ٩١٩ .  
(٤) من ٢٩٣ .

لقد ولدت أمه لفرزدق فاحرا وجاءت بوروان قصير القوام  
وما كان جزا لفرزدق مسلم ليأمن قردا ليله غصير نائم  
بوصل حبليه إذا جئ ليله ليرقى إلى حاراته بالسلا<sup>(١)</sup>  
ونذلك عام عمر بن عبد العزيز من المدينة : -

هو الرجب بأهل المدينة فاحذروا قد أحبل رحم بالحينات عالم  
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهورا لما بين المصطفى وواقم<sup>(٢)</sup>  
كذلك شمع جرير (يحقين) أحتر الفرزدق ورمها سو، هي مع براء  
وسب هذا إلى فتيان من مقاعيس إذ استرحوها من حياتها ثم سحوها لبسوها  
سها<sup>(٣)</sup> فعيره جرير بهذه القصة وبالع فيها ، وصورها أقبح تصوير ، ومع هذه  
قصة أخرى وقعت في مجاشع هي عذرهم بالزير بن العوام مصرفة من وقعة  
(الجل) إذا قتله عمرو بن حرموراس الذبئال وأخذ سبه<sup>(٤)</sup> فقال لفرزدق في  
هذين الأمرين : -

قُتِلَ الرُّمَيْزُ وَأُتِ عَاقِدُ حُبْرَةٍ تَبًّا لِحَيَوَتِكَ الَّتِي لَمْ تُحَلَّلْ  
وَأَقَالَكَ عَذْرُكَ بَارُئِيرَ عَلَى مَيٍّ وَمَحَرَّ حَمِيمِيكُمْ بِدَاتِ الْحَرَمَلِ<sup>(٥)</sup>  
ثم حادثة السيف وضرورة الرومي قد حَجَّ سليمان بن عبد الملك وقدمت إليه  
أسرى الروم يحمل يدهم إلى وحوه الناس لقتلهم ، وقدم لجرير رجل مصرى فبان  
رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسير فصر به فلم يصع شيئا فصحك الناس وغضب  
الفرزدق وأحد يستذر عن ذلك بالشر وقال جرير في ذلك : -  
أَكَلَّتْ قَبِيًّا أَنْ يَبَاسِيفُ غَالِبٍ وَشَاعَتْ لَهُ أَحْدُوثةٌ فِي اللُّوَامِ

(١) النفاخ من ٢٢٢ -

(٢) هـ من ٢٩٦ -

(٣) هـ من ٢٩٥ -

(٤) هـ من ٨٠ و ٢٢٢ -

(٥) هـ من ٨٠ -

سيف أبي رَعْوَان سيف مُجاشع  
ضربت به عدّ الإمام فَأَرَعِثَتْ  
ضربت به عُرْقُوبَ نابِ بصوتٍ عَرِ  
عَيْفٌ يَهْرُ السِّيفِ قَبْلُ مُجاشع  
وقال الفرزدق في ذلك : —

فَلَا تَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ مَكِّمْ  
فَهَلْ ضَرْبَةُ الرَّومِ حَامِلَةٌ لَكُمْ  
كَذَاكَ سُيُوفٌ أَهْدَى تَسُو طِبَائِهَا  
فقد سخر جريرٌ بحبيبة الفرزدق ورددّها إلى حبة رَهْطَه ، وقرّنها بحادث  
صَوَّارٍ وَمَسْأَلَةِ الْقِيُون ، وأما الفرزدقُ فقد اعترف بالحادث وأحد بعتمر عنه أولاً  
بأنهم اعتادوا فكّ الأسرى دون قتلهم ، ثم هوى من شأنها حين نُشِرَتْ جريراً  
أو ترفع من قدره ، وصرب مثلاً بالحيلة تلم بالطافرين .  
وهناك أمور أخرى تتصل بدارم تركها إلى حين نعرض نقائص جرير  
والفرزدق .

أما عن ربوع فقد أداع جرير معاصرها وهي كثيرة فيظهر أنها على فقرها كانت  
معروفة بالشحافة والإقدام والبلاء في الحروب حتى كان الفرزدق يفتخر بأيام  
ربوع على قبس عيلان كما يبا ، وذلك غير الردافة<sup>(٢)</sup> فكاست في بني ربوع  
من رياح ، منهم أرداف الملوك وقد احتفظوا بها دون بني دارم وقد لك يقول  
جرير : —

مَنْ مِثْلُ قَارِسٍ ذِي الْحِمَارِ وَتَنْبِ  
وَالْحُسَيْنِ لَيْلَةٍ اللَّيْلِ

والردود إدامك للوك ومن له عظم السائح كل يوم يصل<sup>(١)</sup>  
كذلك الإجازة ، قال جرير يحاطب الراعي ، وقد خلق هذا للعي إلى من  
أعل : —

علوت عليك ذروة حنفي ترى من دونها رباً صيباً  
له حوض النقي وساقية ومن ورث السوة والكتايا  
ومنا من يحير حبيح تخرج وإن حاطت عزكم حصايا<sup>(٢)</sup>

كانت الإجازة في الجاهلية إصموان بن شحنة بن سعد بن زيد قنافة من  
تميم ويريد بالبيت الأخير ما كان يحير كريب بن صفوان الناس من عرفات إلى  
الزدلفة ، وهي جمع ، وأبو شيرة تحيلة من الأعرل يحير من مرفة إلى منى ، وكانت  
صوفة ، وهم شو القوث بن مرة ، يحيزون من منى إلى الأبطح ، ومكر بن وائل  
من الأبطح إلى الكعبة .

كذلك ذكر جرير رجال يربوع خاصة أمام الفرزدق والأحطل فقال : —

كذب الأخبطل إن قومي منهم ناج الملك وراية الثمان  
منهم عتبة والمحل وقضب والحتمان ومنهم الردقان<sup>(٣)</sup>

يريد عتبة بن الحارث بن شهاب ، والمحل بن قدامة من ثعلبة بن يربوع  
وقضب ابن الحارث بن رباح اليربوعي ، والختفان ختف بن السبعف وأخاه  
وحما ثعلبان ، والردقان عتاب بن هرم بن رباح وابنه عوف بن عتاب ، وأما  
حماة تميم وشجاعها وعرتها فقد بلغ جرير في ذلك مدى بعيداً : —

وقد علم الأهل أن شوقنا عجم حديد البيض حتى تصدعا

أَلَا رَبُّ جَبَّارٌ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ      مَتِيئَاءَ كَأْسِ الْمَوْتِ حَتَّى تَضَلُّعَا  
 نَقُودُ حَيَادًا لَمْ تَقْدَهَا مُحَاشِيعُ      تَكُونُ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَرَأَى وَمَسَمَا  
 أَخِيْلُكَ أَمْ حَتَّى مِلْقَاءِ أَحْرُورِ      دَعَانِمَ عَرْشِ الْحَيِّ أَنْ يَنْصَعِمَعَا  
 وَلَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْوَقِيطِ خَيْلُنَا      لَمَا فَاطَتْ الْأَمْرَى الْقِطَاطَ وَالْعِلْمَا<sup>(١)</sup>  
 وَلَمْ يَكُنْ الْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ أَنْ يَنْشُرَا لِيَرْوِعَ صَحْفًا مَبْنُوءًا ، وَمِثَالُ  
 شَيْءٍ ؟ —

وَإِذَا عَدَدْتَ نَفِيَّ كَلِيبٍ لَمْ تَحْدِ      حَسَنًا لَهُمْ يُوفَى بِشَيْعٍ يُقَالُ  
 لَا يَمْنَعُونَ لَهُمْ حَرَامَ حَلِيقَةٍ      بِمَهَابَةٍ مَسْمُومٍ وَلَا يَفْتَالُ  
 أَحْرِيرُ إِنْ أَبَاكَ لَوْ أُنْصَتْ      قَصُرَتْ يَدَاهُ وَمَدَّ شَرَّ حِيَالِ  
 إِنْ الْحِجَارَةُ لَو تَكَلَّمَتْ حَبْرَتُ      عَسَمَ بِالْأَمِّ دِقَقٍ وَسِفَالِ  
 لَوْ يَعْلَمُونَ غَدَاةَ يُعْرَدُ سَبَبُكُمْ      بِالْفَجْرِ بَيْنَ مُتَبِيعَةٍ وَطِحَالِ<sup>(٢)</sup>  
 ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ ، وَقَالَ الْأَخْطَلُ : —

أَمَّا كَلِيبٌ مِنْ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ      عَدَاةٌ لِلْكَارِمِ إِرَادًا وَلَا صَدْرُ  
 مُحَقَّقُونَ وَيَقْصِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ      وَهُمْ نَفِيسٌ فِي عِمَاءٍ مَا شَعَرُوا  
 مُلْطَمُونَ بِأَعْقَادِ الْخِيَاضِ فَمَا      يَنْعَلُكَ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمْ أَثَرُ  
 قَوْمٌ تَهَامَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُحَرِّبَةٍ      وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُصَرُّ  
 الْآكِلُونَ حَيْثُ الزَّادُ وَحَدُّهُمْ      وَالسَّائِلُونَ يَطْلُرُ النَّفِيسُ مَا الْخَبَرُ<sup>(٣)</sup>  
 ثُمَّ رَمَى الْفَرَزْدَقُ جَرِيرًا مَأْمُومًا<sup>(٤)</sup> وَيَأْتِيَانِ الْأَثْنُ<sup>(٥)</sup> وَلَهُمْ أُمَةٌ بِالرَّمَا<sup>(٦)</sup>

(٢) خمسة من ٢٨٨

(٤) للقائس من ٢١

(٦) خمسة من ٢٥

(١) القائس من ٢٣٨

(٣) القائس جرير والأخطل من ١٦٣

(٥) خمسة من ١٠١

مما لا يذكرها ، ويعود إلى حرر فيتمه نحيانه قومه ، والخطب في حل قيس ،  
طمعاً في الرشوة : —

تُخَوِّنَا أَيَّامَ قَيْسٍ وَلَمْ تَدَعْ      إِمِيلَانَ أَعْمَا مُسْتَقِيمَ الْحَيَاثِمِ  
فَأَتَتْ مِنْ قَيْسٍ فَتَنِيحَ دُونَهَا      وَلَا مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّوسِ الْأَعَاظِمِ  
وَالنَّكْ إِذْ تَهْجَسُ وَتَمَيَّا وَتَرْتَشِي      تَابِعِ قَيْسٍ أَوْ شُعُوقَ الْعَامِثِ  
كَمَهْرٍ بَقِيَ مَاءُ الْفَلَاةِ وَعَمْرُهُ      سَرَابٌ أَثَرُهُ رِيَّاحُ السَّمَائِمِ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ الْبَيْثُ لَجَرِيرٍ مِنْ قَبِيلَةٍ :  
أَلَسْتَ كَلْبِيًّا إِذَا سِيمَ خُطَّةٌ      أَفَرُّ كِبَارِ الْخَلِيلَةِ لِلْبَقْلِ  
وَكُلُّ كُنْيَةٍ صَحِيحَةٍ وَجْهِهِ      أَذَلُّ الْأَقْدَامِ الرِّجَالِ مِنَ النُّعْلِ  
وَكُلُّ كَلْبِيٍّ يَسُوقُ أَثَانَهُ      لَهُ حَاجَةٌ مِنْ حَيْثُ تُشْفَرُ بِالْحَبْلِ<sup>(٢)</sup>  
وَيَرَى بَعْضُ بَنِي كَلْبٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أَشَدُّ مَا هَبَّوْا بِهِ .

ونف عدا الأخطل وقومه قد استطاع جرير أن يهاجمهم من عدة مواضع في  
بعضها إخراج للأخطل كالدين ، والجزية ، والسكر ، والنفذارة ، والعد عن قبيلة  
الخلافه والسلطان ، كما وقف الأخطل يهاجمه هو وقيس عيلان وبُشيد بأحاب  
بنو تغلب قومه ، قال جرير :

قَبِيحَ الْإِلَهِ وَجُودَ تَغْلِبَ كُنَّا      شَحَّ الْحَجِيحُ وَكَبَرُوا إِهْلَالَا  
عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَدَّبُوا بِمُحَمَّدٍ      وَبِحَبْرَيْلَ وَكَدَّبُوا مِيكَالَا  
وَالْعُلَى إِذَا تَحَنَّنَ لِلْقَرَى      حَكَّ أَسْنَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا  
أَسَيْتَ يَوْمَكَ بِالْحَزِيرَةِ بَعْدَ مَا      كَانَتْ عَوْقُهُ عَالِيَتْ وَبَالَا  
حَلَّتْ عَيْثُ حَاجَةُ قَيْسٍ حَيْلَهَا      شَعْنَا عَوَاسَ تَحْمِلُ الْأَهْلَالَا



ما دلت تحب كل شيء، مدحاً خيلاً تشد عليكم<sup>(١)</sup> ورجالا<sup>(٢)</sup>  
والطريف في هذه النقيصة أن يعترف جرير بمساوي، محاشع رهط الفرزدق  
بأسلوب طريف أيضاً ثم يعود إلى تطلب محمراً عليها فيقول :

أوجدت فيما غير عذر مجاشع      وتحرر جفنين والزبير مقالا  
إن القسواف قد أمير مريها      يبي مدوكس إاد جدغن عقلا  
لولا الجري قسيم السواد وتغليب      في السليم فكتم أفعالا<sup>(٣)</sup>  
فيقول له الأخطل يهجو ويحصل عليه دارماً رهط الفرزدق :

ولقد جشت جرير أمراً عازراً      ووهبت مسودة أمتك أجهلا  
فامق نصائبك يا جرير فابما      متاك نفسك في الخلا، صلالا  
متاك نفسك أن تكون كداريم      أو أن توارن حاجباً وعقلا<sup>(٤)</sup>  
ثم يلتفت الأخطل إلى قومه فيشيد بحاستهم على سجع عمرو بن كلثوم ،  
ويقول من نقيصة :

ففسا الس أن الجار فيما      يحير ، وأى جار يستجار  
وأما نطم الأضياف قديماً      إذا المدراء أخرجها القطار  
وأما الصارون إذا قويا      كبش القوم قد علت راز  
نذافع في اسكريبة عن بيا      ونم أن جبن القوم عار  
بضرب لا كفاء له وطير      كافوا المراد له شرار<sup>(٥)</sup>

ومجد في رائتي جرير والأخطل صورتين متقابلتين لموقفي الشاعر وما  
يثلان من قائل أو يهاجتها .

(١) تائس جرير والأخطل ص ٨٧

(٢) نفس المصدر ص ٩٢ (٣) نفس المصدر ص ٨١ (٤) نفس المصدر ص ٩٢

هذه أمثلة قليلة جداً لمسألة الأحساب تركت كثيراً جداً غيرها تشمل معاني أخرى ، خوف الإطالة ورغبة أن يعود القراء إلى النقائص في مراجعتها ، ففي ذلك خير كثير ، وإدراك تام لمصدر النقص — والاطلاع على ما لا يحسن ذكره هنا .

— ٤ —

وهناك غير ما سبق حوادث أخرى حربية دخلت في ماء القلائص بحسب وكانت متأثرة بتيارات سياسية ، أو عصبية قلبية ، أو دواعي شخصية ، أو غير خلقية . من ذلك أنه لما تهاجم جريز والقرزدي ققام حرير بأمر يد وقام الفرزدق في المقبرة أرسس الحارث بن عبد الله المخزومي أخو عمر بن أبي ربيعة — وهو القباع<sup>(١)</sup> — وكان والي البصرة لابن الزبير ، وكان متمسكاً بروى عنه الفقه ، إلى الدارين الذين كانا ينزلانها فتمت مهاجرتها ، فقال الفرزدق في ذلك من نبيضة :

أحارثُ دارى مرزبن قدَّمَتْها      وكنتَ أنْ أختِ لا تخفِ غوائفُ  
وأنتَ امرؤ بطحاء مكة لم يزل      بهم معلن الحربل وفاعله  
فقلب له لا تُسمَنَ عدونا      ولا نس من أصحان من نواصله  
فقتل ما أعيت كاسر عيسه      رباداً فلم تندر عني حباله<sup>(٢)</sup>  
وقال حرير كذلك في غيبتها :

أحارثُ حذ من شئتَ منا ومنهم      ودعنا قيسَ محمداً قدَّ فواصله  
فما في كتاب الله تهديم دارنا      بهديم ماخور حبش مدخله  
وفي تخديع مه الوار وشربه      وفي تخديع أكيلاره ومرجله<sup>(٣)</sup>

(١) القلائص حرير والقرزدي ص ٦٠٨ (٢) أحمد زهير ص ٧٧ (٣) من المرجع ص ٦٨٣



ليقدمها ، ثم يستطعن الذي رسا      فاعمد علي فوق سبعين دأتم<sup>(١)</sup>  
ويقرن جرير جامعاً بين إحداح الخشع عن محر هذا الحادث الير نوعي وبين  
الاعتدار لقيس عيلان :

فغيرك أذى للحليفة عهده      و غيرك حلى عن وحوه الأهاتم  
فإن وكيماً حين خارت مجاشع      كفى شعب صدع العنة المتعاقم  
لقد كنت فيها يا فرزدق ناساً      ودينس الدمانى ناساً للعوامم  
ندافع عكم كل يوم عظيمه      وأنت قراحي سيب الكواطم  
أجنناً وفخرأ يا نبي رآد استها      وعن نشب الحرب شيب المقاديم  
أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم      ولا أن نزوعوا قومكم بالمطالم  
أباهل قد أوفيتكم من دمانكم      إذا ما قتلتم رهط قيس بن عاصم<sup>(٢)</sup>  
وأمر آخر هو ما دار بين جرير والفرزدق حول أرواح الثاني وجارية الأول  
وهو كثير<sup>(٣)</sup> نكتفي به بقصة الفرزدق لما برم بالنوار روجه تروج عليها حدراء  
بنت ربيق بن سظام بن قيس بن مسعود الشيباني فعاشتها النور فأخذ الفرزدق  
يسطم الشعر في مدح حدراء فأغضب ذلك النوار وقالت للفرزدق : والله لأخربنك  
يا فاسق ! وبعثت الى جرير تحاءها ، فقالت : ألا ترى ما قال لي العاسق !  
وشكت اليه فقال جرير :

فلا أنا ميطي الحكم عن شيم منصيب      ولا عن تنات الحنطليين راعب  
وهن كاء المزن يشقى به الصدى      وكامت ملاحاً غيرهن المشارب  
لقد كنت أهلاً أن تسوق دياتكم      إلى آل ربيق أن يعينك عائب  
وما عدلت ذات الصليب قطينة      عتيبة والردقان منها وحاح

أَلَا رُبَّمَا لَمْ يُعْطَ زَيْقًا يَحْكُمُ وَأَدَّى إِلَيْنَا الْحُكْمَ وَالْعُلَّ لَارِبِ  
حَوْبًا أَمَا رَيْقٌ وَرَيْقًا وَغَمَّةٌ وَحَدَّةٌ زَيْقٌ قَدْ حَوَّتْهَا الْمَقَابِ<sup>(١)</sup>

وكان أجداد حذراء نصارى ، فأجابه الفرزدق بقصيدة منها :

أَنْتَ إِذَا لَقِيتَ أَسْلَى طَهْرَهَا إِلَى آلِ سِطَامِ بْنِ قَيْسٍ نَخْطِبُ  
قَلَّ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَمَّ لَهْمُ يَمْلِكُكَ مِنْ مَالٍ مُرَاجٍ وَغَارِبِ  
فَوَ كُنْتَ مِنْ أَكْهَاءِ حَذْرَاءَ لَمْ تَلَمْ عَنِ دَارِمْ بَيْنَ لَيْلٍ وَعَالِ  
وَأَنْتَ لِأَخْشَى إِنْ حَطَبْتَ إِلَيْهِمْ عَلَيْكَ الَّتِي لَاقَى بِسَارُ الْكَوَاعِبِ  
وَلَوْ قَسَمُوا لِي عَطِيَّةً مُمْتَنَةً إِلَى آلِ رَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقَارِبِ  
مُ رَوَّجُوا قَبْلِي خِرَارًا وَأَسْكَعُوا لَقِيمًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمَنَاسِبِ  
وَلَوْ تَنَكَّحُ الشَّيْءُ النُّحُومَ ثَانِيًا إِذَا لَكُنَّاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ<sup>(٢)</sup>  
وهكذا تحدد النقائض عادة بمحادث منها ما لا يحسن إيرادها في  
هذه الفصول .

— ٥ —

وكان لعن الشعر وقيمته الأدبية نصيب في بناء النقائض وملاحظاتنا ، وقد  
روينا قبل ذلك ، وسيأتي في الفصل التالي ، هذه الملاحظات بين مكانة اليمن وعدنان  
في الشعر ، وكانت بين ابن ميادة وعقال بن هاشم ، وهما نجد الفرزدق في قيمته  
( الفَيْصَل ) كما دعاهما يذكر أخذه الشعر عن الفحول السابقين حتى انتهى إلى  
الأخطل فيقول : —

(١) نفس المرحوم ص ٢٢٢ والنقائض ص ٨٠٧

(٢) النقائض ص ٨١٤ .

إن التي قُتِلَتْ بها أنصاركم      وهي التي دُمِّتْ أهلك ، الفَيْضَلُ  
 وهبَ القصاصَ لي الواسعَ إذ مَعُوا      وأمرَ رعدَ وجو الفُروحَ وخزولُ  
 والفحلُ هَلَمَّةُ التي كانت له      حُلُلُ اللُّوشِ ، كَلَامُهُ لَا سُحْلُ  
 وأخو بني قيسٍ وهنَّ قَلَنُهُ      ومُهْلِلُ الشعراءِ ذاك الأولُ  
 والأعشيالُ كَلَامُها ومُرَقَشُ      وأخو قُصَاعِيَّةِ قولُهُ يُنَمِّلُ  
 وأخو بني أسدٍ عَيْدِ إدمي      وأمرَ داوُدَ ، قِسْوُهُ يَنْتَحِلُ  
 الأبيات (١) ثم يأخذ عليه الاتفاقَ بغيرِة شعراء من عُمانَ إلى مِصرَ ويبدله  
 على أبيات ذات ألقاب خاصة مُتَّحِذًا فيقول : —  
 تَقَى لِجَرِيرٍ لِيُجِرَ شَيْءٌ      وقد ذهبت القصائدُ للروافِ  
 فكيف تَرُدُّ ما يُعَانِ منها      وما يحالِ مِصرَ مُشَهَّرَاتِ  
 عَلَبْتُكَ بِالنَّفَقِ ، وَالْمَقَى      وَتَيْتِ الْحَتَّى وَالْحَدِيقَاتِ (٢)  
 وتدن إحدى الروايات على أن الفرزدق كان في هجائه وأهياً محققاً ، فإنه  
 ما أراد هجاء بني جعفر بن كلاب قيسيين ودا الأهدام الصبائي صابراً إلى عمرو  
 ابن لُججٍ يعرف منه مناب الجعفريين وسجلها في غيخته التي يقول فيها : —  
 وَنُبِّتُ دَا الْأَهْدَامِ يَمْوِي وَدَوَاهُ      مِنْ الشَّامِ رَزَاعَتُهَا وَقُصُورُهَا  
 لِمَا ؟ وَلَمْ أَتْرِكْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً      وَلَا نَاحِيًا إِلَّا اسْتَرْعَتْ عَقُورُهَا (٣)  
 ورمى جريراً بسرقة شعراء فقال ٤ : —  
 إِنَّ اسْتِرَاقَكَ لِجَرِيرٍ قُصَائِدِي      مِثْلُ ادْعَاءِ سِوَى أَيْكَ تَنْقُلُ (٤)  
 فيرد عليه جرير فيقول : —

(١) النفايس ص ٢٠

(٢) نفس المرجع ص ١٧٤

[٣] ص ٩٧

(٤) نفسه ص ٢٠٢

حَسْبُ الْفَرْدِ أَنْ تُنْسَبَ مُحَارِشٌ وَتَعْدَّ شَمْرُ مُرْقَشٍ وَمَهْلَهْلٍ<sup>(١)</sup>  
ويقول له في تقيضة أخرى : —

سَتَعْلَمُ مَنْ يَصِيرُ أَوْهَ قَبِيًّا وَمَنْ عُرِفَتْ قَصَائِدُهُ أَجْلَابًا<sup>(٢)</sup>  
على أن حريراً كان يلقب قصائده بألفاظ اعتزلاً بها فسمى تقيضه : —  
لولا الحيلة لها جنى استعمارٌ وَوُذِرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَيْبُ بُرَارُ  
الجوساء لذهابها في البلاد<sup>(٣)</sup> وسمى بآيته : —

أَقْلَى اللُّوْمَ عَادِلَ وَالصَّنَايا وَقَوْلِي ، إِنْ أَصَبْتُ ، لَقَدْ أَصَابَا  
الدُّمَاعَةَ ، وَالذَّهْقَةَ ، وَالنُّصُورَةَ<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ يَمْتَرُ سَبْرُورَةَ شَعْرَهُ وَذَهَابَهُ فِي  
الْبِلَادِ حَقًّا حَتَّى أَتَمَّتْ الْحَنَ يَادَاعَتَهَا<sup>(٥)</sup> وَقَوْلُ حَرِيرٍ فِي ذَلِكَ وَهُوَ يَنْقُصُ  
الْبُعَيْثُ : —

وَعَاوَى مِنْ عِبْرَتِي ، رَمَيْتُهُ فَمَارِعِي أَسَاذَهَا تَقَطَّرَ الدِّمَا  
وَإِنِّي لَقَوْلٌ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ وَرُودُ إِذَا السَّارَى يَلِيلُ تَرَعَا  
خُرُوجِ نَافُوهِ الرِّوَاكِ كَأَنَّهَا قَرَى هُدُوَيْنِ إِذَا هُرَّ صَمَمًا  
فَبِئْسَ لَهْجِيهِنَّ يَكُلُّ غَرِيبَةً شَرُودُ إِذَا السَّارَى يَلِيلُ تَرُمُ  
غَرَابِ أَلَا إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخَذَنَ طَرِيقًا لِلْفَصَائِدِ مَقَامًا<sup>(٦)</sup>

وهذه الأبيات سمعها الراعي يتغنى بها رجل فقال : ما لجرير لعنه الله !  
علام يلومى الناس أن علي هذه ؟ ! وقد ذكرنا كيف اعترف الفرزدق

(١) نسخة من ٢٩٨ (٢) نسخة من ١٢٤  
(٢) نسخة من ٨٤٧ (٣) نسخة من ١٣٠  
(٤) الإعراب ج ٨ من ٣٩ دار الكتب وراجح التفسير من ٦٨٨  
(٥) القائل من ٦٢

حرير رقة شعره<sup>(١)</sup> ومكاته<sup>(٢)</sup> وكذلك عرف حرير أن الفرزدق أخطأ  
حصوله<sup>(٣)</sup> . وقد ظهرت مكاة الفرزدق لنا تحداً ابن أبي بكر بن حرم  
شعر حسن وهو بالندوة فأسكنه مائته المشهورة الواردة أول الجزء الثاني  
من النقائص : —

عرفت بأعشاش وما كذت تعرف وأسكرت من حذار ما كنت تعرف<sup>(٤)</sup>  
وقد نقصها عليه حرير . وعرفت ، حين ذكرت شعراء النقائص أن الخائب  
الذي حمل حريراً يلتحم مع كثرة من الشعراء منهم الأخطأ وليس من شك  
أن هؤلاء الشعراء جميعاً كانوا يتأخرون في فهم كل شيء كما يظهر ذلك من  
ستنقضي دراسة النقائص وقد يمر بك بيان ذلك .

## — ٦ —

وكانت لمعاني والنصوصات السياسية من أصول النقائص ومجدها ، وقد بين  
من قبل مواقف الشعراء السياسية<sup>(٥)</sup> فلا سيد ذلك هنا وإنما نشير إلى أن معاني  
لسانية وجدت في هذا الفن متأثرة بمواقف الشعراء وقد رأيت في الأمثلة السابقة  
كيف تناول جرير والفرزدق مسألة البيعة لبيان من عبد الملك إثر مصرع  
فتية فبدأ رجلاً إلى كتاب نقائص حرير والأخطأ وجد ما فيه كثرة من هذه المعاني  
مهما ما قاله زهر بن الحارث الكلابي القسي وهو يتأقضى تحرو من المحلاة الكلي  
حول وقعة ( مَرَج رَاهُط ) : —

(٢) نسخة ١٠١٧

(١) نسخة ١٠١٧

(٣) نسخة من ١٠١٨

(٢) نسخة ١٠١٨

(٥) تاريخ الشعر السياسي للزوايد ٣ ص ٦



فبن ملك بازعاً قریشاً عليهم أخوتنا ومولانا ادين صارع  
 فبن تيبيل ومثك ما يكن له الملك، تتبعه وحذك صارع<sup>(١)</sup>  
 وما قاله حوأس الكلبي في مناقبته معداً الكلاعي يعص على الأمويين  
 أن لم يعرفوا سي كلب بلاهم في نصرتهم على قبس يوم المرح :-

ضربنا لكم عن وستر الملك أهله يحثرون اذ لا تستطيعون مسرا  
 وأيام صدق كلها قد علمت نصرنا ويوم المرح نصرنا مؤزرا  
 فلا تكفروا حسنى نصت من بلانا ولا تمسحوا بقدر لبن تحبوا<sup>(٢)</sup>  
 ومنها ما احتج به الأحنال للأمويين وحققهم في الملك حتى عد شاعر القصر  
 اسكى الأموى ، وسمى شاعر أمير المؤمنين ، وهو القائل :

بني أمية نساكم محلة تمت فلاينة فيها ولا كدر  
 أعظم الله حداً ينصرون به لا حد إلا صيرت بعد محنة  
 ياثيروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يكون يقوم بهم أشروا  
 بني أمية إلى ماصح لكم فلا يبيت فيكم أما رفر  
 ويحذره عدواً بنت شاهده وما تعيب من أخلاقيه دعر  
 بني أمية قد ناصت دوماكم أباء قوم هم آقوا وهم نصروا  
 ألحمتكم بني البجار قد علمت عليا معداً وكانوا طائفاً هذروا<sup>(٣)</sup>

من قصيدة له مع جرير ذكر فيها ملكهم العبد وحسن سياستهم ، وحذرهم  
 قبس عيلاز وزعيمها رفر بن الحارث ، وامتن عليهم عما أعتهم على الأنصار حين  
 هجاه لما حده يزيد بن معاوية على ذلك بسبب نشيب عبد الرحمن بن حسان بن  
 ثابت برمة أخته في حديث طويل<sup>(٤)</sup> .

(١) قاسم حرير والأحنال من ١٩ (٢) منه من ٢  
 (٣) و (٢) قاسم حرير والأحنال من ١٥٦ (٤) الأغانى ج ١٤ من ١١٩

سكنى هذا القدر ، ويريد في ختام هذا الفصل أن يشير إلى مسألة جديدة  
سبحث نخاص هي بين شخصيات القبائل ، والشعراء ، والرعماء من خلال النقائص  
وواضح أن دارماً قبيلة ذات مآثر ، ورجال معروفين ، وثرء عريص وأن بر روعاً  
قبيلة الشحاعة والسدة وإن كانت فقيرة ، وأن قبلاً وتبها متكافئان في المكاة  
العامة والأيام فكانت أركى مضر ، ولتطلب ماضيها الجاهلي الحسى وإن دلت في  
الإسلام ونقيت هلى نصرانيتها .

وهذه السمات القبلية وضحت في شخصيات الشعراء والرعماء مما لا يفصاه  
ها ونرجىء سعه إلى فصل ( من النقائص )  
ونرجوا أن نبدأ عرض شىء من نصوص النقائص العامة ثم ننع ذلك  
بوصف النقائص الخاصة .

# الفصل الخامس

## في النقائص العامة

- ١ -

كان من الطبيعي ، بعد أن شرحنا عصر النقائص الأموية ، وشأتها وفنونها ،  
والمنا بشرائها وعناصرها ، أن نعرض للنقائص نفسها فورد بعض نصوصها ،  
ناظرين فيما يلابسها من نواح فنية ، أو تاريخية ، أو موضوعية ، متبيين منها بعض  
المظاهر التي تكون طامعها العام . وإذا كنا قد لاحظنا في غير موضع من هذه  
الفصول أن النقائص نوعان : نوع عام متناثر جرى على السنة بعض الشعراء دون  
أن يفرغوا له أو يكثروا منه ، ونوع خاص استفرغ جهود الفحول ومن اتصل بهم  
أول أمره كالبعث ، فإننا نكرر هذا الفصل على عرض شواهد النوع الأول  
تاركين من التحموا بحريز من ذكرناهم في الفصل الثالث من هذا الباب ، وسنعمل  
الأمثلة نمجي . موضحة نفسها دون حاجة إلى تمهيد عام .

٢ - من ذلك ما حدث بين هذبة بن خشرم العنزي وبين ريابة بن ريد  
ابن مالك من بني رقاش ، وذلك أن كانت بينهما صفتان بسبب رهاق ثم  
اصطاحبا مقنين إلى المدينة من الشام في ركب من قومهما فكانا يتعاقبان السوق  
بالإبل وكان مع هذبة أخته فاطمة فزل زيادة فارتجز : —

عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبِي يَا فاطِمَا      ما بين أن يَرَى العيرُ قائِمَا  
ألا تَرِنَ السمعَ مِنِّي ساجِحَا      حِدارِ دارِ ملكٍ بنِ تَلَامَا

مَرَحَتْ مُطَرِّدًا عَرَاهِيَا      فَعَمَّا يَبْدُ الْقُلُوصِ الرُّوَاهِيَا  
كَأَنَّ فِي الشَّمَةِ مَهْ عَانَا      بِكَ وَشَهْ لَأَنَّ تَبَاهِيَا  
حَوْدًا كَأَنَّ الْبُوصَ وَالْمَاءَ كَمَا      مَهَاهَا مَحَالِطَ صَرَاهِيَا  
خَيْرٌ مِنْ اسْتَقَالِكَ السَّامَا      وَمِنْ مُنَادِي تَهْنِي مُعَاكِمَا

فمضت هدية حين سمع زيادة يرتجز بأخته فترنل فرجزت تحت ريادة وكانت  
تدعى أم خازم أو أم قاسم : —

لَقَدْ أَرَانِي وَالْعَلَامَ الْحَارِمَا      رُجِي الْمَطَى صُدْرًا سَوَاهِيَا  
مَتَى تَقُولُ الْقُلُوصَ الرُّوَاهِيَا      وَالْخِلَّةَ الدَّاحِيَةَ الْقِيَاهِيَا  
يَبْلُغُ أُمُّ خَازِمٍ وَخَازِمَا      إِذَا هَطَّانَ مُسْتَجِيرًا فَتَاهِيَا  
وَرَفَعَ أَحَادِي لَهَا أَهْمَاهَا      الْأَتْرِينَ الْآخَرِينَ مَتَى دَاهِيَا  
حِدَار دَارِيكَ لَنْ نَلَاهِيَا      وَلَقَدْ لَا يَشَى الْقَوَادِ الْهَاهِيَا  
تَمَاحُكُ اللَّاتِ وَالْمَاءَ كَمَا      وَلَا الدَّامُ دُونَ أَنْ تَلَاهِيَا  
وَلَا الدَّامُ دُونَ أَنْ تَلَاهِيَا      وَلَا الْفِقَامُ دُونَ أَنْ تَلَاهِيَا

هذه المراجعة ، وهي من المناقصة ، موافرة العاصر فهي وحدة الموصوع  
والقافية ، وكانت المناقصة فيها تقوم على الموصوع أولا من حيث أنه سيب  
بالحارم ، ثم كان الثاني أشد حرارة ومبالغة في المعاني حتى شمه ريادة وشتمه  
هدية ونسبا طويلا ، وأسكنهما القوم على ما في نفسيهما ، وهذه أشدهما حقا  
لأن ريادة رجز أخته وهي تسع منه بخلاف أخت ريادة فكانت عاتية ، ولما  
أنما حجها وعادا إلى عشارها أخذتا يتافسان ، فقال رباد قصيدته : —

أَرَاكَ حَلِيلًا قَدْ عَزَمْتَ التَّحْبَا      وَقَطَعْتَ حَاجِبَاتِ الْقَوَادِ فَاصْبَحَا

وأجابه هُدبة :—

ذكر شحوا من أُمَيَّة مُصَيِّباً تَبِيداً وَمُتَاباً من الشوق مُجِلِباً<sup>(١)</sup>  
ولم ير هُدبة غضب غرة من زيادة حتى أصابها فقتله .

٢ — وقد ذكرنا في ( التمهيد ) ما كان بين ابن الدُّمَيْة عبيد الله الخثعمي  
الكهلاني وبين امرأة من قومه تدعى ( أُمَيَّة ) فهاهم بها مدة ، وما وصلتته تحق  
عليها ، وجعل يقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، ثم أقبلت عليه ،  
فبالت له : —

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَنْتَ الَّذِي كَانَ فِيكَ يَوْمٌ  
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَمْ غَرَحَا أَرَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ  
فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِحَسْبِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كَلُومٌ  
فَأَجَابَهَا ابْنُ الدُّمَيْة فَقَالَ : —

وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَرَارَةً وَمَرَّقْتَ قَرْحَ الْقَطْرِ فَهُوَ كَلِيمٌ  
وَأَنْتِ الَّتِي كَلَمْتَنِي دَلَجَ السُّرَى وَجُؤُنُ الْقَطَا وَجَلْهَتَيْنِ جُنُومٌ  
أَنْتِ الَّتِي أَحْطَطْتَ قَوْمِي فَكَلِمٌ تَبِيدُ الرِّضَادَ مِنَ الصَّدُورِ كَطُومٌ<sup>(٢)</sup>

قامت هذه الماقصة الغزلية على طريقة الموارة أو المقابلة ، فقد رمته بخلف  
الوعد وتعريضها لشبهة الغزال ، وجعلها هَدَفًا لِلأَلْسَةِ حتى ليكاد كلام الوشاة  
يذمى جسمها من شدة وقعه . ويحىء وهو يصنع بإراء معانيها ما يقابلها وهي التي  
مرقت قلبه بحرارة الوحد مع المجمران ، وهي التي كلفتها السرى والمشاق في  
صبيحتها ، حتى غضب عليه قومه وأضمرؤا له الغص والكراهية .

٣ كذلك أشرنا إلى ما كان بين قتادة بن معرب وبين أبي كلدة الجبشي  
السكري : قد قال رجل للميث : أي رجل هو أبو كلدة ؟ فقال : قتادة بن  
معرب أعرف به حيث يقول : —

إياك كلدة من سُكره	لا يعرف الحق من الباطل
يزداد غيا واسهاكا ولا	يسمع قول الناصح العادل
أعيا أبوه وشو عمه	وكان في البروة من وائل
عليه لم يث من يشكر	ففسد حين الرجل العاقل
أعنى عن الحق بصير بما	يعرفه كل قبيح حائل
يُصبح سكران ويُمسي كما	أصبح لا أسفى من الوائل
شد ركب المي ثم اغتدى	إلى التي ثجاب من بابل
فالسجن ، إن عاش ، له منزل	والسجن دار العاجز الحائل

وقال أبو كلدة بحية : —

قبعت لو كنت امرأة صالحة	تعرف ما الحق من الباطل
كففت عن شئ بلا إسعة	ولم نورط كفة الحائل
لكن أبت نفسك هل الهى	والحزيم والتجدة والائل
فتحت لى بالشتم حتى بدا	مكون عيش في الحشاد الحيل
فاجهد وقت لا تترك جاهدا	شتم امرئ ذي نجدة عاقل
تذلى في قهوة مرة	در ياقه تحلب من بابل
ولو رآها خر من حبها	يسجد للشيطان بالباطل
ياشر مكر كلها محتدا	ونهرة الخنفس الأكل

عرصتك وقوه ودعى وما أهواه يا أحمق من باطل<sup>(١)</sup>  
تدور المناقصة على أن أبا كاتبة يشرب الخمر ، ولا يستمع لناصحيه ،  
ولا يعرف الحق من الباطل ، حتى اتصت مراكبه ، وسلك مسك الجهال ، فورد  
الجن . وقد نقص أبو كاتبة على حصه بطريقين : الأول طريق التسليم بأنه  
يعاقر الخمر و بوجه ذلك ملذتها الأسره . والثانى طريق الموارنة فقد وصف حصه  
بالزيم والجهالة والحق وبى عنه الفضائل ، ثم قلب عليه عارماه به .  
٤ — وقد وقع بين أرملة بن سُهَيْبَة المري من عطفان وبين رُمَيْل قاتل ابن  
دائرة إحياء فتوعده رُمَيْل وقال : إني لأحسبك مسجوع مثل كئس ابن دائرة  
فقال أرملة : —

يا رُمَيْلُ إني إن أكن لك سائحا	تركس رحليكَ السجاة والحق
لا تحسبني كأمريء صادقته	بمضيقه فخذشته بإبرقي
إني امرؤ أوى إذا قارعنكم	فصب الرهايا وما أشد أنعرق

فقال له رُمَيْل : —

يا أرملة إن تك فاعلا ما قلته	والره يستحي إذا لم يصدق
فاعمل كما فعل ابن دائرة سالم	ثم امش هوئك سادراً لا تنق
وإذا جئت بين يدي شاكاً	أبواب فارعد ما يدا لك وإبرقي <sup>(٢)</sup>

يدعى أرملة أنه عال به إذا عال به ، وأنه ليس فى هوان ابن دائرة ، وأنه محقق  
عريته ، فأثنى رُمَيْل بكده فى دعواه ، ويتحداه بأنمار وعده ، ويتهدده بالويل  
ساخراً به .

• — وقد كانت ملاحاة بين ابن ميادة المرتضى النظماني وبين حاكم مصر الحصري الحارثي ومقتضات كثيرة وأراجير شتى منها ما قال حاكم في ابن ميادة : —

فيا مرقدا أحرارك في كل موطن      من اللوم خلالت يزددن على عشر  
فهمن أن العبد حامى دياركم      ونس الحامى المدد عن خوزة الشعر  
ومنهن أن لم تمسحوا وحة سابق      جواد ، ولم تاتوا حصاناً على طهر  
ومنهن أن الجدر يسكن وسطكم      بريثاً فيلقى بالخيانة والفدر  
ومنهن أن الشيخ يؤخذ منكم      يدب إلى الجارات محدود ب الظهر  
فأحاه ابن ميادة محبياً عن هذه الخصال التي ستهم بها وسلك في قصه طريقة لمواراة على العموم فقد ذكر في محارب حصال سوء تجاه ما ذكر حاكم في مرة بن غطمان ، قال ابن ميادة : —

لقد سفت بأعريات محارب      وفازت بخلات على قومها عشر  
فهمن أن لم تعقروا ذات ذروة      لحق إذا ما احتيج يوماً إلى القدر  
ومنهن أن لم تضربوا بسيفكم      جاجم إلا قبشـل القرع الحمر  
ومنهن أن كانت شيوخ محارب      كما قد علمت لا ترش ولا تبهر  
ومنهن أن لو كان في البحر منكم      لحبث ضاحى جلده حومة البحر<sup>(١)</sup>

وقد مر في ( التمهيد ) ما دار بين ابن ميادة وعفان بن هاشم حول مكانة عدنان (قبس وخذف) في الشعر وبين اليمن ، وكانت المناقضة على طريقة اعتراف عفان بمكانة عدنان الأدبية ولكنه فضل الحى اليمنين بالسبق إلى ذلك وأحد الناس عنهم .



٦ — كانت مباحثة بين حارثة من بني النضير وعي ونس من رستم اللبني فهدى الشعر زمناً عند عيد الله من ربه ووقع بينهما شر حتى قدم سلم بن زياد عاملاً على حراسان وسحسان فعرض على أس ضحته وحل له أن يستعمله على كورة فاستعمله ، وكتب أس إلى عيد الله : —

ألم ترى حبيبت والأمر واقع	في صكت لنا قلت بالتحير
ريصاك على شيء سواء ولم يكن	إذا احل داحرم من الأمر بطير
فعدت ترضى عن جهاد وصاحب	شفيق قديم الوُد كان مؤمري
على أحاديث الثغرين ثم تركته	وقد صكت في تمبره غير تمبر
فأمسكت عن سلم عاني وضحتي	يعرف وجه العذر قبل الصدر
هذه كمت لك تدر ماهي شيمتي	فقل لي أ كعدى وسل في معشري
ألست مع الإحسان والخود ذا عي	وناس إذا ما كفروا في التشر
ورائي ، وقد أعصى الهوى حبة الردى	وأعرف رعب الأمر قبل التدبر
وما كنت ذلك ترتد تعيبي	على ارتداد المطم — لم التحير

فرد عليه حارثة من بني النضير بامر عيد الله من زياد : —

ألكي إلى من قال هذا وقال له	كذبت فما إن أنت بالتحير
وأنت لو صاحبت سلفاً وحدته	كهدث عهد أسوء لم يتغير
أتصح لي يوماً ولست بصاح	لنحك فاعش ما بدالك أو ذر
كذبت ولكن أنت رهن بخزية	ويوم كأيام ، غوس مذكر
كاشقر يصحى بين ربحين إن مضى	على الزمخ بنحر أو نأحر يُشقر <sup>(١)</sup>

يتمس أنس على عبيد الله بأنه آثر رصده والبقاء معه على مصيب يمرضه عليه  
سلم وفاء لأن د ياد ، ثم أنزع ذلك بالفخر شمائله بن غنى ، ووجود ، وأنس ،  
وحررم ، وذكاء ، ولولا فصائه لتركه وانصرف . وكان التقصُّ أن كذبه حارثة ،  
وأبه لو صاحب ملأ لما ارتاح إليه ، ودعاه أن ينصح نفسه ولا قيمة لأبيه عند  
عبيد الله ، وصورة له حاله بأنه لاقى شراً لا بحالة أقام أم رحل  
وأعجت الأبيات عبيد الله وقال : نعمري ، فقد أحسته على إرادتي ، وأمسكها  
عبيد الله في يده فلما دخل عليه أنس فدفعها إليه فطار فيها ثم قال لعبيد الله : فقد  
ردت على من لا يستطيع جوابه وظن أن عبيد الله قالما ، وخرج أنس وصحيفة  
في يده فلقبه عبد الرحمن ابن رلان فدفعها إليه أنس ، فمأقرأها قال : هذا شعر  
حارثة بن بدر ، أعرفه ، فقال له أنس : حدثت والله ، ثم قال لحارثة . —  
عجبت لمؤرج من رمان مصلل رأى لألأب الرجال مُسَلِّبُ  
القصيد<sup>(١)</sup> .

٧ — كانت بنو عجل قد حاورت بني يربوع في سنة أصابت عجلا فكان  
الأبيرد الرباعي اليربوعي يعاشر رجلا منهم يقال له سعد ويحاله ، وكان قصده  
امرأة سعد هدافت إليه فومفه وعرف أمرها ولام الأبيرد قومه فتلكا  
فاعتصره سامان العجلي فحماه وهجا بني يربوع فقال : —

لعمرك إني وبني يربوع	لكالعزى فصدف سهم رام
يسوقون ابن وحررة مزيبرا	ليحييتهم وليس لهم بحمام
وكم من شاعر لبني تميم	قصير الباع من بقر زنيام
وإن يدكر طعامهم شر	فإن طعامهم شر الطعام

وسوداء المغان من رباح على الكردوس كالقدس الكهام  
فقال الأبيرد حياء له : —

عوى سمان من جور فلاقى	أحو أهل اليمامة سهم رهم
نحو عجل أد من المطايا	ومن لحم الجرور على النمام
نحني الملدون إذا تلاقوا	وعجل ما نحني بالسلام
إذا عحية ولنت علماً	إلى عجل فصح من علام
خيث أريج يثأ بالمحاري	لنم بين أساء لثم
أما من الأكرم بن نعيم	دوى الأطلال والهم العطاره
وكان من رئيس قطرنه	عواملا ومن ملك هزم
وحبش قد رضاء وقوم	صحابهم مدى تجب لهم <sup>(١)</sup>

فسو رباح ، في رأى المجلى ، يعتمدون على حام لهم صيب ، وشراؤهم  
لثام أخساء ، محلاء فقراء ، وساؤهم قدرات عجائزات .  
ونى عجل ، في رأى الأبيرد ، أدلاء ، رنادقة ، لثام الأصول ، أقدار ،  
ولكن بنى نعيم كرام ، أمجاد شحمان .

فالمناصة مقابلة المحاء بالهحاء وقد راد الثانى بالعجز .

٨ — كذلك سفت الإشارة إلى ما كان بين الميرة س حياء من ريد مائة  
من نعيم وأخيه صحر من مناقصت ، ولكنا تقتصر هنا على ما دار بينهما سبب  
أحت لها ، فقد جاءت الميرة تشكو إليه أحاسا صحرأ أنه أسرع في مالها وأثله  
وأنها معته شيئاً يسيراً بقى لها قد يده إليها وصربها فقال له الميرة معصاً :  
ألا من مبلغ صحر من للى فابى قد أتانى من تناكا

رسالة ناصح لك مستحب      إذا لم ترعَ حُرمتَه رعاكا  
فبك لا ترى أسماءاً أحناً      ولا رَتَّبِي أبدأً أحاك  
وإن عَفُفَ بها أولاً فصلها      فإن لأمها ولداً سواكا  
تَبَرَّ ويسحب إذا دَعَا      وإن عاصيته فيها عصاكا  
وَكُنْتُ أرى بها شرفاً وفصلاً      على بعض الرجال وفوق داکا  
حراي الله منك وقد حراي      ومي في معاتبها جزاکا  
وأعْتَبَ أصدق المحصنين فولا      وولي اللئيم أولاً اداکا  
فلا والله لو لم تمس أمري      لَكُنْتُ بمحور عما هماکا<sup>(١)</sup>

أخذ المبرة على أخيه عقوفه الأحوة ، وعنه نأخته أسماء مع عساه عنه ، وأنه  
مستعد لإكرامها ومحاسنته في سبيلها ، وهي تبر الرجال شرفاً وفصلاً ، ثم دعا الله  
أن يحرق كلاً ما يستحق ، ويرضى عن أصدقائه ويعصب على مدسا ، وذلك كله  
ناشئ عن عصيان صخر يصح أخيه للمبرة : وقد أجابه أخوه صخر بقوله :

أناني عن مبرة قول رور      تمتد ، فقلت له : كذاكا  
يَعْمُ به نبي لي — إلى جميعاً      قول هجاءهم رجلاً سواكا  
فإن نك قد قطعت الوصل مي      فهذا حين أخشى مداکا  
تُتَبَّى إذا ما عبت عني      ومُحَلَّفِي مُنْأى إذا أراکا  
وتولي سلامة أهل بيتي      ولا تُعْطَى الأقارب غير داکا  
فإن نك أحسن عتت عينا      فلا قصرم لِفَتْنَتِهَا أحاکا  
وإن تلك قد عتت على جهلا      فلا ، والله ، لا أسي رصاک  
فقد أعلت قولك إذ أناني      فاعل عن مقال ما أناکا

سُئِنِي عَنْ صَحْرًا رَبُّ صَحْرٍ      كَمَا أَعَاكَ عَنْ صَحْرٍ عَمَّاكَ  
وَيُفِينِي الْقَدَى أَعَاكَ عَى      وَيَكْفِينِي الْإِلَهَ كَمَا كَمَاكَ  
أَلَمْ تَرَى أَحْوَدُ لَكُمْ عَمَلَى      وَارْمِي بِالْقَوَائِرِ مَنْ رَمَاكَ  
وَتَنِي لَا أَفُودَ إِلَيْكَ حَرْبًا      وَلَا أَنْعَصِيكَ إِنْ رَجُلٌ عَصَاكَ  
وَلَكِنِّي وَرَاءَكَ شَمَرَى      أَهْلِي، قَدَعْتَ، عَلَى حَمَاكَ  
وَدَفَعِ السُّنَّ الْأَعْدَاءَ عَمَّكَ      وَيَعْنِينِي الْعَدُوَّ إِذَا عَمَّاكَ  
وَقَدْ كَانَتْ قَرِيبَةً دَمَتْ حَقَّ      عَلَيْكَ فَلَمْ تَطْلُسْهَا بَدَاكَ  
رَأَيْتَ الْهَائِرَ يَنْصَرُّ مَكَ دُونِي      وَسَلَمِي الْقَوَارِصَ مِنْ أَدَاكَ

فكان نقص صحر قائماً على تكذيب أخيه ، ورميه بحقوق أهله وبحلهم عليهم  
ويرمى أخته سوء الظن فيما ادعت على صحر ، ويملأ أحماء لقطيعة ، ثم يصرف  
عنه إلى الله الذي يغنيه عنه كما أعى الغيرة ، ثم يأخذ صحر في الامساك على الغيرة  
بكرمهم عليهم ، وودعة عنهم ، مع حقوق الغيرة أهلهم وبحلهم على أخيه وشدة هجائه .  
فدخل القصة في أبواب التكذيب ، والواردة ، والافتحار . وبذل القصة كلها  
على أن الغيرة عى شحيح ، وصحراً فقير طامع متلاف

٩ — ومن طريف ما دار من الفتاوى ما قال حكيم بن عياش السكبي  
للحكيت الأسدى : —

ماسرعى ن أُمِّي مِنْ بَى أَسَدٍ      وَأَنْ رَنَى مَحَايَ مِنْ الدَّرِ  
وَأَمَّهُمْ رُوحَوِي مِنْ شَتَاهُمْ      وَأَنْ لِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ دَسَارٍ

فقد رخص الجدة إذا كانت سبيلها أن تكون أمعاً مبدية كما رخص الفدبير ثأنيته  
كل يوم نملاً لزواجه من الأسديين ، فأحده الحكيت بنقض مطلق لإدنى الأسدية

عن أمه ودفع به إلى النار ، ثم عاد فهبناه بها إذ كانت من قوم دوى ضعة حتى  
أكسوا هذا الكلبي الجري والعار لكون أمه منهم ، فقال الكلبي :  
يا كلب مالك أم من بني أسد      معروفة فاحرق يا كلب بالعار  
لكن أمك من قوم شئت منهم      قد قصوك قباع الجري والعار  
فقال له الكلبي :

ليس يريح اللؤم هذا الحى من أسد      حتى يهرق بين الست والأحد<sup>(١)</sup>

١٠ — كان بين بني السيد بن مالك الصبي وبين عدي بن عبد مائة تريم  
على حبراء ، فلهما يقال لها ذات الرجاج شأت عه دماء قتل فيها سالم العدوي  
فقال في ذلك خالد بن عقيقة أخو عبد الله بن دارم :

أسم ما مثلك	مك جد ما	أتيت بني السيد الفواة الأشاما
أسم قد مثلك	نفسك ، إنما	تكون ديات ثم ترجع سالا
كذبت ، ولكن	نار مثلك	يلقيك مصقول الحبيدة صارما
أسلم ما أعطى	من مائة مثلها	ولا حاتم فيها تلا الناس حاتما
أسلم إن أفلت	من شر هذه	فوائل فراراً إنما كنت حالما
وقد أسدت	تيم عدياً فارست	ودلت لأسباب الميعة سالا
فأجابه سويد بن كراع الكلبي -	وعكل وصبة وعدى وتيم هم الرباب :	
أشعر عبد الله إن كنت	لأنما	فإني لما تاني من الأمر لاثم
تحضر أشد الرباب	معاهة	وعرضك موعود وليك نائم
وهل عجب أن يدرك	السيد وترها	وتصر للحق السراة الأكارم

رَبُّكَ لَمْ تَمْسَحْ طَمِيَّةَ حُكْمِهَا وَأَعْطَيْتَ يَرْبُوعًا وَأَمْلَكَ رَاغِمًا  
وَأَمَّا أَمْرُؤُ لَا تَقْبِلُ الصَّحَّ طَائِفًا وَلَكِنْ مَنَى تَقَهَّرَ بِكَ رَاغِمًا<sup>(١)</sup>  
لَا مَ الدَّارِمِ سَلَّمَ أَطْمِشَانَهُ إِلَى بَنِي السَّيِّدِ قَتَلُوهُ ، وَسَبَّهَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْغَفْلَةِ  
مَحِثٌ حَادٍ تَمَّا لَمْ يَحْدِثْهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَهُوَ هَهُ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِرَارِ إِنْ أَفَلَتْ  
مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنَّهُ كَانَ رَهْنًا لِنَفْسِهِ لِنَبِيِّ السَّيِّدِ الْغَادِرِينَ ، فَقَعَسَ سَوِيدٌ عَلَى الدَّارِمِ  
بِأَنَّهُ جَبَانٌ يَمْرُضُ النَّاسَ لِلشَّرِّ وَيَأْتِي عَمَهُ ، وَبِأَنَّهُ السَّيِّدُ قَتَلَتْ سَالِمًا بِمَنْ قَتَلَ مِنْ  
بَنِي عَدِي فَهَجَّاهُ وَكَدَبَ دَعْوَاهُ . ثُمَّ عَمَرَهُ بِمَا لِيَرْبُوعَ عَلَى قَوْمِهِ دَارِمٍ مِنْ مَوَاقِفِ  
وَأَنَّهُ لَا يَنْتَصِحُ إِلَّا رَاغِمًا .

\*\*\*

وَنَكْتَفِي بِهَذِهِ الشَّوَاهِدِ لِلنَّفَائِصِ الْعَامَةِ ، لِمَعْرِعِ لِعَرْضِ النَّفَائِصِ الْخَاصَةِ : بَيْنَ  
حَرِيرٍ وَفَرْدٍ أَوَّلًا ، ثُمَّ بَيْنَ حَرِيرٍ وَالْأَحْطَلِ ثَانِيًا .

# الفصل السادس

## نقائض جرير والفرزدق

— ١ —

في كتاب الفهرست لابن النديم عنوان: « أسماء من ناقص جريراً وناقصة جرير » تحته : نقائض جرير والأخطل ، نقائض جرير وعمر بن لُحَا ، نقائض جرير والفرزدق<sup>(١)</sup> .

هناك ، إذاً ، هذه المجموعات الثلاث من النقائض ، ولكنها ليست كل ما دار من هذا القصيد بين الشعراء ، ولعل نقائض جرير والبعيث تكون مجموعة أكبر من نقائض جرير وعمر بن لُحَا فضلاً عن نقائض جرير مع كل من الفرزدق والأخطل ، ومع ذلك فليس أمامنا من هذه المجموعات مشوراً سوى نقائض جرير والفرزدق ، ونقائض جرير والأخطل ، وسنكسر هذا الفصل على الكلام في أولاهما .

نشر كتاب نقائض جرير والفرزدق الأستاذ أشتلي بيثان Anthony Ashley Bevan في جزءين كبيرين عدد صفحاتهما أربع وخمسون وألف صفحة عدا جزء ثالث ضمنه فهرس قيمة منظمة ، وطبع في مدينة لندن مطبعة تريبل سنة ١٩٠٧ .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٥ طعة مصر .



اعتمد الشر على مخطوطات ثلاثة كما قال في التمهيد Introduction —

مخطوطة أ كسوردد ، ومخطوطة ب ، ومخطوطة استراسبورج<sup>(١)</sup>

أما مخطوطة أ كسوردد فهي جيدة تمكس بولديان Boileau وحررها<sup>(٢)</sup>

مؤرخ ٢٧ رجب سنة ٩٧١ هـ ( ١٣ مارس سنة ١٥٦٤ م ) تحتوي على ٢٢٧

ورقة واضحة لخط على العموم وفي بعض صفحاتها الأخيرة بياض كثير يدل على

أن مكانه لصوص لم يمكن قراءتها فيما بقيت منه وعنوان هذه المخطوطة الوارد على

الحرر هو « كتاب القاموس فقاظ جرير والمرردق » ويحتوي على : —

١ - تمهيد قصير .

٢ - مجموعة من القصائد يختلف طولها بين البيت الواحد والمائة والخمسة

والخمسين ، وقد رمز ببعضها في الشر بالحرف الاعليري O .

٣ - وحاشية تحتوي على ملاحظات متصلة بنهاية بعض مقطوعات

شعرية إضافية .

ومن قصائد هذا الأصل المائة والثلاثة عشرة ، ثمان وستون لجرير وثمان

وثلاثون للمرردق ، وست للحيث ، وخمس لفسان من دهل السليطي ، وواحدة

لعمقة بن مئيص المقدي ، وواحدة للعمار بن شريك .

وهذه القصائد مصحوبة بشروح لغوية حيا ، وتاريخية حيا آخر ،

وهذه الأخيرة ، على طولها الشديد أحيانا ، تدور على حوادث الشعراء

أو أيام العرب .

(١) راجع مقدمة والتبويب بالاعليري في صدر الجزء الأول .

(٢) في نسخة المولى Colophon .

ومن المقدمة والخاتمة يعلم أن الكتاب تأليف أبي عبيدة ( قمر بن المشي  
التيبي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ) رواه ناشر أبو جعفر ( محمد بن حبيب المتوفى  
سنة ٢٤٥ هـ ) والحسن بن الحسين ( السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ) وأبو عبد الله  
( محمد بن العباس البريدي المتوفى سنة ٣١٠ )

وواضح أن المصادر التي أخذ عنها أبو عبيدة كثيرة جداً لأنه ذكر أكثر  
من خمسين شخصاً استمد منهم معارفه . وهناك زيادات من وضع محمد بن حبيب ،  
والسكري ، وأخرى كثيرة من إضافة البريدي ، كما أن هناك روايات منسوبة  
إلى سداد بن المبارك تلميذ أبي عبيدة والأصمعي اقتبسها عنهما مشافهة ، وقد  
شرح النقائش كما ورد في الفهرست لابن الدبم وشرحه هو معروف شرح  
أبي عثمان .

وهذه المخطوطة كانت أساس نشر هذا الكتاب الصخم ، إذ هي أولى  
الثلاثة ، مع الاستعانة بالسبعين الآخرين في التحقيق والإكمال والإصلاح .  
أما مخطوطة لندن London الموجودة في مكتبة المتحف البريطاني ، فقد  
رمر إليها الناشر بالحرف الانجليزي لا ونحتوى على ٢٠٠ ورقة صاع أولها وآخرها ،  
وقد يرجع العهد بهذه المخطوطة إلى القرن الثاني عشر الميلادي لرداء الخط ،  
وصعوبة قراءته ، وعدم نطق حروفه بحيث لا يمكن الاعتماد عليها عند اختلاف  
النصوص اختلافاً قائماً على النقط . على أنها لا تشمل جميع القصائد الواردة في  
نسخة أكسفورد ، وما ورد بها من مقتوص ، وكذلك تحذف فيها بعض أبيات  
رائدة وأخرى ناقصة . وأما شروحها وملاحظات التاربخية فأقل مما ورد منها  
في نسخة أكسفورد . ومع هذا فالأصلان يشتركان في مواد كثيرة وينفرد كل  
مادة خاصة به .

أما مخطوطة ستراسبورج الموجودة بمكتبة جامعتها بالأكراس فقد دُرِز إليها  
الناشر بالحرف الانجليزى S وتحتوى على ١٧٤ ورقة فقد صصها في مواضع متفرقة.  
وخرّجها مؤرخ منتصف ربيع الآخر سنة ٦٨٧ هـ (مايو سنة ١٢٨٨ م) . وهذا  
الأصل جميل لكنه كتب بإهمال وفيه بعض الأخطاء وينقصه بعض تفصّلات  
واختلافه عن نسخة أ. كسوردي قليل. وتنقصه القصص الطويلة الواردة في الأصاين  
الأوليين . أما مصادر هذه المخطوطة فهي واضحة فإن نصوصها تنسب إلى أبي عبيدة  
مباشرة وإن كانت هناك إشارات قليلة إلى أبي يعقوب والأصمعي وأبي سعيد  
السكرى . وقد ذكر محمد بن حبيب مرة ، لكن اسمي أبي يعقوب وسعدان بن  
المبارك ورداها ، وربما كان هذا الأصل أقدم من رسميه أو مختصراً على صاحبه  
بالملاحظات التاريخية كما يبدو ذلك من الكلمات الأولى للعهد وهي « ثم كتاب  
النقائض عن أبي عبيدة بأخباره وتفسيره » مما يدل على أنه مختصر من أصل أقدم  
منه مشتمل على روايات غريبة نستحق العناية .

هناك أصلان آخران للنقائض مؤرخان سنة ١٢٩٧ هـ أحدهما بمكتبة جامعة  
Vale والآخر بمكتبة الحديوية بالقاهرة ( دار الكتب المصرية ) وهذان  
الأصلان صورتان بسيطان لنسخة ستراسبورج ، فليست لهما ، إلا ، قيمة خاصة .  
ثم استعان الناشر بما ظفر به من نسخ ديواني جرير والفرزدق ، مع مراجع شتى  
ذكرها بعد المقدمة متبعاً منهجاً وصححه آخر التمهيد<sup>(١)</sup> .

وبعد نشر الجزء الأخير من المجلد الثاني تلقى الناشر خطاباً من الأب أستان  
مارى الكرملى بغداد يخبره أن لديه مخطوطة من النقائض تاريخ ٩٢٥ هـ وقد

استظهر الناشر أن نسخة بغداد مأخوذة عن نسخة استراسبورج كما أوضح ذلك في مقدمة الجزء الثالث انطباعاً بالهزار من .

ولا يسع القارىء إلا الإعجاب العظيم بمجهود يمان والتقدير الخالص ليدى على لأدب العربى بنشر هذا الكتاب .

## — ٢ —

يبدأ ديوان النقائض بهذه العبارة : « قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى : قال الحسن بن الحسين السكرى : قال أبو جعفر محمد بن الحبيب : حكى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمى من تميم قرين مولى لهم فغلب عليه سهم ، قال : كان التهاجى بين جرير والفرزدق فيما ذكر له يسجل بن كتيب ابن عمار بن عطية الخطفى ، وأُمُّ يسجل دُبَّاءُ بنت جرير بن عطية ، وكانت بكرة بنت مليس أحد بنى مقلد بن كليب تحت تميم من غلظة أحد بنى مكيطة . . الخ » .

ولم يذكر ابن النديم كتاب النقائض بين كتب أبي عبيدة<sup>(١)</sup> ولكنه ذكر فى أحبار ابن حبيب<sup>(٢)</sup> أنه روى عن أبي عبيدة وغيره وأن كتبه صحيحة منها كتاب نقائض جرير والفرزدق وكتاب نقائض جرير وعمرو بن لُحَا وورد نحو ذلك فى معجم الأدباء لياقوت الحموى<sup>(٣)</sup> .

وفى معجم الأدباء فى ترجمة الحسن بن الحسين السكرى ( ٢١٢ - ٢٢٧٥ ) أنه سمع محمد بن حبيب وروى عنه ، والسكرى من الكتب على ما ذكره محمد

(٢) نفس المرحوم ص ١٥١ .

(١) ص ٧٩ من الفهرست طبع مصر

(٣) ج ١٥ ص ١١٢ طبع مصر .

ابن إسحاق التميمي كتاب الفناض<sup>(١)</sup>. وفي الفهرست لاس التميمي عند الكلام على ما عمله أبو سعيد السكري « ولم يصل للسكري شعر جرير ، والذي عمله جماعة من العلماء منهم أبو عمر الشيباني ، والأصمعي ، وابن السكيت ، والذي روى شعر جرير أيضاً عنه مسحل بن كتيب بن عماد ابن عكابة بن الخطافي . هذا من خط ابن السكوفي في قاض جرير والفرزدق عنهما أبو عبيدة معمر بن المثنى ورواها الأصمعي دون تلك الرواية وعلمها أبو سعيد الحسن بن الحسين بن جوده ، وقد عنها أبو الميث الأودي ، رواها عنه ثعلب »<sup>(٢)</sup>.

وفي ابن حنبل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن العباس البجلي « كان محمد المدكور إماماً في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب ، له تصانيف كثيرة ، وكان قد استدعى في آخر عمره إلى تعليم أولاد القنطرة بالله فدرهم مدة ، وتوفي أبو عبد الله المدكور ليلة الأحد أول الليل لانتفى عشرة ليلة بقيت من حمادى الآخرة سنة عشر وثمانمائة وعمره اثنتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر »<sup>(٣)</sup>.

سلسلة الرواة عن أبي عبيدة فائمة متواترة فان حبيب أحد عن أبي عبيدة ومن كتبه قاض جرير والفرزدق ، والسكري أحد عن محمد بن حبيب ، وبسبب هذا الكتاب للسكري ، واليزيدي أدرك السكري وعاش معه نحو نصف قرن ، وبذلك كانت فائمة النفااض صحيحة من هذا الوجه .

(١) ج ٨ ص ٩٤ طبع مصر . (٢) الفهرست ص ٢٢٤ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٦ ص ٥٠٢ .

٢

أما ترتيبُ الفرائض ترتيباً تاريخياً فلم يتوافر في جميع الأصول ، وسنحاول هنا بعد عرض الكتاب أن نضيف بعض الملاحظات إلى ما لحظه الناشر راجين أن نصل إلى ترتيب معظم القصائد ولو في فترات تاريخية موزنية معتمدين على نصوصها ، وموضوعاتها ، وصلاتها بالحوادث التاريخية وشخصيات الحكماء والأمرء والولاة وغيرهم ، لعلنا نخرج فيها بعد ثلثس الوثائق التي قاعدنا على ترتيبه ترتيباً دقيقاً ونشره بشرح أوفى وأغنى<sup>(١)</sup>.

وأول ما يلغاه من ذلك ترتيب كل نقيصتين معاً ومعرفة أيهما أسبق إذ أن هذا يشوبه شيء من الفوضى ، فيما نجد في النقيصة الثانية ردوداً صريحة على الأولى إذ نجد في الأولى أبياتاً هي ردٌّ على نظيرة لها في الثانية أو قطع السبيل عليها ، ولعل منشأ ذلك أن بعض الأبيات كانت تقال في مناسبة طارئة ثم تدخل بعد ذلك في النقائض ، أو أن بعض النقيضة كان منشأ في وقت ما ثم تكمل بعد ذلك كباثية جرير في الراعي ونحو غيره ، وهناك أبيات مكررة في القصائد كما هي أو بتعبير القافية ، وذلك من عمل الشاعر نفسه أو رواته .

من شواهد ذلك قول الفرزدق في قصيدة مصرع قتيبة بن مسلم الباهلي : —

فلا تقتل الأسرى ولكن فكهم      إذا أثقل الأعناق حملُ المعارم  
فهل ضربة الرومي حائلةٌ لكم      أباً عن كليب أو أنا مثل دارم  
كذاك سيوف الهند تنبؤ طباثها      وبقطعن أحياً أنا مَاطِ التمام<sup>(٢)</sup>

رداً على قول جرير في نقيصة قصيدة الفرزدق المتضمنة الأبيات المذكورة ،

قال جرير في نقيضه : —

(١) راجع قائم حرر والفرزدق للدكتور محمود عناوي الزهيرى ص ٣٣ مطبعة دار  
الفرقة بدمشق

(٢) النقائض ص ٢٨٢ .

أَكَلَتْ قَيْسًا أَوْ سَا سَيْفًا عَائِبَ      وَشَاعَتْ لَهُ أَحَدُوتُهُ فِي اللُّوَارِمِ  
 سَيْفٍ أَلَى رَعَوَانَ سَيْفٍ مُجَاشِعِ      ضَرَبَتْ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَلَمِ  
 ضَرَبَتْ بِهِ عَدَّ الْإِمَامِ فَأَرَعِشَتْ      يَدَيْكَ وَقَالُوا : مَحْدَثٌ عَيْبِ صَارِمِ  
 ضَرَبَتْ بِهِ عُرْقُوبَ بَابِ بَصُورِ      وَلَا تَضْرِبُونَ الْبَيْضَ تَحْتَ الْمَاعِمِ  
 عَيْفٌ يَهْرُ السَّيْفِ قَبْلُ مُجَاشِعِ      رَفِيقُ دَأْغِرَاتِ الْفُؤُوسِ الْكَرَّازِمِ<sup>(١)</sup>  
 فإذا وقفا عند مصوص النفاض فقط كالعرباء أن يردى الفرزدق على أبيات  
 لم يقم جرير ، وكان عليا أن لمنس حلا لهذه الطاهرة ، وكان من القروس  
 الجائزة أن يكون لفرزدق قد سبق ليقطع على خصمه خط المعلوم ويرد على  
 ما يدور محله جرير ، ولكن قصة هذه الأبيات الواردة في شرح النفاض تيسر  
 علينا فهم هذه الطاهرة<sup>(٢)</sup> "إذ لما كمل سيف الفرزدق في ضرب الأسير الزومي في  
 حصرة سليمان بن عبد الملك وصحك به الناس وشتمت بنو عيس أحد لفرزدق  
 يمتدح عن عمره بالشعر متملا بسيف ورفاء من زهير العسبي وعجبه عن قتل  
 خالد بن جعفر ، ومعتمدا على زاهر القسري ، وكان جرير حاضرا هذا الحادث  
 واستطاع أن يقتل أسيريه بصرته سيف فاطم دسه إليه بنو عيس ، فكان من  
 الطمى أن يستعمله في المناقضة وقد عمل . ويحور أن تكون هذه الأبيات قيلت  
 قبل التقيصتين ثم دخلتهما بعد ذلك .

وقد ذكرنا من قبل قصة اصطحاب جرير والفرزدق إلى هشام بن عبد الملك  
 مرتدين على باقة ، وكان هشام يومئذ بالرصافة فزل جرير لقضاء حاجته فحملت  
 لداقة تنفت فصرها لفرزدق وقال : —

إِلَامَ تَلْعَتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي      وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَارِي

متى تردى الرصافة سفيحي من التهجير والذتر الدوامي  
ثم قال : الآن يحى حرير فأشده اليتين فيقول :

تلمتُ أمها نحت ابن فبين إلى الكبيرين والفأس الكهام  
متى ترد الرصافة تحرفها كحبر بك في المواسم كل عام

فما حرير فأشده الفرزدق اليتين الأولين فأشده جرير اليتين الآخرين  
ثم رأينا بيتي الفرزدق في قصيدة له<sup>(١)</sup> وبيتى جرير في الرد عليها<sup>(٢)</sup> ، وهذا  
الشاهد ورد الترتيب فيه طبعياً .

قال أبو عبيدة : وقف حرير بالرمح وقد لبس درعاً وسلاحاً نهماً وركب فرساً  
أعاده إياه أبو جهمهم عباد بن حصين الحطلي فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياباً  
وشعر وسواراً وقام في مقبرة بني حصين يشد حرير والناس يسمون في بينهما  
بأشعرهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

صعبتُ لرأعي الضان في حطية وفي الدرع عند قد أصيبتُ مقاتلة  
وهل تلبس الخيل السلاح وبطنها إذا انتطقت عيب عليها تمادة  
ولما بلغ حريراً أن الفرزدق في ثياب وشى قال :

لست أداني والفرزدق أمة عليوشاحاً كزج وحلاجه  
أعدوا مع الخلى الملات فابما حرير لكم حل وأتم حلاله  
وأعطوا كما أعطت عوان حليلها أغرت لبلى بعد بعل ترايلة

ثم رأينا هذه الأبيات تدخل النقائص<sup>(٣)</sup> بترتيب ورودها إن صح  
ترتيب الرواية .

(١) النقائص من ١٠١٠ (٢) من ١٠١٦ وابن حنبل من ١٠٣

(٣) النقائص من ٦٩٣ و ٦٩٠



وفي شرح النقائص<sup>(١)</sup> أن جريراً في هجائه الراعي قال من قصيدته ابائية  
نمدين يتأتى حتى أتى في آخر الليل على قوله .

هضر الطرف إنك من نمر فلا كماً بلغت ولا كلاباً  
ثم قال لراوته : حسبت ، أظنى . سراحك وتم ، ثم إن جريراً أنتم هذه  
القصيدة بعد ، وكان يسميها الدَّمَاعَة ، والدَّمَاعَة ، والمصورة

هذه الشواهد تشير إلى أن ترتيب الأبيات بين كل نقيصتين معاً قد يشوبه  
شيء من الاضطراب وعدم الإحكام ، وسرى شواهد تؤيد ذلك ، وتنبأ أيضاً  
على أن ترتيب النقائص جميعاً غير متوافر في هذا الديوان للشود ، وذلك أثناء  
عرض هذا الديوان .

بدأ ديوان النقائص هذه بذكر مادعا إلى التهام جرير مع غسان السبيطى  
كما قدمت وما رجعه جرير غسان ومن معه فرماهم بالحق والبحل وأهدى إليهم  
في رحله حميراً فيبيح الصورة ووصم رحالم بالضعف ونساءهم بالقدارة وذلك في الأرحيز  
الخمسة الأولى فسط غسان وأخذ يرد على جرير بالشعر في القطعة السادسة :

عمرى لئن كانت تحيلة رانها جرير لقد أحرزى كليباً جريرها  
يوارى بين وبين جرير من عند الله البجلي الصحاني الشهير<sup>(٢)</sup> ويرى كليباً  
بالجبن واللؤم والبخل وجريراً بالعجز عن حماية قومه وبخافة أصله ، فأحابه  
جرير بقصيدته :

ألا تكترت سكرى وحدك نكورها وشوق المصاحبة اجتماع أميرها  
و بعد اسبب قصير بسحر بفسان ويرميه بالعجز عن حماية قومه سديط ويصف  
قومه بالخبين والفرار والدَّمَاعَة والهوان فيقلب عليه معانيه ويحذرهم التعرض

لبنى الخطي حول الغدير الذي أحلقوا عليه بالثعاع ، فإن بنى الخطي أتقدوم من  
قنس عيلا أيام ( سوفة ) بالروث ورتوا إليهم ( ثر حصن ) من بنى مرة من  
بحار ، ويهددم شمر ، ويعبرم بيوم ( الخداب ) لسكر بن دائل على سليط  
فاستقدتهم بنو رياح وسوتعلة إياهم بوع .

وها يرد على حرير أبو الورقاء عتبة بن ثامر انقلدى يهدده ويمتز بتومه  
على معدكها ويحدر حريراً ورهطه أن يعرصوا لها لا يقدرين عليه .

ويسمر حرير وشاس حتى نحد في القطعة الحادية عشرة عمن يذكر  
تقدم سنه وطول تحريره ، وشدة بأسه ، ويرى بنى كليب بالصف وحفة  
الأحلام والدلة واللؤم ، فيحبه جرير في القطعة الثانية عشرة ، ويأخذه معي  
حمة الأحلام فبرده عليه : —

أني أدرة بن فيكم فاعلموا خور القلوب وخفة الأحلام

ويعبرم بيوم ( قشاة ) لسطام بن قيس الشيباني حتى أتقدم هام بن رياح  
أن ير بوع ، وها يذكر الشارح خبر هذا اليوم .

وهكذا حتى نصل إلى ما كان بين عيان وبين حنساء الكلبي ورد جرير  
عن حنساء ، وتعييره عند بالعدر بخار البرنوعين وحمته بنى عاصم عليهم كما مر ،  
وسح حرير على عسان وقومه ، ثم بأسف لأن عسان شغلته عن أن يشمر من أيام  
بنى سيط ما لا يبید جد الدهر إذ كانوا فرسانا .

ويصادفها عقب ذلك تعرض فضالة المري من تعلقة بن ير بوع لجرير  
وتهديده إياه بالقتل لأن حريراً بشتم أخواله بنى سليط فيقول له حرير : —  
أتوعدني وراء بنى رياح كدمت لتفصرن يداك دوى

عَرِيْنٌ مِّنْ عُرْنَةٍ لَّيْسَ بِي رَأَتْ إِلَى عُرَيْسَةٍ مِّنْ عَرَبٍ  
 الْآيَاتِ<sup>(١)</sup> ثُمَّ نَعَرَضَ الْأَعْوَدَ السَّهْلَانِ لِلْجُرَيْرِ وَسَوَّاهُ ، دَفَعَهُ إِلَى ذَلِكَ سَوَاحَتِهِ  
 مِنْ مَّكِيَّةَ ، فَلَمْ يَشْعِ حَرِيرٌ أَطَاعَهُ فَانصَرَفَ وَهَذَا حَرِيرٌ يَقُولُهُ : —  
 قُلْتُ لَهَا : أُمِّي سَيِّطٌ نَارِيهَا فَتُسَاحُ السَّارِلِينَ حَرِيرٌ  
 وَلَوْ عَدَّ غَالِ السَّيِّطِ عَرَسَتْ دَعَا قَرْنَ مَهَبٍ وَكَاسَ عَقْبُو  
 وَأَتَتْ كَلْبِيَّ لَكَلْبٍ وَكَلْبِيَّ لَهَا عَدَّ أَطَابَ الْبُيُوتِ هَرِيرٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَقَالَ جَرِيرٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ : —

عَادُوا سَحَامَ سَدَا وَخَفِيرُ وَبَالِيرٌ مَذَى مِمْهٍ وَتَصِيرُ  
 وَيَرْمِي سَيِّ السَّهْلَانِ بِاللَّزْمِ وَالْمَوَانِ وَالْمَعْوَرِ وَيَصُورُ سَاءَهُمْ صَوْرًا  
 قَبِيحَةً ثُمَّ يَمْتَنُ عَلَى حَصْمِهِ بِمَا أَكْرَمَهُ وَيَجْهَرُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ يَلْتَحِمُ حَرِيرٌ وَالْبَحِيثُ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ ، وَذَلِكَ بِالْقِطْعَةِ السَّادَةِ وَالْعَشْرِ  
 الْجُرَيْرِ وَفِيهَا يَنْهَمُ الْبَحِيثُ بِصَوْرِهِ غَانٌ ، وَيَجْهَرُ أَمَهُ ، وَبَدْرُهُ ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ  
 الْبَحِيثُ وَاصِفًا رَهْطَهُ بِاللَّزْمِ مُنْذِرَةً بِالشَّرِّ هَاجِيًا أَمَهُ أَيْحًا ، مُتَنَحِّرًا نَهَامَ مَحَاشِعِ  
 قَوْمِهِ كَيَوْمِ ( طَيْيَ ) وَبُيُومِ ( تَحْرَانِ ) فَيَرُدُّ عَلَيْهِ حَرِيرٌ وَيُصَلِّ السَّبَبَ وَيَجْهَرُ  
 بِشَعْرِهِ وَبَدْرُهُ هُوَ وَقَوْمُهُ بِالْوَيْلِ وَيَذْكُرُ أَمَهُ ، وَكَذَلِكَ أَمَةً مِنْ سَبَبِ أَصْبَهَانَ<sup>(٣)</sup>  
 فَحَقَّتْ عَلَيْهِ الْحَزْبَةُ يُوْذِيهَا لِسَادَتِهِ ، وَيَرْمِيهِ بِاللَّزْمِ وَأَمَهُ السَّوَاءِ ثُمَّ يَفْجَرُ جَرِيرٌ  
 سَائِسَ قَوْمِهِ يَرْبُوعٌ وَفَرُوسِيَّتَهُمْ وَيَذْكُرُ يَوْمَ ( ذِي طَلُوحِ ) لَيْرِ بُوَيْعٍ عَلَى مَكْرٍ ،  
 وَحَبْرَ الرِّدَافَةِ<sup>(٤)</sup> مَعَ الْمَدْرَيْنِ مِنْهُ السَّيَاءِ وَيَوْمَ ( الرُّثُوتِ ) لَيْرِ بُوَيْعٍ عَلَى عَامَرٍ وَبُيُومِ  
 ( أَعْشَشِ ) لَيْرِ بُوَيْعٍ عَلَى شَبَبِينَ ، ثُمَّ يَذْكُرُ جَرِيرٌ عِلَّةَ مَحَاشِعِ مَلْزُومٍ مِنَ الْعَوَامِ

(١) نَجْمَةٌ مِنْ ٢١

(٢) الثَّانِي مِنْ ٢١

(٣) نَجْمَةٌ مِنْ ٢٦

(٤) نَجْمَةٌ مِنْ ٢٣

أثر وقعة الجبل<sup>(١)</sup> ومسألة القيون ، وقراهم النارلين مالحير ، ويدكر الشارح حديث دايس<sup>(٢)</sup>

ويعود البعث فيبحر حريراً ، ويتعالى عليه ، ويدكر هذا البعث الذي أحذه من العرزدق وأنصبه : —

أثرحو كليب أن عني ، حديثها بحير وقد أعني كليياً قديمها  
وأجابه جرير : —

ألا حتى بأبرد بين داراً ولا أرى كدار يقوّ لا تحسني رؤسها  
وهي القطعة الثلاثون ، وهما يتعالى على مجاشع ويدكر يوم ( اللوى ) ويوم ( عيد الله بن زياد ) ومباينة نعيم لعبد الله بن الحارث الهاشمي من غير مشورة اليمن ورييمة<sup>(٣)</sup> أثر موت يزيد بن معاوية ثم دودهم عن المنذر الشرقي أيام فتنة البصرة<sup>(٤)</sup> وعن السكمة ماصرة لأن الزبير : —

عن المبر الشرفي دأدت رماحاً وعن حرمة الأركان يرى خطيئها  
وهذا يقرب إليها تأريخ هذه القصيدة وهي مد حصار مكة سنة ٦٤ هـ  
و بعد قس العصرة عقب ذلك<sup>(٥)</sup> ، ثم ذكر يوم ( عاقل ) لبني حنظلة من نعيم  
على حشم من ربيعة ، وألح على أمّ التيمث بالمحاجاة القاحش وهجت محشاً ثم  
قال له : —

أنتنم يرثو عاً لأنتنم مالكا وغيرك مولى مالك وصميمها  
ومالك أصل دارم ومجاشع ، ونمل جريراً يشير إلى أن الفرزدق أحق من  
التبعث بالمفاجع عن مالك والشكل باسمها .

(١) ص ٨٠ (٢) ص ٨٣ (٣) ص ١١٢ (٤) و (٥) ص ١١٨

١٨٠

وهما يوم ساء، محاشع الفردق لتفركه جبراً يهتك عوراتهم ويأكل سميت  
أكلاً، فاضطر الفردق أن يدخل المعركة كارهاً وأن يشتك مع حربر ويسقط  
بينهما البعث<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن الفردق في القصيدة الخادية والثلاثين يتقدم إلى المعركة مشاقلاً  
ويذكر أنه قصي ثلاثين عاماً في عوابعه ثم قيّد نفسه لجمع القرآن إذ يقول :  
ألا استهزأت مني هيدة أن رأيت أسيراً يذاني خطوه حلق الجعليل  
الآيات ، ومعنى ذلك أن سه في ذلك الوقت ( وهو سنة ٥٨١ ) كانت  
محوست وخمسين سنة على ما يهم من ذلك النص ومن أنه قارب المائة ومات  
سنة عشر ومائة هجرية .

وشيء آخر ، إذا كان البعث قد سقط منذ التهام حرير والفردق كما قال  
الناس ، فمعنى ذلك أن هذين الفعلين قد انصرفا عنه إلى ما بينهما ، وانعدم أو دثر  
التعامه بأحدهما ولا سيما أنه قد شاع فصار ذكره في الفرائض ذكرى أو مثلاً  
للمدو لمهروم وأخذ يحتج من تاريخ هذه القصيدة المفردة النامية ، لذلك يرجح أن  
يستمر ترتيب الفرائض هكذا ، فالقطعة الثانية والثلاثون مرتبطة بقلها إذ كانت  
رداً عليها وهي للبعث في هجاء الفردق وحرير ، ونليها القطعة الثالثة والثلاثون  
لحرير في الرد على البعث وهجاء الفردق وفيها مسدح الحارث بن أبي ربيعة  
المحروم رأى النصرة من قبل ابن الزبير ( ٦٥ - ٦٧ هـ ) : وهذه التقيصال  
الرابعة والثلاثون للفردق أول ما هجا حريراً والخامسة والثلاثون لحرير في الرد  
على الفردق وفراع كل منهما لصاحبه . ثم يلي ذلك على الأرجح القطع التي  
ذكر فيها البعث ، منها القصيدة الخامسة والستون لحرير يهجو الفردق والبعث

وتقيصتها السادسة والستون للفرزدق ، ثم التاسعة والستون للفرزدق يهجو جريراً  
وعرض بالعبث وتقيصتها السبعون لجرير يهجو الفرزدق وقد أشئت بعد ما ترك  
انصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي إلى انثم وكان قد دخل  
انصرة دعياً إلى عبد الملك ما تركها مصعب إلى قتال عبد الملك سنة سبعين  
هجرية<sup>(١)</sup> ، ويمكن أن يعقب ذلك أو يتصل به من قرب القطع الحادية والسبعون  
إلى الثانية والثمانين لمصلحة مروحات الفرزدق من عهد ابن الزبير التي بلغت إليه  
(النوار) إلى عهد عبد الملك اندخل الحجاج في إحدى هذه الزيجات .

كذلك يمكن تقريب تاريخ النقائص الراجعة والتسعين للفرزدق والحامسة  
والسبعين لجرير ومعهما قصيدة الأخطل الواردة في نقائصه مع جرير<sup>(٢)</sup> إذ أشئت  
الثلاثة مدة ولاية بشر بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير سنة إحدى  
وسبعين هجرية ، وتكون اللامين<sup>(٣)</sup> بعد هذه القصائد لوورد الأحصل فيها ،  
وكذلك كل نقيصة ورد فيها ذكره ، ومنها « نقائص جرير والأخطل » .

وأما القصيدة الحامسة والخمسون لجرير فقد أشئت بعد ولاية الحجاج على  
العراق سنة خمس وسبعين هجرية ففيها مديحه ، وترتبط بها السادسة والخمسون  
تقيصتها للفرزدق ، وكذلك أشئت التقيصتان الحادية والخمسون والثانية والخمسون  
سنة ست وتسعين بعد مصرع قتيبة بن مسلم الباهلي في عهد سليمان بن عبد الملك .  
وهناك القصيدة الواحدة بعد المائة لجرير قيلت سنة ٦٠١ هـ بعد قتل الخيلار  
ابن سيرة الحاشمي ، قتله سو المهلب في فتنة يزيد بن المهلب ، وكان الخيلار أميراً  
على عمان وكان أمراً عدي بن أرتطاة الفزاري ، وكان عدي عاملاً لعمر بن  
عبد العزيز على انصرة<sup>(٤)</sup> :

(٢) ١٩٧ .

(١) النقائص من ٧٤٩ .

(٤) من ١٢٤ .

(٣) النقائص من ١٤٧ و ٢١١ .

قَتَلَ الْخِيَارَ بِوِ الْمُهَلِّبِ عَمْرَةَ      فَعَدُوا الْقَلَائِدَ مَدَمُ وَتَقَعُوا  
وُطِيَ الْخِيَارُ وَلَا تَخَافُ مَحْشَع      حَتَّى تَحْطَمَ فِي حِشَاءِ الْأَضْلَعِ  
وَدَعَا الْخِيَارُ بَنِي عِقَالٍ دَعْوَةً      جَزَعًا وَلَيْسَ إِلَى عِقَالٍ يَجْرَعُ

وأما القصصان الثانية والثالثة عد للثانية فقد قيلتا لحالد بن عبد الله القسري  
والى العراق (١٠٦-١٠٩هـ) وكذلك القصيدة الخامسة عد المائة للفردق قيلت  
في مدح هشام ابن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) ومعها نقيصتها تحرير يهجو الفردق  
والبعيث والأحطل وسُرّاقة النارقى والكسدى . وأما رثاء جرير للأحطل فكان  
سنة خمس وتسعين هجرية ومعها رد الفردق عليه .

#### - ٤ -

وسود على عرض الكذب مذهب الاستطاعة ما يرى خصوصه دياً وتاريخياً  
قدر الاستطاعة .

لما قال الفردق قصيدته الأولى في هذا الفن وفك قيداً ، وأندر جريراً  
ونهب لحماية قومه وارتفع بهم إلى منزلة الملوك هجاء البعيث مع تحرير لأن الفردق  
رمى البعيث بسرقة شعره كما مر<sup>(١)</sup> فسحر قيد الفردق في نقيصته الثانية والثلاثين  
وامتنع على محشع مدفاعه عنهم وخر بنفسه وبآله من دارم ، وهذد شعره ،  
وذكر حكومة قومه في الجاهلية<sup>(٢)</sup> ورجالاتهم وأنسهم ، ويوم ( جدود )<sup>(٣)</sup>  
لمى مبتدئ من تميم على بكر من ربيعة ، ويوم ( الكلاب الكلى )<sup>(٤)</sup> لتميم على  
مذحج ، وأمنى على جرير وقومه بالهجرة فأحابه جرير ، ويهجو الفردق  
بنقيصته الثالثة والثلاثين : —

(١) الفيلسوف ١٢٤ (٢) من ١٢٩ (٣) من ١٢٨ (٤) من ١٢٩

عُوجِي عَلَيْما وَارْتِي رَبَّةَ الْبَلِّ لَا تَقْتُلِيْنِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي

أطال فيها الفسيف وعجب على هؤلاء التميميين الذين يرجون له الردى (وهم التميمي ، والفرزدق ، وغتان ، وابن بجّأ ، والبلتع) وهجا البيث هجاء خبيثاً هو والفرزدق ، ووقف بحساب يربوع رهطه الأديين ، وهجم محاشماً ، ومدح خارث بن أبي ربيعة المحرومى وإلى العصرة من قبل ابن الزبير ورجاه ألا يُشمت به أعداءه ، وذلك يحل تاريخ هذه القصيدة بين الخامسة والستين والسابعة والستين للهجرة ، فأجابه الفرزدق وكأنت أول قصيدة هجا فيها جريراً ، وهذا هو بدء النقائض بينهما سنة سبع وستين هجرية على أحد تقدير متأخر وتكون مدة النقض بينهما ثلاثاً وأربعين سنة إذا صح أن موتها كان سنة ١١٠ هـ

وقد تضمنت قصيدته هجاء الميث ودلت على مصه ما هو قادم عليه من مهاجمة ثم عكف على جرير يهدده ويصف دلتة ويصمعه دونه ويدكر شيوخ قومه هو وساءهم الزبيع . ولكن أجابة الفرزدق هذه للميث لم تتحدد فيها القافية وإن اتحد البحر ، وقد التفت جرير إلى الفرزدق ينقص عيه قصيدته بالقطعة الخامسة والثلاثين التي تضمنت سباً رائماً ، وعتاباً نكدنا عنه كثيراً ، وفحراً بأصله الخفيف وبأسه ، وهجاء لمحاشم محنها ، وشاعريها ، والمدرب بالير من العوام فلما التحمها قال الناس : سقط البيث<sup>(١)</sup> هم أسر الميث واضطرب موقفه فابدل على ذلك القطعتان السادسة والثلاثون والسابعة والثلاثون ثم غنى كل من الفحيين بصاحبه .



يلقانا بعد ذلك اللاميسن ، ولا يد أن يكونا بعد القصائد النونية الثلاث  
لجريد والفرزدق والأحطل لذكر الأحطل في اللاميتين وادعاء الفرزدق سرقة  
جريد شعره .

طرق الفرزدق موضوعه مباشرة دون هذه الدباجة التقليدية فافتخر بقومه  
وهجا جريراً وقومه ، وذكر بأس محاشع وطوائفهم ، ونحواتهم ، وأحلامهم ، وألم  
بأعماهم وأحواله ضبة وفوقهم على كليب ، وذكر يوم ( نفا احسن )<sup>(١)</sup> لصبة على  
شيبان ، ومفتش عمارة من زبد العسي يوم ( أعيار )<sup>(٢)</sup> وهو يوم القيعة ، وحبرة  
ندر من حمراء الصبي لني تميم<sup>(٣)</sup> و يوم ( الجمل )<sup>(٤)</sup> وهجا أبا جرير ، ولقب قصيدته  
هذه ( بالقيصل ) ثم ذكر ورائته الشعر عن الماضين حتى الأخطل ، ورمى عدانة  
باللؤم وانحور جريراً بسرقة شعره وادعائه سباً دارمياً ، ويقول له : —

ليس الكرامُ ساحليكَ أباهمُ      حتى رَدَّ إلى عصية تُعتلُّ  
ورعتُ أمك قد رصت بما نفي      فاصبر فدا لك عن أمك مُحوِّلُ

فحتى رَأَيْنَ زعم ذلك جرير ؟ ربما طعنا ميان ذلك في النقيستين لسين  
والرابسة والستين لجريد الآيتين ، ثم هجا أمه وقال له :

أَسألتني عن حَبَوِي ما بَالِهَا      فاسأل إلى خَبَرِي وعَمَّا تَسألُ

فحتى سأله ؟ أيحوز أن يكون هذا القول صفة فرزدقية خيالية ؟ ثم يرمى  
جريراً بإتيان الآن ، ويدعي أنه أتى ( حِقَّة ) امرأة جرير أو أمه<sup>(٥)</sup> ويرمى

(١) للعائش من ١٩٠ • (٢) من ١٩٣ • (٣) من ١٩٥ • (٤) من ٢٠٢ •

(٥) من ١٩٢ •

ثم حرير مالا وجريراً بالليل لشره المي<sup>(١)</sup> وذلك قصة . أما جرير فقد سب  
أولاً ، ثم قال : —

أَعَدَدْتُ لِلشَّراءِ سُبّاً باغياً      مَقَيْتُ أَحْرَمَ نَكَاسِ الْأَوَّلِ  
لَمْ وَصَفْتُ عَلَى الْفَرْدَقِ مَيْسَمِي      وَصَّاهُ الْحَيْثُ جَدَعْتُ أَلْبَ الْأَحْطَالِ

ثم دخل في المناقصة مهدم بيت الفردق ، وعثره بالقيون ، ومقتل أبيه بكاطمة  
بلدتهم في قصة<sup>(٢)</sup> ، ومحدث البراجم<sup>(٣)</sup> ، ثم نقص على الفردق احتفائه بالشراء ،  
وعجزه بأن ( فُقُورَةً ) حدثهم بنت رينا ، أنها المذمومة وأيدة ركسرى وهبها إلى  
رؤارة بن عدس<sup>(٤)</sup> ، ثم ذكر الزبير وحفيتين قبالة أم حرير<sup>(٥)</sup> وشنع بها كثيراً ،  
وعمره بأرتضاع العيشل مواراة شرب المي<sup>(٦)</sup> ورمى مجاشعا باللؤم والضعف ، وتعالى  
بقومه وحلوهم أحداً من الفردق ، واستأنس بحكمتي قريش . هشام وأمية  
أو عبيد مناف وهاشم<sup>(٧)</sup> . وذكر أرعاطه مواراة ما ذكر حصه وهما ضئلة  
ومجاشعا ، وذكر أم الفردق مصورة قبيحة مقابلة لما قال ربيعة ، وذكر يوم  
( رَحْرَحَانِ )<sup>(٨)</sup> لعامر على تميم ولم تشرك فيه يربوع ، ثم حياء الفردق ،  
وعورات مجاشع ، وقبوتهم ، وهذا الفردق .

وسد ذلك القصيدة الحادية والأربعون للفردق يبدأها بسببه بزوجته  
( الوار ) وهجائه ( ابن المراجعة ) وبني كليب ، وعجز بناتهم ، ولؤمهم ، ثم يهجر  
أحواله ويوم الشقية<sup>(٩)</sup> لصبة على شيان ويوم ( البسار ) لصبة وتعيم على  
عامر<sup>(١٠)</sup> .

(١) قصص ٢٠٦ . (٢) من ٢١٤ . (٣) من ٢١٩ . (٤) نفس المرجع  
(٥) من ٢٢٣ . (٦) من ٢٢٣ . (٧) من ٢٢٤ . (٨) من ٢٢٦ .  
(٩) من ٢٢٣ . (١٠) من ٢٢٨ .

فرد عليه جرير فبهذه هو والبَيْث وسحرهما - وهذا يرجح أن يكون مكان هذه المناقصة قبل هذا الموضع ثم خرج منه وقومه ورجالهم ويوم (الصَّراثم) <sup>(١)</sup> ليربوع على بني حَديثَة العنسي ، وهما بمحاشأ وصة هجاء قبيحا كما فعل صاحبه به .

وبدأ جرير النقيصة الثالثة والأربعين بالنسب وهجاء الفرزدق ومحاشم والموارنة بين مرأودته مُصِيفَتُهُ وبين حادث (جَمْعَن) <sup>(٢)</sup> وبذكر مقتل أبي (الوار) دون ثار ، وأنه تزوج الفرزدق والبَيْث وأن هذا أتى أمه ، ويفخر ببأس قومه وشجعانهم ، ويحتملها بالزَّكَبَر وَجَمْعَنٍ ورهن عوف مراد بن الأقرس المجاشعي وعوف بن القنقاع .

فُجِيبَهُ الفرزدق دون نسب ، ويدكر شؤم جرير على قومه ، ويفخر بما حمله قومه من مكارم ، ورحاله ، ويتعالى بهم على كليب ويدكر يوم (اليسار) <sup>(٣)</sup> ويرى كليباً بالمهانة ، ويطلب إلى جرير محاذاته إلى قُصَاعَةِ وَزَار .

وبدأ الفرزدق هذه المرة فيرى جريراً نامة ، وقومه بالذل ، ويحمر (بِهَيْبَةٍ) <sup>(٤)</sup> ونأسرته ويميد دل جرير وقومه .

ويجيبه جرير بالسادسة والأربعين ناساً وهاجياً كليياً وجريراً بصور قبيحة وموارناً بين رهطيهما ، وقلخراً بيوم (الكَلَاب) .

فيرد عليه جرير ناسياً ، ذا كراً مبرورة هجائه ، مشيراً إلى البَيْث

(٢) من ٢٥٤

(١) من ٢٤٨

(٤) من ٢٦٤

(٣) من ٢٥٨

ملحقاً به الفرزدق ، معتجراً بنفسه وقومه ، ذا كراً ( الردالة )<sup>(١)</sup> ويوم  
( دى محب )<sup>(٢)</sup> نعيم على عمر وحيات قومه ويقول :

أحسنت يومك بالوقيظ كيوما يوم الصيظ بقلة الأرحال<sup>(٣)</sup>

والوقيظ نكر على نعيم ، والصيظ لشيبان على يروع ، وبسمر هاجياً  
ذا كراً أعين ، والريز ، وحنن بصورها صورا فبحة ، ولناسهما في المرند<sup>(٤)</sup>  
والقيون وساء محاشع شكل مرز ثم يسحى على صفة بالحاء .

ثم قال الفرزدق يهجو جريراً ويرد ما قاله وذكر يوم ( حدود )<sup>(٥)</sup> لنعيم  
على بكر وبسشهد بهوارى على عمر محاشع ويعمر قومه ويهجو جريراً وقومه  
فتجابه جرير ، فهجا البعيث وأقنه رأياه مع الفرزدق ومحاشع ونوته يوم  
( الصراشم )<sup>(٦)</sup> بين عس ويروع ، وشع ساء محاشع وقال : —

سار القصاد واستبحن محاشعاً ما بين مصر إلى حبوب وبار

وقرن نوار إلى جعش ، وهما عند البيت الذى سأك عنه فلا : —

لا بى الخطى رصيت مما بى وأبو الفرزدق ناصح الأكيار<sup>(٧)</sup>

أليس هذا يرجع أن نكون هذه للقيصة قبل لامية الفرزدق

التاسعة والثلاثين ؟

ونترك لميبتين في مصر قتيبة سنة ٩٦ هـ إلى أن نخلصهما بالتفصيل ، وإن  
كان قد ورد في أنسابها حادث قتيبة<sup>(٨)</sup> ويوم ( جيلة )<sup>(٩)</sup> وإجارة الفرزدق

(١) الناصح ص ٢٩٨	(٢) ص ٢٠٢	(٣) ص ٣٠٥ - ٣١٧
(٤) ص ٢٢٥	(٥) ص ٣٢٦	(٦) ص ٣٤٢
(٨) ص ٢٦٩ - ٢٧٠	(٩) ص ٢٧٩	

يفرأيه<sup>(١)</sup> وضربة الرومي<sup>(٢)</sup> وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز بالمدينة وإخراجه منها<sup>(٣)</sup> وحادث الأخطل وقومه مع الخخاف في حصرة عبد الملك<sup>(٤)</sup> وما أعقب ذلك من يوم (البشر) ويوم (القوية)<sup>(٥)</sup> ويوم (حبلة)<sup>(٦)</sup> ويوم (الزغام)<sup>(٧)</sup> ويوم (صوير)<sup>(٨)</sup> ويوم (الرفوفين)<sup>(٩)</sup>.

وُفَّجًا بالنعيم الراعي وجريز واصطراب موقف الثعير تبعاً لذلك ، فالراعي قبسى يلتحم مع جريز شاعر قيس ، والفرزدق تيمى ينتصر للراعي القيسى ويتناقص المحلان التميميان في حبل الشاعر القيسى<sup>(١٠)</sup> ونظم من ذلك ببائية حرير المصورة كما سماها وهي الثالثة والخمسون ، نسب فيها ، وهجا محاشماً ، وذكر قصة أبي البلاد الطموى مع متلى بنت عمه<sup>(١١)</sup> ونظم بقومه وبأسهم ، وذكر الزبير ، والقيون ، وعوقا ، وحسن ، وحش محاشع ، وأيام دى نحب ، ورحرحان ، والوقيط ، وغيرها ، ثم عدا على الراعي وقومه فأحز عليهم ، ونظم تعبير والإجازة<sup>(١٢)</sup>.

وقد أجهاه الفرزدق مفتحراً فذكر يوم الكلاب الأول<sup>(١٣)</sup> ورهن حاجب ابن ررارة قوسه كسرى عن العرب ودفاه له<sup>(١٤)</sup> ويوم (قيف

(٢) ص ٣٩٦

(٣) ص ٣٨٣

(١) ص ٣٨٠

(٦) ص ٣٠٧

(٥) ص ٤٠٥

(١) ص ٤٠١

(٩) ص ٤٢٠

(٨) ص ٤١٤

(٧) ص ٤١٠

(١٢) ص ٤٥٠

(١١) ص ٤٣٢

(١٠) ص ٤٣٧

(١٤) ص ٤٦٢

(١٣) ص ٤٥٤

الريح) <sup>(١)</sup> لثمير ويوم (إزاب) تلعب على رياح بن يروع <sup>(٢)</sup> ثم يتمالى من  
حرير وبنى كليب .

ويهبو جرير الفرزدق وعبيد بن عاصرة العنري ويدكر (المروت) وحادث  
للمنور عبيد بن عاصرة هذا <sup>(٣)</sup> ويمدح الحجاج ويشير إلى بناء الكعبة <sup>(٤)</sup> وما دعاه  
إلى هجاء ابن عاصرة <sup>(٥)</sup> ويحميه الفرزدق بهجاء فاحش .

وكانت النقيضة السابعة والخمسون مبدأ التحام جرير والأحطال <sup>(٦)</sup> ولا بد أن  
تكون مع زميلتها ساقفة والترتيب كما مر . وقد نسب جرير ، ومخز بالكرم ،  
ووازن بين قبس وتعب ، وأعمى على تلعب بالمعاه ، وذكر ابن زفر والجندب ،  
وساء تغلب ، وسمات للبيعة <sup>(٧)</sup> ويومى الشر وسنجان <sup>(٨)</sup> وأجابه الفرزدق  
هاجبا بنى كليب وشاعرم جريراً .

ثم يتهاحيان في ميل بنى جعفر بن كلاب إذ يهاجمهم الفرزدق ويدكر  
الدَّهْم <sup>(٩)</sup> وحديث ابن ضا <sup>(١٠)</sup> . ويحبيب جرير فيمدح بنى جعفر ويغتر بقبس  
ويهبو محاشاً وشاعرم كما هو معروف .

وفي صدر الجزء الثانى من النقائض قصة التحام الفرزدق مع ابن أبى بكر  
ابن حزم بالمدينة ذلك الذى تحدى الفرزدق بشر حملان بن ثابت وقبول الفرزدق  
هذا التحدى وإشائه الغائبة الفحمة التى تصمت سيباً بجيلاً طويلاً على غير

(١) ص ٤٦٩

(٢) ص ٤٧٣

(٣) ص ٢٨٤

(٤) ص ٤٨٦

(٥) ص ١٨٧

(٦) ص ٢٩٤

(٧) ص ٥١٠

(٨) ص ٥٧

(٩) ص ٥٢٦

(١٠) ص ٤٣٢

عادة الفرزدق ، ومدحا في عهد الملك ، وحرراً بكرم قومه ونسبهم ،  
وأهم شعوك ذوو أحلام ، وأصحاب الكعبة وبيت المقدس ، وهجاء  
جرير وأمه . وكانت هذه النقيصة الحادية والستون في إمرة أبان بن عثمان  
أيام عبد الملك بن مروان . فتمس جرير للرد عليه ، ونسب مطيلاً ، وعبر  
الفرزدق بيوم (صوهر) وذكر يومى ذى نحب<sup>(١)</sup> والإيثار<sup>(٢)</sup> ونقض معاني  
خصمه ذاكر عذر محاشع ، وصورة جعش ، وزواج الفرزدق ربيعة بنت عيم  
ابن درهم وناقرتها له<sup>(٣)</sup> .

وقال الفرزدق لجرير : —

سمونا بجران الجباني وأهله وعمران أرض لم تُدبث مفادله  
مشيدا بذكر الأقرع بن حابس<sup>(٤)</sup> وجيشه ، هاجياً بنى كليب ، ذا كراً هدم  
داره<sup>(٥)</sup> وهرته من زياد ، وملاحاته معاوية ، ونقاه الأسد ، وقصده المدينة ومكة  
حتى موت زياد ورثاء مكين التدارى له ورد الفرزدق عليه في الشارح<sup>(٦)</sup> وهجاء  
كليب وجرير ؛ ويوم (صوهر)<sup>(٧)</sup> ويستمر في النقيصة على عادته . فأجابه  
جرير بسبب طويل ، وفخر عريض ، وذكر يوم ذى نحب وذى قار<sup>(٨)</sup> ، وبهجوى  
الفرزدق ويلتقيان بلباسيهما في المربد<sup>(٩)</sup> ولعلها أبيات أصيغت إلى النقايس .

(١) ص ٥٨٧ (٢) ص ٥٨  
(٣) ص النقايس ص ٤٩٤ (٤) ص ٦٠  
(٥) ص ٦٠٧ (٦) ص ٦٢٦  
(٧) ص ٦٢٥ (٨) ص ٦٢٨  
(٩) ص ٦٢٣ بيت ٤٩ و ٦٠ و ص ٦٥٠ بيت ٦٢ و ٦٣

وكذلك البيت الخامس والستون في الصفحة الحادية والخمسين حد السمان والبيت  
الثامن والثلاثون في صفحة ٦٠٦ والبيت ٦٩ ص ٦٥٦ .

نَحْنُ الْخَطِيئَةُ حَتَّى رَصِينَا بِنَاءَهُ      فَهَلْ أَمْتُ إِنْ لَمْ يُرْصِكَ الْقَيْنُ فَانْتَه  
سَبَا بِنَاءَهُ لَمْ نَسْأَلُوا فِرْعَوْنَ      وَهَذَا أَعْلَى مَا يَبْتِمُ أَسْأَلُهُ

ويدكر يوم (أدارة الثاني) <sup>(١)</sup> ويوم (شعب جلة) <sup>(٢)</sup> ويوم (أقرن) <sup>(٣)</sup>  
ويوم (زبالة) <sup>(٤)</sup> ويرى ليلي بمجلها من جبر ثم هدم داره <sup>(٥)</sup> .

ويقول جرير للمرردق والبعيث متحرراً وهاجياً كعادته ويدكر هذا البيت  
الذي عبث به عمرو بن لجأ : —

لَقَوَى أَحْمَى لِلْحَقِيفَةِ مِنْكُمْ      وَأَصْرِبُ لِلْحَبَارِ وَالنَّقْعِ سَامِعُ  
وَأوثقُ عِدَ لِلرَّدَفَاتِ عَشِيَةً      لِحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السِّيفَ لَامِعُ <sup>(٦)</sup>

ويجيبه الفرزدق فيذكر جده محبى المومودات <sup>(٧)</sup> ويوم (إراب) <sup>(٨)</sup> ويسرق  
بيت جرير (ص ٦٩٢ لجرير و ص ٧٠١ لفرزدق) .

ويجرح جرير المرردق وآل الزبرقان بن بدر التهادئين ويرد عليه المرردق  
فجشيد عما وهب السمان لقومه بُرْدَى ابْنَهُ مُحَرَّقُ أَحْسَدِهَا عَامِرُ بْنُ أَحْيَمِ بْنِ  
بَهْدَةَ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ أَعَزُّ الْعَرَبِ قَبِيلَةً <sup>(٩)</sup> ووردا الزبرقان بصدفات قومه أيام الردة <sup>(١٠)</sup>  
ويوم (بُسر) <sup>(١١)</sup> وقصته مع مملووية .

(١) ص ٦٥٢	(٢) ص ٦٥٤ — ٦٥٨	(٣) ص ٦٥٦	(٤) ص ٦٨٠
(٥) ص ٦٨٣	(٦) ص انقائس ص ٦٩٣	(٧) ص ٦٩٦	(٨) ص ٧٠٤
(٩) ص ٧١٢	(١٠) ص ٧١٥	(١١) ص ٧١٦	



ويأتى الفرزدق فيهمو جريراً ويعرض بالنيث لما قصة مسعود<sup>(١)</sup> وهرب  
عند الله أن ريار ورهن عند الله بن حكيم الخثمي به بقاء الأحف بن قيس ،  
وقسور الرسول شعاعة الأقرع بن حابس<sup>(٢)</sup> وقصة خالد بن عبد الله الأموي<sup>(٣)</sup> .  
وبجيه حرير قيد كر يوم ثيلان<sup>(٤)</sup> ورؤيا هيرة بن صمصم الخثمي<sup>(٥)</sup>  
ويستمران قيد كر حرير يوم ( ذي طنوخ )<sup>(٦)</sup> ومائة الوار ورواحها والرواج  
عيب<sup>(٧)</sup> ويدكر الفرزدق حكاية العبد ( بدر ) الذي قطع إحليته<sup>(٨)</sup> وتصادفنا  
أنا ، القناس بقصة ذات بيت واحد<sup>(٩)</sup> وقصة الفرزدق مع ( حدراء ) والدجانه  
إلى الحجاج وقصة حميدة الخطلية امرأة عبد السليط مع حوط بن مغيان  
ورحمها<sup>(١٠)</sup> أيام الحجاج في صورة شعبة وحازية حرير التي مركته ومص قطع  
لانتان لها ومناقصة بمناسبة وفاة خالد بنت سعد روج حرير<sup>(١١)</sup> وحرب السوس<sup>(١٢)</sup>  
وهجاء الفرزدق لجندل بن الراعي وذى الأهدام الجعفي ودكر يوم ( الشاك )<sup>(١٣)</sup>  
ويوم ( هراميت )<sup>(١٤)</sup> وهجاء الفرزدق بني نهمل في معاقرة بينهم وبين جناب  
شريك من آل صمصمة رعد الفرزدق ودكر قصة عمر بن عمران مع حرير ابن  
صورة<sup>(١٥)</sup> ولخر حرير أسماء يسمايل وإسحاق<sup>(١٦)</sup> ويوم ( الشيطان )<sup>(١٧)</sup> لبكر  
ونعيم و ( تيل )<sup>(١٨)</sup> و ( تياس )<sup>(١٩)</sup> حتى يصل إلى هلاك الأحطل والمناقصة في  
ذلك<sup>(٢٠)</sup> وهنا تنهى القناس .

- |             |             |                   |                    |
|-------------|-------------|-------------------|--------------------|
| (١) ص ٢٢٩   | (٢) ص ٢٤٧   | (٣) ص ٢٤٩         | (٤) ص ٦٥           |
| (٥) ص ٢٦٤   | (٦) ص ٢٨١   | (٧) ص ٨٠٣         | (٨) القناس ص ٨٦١   |
| (٩) ص ٨١٩   | (١٠) ص ٨٢٩  | (١١) ص ٨٤٧ و ٨٦٦  | (١٢) ص ٩٠٥         |
| (١٣) ص ٩٢٧  | (١٤) ص ٩٣٢  | (١٥) القناس ص ٩٤٤ | (١٦) ص ٩٩١         |
| (١٧) ص ٩٠٢٠ | (١٨) ص ٩٠٢٣ | (١٩) ص ٩٠٢٥       | (٢٠) ص ١٠٤٩ و ١٠٤٣ |

و يمنع ذلك إحصاف من الناشر جمعها لعلها أشياء وردت في نصوص النقائص ،  
وهذه الإحصافات مثل الأكار ، وستل ، وعد أي سواج ، ور حر جان ، وليسر ،  
وجرع طلال ، والمبيط ، وصوهر ، وفروق قو ، والكلال الأول ، ودي محب  
وأدارة ، وإراب ، والجمرة ، ويسار الكواعب ، وحراري ، وحر عمرو بن  
عمران ، وغصوب ، وسعد ابن صبيح .

— ٧ —

وفي أثناء هذه المرمى لاحظنا أن هذين الفحطين قد تناقضا غير مرة في سبيل  
غيرهما فالنحى ، حول الراعى وحول سى حمير بن كلاب وحول ابن أبي بكر بن  
حزم لما تحدى الفردق بشرح جان بن ثابت وحول مُحَرَّق بن شريك وحول  
ابن سهيل وحول الأخطل وحول الأصم بن باهلة ، وغالب هذه الحالات كان  
يمحز أحد هؤلاء فيبهم حرير أو الفردق لردعه ، حتى رأينا الفحول الثلاثة  
يلتحمون معاً أو ما تدخل الأخطل بين زميليه ويتبع من ذلك نقائص ثلاثة أشرنا  
إليها كثيراً .

وقد لاحظنا أيضاً أن النقائص كانت تنتهر للمناسبات تتطهر حتى كان موت  
روج حرير فرصة لمناقضة ، وكذلك موت الأخطل ، وتدخل الراعى ، والتحدى  
بمحر حسان وغير ذلك مما يدل على حرص كل مصاحبه .

كذلك لاحظنا أن في هذا الدبوان قصائد لا نقائص لها ، من ذلك قصيدة  
الفردق السابعة والثمانون وهي التي قالها لما أصابت حريراً حُمرة فتداوى ترويح  
استه أم غيلان الألقى التميمي<sup>(١)</sup> والقطعة الثامنة والثمانون لحرير في ترويح الفردق

عَصِيدَةٌ<sup>(١)</sup> وقد وردت في ديوان حرير<sup>(٢)</sup> أنها قيلت في ابن عم له حطب انته  
ر ينس فإذا صح ذلك خرجت من موضوع القطعة التاسعة والثمانون لحرير  
لم أجد لها نقيصة في ديوان الفرزدق ، والنقصية الرابعة بعد المائة لحرير ليست لها  
نقيصة صريحة وإن وحدها في ديوان الفرزدق<sup>(٣)</sup> قصيدة من بحرهما وقافيتها في  
هجاء بعض بني مازن وكانوا سموا بالله لمساء ولكن ليس فيها ذكر حرير ،  
أما القطعة التاسعة بعد المائة لحرير مما كانت نقيصتها قطعة من أبيات ثلاثة في  
هجاء بني كليب وهذا فرض لس غير : -

ألا إن اللئيم بني كليب      يمرار الناس من حصر وبدي  
قُبيلةُ تَقْدَسُ في الخاري      على أطباق مُصَكَّرَةِ العباد  
نُراقِ الحـمـير مقودوها      وما يذرون ما قَوْدُ الحـيـاد<sup>(٤)</sup>

ورما كانت هناك نقائص هذه القطع فصاحت ، وربما لم تكن تتبع الشاعر  
في حينها ، وربما كان الشاعر يرد على حملة منها في قصيدة واحدة ، وربما كان  
الرد عليها في غير أوضاع الباقية .

وهناك في ديوان الفرزدق قصائد في هجاء حرير وغيره لم ترها نقائص عند  
حرير مع أن اتحاهاها تحت الرد عليها ، فهناك هجاء حرير<sup>(٥)</sup> والأصم الباهلي<sup>(٦)</sup>  
وجند بن الراسي<sup>(٧)</sup> ونيس عيلان<sup>(٨)</sup> . وحكما ، عدنا ، حكم سافقنا ، ويظهر  
أن شعر هؤلاء الفحول لم يُرَوَّ لنا كاملاً ، فذهبت هذه النقائص عند إلى الآن  
هذا وقد رأيت أن هناك معاني عامة ترميها خلال المناقصة كاللذل ،  
واللؤم واجبن ، هجاء ، وكالأيام ، والسكرم ، والخديفة خراً ، وأن جريراً رد

(١) ٨٢٣ من (٢) ٤١٦ من (٣) ٢٥٣ من (٤)

(٤) ديوان الفرزدق من ١٦٤ (٥) من ١٠٥٧٩ و ١١٠٥٨٠ وغير ذلك كثير

(٦) من ٣٤ و ٣٧ و ٣٢٠ (٧) من ٢٠٧ و ٢١٢ و ٢٥٨

(٨) من ٣٨ و ٤٠٧ و ٧٧٣ و ٨١٥ و ٨٢٠ وغير ذلك كثير .

كثيراً معاني : لقبين ، وحقيقتين ، والزبير ، والرنا ، وضربة الرومي في هجائه  
الفرزدق ، كما فسر شقواء وأيام يربوع وقبس والردافة والاحارة ، وأن الفرزدق  
أكثر من ذكر صفة جرير وفقره ، وافصح بالجود والمعافاة وإحياء الموتى وودت  
والاحارة فقر أبيه ورحلات قومه ، على أن كلا منهما تناول حرمان صاحبه ورماء  
في كرامته وعرضه ومورد ذلك صوراً قيحية لا يعرفها الفحشاء حتى في الطاهلية الأولى

وشير هنا أن أعقاب هذا العرض إلى الفوائد القيمة التي نحنيها من شرح  
هذا الديوان ، وهي فوائد لغوية قيمة تنفعنا كثيراً في فهم النصوص ، وأدوية  
تفسير بعض العبارات والآيات ، لا نأخذ في غير هذا الشرح .

وهناك ذكر كثير من معارف العرب وسنهم الاجتماعية وشرح أمثالهم  
وعاداتهم ورد أسماء الشرح في مواضع مناسبة ، وأهم من ذلك كله حانان حبيران :  
أيام العرب ، والحوادث التاريخية ، ثم أقاس من سير الشعراء ، والعظماء ، والأمراء ،  
والقواد ، وشي . كثير جداً من ذلك لا يطرقه في غير هذا الشرح لأني عبيد  
وقد أشربنا إلى معظمه في الصفحات السابقة أثناء العرض فلا داعي لذكره هنا  
حيث يصيق به المقام ، على أن قراءته في مواطنه ومساكناته أجدي على القارى ،  
والباحث ، والناقد ، والمؤرخ جميعاً .

نعم كثيراً ما نجد شرح النصوص ناقصاً من النواحي اللغوية والأدبية كما  
وجدنا ترتيب النقص مصطرياً ، وبعضها صائفاً ، لذلك رجوا أن يفرع غيرنا ،  
لتحقيق هذه النصوص ، وترتيبها ، وشرحها شرحاً لغوياً أدبياً كافياً ، وهرتها  
مصدرها وحوادثها التاريخية العامة والخاصة ، لتسهيل قراءتها والاستفادة منها ، كما  
أرجوا أن يتحد الشرح بحال دراسة خاصة للأيام ، والأنساب ، والحوادث ،  
والشواهد اللغوية ، والشعراء المنصورين . والأمثال العربية ، والتقاليد الاجتماعية ،

فيه من كل ذلك قد صالط ، قيم ، معيد . كافي حواس تمثل شخصيات القبائل ،  
واسعراء ، والرعد ، في الخاطبة والإسلام .

ومن بين هذه النقائص حملة تعد مشهورة هامة لطولها ، وقوتها الفنية أو لغاتها  
بحوادث خطيرة ، أو امرارة معانيها أو لاعتزاز أصحابها . منها اللاميتان الأوليان<sup>(١)</sup> ،  
ولميتان في قتل قتيبة بن مسلم<sup>(٢)</sup> ، والباثنيان حول الراعي وقومه<sup>(٣)</sup> ، والفائيتان  
اللتان أثارهما ابن أبي بكر بن حرم<sup>(٤)</sup> ، واللاميتان الأخريين<sup>(٥)</sup> والرائيتان في  
موت زوج حرير<sup>(٦)</sup> ، والسويات الثلاث<sup>(٧)</sup> نوعيها .

وعلى سداً عرصاً هذا الديوان ، أن نقف عند بعض هذه النقائص  
بالتحليل ، وبين طرق المناقصة ، وقيمتها الفنية ، وحوادثها المختلفة ذلك ، في  
رأى ، هو صميم الدراسة وأخطر بواحيها ، وليبدأ بما فالأ في مقتل قتيبة بن مسلم  
الباهل مع توخي الإيجاز الشديد .

## — ٨ —

في سنة ست وتسعين هجرية كان على عرش الأمويين دمشق الوليد من  
عبد الملك وكان في آخر عمره أراد حلق أخيه سليمان من ولاية العهد وحملها لانه

(٢) من ٢١٢ ، ٢١٤

(١) من ٥١٨ ، ٥٢٦

(٦) من ٨١٢ ، ٨٦٦

(١) النقائص من ٦٨٣ و ٢٦١

(٣) من ٤٣٢ ، ٤٤١

(٥) من ٦٠٠ ، ٦١٩

(٧) من ٨٨٠ ، ٨٨٨ ونقائص حرير والأصل من ١٩٧

عند العزيز ودرس في ذلك إلى القواد والشعراء فحضره على ذلك حريز ، وبايعه على خلق سلمان الحجاج بن يوسف وفتية بن مسلم ، وانكس الوليد عدت قبل أن يحكم هذا الأمر وقدر مات الحجاج وولي الخلافة سليمان بن عبد الملك ستة ست وتسعين معاه فتية بن مسلم .

وكان قتيبة ، على عهد الوليد والحجاج ، على رأس الخيوش الإسلامية بحراسان يعرفون أطرافها فأراد أن يستحلف عبد الله بن الأهم فأنه بشير بن صفوان بن الأهم يحذره استعلاف عبد الله امره وكفره فحمل قتيبة كلام بشير على حمد ابن عمه ، واستحلف عبد الله وعرا قرعة أوسجيمان ، فحمل عبد الله يشق الكنت في قتيبة إلى الحجاج سواراته ، ويحمله عليه ، ويطلب عمه ، فيطويها الحجاج في كتفه إلى قتيبة . تصاق هذا بذلك ، وشكا عبد الله إلى عمر من تميم فهرب عبد الله مشكراً ، وكتب قتيبة بذلك إلى الحجاج والوليد وأحد ثنية بن عبد الله وأحاه فقتلها وقتل بشير بن صفوان وأسأله وقرأ من دوابهم ، فعصب لذلك وكيع ابن أبي سؤد البرمعي رئيس نيم بحراسان فعزله قتيبة عن رئاسة تميم واستعمل مكانه ضراد بن حصن الضبي

وتولى سليمان حينئذ فكتب إليه قتيبة يطلب إليه إقراره على عمله ، وذلك حشية يزيد ابن المهلب ، أن يحمل مكانه في خراسان ، ثم أراد حمل الناس على جمع سليمان فلم يحبه أحد ، فخطب فيهم عائداً ، مهدداً ، ممساً ، ولكن اليمامة أجمعت أمرها على قتل قتيبة فأتوا الحصن ابن المنذر الدهلي من بكر بن ربيعة فأشار عليهم بإسناد ذلك إلى وكيع بن أبي سؤد فقص وكيع بالأمر وتجمعت إليه تميم وقتلوا قتيبة ستة ست وتسعين وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، ومات

وكيع بطاعته ورموس بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك ، ولم يكن الفرزدق يرح المدينة حتى جاءت وقعة وكيع .

وروى أن سليمان بن عبد الملك حج تلك السنة فبعه تحفة إيفاع وكيع قتيبة ، فحطب الناس عرفات فدكر عبد بن نعيم ووثوبهم على سلاطهم وإسراهم إلى العتق وقال : منهم أصحاب نتن وأهل عذر وقلة شكر ، فقام الفرزدق وفتح رداءه فقال يا أمير المؤمنين : هداردان رهس لك بوفاء نعيم ، ولدي بلعك كذب ، ووقعت ضاعة وكيع من سليمان كل موقع ، وكانت قبس نعيم أن قتيبة لم يجمع ، واستعمل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على حرب العرف وأمره : إن أقامت قبس النية على أن قتيبة لم يجمع فيخرج يدا من طاعة ، أن يُقيدَ وكيعاً به ، ولكن يزيد بن المهلب كان يرى إهدار دم قتيبة فعلى صيل وكيع ، وسارت الأمور سيرها المبرد . ففى هذا الحادث قال الفرزدق قصيدته :

تَحْنُ زَوْرَاءُ الْمَدِينَةِ نَافِي حِينَ عَجُولٍ تَنْصِي النَّوَّ رَائِمُ

ونقصها عليه جرير بقصيدته : —

الْأَحَى رَسْمَ الْمَنْزِلِ الْمُتَقَادِمِ وَمَا حُلُّ مَدْحَلَّتِهِ أَمْ سَالِمُ

والدراسة هاتين القصيدتين تتحد قصيدة الفرزدق أصلاً تطبق عليه قصيدة

جرير إذ كان الفرزدق هو البادى ، وسير مع فنون القصيدتين واحداً بعد الآخر موازين وملاحظين ما يلاسن عناصرها من أمور :

( ١ ) بدأ الفرزدق بسية حريثاً وقوراً فحطم على مائة ما بعثه من أم ،

وقسم نفسه بين وطه الأواء ( كاضمة قرينه هو وأسرته ) وبين أمية حيث يقيم حبيبه الذي لا يباله ، وتعى لوجع له القدر بين هذين المسكانيين في قعة واحدة :

وباليت روراء المدينة أصبحت فاحقار ففجأ أو يسيف الكواطم

وكم سم عني بالمدينة لا يُبَلِّغ إلى اطلاع العسر دون الخيام

ثم يغالب همه فيطمها ويمسها السوء توقرا راحيا الذبابة من عقاب الله  
مُضْغًا هذه الآية الكريمة « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم  
بما عقدتم الأيمان » .

ولست بما حوذ سمو تقوله إذا لم تعتمد عادات العرائم

ثم رحل عن المدينة مع صحبه تاركاً أثيرة قلبه بها ، ثم شمل بالرحنة إلى  
الخليعة سليمان بن عبد الملك بدمشق ، فالسبب دو طامع حربن جليل وقور ،  
وهذا غير ما عرف عن المرزوق من جاهلية وفسوق ، ولعل هذا كله كان من  
وحى هذا الحادث الذي أنشأ هذه القصيدة والذي يمرض نجا لحط الطبيعة ،  
ولعل كذلك متأثر بهذه المدينة القدسة التي بدأ منها رحلته كما بدأ منها  
قصيدته .

أما جرب مكان في سيبه طبعياً كما عرف عنه وكما هو دأب الشعراء  
الهافظين جميعاً ، فقد حسي ربح محبوبته الذي حته الحيل ، وهي دائماً بحيلة متممة  
يرى فيها شقاء نفسه وإن كان لا يظفر منه بشيء : —

بنا كالجوى مما يحاف وقد نرى شفاء القلوب الصاديات الحوائم  
ثم يشمت بهواه مرضاً عن لوم حبيب — جامعاً بين معنيين لامرئ .  
القبس وعلقة :

أغررك مني أنما قادى الهوى إليك ، وما عهد لكن بدائم  
ويلم بعده أما كن فيها دكريات له فيجعل عليها هواه التقدم في أسلوب رقيق



حيل . فانسب لها طبعي ، رقيق ، صادق ، عليه طابع الحرمان ، وبسكه حر من  
ثأر ، لذلك ، كان جرير لها أحسن موقفاً من صاحبه الذي حاور طبعه وحفظ  
بين شوق وطني وشوق إنساني واصططع الوفاً اصططاعاً ، وكان جرير يستخدم  
النسيب في وظيفته الأصلية في الشعر ، وهي إعداد النفس للقول ، فاسترد بهذا  
القسم وانصرف به عن الفرزدق فلم يلتق معه إلى الآن ولم يشرك هذه الدباجة في  
المناقصة ، وآية ذلك أنه أراحاً مناقشة دباجة الفرزدق في النسيب إلى المهجاء الذي  
انتقل إليه فجاءه دون تخلص كما فعل زميله الذي تخلص من نسيبه إلى مدح  
الحبيفة وإن لم يكن تخلصاً رائعاً .

لذلك يحسن أن سنم مع جرير قليلاً لنرى كيف التقى مع الفرزدق واحد  
يتناقص دباجته .

لاحظ جرير أن الفرزدق يصطع الوفاً والتقى في مطلع قصيدته  
حيث يقول :

إذا حشأت نفسي أقولُ لها ارحمني      ورناءك يستحي بياض النهارم

فأسرع جرير وحلص من نسيبه وأخذ تتلايب صاحبه ينكر عليه هذا  
الوفاً المصطنع ويكذبه فيه :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً      وجاءت بوراً وارٍ قصير القوائم  
فهو فاجر طائش لا يثق ولا رين ، وهذا نفس إخباري أو تكذيب  
السمي الذي ادّعاء الفرزدق ، ثم يقول جرير :

وما كان حذر الفرزدق مُسلم      ليأمن قرداً ليسه عبر ماعر  
يُوصِّل حبله إذا جنَّ ليله      ليرقى إلى جاراته بالسلام

وإذا كان الفرزدق قد قال .

إذا حشأت عسى أقول لها ارجى ورامك واسحى بياض اللهازم  
فقد سحر حرير من لهازمه وكده فيا تنهاه عنه فقال :

أتيت حدود الله مذأت يافع وشيت فما يتهاك شيب اللهازم  
تبع في الماخور كل مريبه ولست بأهل المحصنات الكرائم

ولعل هذا البيت الأخير رد على قول الفرزدق في رحلته على النوق :

مواهيص يحملن الموم التي حوت ناعن حشايا المحصنات الكرائم

وإذا علم أن الفرزدق اعترف على نفسه في قصيدة أخرى بالره وانتهاك

الحرمات<sup>(١)</sup> فقد سهل عليه جرير اعترافه هذا ونقص ما ادعاه من صلاح .

وإذا لاحظنا امتحان عمر بن عبد العزيز لهذين الشاعرين لما قدما عليه

المدينة<sup>(٢)</sup> وعرفنا نتيجة هذا الامتحان إن صحت القصة ، استطعنا أن نلاحظ

المقابلة بين قول الفرزدق في مطلع قصيدته :

ولما أبوا إلا الرحيل وأدلفوا عرعى في برى محشوشة بانغرام

وراحوا بحناني وأمسك قلبه حشاشته بين المصلى وواقم

وبين قول جرير :

رأيتك لا تنوفى بيسار أجرته ولا مستعفا عن لثم المطاعم

هو الرحس بأهل المدينة فاحذروا مداحل رجس بالحبيبات عالم

لقد كان إحراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلى وواقم

تدليت نرى من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

لما دعى الفرزدق أن يخرج من المدينة إما كان يدعوا إلى الرحلة التي ترك لها قلبه وهواه أفسد عليه جرير معناه جعل خروجيه قهراً وظهوراً للمدينة من رحبه الذي يُقرئ به على نفسه ، فأنشأ قصيدة منسوبة على سبب الخروج ، فهو عند الفرزدق قصده دمشق وهو عند جرير فسخة وضرورة التخلص منه ، فالأصل هو التوجيه وإن شئت فهو التكذيب . ولا شك أن جريراً قد ظفر بصاحبه هنا إذ احتج بسوء الفرزدق ، وشهادته على نفسه ، واصطباعه أموراً ليس منها في شيء ، وعرفنا الناس كذبه في دعواه

(ب) وبعد ما انتهى الفرزدق من السبب تخلص إلى مدح سليمان بن عبد الملك ، فأيقظ السفر وشهرهم ببقاء الخليفة الماحد الكريم على الرغم من شوقهم إلى المدينة وبكائهم لمراقبتها ، وكان الفرزدق ، فيما يدعى ، حاداً في رحبته التي لقي فيها بعض المشاهد الطبيعية والمثاق حتى انتهى إلى الخليفة :

لَيْبُلُنْ مِلَّ الْأَرْضِ نَوْراً وَرَحمةً وَعَدلاً وَغَيْثَ الْمَذِيرَاتِ الْقَوَاتِمِ  
ثُمَّ يَمْدَحُهُ مَعَ أُسْرَتِهِ :

وَرثْتُمْ قِصَّةَ الْمَلِكِ عَزِيزِ كَلَالَةٍ عَنْ أَسَى مَنَافِدِ عَدِ شَمْسِ وَهَاشِمِ  
رَأَى النَّجْمَ مَعَهُ وَدَأَّ عَلَيْهِ كَلَامُهُمْ نَحْوَمُ حَتَّى أَدْرَى مُلْكُهُ مُقَامِهِ  
وهذا المدح ، على طوله النسي ، انمرد به الفرزدق ولم يعرض له جرير ولعل السبب في ذلك أن الفرزدق يواحه الخليفة ، ويحرص على رعاية نعيم ، وحسن صلتهم بدمشق ، ولا سيما أن القاتل تميمي والمقتول قائد بارع ، وأن تيمناً منهممة بالغدر ، ولها سابقة في قيس قتل عبد الله بن حارم السلمي ، ثم في هذا المدح استعمالاً لمداد قس القديمة لأمية والتقليدية لقيم هيرمي القائد بجمع سبيلان وبسبب إلى وكيع ( أي إلى تميم ) الوفاء للخلافة .

أما حرير الذي يحطّب في حل قيس عيلان فم بجه إلى الخليفة مادحاً ، وهو من قبل صبيحة الحاج القيسى ، وشغل مخرج موقعه بين ربوع قومه . والقاتل منهم - وبين قيس حلفائه - واقتول منهم - ولعل حريراً لاحظ أحيراً أن وكيعاً قتل قائداً معزوط المسكاة وأنه هو مصطرب الصلة سليمان لأنه كان قد حصص لوييد على البيعة لاسه مولاية العهد دون سليمان مسيراً الحاج وقتيبة في ذلك كما مر .

ومهما يكن من شيء ، فقد انصرف جرير عن المدح ولم يشتر فيه مع صاحبه فلا وجه ، إذا ، للموارنة ، ولعل الفرزدق عدّ مدح الخليفة حاشاً له دون حرير ، وربما كان على حق ولا سيما أنه تعهد لسليمان بوفاء تميم فيما بعد إذ يقول :

يدى يسوف من نيم وفى بها      ردائى ، وجلت عن وجوه الأهاتم  
مُسموا يوم المحصب من مئى      يدائى إذا التفت رفاق التواسم  
مُطلبوها بالسيف وبالقتل      وجرد شجر أفواهاها باشكائهم

(ج) وكان من الطمى أن يهجو الفرزدق الحاج - وإن كان قد مدحه حياً - لموقف الحاج من ولاية العهد إذ كان على سليمان ، ولأن الحاج قيسى ، وقيس عدو تميم التقليدى ، وكان من الطمى أن يتمتع حرير عن هجاء الحاج لهدين السنين ، فحرير كان مع الوليدى ولاية العهد ، وهو شاعر قيس وصبيحة الحاج من عهد عبدالملك ، فقلت لم يجد وحياً لمهاجرة الحاج فانصرف عن ذلك وتركه لصاحبه . تناول الفرزدق طمع الحاج ، وطعنايه ، حتى رماه الله بما روى أصحاب الفيل وخذله الله وفى الأمر لسليمان :

نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله      إليه عظيم الشركين الأعاجم  
وما نصير الحاج إلا بغيره      على كل يوم مستجير الملاحم

أما عذره فقد أحرسه وألزمه الندم حتى هلك . وهذا لا محال لموارنة ادغم  
تنوير المناقصة ، وكان الفرزدق معتزاً بمباحة الحجاج - وإن كان ميتاً - لأن في  
ذلك صلاح شأنه وشأن تميم مع الخليفة .

( د ) وكان مقتل قتيبة هو الباعث على هذه المناقصة ، فالواقعة أذهلت الناس  
لحظها ، وسكن موقف تميم فيها سليم إذ كانت تأرا إلى الأهم ، ووفاء للخليفة ،  
واستجابة لعهد الفرزدق مع سليمان بوفاء تميم لما سطر له ردها بذلك :

أناي ورحلى باندبية وقصة	لآل تميم أقعدت كل قائم
كأن رهوس الناس إذ سمعوا بها	مدمة من هارمات أمائم
فدى يسوف من تميم ول بها	رداني وجلت عن وجوه الأهائم
شقين حرارات لفوس ولم تدع	عينا مقسالا في وفاء للأم
أبنا بهم قتل وما في دماهم	وفاء ، وهن الثميات الخوام
حرى الله قومي إذ أراد جفاري	قتيبة ، سعى الأوصلي الأكارم

وهذا دأب مع العاديين من قيس كعد الله بن خازم السبي الذي خرج على  
عبد الملك فقتله تميم ، قتله وكيع بن عميرة القريني ، وهو ابن الدوزقية

وقد عجلنا ابن عجلي رحمة بأسيافنا بصدعن هام الجراحم  
وعجل أم عبد الله بن خازم وكانت حبشية فيما يقال .

ثم يذكر يوم ( الحشاك ) لتقلب على قيس ، وشوم قتيبة على قومه لما عصى  
الخليفة في حين ثمت تميم على طاعته وكانت ردها للحلافة تقتل من يخرج عليها :

فإن تصعدوا تقعد لكم أدلة وإن عدتم عدنا ببيس صوارم

ويعود إلى قيس وقتيبة الذي دل أمام تميم ولم يشجده قومه اللثام وهكذا  
ضربت تميم بسيف الخليفة فأصابت بصراً مؤزراً :

مصر بما سيف في يمينك لم يدع      به دون باب الصين عيلاً لظلم  
به صرّب الله الدين تحزّبوا      بيدر على أغناقهم والمعاصم  
ورعما يؤخذ على الفرزدق هذا البيت الأخير لأن بنى أمية من الذين ضربوا  
يوم (مدر) إذ كان أبو سفيان بن أمية زعيم قريش فيه ، إلا أن يكون البيت  
مثلاً أو منصباً على البيت السفياني خاصة ، وقد وقع جرير في مثل ذلك حين  
ذكر يوم (الحشاك) وهو لخطب على قبس عيلان .

ونلاحظ هنا أن الفرزدق حريص على رمي قبس بالعدو ، من عبد الله بن  
خارم ، إلى الحجاج ، إلى قتبة ، ولعله يريد بذلك أن يرميهم بهذه الصفة التي  
رميت بها تميم من الخليفة معه .

وأما جرير فلم يُطل في هذه القطعة وكان كلامه مقتضباً وإن كان قوياً فلما  
رأى أن الفرزدق سب مصرع قتبة إلى تميم عامة ، وأنه وفي للخليفة بذلك ،  
وثار لبني الأهم ، تناول المسألة من قرب وفي أفق ضيق فأخذ فصل ذلك ليربوع  
خاصة إذ كان القائل منهم فقال جرير :

مبرك أدّى للخليفة عهداً      وعبرك جلّتي عن وجوه الأهاتم

وهذا حق إلى حد ما ؛ فوكيع من رهط جرير وإن كان رعيماً تميم في حراسان ،  
ومثل ذلك يكون جرير قد رحرح الفرزدق عن زعامته العامة وأخذ منه هذه الدعوى  
إذ كان جرير بها أولى ، والفرزدق مدّع ما ليس له ، ومحاولٌ بإضافة محمد يربوع  
إلى محاشع فيجمع بين الجبن والفخر الكاذب :

فإن وكيعاً حين حارت محاشع      كفى شعباً صدّع الغنة المتعاقم  
لقد كتمت فيها بالفرزدق قاعاً      وريش الدّمايى تابع للقوادم  
مدّفع عكم كل يوم عظيمة      وأنت قراحي سيف الكواظم

أَجْمًا وَفَرًّا يَأْتِي رَدَّ اسْتِهَا وَمَحْنُ شُبِّ الْحَرْبِ شَيْبَ الْمَقَادِمِ  
فَكَانَ جَرِيرُ بَذْلِكَ مَوْضَعًا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَ خَصْمِهِ وَبَيْنَ مَحْدِ هَذَا  
الْيَوْمِ مِنْ حَايَةِ الْحَاسِي ، وَفُشِّرَ عَمَلُ وَكَيْعِ بَأْنِهِ وَقَاءَ مَعُودِ قَصْدِهِ إِلَى رَهْطَةِ الْأَدْبِيْنَ  
وَهُمْ يَرْتَوِعُ دُونَ مَجَاشِعِ ، وَهَذَا هَدَمَ لِدَعْوَى الْفَرْدَقِ فِي رِعَامَةِ تَيْمٍ عَامَةٍ حَتَّى كَانَ  
قَدْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَارِمٍ بَعِيدًا عَنْ أَثَرِ مَجَاشِعِ ، وَكَوْنِ أَيْيَاتِ جَرِيرٍ فِي هَذَا الْحَادِثِ  
عَلَى قَلْبِهِ ، أَدْحَلَ فِي أَفْقِ جَرِيرِ الْخَاصِ وَإِنْ لَمْ تَحَاوِرْ أَفْقَ الْفَرْدَقِ الْعَامِ ،  
لَخَصَصْتَ الْمُنَاقَصَةَ فِيهَا إِلَى طَرِيقَةِ التَّوْحِيهِ إِذْ تَمَازَلْ كُلُّ مِنَ الشَّاعِرِينَ هَذَا الْحَادِثِ  
مِنْ جِهَتِهِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَسْ جَرِيرُ قَيْسِ عِيْلَانَ فَاحْتَالَ مَحْسَنًا ، وَذَهَبَ إِلَى بَاهِلَةَ رَهْطِ  
قَتَيْبَةِ الْأَدْبِيِّ يُرْمِيهِمْ ، وَبَعْلَلُ هَذَا الْحَادِثِ بَأْنُهُ ثَارَ ، فَلَا وَجْهَ لِلْمَصَبِ :  
أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسَيْلِمٍ      وَلَا أَنْ تُرْوَعُوا قَوْمَكُمْ بِالْمَلَامِ  
أَبَاهِلَ قَدْ أَوْفَيْتُمْ مِنْ دِمَائِكُمْ      إِذَا مَا قَتَلْتُمْ رَهْطَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ  
وَالْأَهَامِ مِنْ بَنِي مَنَافِرِ رَهْطِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ، وَلَعَلَّهُ يَرُدُّ بِذَلِكَ عَلَى قَوْلِ الْفَرْدَقِ :  
فَبِذَلِكَ قَيْسٍ فِي قَتَيْبَةِ أَعْصَمَتْ      فَلَا عَطَسَتْ إِلَّا نَاجِدِخَ رَاعِمٍ  
وَمَا كَانَ إِلَّا بِأَهْلِيًّا مُخَذَّعًا      طَعَى مَقِيَّاهُ مَكَّاسُ ابْنِ خَارِمٍ  
فَأَقْتَلَ عَبْدَ الْفَرْدَقِ لِلْحَلْعِ وَالطَّعْيَانِ وَلَكِنَّهُ عِنْدَ جَرِيرِ ثَارَ وَاسْتِقَامَ وَالتَّارِيخُ  
فِيهِ الرَّوَايَتَانِ مَعًا .

( هـ ) وَكَانَ مِنَ الطَّعْيِ أَنْ يَفْحَرَ الْفَرْدَقُ وَيَهْجُوهُ ، وَالْفَرْدَقُ هَذَا يَعْبُرُ بِقُوَّةِ تَيْمٍ  
وَحَزْمِهِمْ وَدَهَائِهِمْ مِنْهُ . طَانُولَتُهُمْ ثُمَّ يَفْحَرُ لِنَصَةِ أَخْوَالِهِ ، فَهُمْ مَعْفَرَةٌ مُضَرَّ الْخَمَاسِيَةِ <sup>(١)</sup>

(١) أُمُّ الْفَرْدَقِ دَهْدَهُ . هَذَا قَرِيبٌ مِنْ بَنِي الْبَلَدِ مِنْ بَنِي كُرَيْشٍ سَعْدٍ مِنْ حِمْيَرٍ — مِنْ دَهْدِهِ .

والناس بعد تميم وصبة حشوة ، ولتميم على قيس أيام عظيم الملاحم ، ماجدة الآثار ،  
 ثم يرى حريراً تعلقه قيس وأنه يرتشى منهم ، وليس من رؤوس تميم ؛  
 فما أسته من قيس فتصبح دونها ولا بين تميم في الرؤوس الأعظم  
 وإليك إدا تهجو تميماً وترتشى تامين قيس أو سحق العمام  
 كهمز يوق ماء بالقلعة وغرزة سرباً أثارت وياح السمام  
 وحريرو صبيح الأب فقير يرى الجداء التوائم الغريبة ، ومهما تعطه قيس  
 فهي ذليلة أداها تعلب بما قتلت من رجالها وصمت من سائها وانتهكت حرمتين .  
 ويعود إلى تميم ودارم ، دهم أمضى سيوفاً وأكثر عدداً وجريراً ليس من  
 تميم وإلا ما عاب على الفردق مدحهم ، والفردق أسها الصريح ووافدها في  
 اللوامس ، وسأته الذافع ، وأصلها أماً لا يبيع أعراض قومه رشوة قيس له ، ومن  
 مظاهر محمد دارم أن حاجب بن زُرارة لما أسر يوم جيلة اقتدى بألف بعير لأسره  
 ذى الرقبة انشبرى ، وللهذه من عبس مائة مائة مما فالاً من ثيابه ،  
 وأطلق له مائة من أسارى قيس كانوا في تميم ، وإلى ديوات اللؤلؤ ألف بعير فزادهم  
 حاجب مائة مائة ومائة أسير : —

وما علم الأقوام مثل أسيرنا أسيراً ولا أجدائنا بالكواظم  
 وأما صاحب الحدث مكاطبة فهو غالب من صمصمة واهل الفردق ولا يعلم  
 قبر أحمار ولا قرى في جاهلية ولا إسلام غيرهُ ، استعجارت به امرأة فردق عليها  
 أسها من بعث السد كان مع تميم بن زيد القمي ، وأصاب رجل من بني الأبيص  
 من محاسن دماً فسأل الناس فلم يعطوه شيئاً فاستعانت بقبر غالب فافتكه الفردق  
 بمائة مائة . —

إذا عجز الأحياء أن يحموا دماً أمانح إلى أجدائنا كل عارم  
 ترى كل مظلوم إليسا فرارهُ ويهرب ما خُده كل ظالم



أنت عمر أن يأخذوا أسيرهم      متين من الأسرى لهم عند دارم  
وظوا لسا : ريدوا عليهم فتيهم      نداء وإن كانوا نعم اللهازم  
رأوا حاجاً أعلى قد . وقومه      أحق بأبام الثلى والمكارم  
فلا تقتل الأسرى ولكن معكم      إذا أثقل الأعناق حملُ المكارم  
ومن الطعى ، إذا ، أن يعجز جرير قيس ، ومصر ، وبرنوخ ، وأن يهتجو  
دارما ومبة وتعب ، فعد أن اعتذر لاهلة رهط قنينة من مسم كما قدمنا انصرف  
إلى الفرزدق فأندره مغبة إثارته قيساً : -

تخصصُ يان القين قيساً ليجمعوا      لقومك يوماً مثل يوم الأرقام  
ويوم الأرقام هو يوم ( الحشاك ) لطلب على قيس قتل فيه تخير بن الحجاب  
لسلوى من رهوس قيس عيلان وذكره جرير فادعاه لقيس فيها يظهر : -  
إذا ركب قيس حيولاً مغيرةً      على القين يفرغ من خير يان مادم  
وفكرة الدم هذه قلب لما ادعى الفرزدق من بدم قنينة وقومه حيث يقول : -  
ندمت على البصيان لما رأينا      كما درى الأطواد ذات المحارم  
لقد شددت قيس ، كان مصرها      قنينة إلا عصها بالأبام  
فرد جرير الدم على الفرزدق ورهطه .

وكما ادعى الفرزدق أن قنينة كان شوماً على قيس عيلان إذ يقول : -  
فمحت لقيس نحة لم تدع لها      أبوقاً ومرت طيرها بالأشام  
فكذلك ادعى جرير ، على سبيل المواربة ، أن كلا من الفرزدق والأحطل كان  
شوماً على قومه والفرزدق يخصص قيساً ليبيدوا قومه والأحطل أنار الحجاب  
ابن حكيم السبي في حصرة عبد الملك فأوقع تغلب يوم ( البشر ) حتى شكاه  
الأحطل إلى عبد الملك :

وقيلك ما أخرى الأحيطان قومه وأسلمهم لسارق التلاحم  
 رؤسكم مسح الصليب إذا ده هلال الحرى واستمعوا بالدرهم  
 وكانت ساعات بومى : الحشك والشر مشابهة والثنى نقبس على تعلق .  
 وكما اصغر الفرزدق بصة أخواله وتسمي عمه ، تحد حريرا معر نقبس عيلان  
 أخواله<sup>(١)</sup> ويرفع إلى حدف - إلياس بن مصر - فيضيها إلى قيس عيلان ويدلك  
 يجمع فرعى مصر ويرد سه إليهما ، معنى ذلك أنه يعرف تيميا في حدف ثم يقرنها  
 نقبس لينتهى سبه إلى مصر من رار بن معذ بن عدنان . ثم لا ينسى رعاها  
 الأدبين يربوعا فيصمهم نارا دارم أو محاشع ، ليصتق على الفرزدق الحناق . وقد  
 صل ، نقبس أحمد أحمد : -

إذا حدثت قيس على وحيدف أخذت فصل الأكثرين الأكارم  
 أما ابن مروع الحد قيس وحيدف سوا لي عاديا رقيق الدعائم  
 وذلك كما جمع الفرزدق بين صبة ونعيم وجعل صبة معجزة مصر . وقيس كما  
 قال حرير ، أصل الرسول منها العوانك من سليم ، ومن العوانك آباء وأمهات  
 هاشم وأمية . وإذا كان الفرزدق يعد سبه أن تيم وواقداه عند المواسم ومحاميتها  
 فإن حريرا ، نظيرة ذلك ، يقف من مصر كلها هذا الموقف وهو حديث كافي  
 لا يقف دون غاية ولا يلين لغامز : -

لقد حدثت قيس وأفناه جندف على مذهب حارم دمار المحرم  
 فما زادنى بعد المدي قصص مرة ولا رق عظمى للضروس القواجم  
 ومذهب المناقصة هاهو المواره أو التنظير .

(١) سقطت كلمة اسم السابعة أم الأخت من ميسريوم وعم - له وعمره مصر وتعلقه -  
 راجع العائش من ٣ - ٤

ولما وصى العززدق جريراً بالنصرة والفقير ، وخر بحسب أبيه وحده صارقاً  
انظر عن دارم ومحاشع ، عكس جريراً الموصع فترك أناه - ها - ووقف عدد  
يربوع يُشيد :-

تراني إذا ما نلت من عُدَّتْ وأقديمتهم      ووصل الساعي مُسْفِراً غيرَ واحمر  
أأيام قومي ، ما قومك مثلها ،      بها سئلوا عني حذرَ الجرائم

وهكذا يتحاوران ، كل ينكيء حيث يجد مُتُكاً ، ويخرج حيث يجد  
منقذا .

ويعني جرير بذكر أيام قيس كما يرد ذلك في حبيبه . ويشير هذا إلى أن بيت  
جرير :-

وإني وقباً بانّ قين مُحاشع      كريم أصمتي مدحتي للأكارم  
نقص لقول الفرزدق :-

أدريسان قيس لا أبالك تشترى      بأعراض قوم هم ساءُ المسكارم

فلا أصفّئها لدارم أو صنة أو تطب      على أن مدح جرير لقيس يقابله مدح  
الفرزدق لعدس ريد مائة من تميم كما يلي .

وهناك مسألة العداة التي انتحرها الفرزدق إذا افتك حاجب من رُدارة  
نفسه يوم جبلة بما يربو على فدية للوك ، فلم يتركها جرير ثم دون أن يرد عليها  
طريقة التوجيه فقد صرّها جريراً بأنها دلة لدارم التي حصمت لتحكم ذي الرُقينة  
فيها فقال :-

إذا عُدَّتْ الأيامُ أحزيت دارما      وتُحريك بانّ القين أنام دارم  
أم تُطِرْ عَصّاً ذا الرُقينة حُكمه      ومُية قيس في نصيب الزهادم

(و) وهناك معنى طريف لمع به الشاعران هو صرقة الرومي ، وقصتها تقدمت  
آباً ، وقد تناول الفرزدق هذا المعنى معندراً عن نفسه يَتَّبِعُ سَيْفَ رِقَاءِ رِدهير  
ان جذبة العسى عن رأس حائد من جعر بن كلاب وواصداً أمام حرير  
واللهيها معاً فبست هذه الصرقة رافعة أمة حرير عن هوانه في كليب  
ولا تُكْسِبَتُهُ أَباً من دارم :

فهل صرقة الرومي جاعة لكم أنا عن كليب أو أنا مثل دارم  
كذلك سيف الهد تسو ظلماتها ويقطع أحياناً ماض التمام  
أما الأنثى فعذر يتمثل به العاخر المعترف بالنقص ، وأما مسألة الآباء فهي  
وضع معصرة أمام أخرى ، وإذا نظرت حرير بعصر «عنه» والفرزدق بأبيه  
أما حرير فقد اتسع في هذا المعنى وقرن به أموراً أخرى واستطاع أن يعيط  
به حصه ساعراً منه لأنه يُلقَى ممره ومصيبه على كاهل قبس ويترك الحق وهو  
أنه ، كأسرته ، لا يحسنون الصبر في المعاصم بل يعمدون إلى غتر الحيوان  
مواذمة أو يحسنون صنع الفئوس إذ كانوا قبيحاً :

أكلت قبيحاً أن ناسيف غالب	وشاعت له أحدىثة في المواسم
سيف أي رعونان سيف محاشم	صربت ولم تصرب سيف من ظلم <sup>(١)</sup>
صربت به عبد الإمام فرعيت	يداك وذالوا : تحدث غير صارم
ضربت به عرقوب ناب مصوءر	ولا تضر بون البيض تحت الفأغم <sup>(٢)</sup>
عنيف نهر سيف قين محاشم	رفيق تأخرات الفئوس الكرام

(١) أبو رعونان لقب محاشم ، واسم عالم هو الحارث بن عالم الرمي من قتلة العرب ذلك  
عالم من دهم وهو نازل على نسيان بن النضر من ماء السماء سأل لقب رعونان في انقاس من ٧٨  
(٢) مصوءر مكان للماء من عاتق أو الفرزدق وسحيم من وثيل الرياحي يرمو على -

وبالوقوف أمام هذه الصورة الجدلية ملاحظ أن الفرزدق لم يكرر الحادثة من اعتراف بها . وأن حريرا سكر على الفرزدق أن عمساً دست إليه سيفاً كليلًا ويرى أن عدوه لا وجه له ، وأن تمتلئه ورقاء من دهر لا سمعه ، فإسالة مسنة الصارب لا مسانة السيف ، ومردد الأمر أن قوم الفرزدق لا أصانة لهم في هذا الفن العلى الحمسى ، وأهم يحسون غمر السيف سيوفهم الكليلة كما يحسون صنع لقؤوس الكرازم .

ويظهر أن دس الحسين سني حرير والفرزدق صحيحة فعس قيسية يسرها انتصار حرير وهم أحوال سليمان بن عبد الملك ، ولكن هذا السب نواري حين شاعت الأحداث ، وحين أخذ الفرزدق يتمثل الأمثال ويتحدثها من رجال عيس أنفسهم . وقد ألح حرير بهذا المعنى على الفرزدق وطاف به من ناحيته ، وإن كان للفرزدق عذر فهو عذر نظري عالياً إذ لم يعرف للفرزدق سابقة حماسية .

( ر ) وبعد ذلك تواجها مسانة ( الأيام ) وقد تردد ذكرها أثناء المعركة والمجاء ، وكل يومه أيام قومه وحلفائه أما الفرزدق فقد ذكر يومى : ذى تحب لير يوع على عامر ، والوتيدات لنهشل من دارم على هلال من عامر ، ثم ذكر يوم المروث لير يوع على عامر ، ومثريق لسد من ريد مناة على عامر ، والسوبان تميم على عيس وعامر ، وعول لصة على كلاب ، والدقسية لتي مارن على سدير ، والحشاك لتغلب على قيس ومصرع قيسية لير يوع على ناهلة من قيس عيلان

وقد لاحظنا أن الفرزدق لم يذكر لدارم أياماً ذات خطر أو ألاماً مستقلة بها فاصطر أن ينوّه بأيام تميم عامة ، وصية أحواله ، وتغلب حلفائه ، أو يربوع خصوصه ، يصعبها أمام قيس عيلان كأنه يسى جريراً عن تميم ويدب يربوعاً في

نميم التي بتزعمها الفرزدق ، لذلك كان سليم الموقف أمام قيس ، وإن لم يعيظ  
جرباً من حبيب يربوع ، فقد شمله من جانب قيس عيلاً .

أما حرير فقد ذكر يوم سَمَوان لعمر على النعمان بن المنذر ، ويوم القوير  
لعامر على شيبان بن بكر ، ويوم جَسَّة الذي أسرفه حاجب وتقيط اسارذارة ،  
وعمر بن عمرو من دارم ، والحومان عمرو ومعاوية اساجون الكندي ، ثم  
يوم الفروقيين لعيس على سعد بن زيد مَناة وفيه لغترة قصيدة مشهورة ، ويوم  
الوَقِيط لسكر بن وائل على دارم وحطلة ، ويوم رَحْرَحان لعامر على دارم وفيه  
أسر مَعْبَدُ بن زُرارة وقداة لقيط أخوه .

ويلاحظ أن حريراً ذكر أياماً على دارم ، ولم يذكر أياماً ليربوع مع أنه  
واجد فيها ما يكفيه فخراً ، ولعله لم يشأ أن يُعيد ما ذكره خصمه منها ، فقد كان  
مشغولاً بنفس أكثر من نميم ويربوع خصوصاً لموقف المناقصة فأخذ يدافع عن  
قيس وبذكر أيامها رداً على خصمه ، والحق أن حريراً سَدَّ نفور قيس أمام  
الفرزدق خاصة ، فإذا واجه الأخطال اعتزَّ بنميم ، ويربوع ، وقيس ، ومصر ،  
والإسلام ودونه ، وكذلك عني الفرزدق بنميم عامة وبأخواله خاصة دون قومه  
الدارميين أو أكثر منهم ، فالتاعران حاولا التحليق في حوائسهم ، وأفق أوسع ،  
ومرّد ذلك السبحة والعصية اللتان عبتا بمواقف القنان الكبرى من الدولة أولاً  
وفيها بينهما ثمة .

( ح ) وفي التقيصين ملاحاة تدور حول معان شتى عن العجز والطمع  
متصلة بالأسباب والأحباب ، حفاً أو ادعاء ، اشترك فيها كلا الشعيرين  
فلم يباها .

فانفردق يعفر على حرير عحد قومه ، وأحلامهم ؛ ليس لهم كده .  
إلا بي هاشم وعند ماف ، وأهم هذى الناس من حيلة لأهم من مصر  
قوم الرسول : —

وما كان هذا السُّحْقُ حتى هدامٌ ، ساقه ، إلا منسل البهائم  
وهذا العفر لا يرد عليه حرير لأنه يسم فيه وإنما أدخله في العفر فليس  
إد كان عفر العفر حتى أكثره على فبس عيلان .

وهناك هجاء العفر حتى قيساً وكلياً فيحلف «لله لترياً» فبس السوارل ، وأن  
هوارن من قيس أحق أن تلوم نفسها<sup>(١)</sup> وأما سليم فلا تستحق عقابي ، وكلتاها  
من ديول قيس ليستا من صميمها بل أدل فروعها ، وآية شفاء قيس كلها أن  
تحتسب منى بان المراءة وتعرض لسي وهي عيوب كلها ، وأم قيس عامة عيبها  
ما أنزلنا بقتبة وما أنزلت تغلب بصير بن الحباب .

لقد كان محال العفر حتى عريصاً ما ترعم نيميا ، ووقف بها أمام قيس ،  
ولكن ماذا يفعل جرير ؟

يمدح قيساً لما علنا ، ولا يستطيع أن يهجو نيميا كلها كما هجا العفر حتى  
قيساً كلها ، وإدأ ، فلا بد أن يتسلل إلى العفر حتى فيصل إلى مجامع من دارم ،  
وهنا ينتقى بصاحبه مباشرة وقد فعل .

وهنا ينسول جرير العفر حتى بعنة معان مشهورة : حذفين أخته ، والفيون ،  
والعمر «زبير بن العوام» ، وقد بالغ جرير في هذه المعاني وشتم بها ، واعتمد

(١) وأصح مدح العفر حتى هوارن في الناس من ٤١٥ .

على خياله في توصيفها ، وإضافة عناصر أخرى ليست ، في الأعجب ، من التاريخ في شيء . ولنتناولها هنا مسألة مسألة أخرى كيف صورها حرير ، وهي مع مسألة السيف مشهورة في كتب النقد الأدبي بمصونها كل ما اعتمد عليه حرير في الطبء .

٣ ١ — مسألة ( جفت ) أحت الفرردق تقوم على قصة<sup>(١)</sup> خلاصتها أن عاباً حاور طلبة بن قيس بن عاصم بن زيدان ، فكانت ظمياء بنت طمة تحدث إلى جفت فاشتهى الفرردق حديثها وشفت أحت لينة فأخذ الفرردق الجبل الذي كانت جفت تصفق به لظمياء لتحي ، وغفلت له ثم حرك الجبل فجاءت ظمياء لاعادة فارتابت بالفرردق وهتعت وعادت إلى رحلها ، فلسمع بأمرها تجمع فتيان من مفاغيس من سعد بن زيد مناة من تميم فاستخرجوا جفت من خيائها ثم سحوها ليشتموا بها ولم يكن أكثر من ذلك . وكانت جفت امرأة عفيفة مسلمة سالمة<sup>(٢)</sup> .

وسكن حريراً بالغ في هذا الحادث واعتمد على خياله في خلق صور قبيحة شبيهة أشاعها في نقائصه وأدى بها للفرردق وأسرته :

أتمدح يان أقرين سعداً وقد جرى      لجمع فيهم طيرها بالأشام  
وتمدح يان أقرين سعداً وقد ترى      أديك منها واحياً غير سالم  
تبرئهم من كثر جفت بعد ما      . . . . .

(١) الفائق ص ٢٢٢

(٢) من أهم جدير بحث عمران بن مرة القرني ص ٦٨٢ نق : وسعد بن زيد بن سعد القرني ص ٥٥٥ ص



«إِنْ نَحْسِرْ جَمْعَ ابْنِ عَابٍ وَكَيْزَ جُنَيْرٍ كَانَ صِرَّةً لَارِمٍ  
ومعاً يقول الفرزدق في هذا : لم يقل شيئاً ، ولكنه تناول أسيرة حرير سجو  
هذا في غير هذا المقام ، ولما كان الفرزدق مدناً ومخاطب الخليفة لم يحرص لهذه المعاني .  
٢ - وأما مسألة القيون التي ألصقها جرير بمخاشع فذلك نسبة لعدم كمال  
لصعصعة بن ناحية بن عقيل يدعى ( جُنَيْراً ) فسبب حرير عاباً ، والفرزدق إلى  
القيون وشهر به في ذلك فقال : -

تَلَانِي بِسَبِّ الْقِيُونِ مِنْ حَيْثُ مَاتَهُ      وَمِنْ وَهَجِ السَّكْرِ سُودَ الْمُهَامِ  
وَإِلَيْكَ يَا ابْنَ الْقِيُونِ لَسْتُ مَانِعٌ      بِصُكْرِكَ إِلَّا قَاعِدًا عَمِيرًا فَاثِمٌ  
وهكذا يدعوه ( ابن القيون ) في عدة أبيات ، فإدنا انتهى إلى آخر القصيدة  
وحدثنا جريراً يقول في تمام هذا المعنى : -

فَقِيرَةٌ مِنْ قَيْنَ اسْتَلَى بِنَ جَدَلٍ      أَمَّا ابْنُهَا بَيْنَ الْإِمَاءِ الْخَوَادِمِ  
أما جدل فهو المخبر من سهل بن دارم<sup>(١)</sup> وقصيدة أم صفصعة بن ناحية بن  
عقيل وأُمُّ الْمَدْبُوءَةِ وَابْنَةُ كَسْرَى وَهِيَ لَزْرَارَةُ بِنْتُ عَدُسَ بْنِ دَارِمٍ فَوَهَبَهَا رُذْرَارَةُ  
لَابْنَةِ أُخِيهِ يَثْرِي بِنْتُ ابْنِ عَدُسَ وَزَوْجُهَا مَرْثَدُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَسَاعَاهُ ، أَحْوَهُ سَكِينُ بْنُ  
الْحَارِثِ ، فَكَانَتْ بِفَقِيرَةٍ جَمِيلَةٍ فَزَوَّجَهَا نَاحِيَةَ بِنْتُ عَقِيلَ عَلَى أَنَّهَا مِنْ عَدَدِ اللَّهِ بْنِ  
دَارِمٍ ، فَصَادَ حَرِيرٌ عَلَى الْفَرَزْدَقِ كَمَا رَأَتْ<sup>(٢)</sup> .

وهكذا نجد جريراً ينتهز فرصة تخرُّج الفرزدق عن ذكر السوءات ويرمي  
في سبه من ناحية جدته الكبيرى وأبيه القريب وذلك لأن جريراً كان يهجو  
وهو حر بعيد عن ساحة الخليفة ومواجهته .

٣ أما مسألة العذر بالزبير بن العوام<sup>(١)</sup> فأصلها أن الزبير بن العوام لما انصرف عن موقعة الجمل يُريد المدينة ، جاء رجل إلى الأحف بن قيس وعيم نعيم فقال : هذا الزبير ابن العوام قد مرّ آتفاً ، فقال : ما أصنع به ؟<sup>١٩</sup> جمع بين هذين من المسلمين فقتل بعضهم بعضاً ثم لحق بقومه ، فاستجار الزبير النعمان بن الزمام الجاشعي فهوى عمرو بن جرمور وقصيلة بن حابس ونعيم بن كعب السعديون فاتبعوا الزبير فلاحقوه بوادي السباع بين مكة إلى البصرة فمكروا عليهم الزبير حين رآهم فاهرموا ولحق الزبير ابن جرمور فقال له : أشدك الله يا أبا عبد الله ، فكف عنه ورجع الزبير ، فانصرف فصالة ونعيم ولزمه من جرمور فصاره في ليلة مقمرة حتى أغنى الزبير قطعه ابن جرموز فأدراه عن فرسه وأخذ سلبه وذهب به إلى علي بن أبي طالب فنصب علي<sup>٢٠</sup> للزبير لسوابق هذا وبلائه في خدمة الإسلام .

والزبير بن العوام قرشي من بني أسد بن عبد العزى من قصي بن كلاب ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، وإدأ قریش تنصب لاسمها على من غدر به من محاشع ، وهما بقع حرير مع قریش ويرمى محاشعاً بالمدر ويبلغ في هذا المعنى ما شاء مبالغة وتشهيراً حتى مكث القرزوق فلا يحجر حواناً ، وقد ردّد جرير هذا المعنى في نقائضه وجدد صفة محاشع يميز بها خصمه ، وفي هذه القصيدة يذكر هذا المعنى عبر مرة ويصله بقریش أصحاب الملك والدين :

رَأَيْتُكَ لَا تُؤَيِّ بِحَارِ أَخْرَجَتْهُ      وَلَا مُسْتَفِئاً عَنْ لُثَامِ الْمَطَامِرِ  
وَمَا وَجَدَ الْجَبْرَانُ حُلَّيَ مُحَاشِعِ      وَفِيّاً وَلَا ذَا مِرْقَةٍ فِي الْمِرْزَامِ  
وَلَا مَتَّ قُرَيْشٌ فِي الزَّبِيرِ مُجَاشِعَا      وَلَمْ يَحْدِرُوا مَنْ كَانَ أَهْلَ الْمَلَاوِمِ

وقالت قریش . ليت جارٌ مُحائِص <sup>(١)</sup> دعا شئناً أو كان جاراً ابن حارم <sup>(٢)</sup>  
 ولو جبلَ تبعيٌّ تناول جارٌ كم <sup>(٣)</sup> لما كان عاراً ذكره في المواسم <sup>(٤)</sup>  
 إذا نزلوا نجداً سمعتم ملامسة <sup>(٥)</sup> يجمع من الأعيان أو آل هاشم <sup>(٦)</sup>  
 أحاديث رُكبان الحجّة كلما <sup>(٧)</sup> تأوّهن خوفاً دمايات المسام  
 والواقع أن جريراً جلى في هذا المعنى ، وأحسن استعماله حتى أخرى <sup>(٨)</sup>  
 بحاشماً وأرضى قریشاً واكتسب عطفهم فكانوا يلتفون حوله أيما وجدوه  
 ويصرفون عن الفرزدق لهذا السبب ولغيره لأن قيساً كانت ربيعة من قديم  
 وكان ابن الرير يدعو ، فيما يقال ، إلى حكومة قرشية .

( ط ) بقى الخائب المعنى للشاعرين وسفرد له فصلاً خاصاً يتناول فن  
 النفايس كله ، وإما عقب هنا عما يتصل بهانين النقيضين ، فالعروف أن  
 الفرزدق من أسرة كريمة حبيبة عية شديدة البأس تمر من الطعام فشاً جاهلياً  
 شكاً حديد اللسان ألدّ الخصام ، رصين الأسلوب ، وأن حريراً من أسرة  
 فقيرة وإن كانت تميم الكبرى كثيرة العدد ، شديدة السلطان ، ثبت للفرزدق  
 في الهجاء وأسكت سائر الشعراء ، ومع ذلك فقد كانا فعل تميم ولم يكن الأحطال  
 من طرارها .

ويمكن أن يذكر للفرزدق في نقيضه هذه بعض الخصائص :—

( ١ ) كثرة العنون التي أطالت القصيدة حتى بلغت مائة وخمسة وخمسين

(١) ثبت من روى من روى من يروج ، وابن حارم هو عبد الله من حارم السلمي

صاحب خراسان .

(٢) تميم الزيات من عبد مناف من أدب طليحة من مصر . وادم مهندس النفايس

(٣) الأعيان من أمية الأكبر وهم العباس وأبو العباس والمص وأبو العباس .

يقاً - في حين أن قصده حرر أربعة وتمايوس نقاً - ساول فيها السيب ،  
والمدح ، والمجاء ، والفجر كما فصلنا ، بخلاف حرير فلم يجد وجهاً للمدح  
ولا للمالعة في ذكر فتية ولا إطرأ ، المحتاج فالأول تأثر والثاني مألأ أوليد على  
سليمان ، ثم أكثر العرزدق من ذكر الأيام ووصف الطبيعة والرحمة وذلك لم  
يشغل بال جرير .

( ٣ ) محاماة الأعوب ، وقوة الأسر ، لعلة الفجر عليه ، ولطمع العرزدق  
العليظ فكان لموصوعه وشخصيته أثر في ذلك ، وكان حرير أرق طبعاً ، وأشد  
سهماً ، فكان محاوفاً للدع وأسلوبه أسلس ومحاوفاً في السبب والاسباب ، فحس  
في أسلوب العرزدق صراحة حتى في السب

( ٣ ) وقد رأينا في عبارات العرزدق خروجاً على مألوف المحاماة فتورط في  
الخطأ والتعقيد وتنازع الإضافات والكلمات بسق غير مألوف<sup>(١)</sup> حتى عدت له  
أبيات شاذة عريضة ولملة إمام المتبى في هذا الباب .

( ٤ ) ، بسورط العرزدق في الداء كما فعل حرير ، ومرد ذلك أن العرزدق  
عسب عليه الفجر الذي يستمده من جانبه وأن جريراً عسب عليه الهجر ، والسياب  
الذي يستمده من خصومه ، مع دقة حسه ، وكثرة أعدائه فكان سفيهاً سائماً .  
وتبعاً لذلك نذكر لحرير خصائص قصيده الآية : —

( ١ ) فلة فتوه ، وقد بوهها بذلك من قبل وعظماه ، وبذلك فصرحت  
قصيده وكانت دون قصيدة العرزدق بكثير في المدد ويتصل بذلك إبحاره ووقوفه  
عدد رموس المائل .

(١) راجع الآيات ٢ ، ٩ ، ١١ ، ١٠٣ .

( ٢ ) رقة الأسلوب وسلامته ومرد ذلك طمع حرير ، وشدة تأثره بالإسلام ، وقد ظهر ذلك في باب السيب والمحاء حتى اكتسب شعراً شبيورة وشيوفا .

( ٣ ) وواضح أن حريراً يمتاز بالسبب خاصة اعتماداً على طعمه الإنساني قد سلك فيه مسكين ملك مستقل إبداعي ، وملك نقص به على صاحبه نسيبه الجليل المصطمع .

( ٤ ) وبإبراهه المحماء عند حرير تقابل قوة المعمر عند الفرردق وقد رأيت حريراً يتشبهت بملحة معان رئيسية معروفة .

( ٥ ) قوة لحة وقد اعتمد في ذلك على حقائق تاريخية ، وأحيلة ابتكارية صالحة وكذا . وإن قل الشعر كل ذلك .

( ي ) وخلاصة الدراسة يمكن إيجازها في اللفظ الآنية :

١ — أما السيب فكان جريراً فيه أحسن طبعاً ، وأصدق لجة ، وأقرب إلى الصواب ، وأرق أسلوباً ، سكس ، اصطمع الفرردق من وقار وجلال ، وحرير هو المبرز في هذا الباب .

٢ — وهناك فإن امرد بهما الفرردق هما مدح الخليفة ، وهما ، الحجاج ، فلا وجه للموارة وإدخاله في التقدير الفني إلا إذا لاحظنا أن الفرردق كان فيهما لفتاً لمراعته مقتضى الحال متأثراً بوحى موقعه

٣ — وأما ما دار حول قتيبه ومصرعه هذا امتار الفرردق نسمة أفعه ونسديد موقعه في السياسة العامة المتصلة بالخلافة وموقف قومه ، كما امتار حرير بأخذ محمد هذا الحدث لرهظه الأديين ، ونحن اعتداه لاهلة ، وهما يستويان

٤ — وكذلك نسواويان في المعمر لأن نرعة الفرردق إلى رعاة تيم ،

والاعتزاز بأبيها ، ونصه وسعد ، يوارى ما لقيس من أيام وما ليروع منها ،  
فحسن حيلة الفرزدق تعادل صدق جرير مع حرج موقه .

■ — بقيت معاني الهجاء التي تفرّد بها جرير وهو فيها موفق من غير شك .  
فإذا راعينا مقتضى الخلل سويتنا بين الشاعرين وإذا نظرنا إلى التقيضتين  
نظرة مستقلة وحدما الفرزدق أطول مصاً ، وأعلى غزراً ، وأسلم موقهاً ، وأكثراً فنوياً .

## - ٩ -

وهذه الطريقة يمكن دراسة التفاصيل كلها مع مراعاة خواص كل نقبصة  
وما يلابسها من مؤثرات ، ونتمثل لذلك بالإجمال ، وعلى الباحث أن يستمر في  
في درسه لعله واجد في ذلك مشقة لمزيدة ومحالا للفرادة استقلية والشعورية  
والذوقية جميعاً .

فإذا كان الفرزدق قد بدأ فيها درسنا واستطاع أن يملك ناصية الموضوع ،  
ويحيط بأطرافه ، ويأخذ على جرير مفايد الطرق ، فإن جريراً لما بدأ بالبائية في  
هجاء الراعي استطاع أن يملك ناصية الموضوع ويحتل المكانة الأولى فيه فلما أتى  
الفرزدق لم يستطع منه شيئاً ، فقد سب جرير وأطال ديبه ، وهى الفرزدق  
وقومه هجاء مرأ قبيحاً ، وفخر عليه بما أثر قومه ، ثم التفت إلى الراعي فأطال فيه  
وى بنى بمير الهجاء حتى أجهر عليهم وأسكت شاعرهم وصيرهم مثل السوء ، وعاد  
آخر قصيدته فلاً الدنيا غزراً ، وكان على الصوت مسيطرأ على موضوعه بالغا فيه  
الغاية حتى بلغت قصيدته مائة واثنى عشر بيتاً .

وأى الفرزدق فافتخر وهجا ووقف مع بنى غير ولكن لم يستطع أن يبلغ  
مبلغ جرير وكانت قصيدته سبعين بيتاً .

كذلك بدأ الفرزدق باللامية الأولى ورد عليه جرير وربما تكافأ في هذا

الموقف . وكان الفرزدق موقفاً في العاشية واللامية الثانية ، كما كان جرير موقفاً في  
الرائية التي رثى بها روجه ، ولولا خوف الإملال لعرضت عليك عيون النقائض  
في درس عربض .

— ١٠ —

والآن أترك نقائص جرير والفرزدق وفي نفسي منها أشياء إذ لم أقل فيها  
شيئاً ، وإن تستطيع الدراسة أن تظفر منها شيء أو تعرض ذخايرها القيمة النفيسة  
فمن شاء إدراك خطرها فعليه الاتصال بها مباشرة والعكوف على دراستها في  
صبر واحتمال .

أتركها وهي في حاجة سريعة إلى جهود جبارة لترتيبها وشرحها شرحاً لغوياً  
وأدياً وتاريخياً واجتماعياً واستغلال شروحها لدراسات شتى سياسية ، وأدبية ،  
وقصصية ، وتاريخية ، وكل ما أرجوه من هذا الفصل أن يكون دليلاً موجراً على  
ما في هذا الديوان الكبير الذي يعد من ذخائر الأدب العربي القديم .

# الفصل السابع

## نقائض جرير والأخطل

— ١ —

وهذا ديوان آخر للنقائض صغير ، نشره لأول مرة عن نسخة الأستانة الوحيدة الأب أسطون صالحاني اليسوعي ، وطبعه في بيروت بالطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية ، واستعان على ذلك بعدة مراجع ذكرها بعد المقدمة الفرنسية للتورخة أول مارس سنة ١٩٢١ م .  
وعنوان هذا الكتاب « نقائض جرير والأخطل » تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام . وآخره « ثم كتاب نقائض الأخطل وجرير ، الحمد لله كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

يحتوي هذا الديوان على :

- ١ — مقدمة في حرب قيس وتغلب وما اتصل بها من شعر بين شعراء اليمن وقيس وتغلب تفصله فيما بعد .
- ٢ — ثم نقائض جرير والأخطل وعددها عشرون نقيصة عرضها عليك في هذا الفصل ، ومعها نقيصة للمرردق .
- ٣ — ثم إضافات للناشر عن بعض أيام قيس وتغلب هي : الكحيل ، وذو بهدا ، والمذاب ، والرحوب ، وما كين ، والمظالي .



وسمى هارس لأسماء الرجال ، والقائل ، والأماكن ، والقوى ، والمراجع .

٢ - وفي صدر الكتاب الأيسر هذه المقدمة الفرسية التي أشرنا إليها .

وعدد صفحاته بما فيها القهارس خمسون ومائتان .

والأصل الذي نشر هذا الديوان على أساسه نسخة مصر الأوراق ، فصلا

عن فساد بعضها ، وكان أثر ذلك نقص في قصيدة الأخطل : -

لَا يَا أَسْمَى يَا هَدُ هَدَنِي بِدِرٍ وَإِنْ كَانَ حَيًّا مَا عَدَنِي أَحَرُّ الدَّهْرِ

واضطراب في ترتيبها .

كذلك غاب عما ، مصباح هذه الأوراق ، معرفة السبب الذي من أجله

أورد أبو ندم في هذا الديوان شعراً للفلاح النعلبي ، والمرقس الأكبر ، والزبان

الشيبي ، وعمر بن لؤي التميمي ، ولعل ذلك لصلته هذه الشعر بحوادث تتصل

بسير النقائص وتاريخها نستطيع معرفته فيما بعد .

## - ٢ -

أما ترتيب هذه النقائص فضطرب أيضاً كما نراه في لاخلال الدرس ، ومن

شواهد ذلك الواضحة أنه في الصفحة السابعة والتسعين بعد المائة نجد هذه

الكلمة ( تمت ) ثم يورد قصة النحام الأخطل وحرير ما فصل عليه الفردوق

في حصرة نشر بن مروان ، فهذا جرير الأخطل والفردوق ومن معها ، وذلك

معروف بأنه بدء هذه النقائص .

بدأ الكتاب بحديث الشارح عن قيس ونفيل وموفهما من بني أمية

وعيرهم بعد موت مصوية بن أبي سفيان ، وما كان من انتصار بني كلب ليريد بن

معاوية إذ هم أحواله ، فأنه متى سوت ملك من نخل ، وأحوها حثا من  
 ملك من نخل الذي قيل إنه ادعى الخلافة بعد موت معاوية أياماً ثم تركها .  
 وما إلى هذا الخ من قيس يعة يزيد وقت الحرب بين أمية وقيس فهلك  
 يزيد من معاوية في ربيع الأول سنة أربع وستين ، واستحلف ابنه معاوية بن  
 يزيد ، وأمه من بني حارثة بن جباب من كلب اليمية أبصاً ، وكانت خلافته  
 أربعين يوماً وكان يُكنى أبا ليلى وله يقول علي بن العدير القسوي القيسي  
 هذه القصيدة : —

تمزوا يا بني حربٍ يصير	فمن هذا الذي يرحوا الخلودا
لقد وارى قلبكم ثمانا	وجلباً لا كيفاء له وحوذا
حلافة ربكم كونوا عابها	إذا غمرت عناية أسودا
تلقفها يزيد عن أبيه	عدوكم معاوية عن يزيد <sup>(١)</sup>

وكان هذا الشاعر قد حصن يزيد على المايعة لانه معاوية بقصيدة أخرى : —

يزيدُ ابنُ أبي سميان هل لكم	إلى سناء ومجدٍ غير مُتصريم
إنَّ الخلافة إن تذبذبت لثالثكم	تثبت أواحيها فيكم فلا تريم
فألمن سالك الشورى مشاورة	إلا طعن وصرب صائب خديم <sup>(٢)</sup>

فهو يزيد هبايع لمعاوية ، فلما أدركت معاوية الوفاة قيل له : أوص  
 واستحلف ، قال : والله ما ذقت حلاوتها فأضلى عمرارتها ، إن بك خيراً فقد استكرمه  
 ل أبي سميان ، وإن بك غير ذلك فوافقهما أحب أن أرودهم الدنيا وأذهب دورها

إلى الآخرة ولكن ليُصلَّ بكم حسانُ بن مالك بن محدل أربعين ليلة وتشاوروا  
 في أسراكم وأستودعكم الله ، ثم مات وحسانُ بن مالك على الحُذَين : فلسطين  
 والأردن ، والصَّحَّاحُ بن قيس الفهري على دمشق ، والنُّعمان بن بشير على حمص ،  
 وسعيد بن مالك بن يزيد الكلبي على قُسرَين ، وعبيد الله بن زياد على العراق ،  
 فوثب كل جند على عاملهم<sup>(١)</sup> فوثب رفر بن الحارث على سعيد بن مالك فأحرجه  
 من قُسرَين ودعا إلى طاعة ابن الزبير ، وبايع النُّعمانُ بن بشير محمدا لابن  
 الزبير وحلح بن أمية ، واستخلف حسانُ بن مالك بن محدل رَوْحَ بن رِبَاعٍ  
 على فلسطين ولحق بالأردن ، ووثب مازن بن قيس الجَذَامِيُّ فيمن قومه من  
 جُدَامٍ ولحم يدعو إلى ابن الزبير وأخرج رَوْحَ بن رِبَاعٍ من فلسطين وبقى  
 الصَّحَّاحُ بن قيس بدمشق عاملا عليها يقدم رجلا ويؤخر أخرى بطور طاعة بني  
 أمية واشكر معاوية ، ويدسُّ إلى هذا الحى من قيس أن ابن الزبير أوى بالأمر ،  
 ثم هم أن يبايع لابن الزبير ، وهم مروان بن الحكم أن يكون رسول الصَّحَّاحِ  
 بالبيعة إلى ابن الزبير . ولكن عمرو بن سعيد بن العاص واسه عبد الملك دفعاه  
 عن ذلك وصحاه أن يدعو لنفسه ، فخذ مروان في ذلك ، وكان حسان بن مالك  
 أن محدل يطمع في الخلافة ، ولكنه أسلمها إلى بني أمية فلامه قومه من كلب  
 في ذلك ، كذلك وثب أهل العراق بمُتَيْدِ الله بن زياد فهرب من البصرة إلى  
 الشام ، وسجل عليه الشعراء ذلك<sup>(٢)</sup> .

وأما ابن الزبير فقد دعا لنفسه<sup>(٣)</sup> وأجلى بني أمية من المدينة إلى الشام ثم  
 حاول استرجاعهم إلى المدينة فأبى مروان بن الحكم وأحد يدعو لخصه ويطلع

(١) من ٦ وهذا أخذ من شرح القاسم .

(٢) تزييع الشعر السياسي للزبير ف ٢٧٣

(٣) قاسم حرر والأصل من ٦ - ١٠

في ابن الزبير، ونجد الصحاح من قيس وحنان من تحدل مريلا الحامية داعيتين  
إلى أمية ومعهم أهل دمشق وبو أمية، فذبت القبية والربيعة من قيس  
والبن فافوا الصحاح فقالوا: دعونا إلى بيعة ابن الزبير حتى إذا أحسك حرحت  
تريد هذا الأعرابي من كلب ليقلدها بنو أحنه! قال: فتريدون ماذا؟ قالوا:  
نصرف الرايات فتدل مرج راطط وظهر البيعة لأس الزبير، فعزل وأمدته  
القبية، ثم أرادته على أن يدعولعه فصل، والناس يؤمئذ على هويين  
زبيرى وتحذلى: -

وما الناس إلا تحذلى على أهوى وإلا زبيرى عصا فتزبرا<sup>(١)</sup>

وحاء مروان بن بابه ومعه كثرة يمانية وليس معه من قيس إلا ثلاثة نفر،  
فالتفوا مرج راطط فاهزمت القبية وقُتل الصحاح من قيس ومعه تسعة آلاف  
من قومه، فقال تمحروا من بخلة الكلبي يذكر قصة المزعج من قصيدة:

ويوم ترى الرايات فيه كذاها	عوايف طير: مسدير وواقع
من يك قد لاقى من المرج غبطة	وكان قيس فيه خاص وحادع
فلن يصب القبيى للناس راية	من الدهر إلا وهو حزين حاشع
ولما رحن بالصموف فاقبلوا	إليها فقل اليوم ما ختم واقع
وقلنا ملوا الأقوام عا وعسكم	عن الذين والأحاب كيف صاصع <sup>(٢)</sup>

فاحده زفير الحارث الكلابي القبيى وكان مع الصحاح ولكنه مح،

فقال: -

محرت ابن بخلة الحار بمشهد علاكه في المرج من لا تدافع

(١) خالص جريد والأحط من ١٢ • (٢) نفس المرج ١٤ •

عَلَاكَ مَهْ قَوْمٌ كَأَمِّكَ وَسَطْلَهُمْ      إِذَا الْحَرْبُ شُتَّتْ ، مُصَلِّبُ مَطَالِعِ  
فَإِنْ مَلِكُ بَارِعَا قَرِيشًا فَإِنَّهُمْ      نُحُونَا وَمَوْلَانَا الدِّسْ نُسَارِعُ  
فَأَيُّ فَيَاسِيَا وَأَمَّا مَا نَكُنُّ      لَهُ الْمَلِكُ تَعْنُ وَحَدُّ صَارِعُ<sup>(١)</sup>

كانت وقعة ابرج انتصاراً لابن علي قيس عيلان ، وطعراً للأمويين على  
الزبيريين الذين أوشكوا أن يظفروا بالنسبة العمة حتى من مروان بن الحكم ولا  
أبيه عبد الملك وعمر بن سعيد بن العاص . وكان عمر عمرو بن ملحالة الكلبي  
ثمانية اثنين لـ قيس وتعبيراً لهم بهر يتهم في هذا اليوم ، وكان قصص رفر له قائماً  
على تقطين : رمى عمرو وقومه بالحصى والحديدة ، وييل أن بني كلب أو النسيبة  
أجاب عن الملك ، وأنه في مصر ، وأن الزرع حوله قام بين حين قريبين ،  
وأن سلطان أحدهما معناه خضوع اليمن ودلتهم له

ويظهر أنه حدث جناء بين بني أمية وبني كلب النسيبة وكان ذلك على يد  
عبد العزيز بن مروان أخى عبد الملك فقام ابن حواسب بن قهظل الكلبي بمش  
على بني أمية بصرة كلب لهم ، ويبدو قيس عيلان من قصيدة :

كَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَبْلَ مَرْوَانَ وَابِيهِ      كَشَفْنَا عِطَاءَ لُوثٍ عَنْهُ فَأَنْصَرَ  
فَلَوْ كَسْتُمْ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ لَمْ أَجِدْ      خِفَاراً وَلَمْ أَعْدِدْ مَنْ أَنْتَصَرَ  
ضَرَبْنَا لَكُمْ عَنْ مِمْبَرِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ      عَجَبُونَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مِمْبَرَا  
فَلَا تَكْفُرُوا حَتَّى مَضَتْ مِنْ بِلَانَا      وَلَا تَسْخَرُوا مِمَّنْ دَلِيلِ تَحْبَرَا<sup>(٢)</sup>

فأجابه قصيد من عمرو الكلابي من قيس عيلان من قصيدة :

لَقِيَا بَنِي كَلْبٍ بِحِيلٍ مُعْصِرَةٍ      يُتَبَرَّعُ عَجَاجًا بِالسَّيْدِكِ أَكْدَرَا  
فَلَمَّا تَلَقَّى الْقَوْمُ وَاحْتَلَفَ الْقَصَا      وَقَارَعَ أَطْرَافُ الدُّكُورِ السَّوَارَا

سموتُ إلى قُرمٍ ولم أبلغ غيرَه      فأحبوه عَصَبَ الشَّعْرَتَيْنِ مُدْكَرَا  
وجالدهم بالمرجِ ساءَ أعزَّة      يزون السايَا مَكْرُمَاتٍ وَمَعْرَا<sup>(١)</sup>  
فكان نقص معيد الكلابي مكسوراً على الحملة المدعاة لكاتب على قيس  
في مرج راهط ومعها . ولعلَّ بن النذير الفتوى آيات قيمة في هذا الموقف يدعو  
فيها قيس عيلان قومه إلى ترك الحرب وتحب القتل وترك قريش نوس أمورها  
وتختلف فيما بينها على الملك :

وحلوا قريشاً تقتل إن ملكتها      لها ، وعليها برها وأناموسا  
فإن وسمت أحلامها وسمت لها      وإن عجرت لم يذم إلا كلامها  
فإن قريشاً مهلك من أطاعها      تنافس دُيا قد أحم انصرامها<sup>(٢)</sup>  
ولعله يريد دعوة قيس رهطه أن يوفروا أنفسهم من قتل لا فائدة لهم منه ،  
ويتركوا الزبيريين والأمويين ( وهم من قريش ) يقتلون في سبيل ديارهم ،  
ولا سبأ أن القيسية لا تستطيع الفوز بهذا الملك القرشي العتيق .

وفي يوم المرج قال رُفْر بن الحارث الكلابي قطعته المشهورة :

أرىني سِلَاحِي لَا أَبَالِكُ إِنِّي      أرى الحرب لا ترداد إلا تمادها  
أناي عن مروان بالقيب أنه      مفيد دمي أو فاطم من لسانها  
هي العيس متجاعة في الأرض مهرب      إذا نحن رقنا لمن الشانها  
فلا تحسبوني إذ تعيت عاقلاً      ولا تفرحوا ، إن جئكم ، بلقاءنا  
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى      وتبقى حرارات النعوس كما هي  
هي راكباً إنما عرست قنقن      كلاماً وحياً من عقيل مقالها

أَتَنَهَبُ كَلْبٌ لَمْ تَنْلَهَا رَمَاحًا      وَتَتْرُكُ قَتْلِي رَاهِطٌ هِيَ مَاهِيَا  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَقْبَتُ وَقِيعَةً رَاهِطٍ      فَرَوَانٌ صَدْعًا يَسْـُٔ مُتَنَبِّ  
أَعْدَايَ مَعِي وَأَنْ تَوْرٍ تَابِعَا      وَمَقْتَلُ هَمَامٍ أَمْسَى الْأُمَانِيَا  
وَلَمْ تُرَ مَنِي نَبْوَةٍ عَمِيرٍ هَدَى      فَرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِيَّ وَرَائِيَا  
عَشِيَّةً أُخْرَى بِالصَّعِيدِ وَلَا أَرَى      مِنْ لِقَومٍ إِلَّا مَنْ عَلَى وَمَالِيَا<sup>(١)</sup>  
فَأَجِدُهُ جَوَّاسٍ بِنَ قَعَطَلُ الْكَلْبِيَّ فَقَالَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَقْبَتُ وَقِيعَةً رَاهِطٍ      عَلَى رُفْرِ دَاءٍ مِنْ الدَّاءِ بِاقِيسَا  
مُقِيمًا نَوَى بَيْنَ الصُّنُوعِ مَحَلَّةً      وَبَيْنَ الْخُشَا ، أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَدَاوِيَا  
يُبْكِي عَلَى قَتْلِي سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ      وَذِيَّانَ مَعْذُورًا رَبُّكِي الْبَوَاكِيا  
دَعَا سِلَاحَ نَمِ أَحْمَدَ إِذَا رَأَى      سَيْوْفَ جَنَابٍ وَالْإِطْوَانَ لَمْدَاكِيا  
عَلَيْهَا كَأَسَدٍ الْغَابِ يَتَيَّانُ نَحْدَةً      إِذَا أَشْرَعُوا بِحَوَالِكُمَا الْعَوَالِيَا<sup>(٢)</sup>

قَامَتْ نَقِصَةُ رُفْرِ عَلَى حِمَاةٍ وَعَدِمَ سِيَانُ النَّارِ لِقَوْمَهُ ، وَمَا أَقْبَتُ وَقِيعَةً  
لِلرَّجِ مِنْ خِلَافٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلِيقَةِ ، وَاعْتَدَارَ عَنْ فَرَارِهِ بَلَى قَرَقِيسَا<sup>(٣)</sup> .

وَكَانَ نَقِصُ حَوَاسٍ شِمَانَةً بَرْفَرٍ ، وَسُخْرِيَّةً يَبْكَاثُهُ قَتْلِي قَوْمَهُ دُونَ نَارٍ ،  
وَبَدَعُوهُ سِلَاحَهُ نَمِ خَسَهُ أَمَامَ فَرَسَانِ الْكَلْبِيِّ .

وَمَا تَزَلُ رُفْرُ قَرَقِيسَا مِنْ أَرْضِ الْجَرِيرَةِ سَارَ إِلَيْهِ عُيَيْرٌ مِنَ الْحَبَابِ أَسْلَمَى  
فَجَعَلَ رُفْرُ يَنْبِغِرُ عَلَى كَلْبِيٍّ بِلَادَهَا فَيَقْتُلُ فِيهِمْ وَتَعْمُرُ كَلْبِيَّ قَيْسَا وَيَنْبِغِرُ عَمِيرٌ عَلَى كَلْبٍ  
الْبَادِيَةِ حَتَّى أَمَرَتْ كَلْبُ الْمَاصِرَةِ مُجِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ بِنَ بِحَدَلٍ فَسَارَ إِلَى مَنْ بِالْهَيْلِ

(١) م ٢٤ راجع معنى البيت الخامس في قصص جرير والفرزدق م ٧٨٦ .

(٢) قداس جرير والأحطل م ٣٦ (٣) المرجع السابق م ٢٤ هامش .

فقتلهم أحمير ثم اسع عمير من الخراب هزيمة حتى لحق قرقسيا ، وفان في ذلك حميد بن حربث :

أنا سيف الشيرة فاعمرهوني حميداً قد بدرت السَمَا<sup>(١)</sup>

فلم يزل الأمر يدورهم حتى قدمت الصلاة بين قيس وتعلب فدم وحر  
ان الحارث عميراً لتركه حرب أنمية إلى قتال الثرارة ، ثم ان تعلب قتلت عميراً  
يوم الخشاك<sup>(٢)</sup> .

وكانت أول طاهرة لهذه الحرب بين قيس وتعلب مناقصة بين الأحصـل  
التعالي وبين نُبَيْع بن صفار الحارثي القيسي قال الأخطل :

ألا يا أسلمي يا هذا عدت بني بدر وإن كان حيتانا عدى آخر الدهر

نسب فيها سبباً قصيراً بقلدياً فيه روح عنزة - ومنه القطامي - من قيام  
العداوة بين رهطى الحبيبين ، ثم تناول حرب قيس وتعلب وذكر دلة قيس  
وساطل تعلب على ما بين الشام والعراق ، وألب بعض بطون قيس وما نالها من  
سوء كعامر ، وسليم ، وعق ، وهالة ، وسواءة ، ومحارب ، وحشم ، وسلول ،  
وأخ على ان صفار بالهجاء ، وتاريخ هذه القصيدة بعد يوم الحثاك لذكره مقتل  
عمير بن الحذب ، وبعد الثرثار ، ولعل الثرثار الأول لتعلب على قيس .

لعمري لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راعية ، لسكر

ثم ذكر شذاعات حفت نفس وهجها هجاء مقدعاً وخصوصاً بنى المعلان ،  
وتمتاز القصيدة باخرالها ، وحسن السيق ، وانمعة السببية ، وذلك هو في الأخطل



وأحبه نعيم بن صعدر الحارثي القيسي مفاضة قصيدته :  
 ألا سئى هتداً بالنبي إلى البشير      وكيف تحييتها على الأذى والمهتر  
 وقد ألم فيها ببعض فتون :

سبب قصير بصرف عنه إلى الحرب وكما سب الأخطل بهسية سب نعيم  
 بتغلية ثم تركه إلى قومها . وعرض لما أصاب نعلب من قيس ، وخاطب الأخطل  
 وذكر خذلانه رهطه ، وأشار إلى مباليد الصاري وحب الأخطل ومن قتل مُمير  
 ثم شمع بما نزل بساء نعلب نكاراً وعوناً مقابلاً لذلك معدى صاحبه .

### - ٢ -

وبعد ذلك تفصلاً فصائد الفرقش الأكبر ، والسماح التغلي ، والزيان  
 الشيباني ، وعمرو بن لآي التميمي ، ليست من صميم فائس جرير والأخطل ،  
 يتظاهر بالشر النقائص أن مردها صغائر كانت بين بني تغلب وشيبان ، ولا بد  
 أن تكون هذه المقطوعات منصلة اتصالاً ما بموضوع الكتاب ولو اتصالاً فرعياً  
 كما رأينا في مقدمة نقائص جرير والفرزدق من شعر متصل بذلك ويعرى المباشر  
 عدم معرفة ذلك إلى فقد نص أوراق السعة الأصلية ، ومع ذلك فلا نذكرها  
 للاحطات الآتية عن هذه المقطوعات :

١ - هناك مفاضة بين السماح النعبي وعمرو بن لآي التميمي ، كانت أبيات  
 السماح في شأن بني الرئان الذين قتلهم بنو تغلب ، وكانت أبيات عمرو بن لآي  
 حين قتل بنو رهير .

٢ - هناك شبه مفاضة بين الفرقش الأكبر وبين السماح النعبي فيما كان  
 بين بكر وتغلب :

٣ - الزمان بن محالد تعتذر إلى بني عُثْر البكر بين فيمن أصيب منهم ،  
وهي تنتهي المقدمة ويبدأ النقائص بين جرير والأخطل

- ٤ -

١ - أول ما يتفانا من هذه النقائص حسب ماورد في هذا الديوان رائية  
جرير التي مطلعها :

أخذ على الحور قد يعلمون رداء التوك وأصهارها  
وقد تبين الناصر حقاً أنها ردء على نقيصة للأخطل فقدت ولم يبق منها إلا  
ثلاثة أبيات وردت في ديوانه وهي في حرب قبس وتغلب :

ولم أرَ ملحمة مثلها أيق لي أخبرك أخبارها  
أمر على نعل جائع وأشع للذئب إن زارها  
تركنا البيوت لأعدائنا وعون النساء وأبكارها<sup>(١)</sup>

بقول تركنا البيوت لأجل غزونا أعداءنا ، وتركنا النساء لاشتغالنا بالحرب  
عنهن . فقال جرير مناقضاً للأخطل :

تركتم لقبس بات الصريح وعون النساء وأبكارها  
على أن نقيصة جرير هذه ماقصة نقرنها أبو تمام ديابحتها<sup>(٢)</sup> ولست أدرى  
فصل صنعة اختيار النصوص غلبت على أبي تمام ها فحذف الديباجة أو لعله آثر  
الجزء الخاص بالمناقضة ، ومطلع هذه القصيدة كما وردت في ديوان جرير :

(٢) ديوان جرير لاصوي ص ٢٦١

(١) ديوان الأخطل ص ٣١

من الخليلطُ عداةَ الجنابِ ولم تقص شسك أوطارها  
 هجاءى مظلمها لفرردق وقومه فذكر يوم ( الزبير ) وحدث ( القيون ) له  
 وحادث ( حش ) في بني سعد ، وشؤم بني مالك أصل دارم ومحشم ، ثم ذكر  
 سائر الأبيات عدا قول جرير :

لحقنا بأنجسرَ والخومراي وقد مدّت الخيلُ إصغارها

وأما المعاني التي ألم بها جرير في نقيصته هذه غير ما سبق فهي فخره يوم  
 العبيط ليربوع على شبان أمر فيه بسطام بن قيس الشيباني ، وبأس قومه ، ثم  
 ذكر يوم الكعجيل لقيس على تغلب ، ويوم حرّة بني قيس وتغلب<sup>(١)</sup> ثم ألم  
 بلؤم تغلب ورجسها وقال آخرها :

ونحن ورثنا ، فحق الطريق ، جـواري عاد وآبارها  
 وأدعوا الإله وتدعوا الصليب وأدعوا قريث وأنصارها  
 فلو أصبح الناس مكرّناً عدى لقيس وخدع ما صارها  
 كفوا حرراً تغلب نصر الرسول وهم الأمور وإمرارها<sup>(٢)</sup>

٢ — ثم نقيصة الأخطل :

عما واسط من آراء صوى قتيئل فاجتمع الخريص فالصير أجمل  
 ينس في صدرها ، ويصف أثر فراق الأحبة في نفسه بصرة المدام ويستمر  
 في خرياته كما شاء له فيه الخاص ، وينصرف عن المذال ، ويصف الغلاة التي اجتسها  
 إلى خالد بن عبد الله بن أسيد الأموي شقيقه الصامرة حتى يمدحه هو وقومه ،

حتى يصل إلى غاب الأمويين لاطمئنانهم إلى القيسية ، ويهددهم بالانصراف عنهم ولا سيما بعد يوم البشير وما أساء فيه الجعاف إلى بني تغلب ، فمن : —

لقد أوقع الجعاف بالبشير وقعةً إلى الله عيها المتكلى والمعوّل  
بالا تنسيرا قريش غنلها مكى عن قريش فستار ومرحل

ولم يدكر الأخطل في قصيدته هذه جريراً ولا رهطه فاقصه حرير فقال : —

أجيدك لا يصحو الفؤاد المثلل وقد لاح من شيب عذار وميحل

وسب فيها سبه الرقيق القصير ، ثم أشار إلى سب الحرب بين قيس وتغلب

وقصة أم دؤب (١) وسكاه ابنها ليعمل الجعاف بهم : —

تكنى دؤبيل لا يرقى الله دمه ألا إغسا يكي من الذل دؤبيل  
حرقت أن ذات النفس ما تداركت من الحرب أيات عليك وكلدك كل

ثم حابه خصمه بما يحزبه ويسكته في الأخطل هو الذي أثار يوم الشر حين دخل على عبدالمليك بن مروان فوجد الجعاف رحكيم السامى عنده فغضب من ذلك وقال : —

الاسائل الجعاف هل هو ثائر قتل نصيت من سليم وعامر

فغضب الجعاف وجمع لتغلب ومكل يوم يوم الشر في قصة مشهورة (٢)

فلما قال الأخطل لعبد الملك في هيئته : —

أأمرتك الجعاف نعم أمرته بحيراركم وسفد البيوت تقتل

(١) راجع ديوان الأخطل من ٣٦ المائنة .

(٢) راجع ديوان الأخطل من ٢٨٦ .

قال جرير نلا خطل يوقع عليه سعة هذا اليوم : -

فإِنَّكَ وَالْجَحَافَ سَوْمَ تَحْصُهُ      تُرِيدُ بِدَاكِ الْمَكْثِ ، وَالْوَرْدُ أَعْجَلُ<sup>(١)</sup>  
سَرَى عَوْنٍ لَيْسَ كَأَنَّ عَوْنَهُ      مَصَابِيحُ فَيَهِنَ الدُّبَالُ الْمَقْتَلُ  
ولما كان الأخطل في نبيه قد قال : -

صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ ظُلْمَانٍ ظَانِي      هِنَ أَنْ خَلَّاسٍ طُعِيلٌ وَعَزْهَلُ  
مُخْرِبُهُ جَرِيرٌ فَقَالَ : -

لَقَدْ قَتَلَ الْحَجَافَ أَرْوَاحَ يَسُوءِ      يَقُودُ أَنْ خَلَّاسٍ هِنَ وَعَزْهَلُ  
فَأَحَالَ عَشِيقَاتِهِ أَيَّامِي ، وَسَيَّئَهُ هَزِيغَةُ مَكْرَاهِ .  
ولما قال الأخطل : -

فَسَدَّ نِلَ نَبِي مَرْوَانَ مَا بَالَ ذِمَّةِ      وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ مَا يَرَالُ يَوْصَلُ  
سَرُوقٍ لَهْ بَعْدَ مَا مَرَّ مُصْتَبِ      بِأَسْمَثَ لَا يَطْلَى وَلَا هُوَ يُفْسَلُ<sup>(٢)</sup>  
قال جرير : -

فَالَا تَعَلَّقْ مِنْ قُرَيْشٍ بِدَمَّةِ      فَلَيْسَ عَلَى أَسْيَافٍ قَيْسٌ مُقُولُ<sup>(٣)</sup>  
أَجَارَ نَوَ مَرْوَانَ مَسْكُ دِمَاهِكُمْ      فَمِنْ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ أَعْلَى وَأَفْصَلُ

(١) يقول أردت تأتي الحفاف ويطأه عكم ، ولكن وروده ، لكم كان أعجل .

(٢) بنووة لى مثل الحفاف الذى أساء إلينا يوم البشر بعد قتل لكم مصعب بن الزبير قتلته عبد الله بن ربيعة بن عتيان بن ثعلبة يوم جبر الطائفة مصعب قتل مصعب بن ربيعة قتلته . - راجع الأصل من ٦٥ و ٦٦ .

(٣) يقول الشاعر أى ليس عبد قيس موادة ولا عاهاء ، وممول مستعان ؟ وفى الحاشية : يقول إن لم تعلق بمول قريش حتى تأمن طيس لك عندهم جوار ولا موادة ولا قيا . - راجع الأصل من ٦٨ .

يعد عليه قوله فيعصبه أنه إذا لم تحمه قريش قلن يعجو من قيس عيلان ،  
فبالبه يدل على الخليفة أو على بني مروان وهم الذين حموا دماء بني نعب من  
قيس عيلان ، ثم ضم إليه الخليفة حين هدده الأخطل بالانصراف عنه .

وملاحظ أن حريراً كان في قيضته حس التقسيم وربما كان ذلك ناتجاً  
بالأخطل ومتاعه له بخلاف عائنه مع الضرورق فإن الخلط عندهم هناك واضح .  
ومن البدهي أن هاتين الفيضتين كانا بعد يوم الشر ، وعلى أثره اضطرب  
عبد الملك أن يصالح بين قيس وتغلب حقا للدماء ورغبة في استقرار الأمن الداخلي .

٣ - وقال الأخطل يهجو حريراً :

كذبتك عيبك أم رأيت يوماً يطير على الفلام من الرقاب خيالاً  
وكان نسيب الأخطل في ديارجتها موسوماً بمذاع النساء ، وضعت حلومهن ،  
وكثرة مطالهن ، وتعلقهن بالشباب دون الشيب ، ثم وصل النسيب بالمخر ، وأخذ  
بعد ذلك في هجاء بني كليب :

أبي كليب إن عني الداء قتل الملوك وفككا الأعداء  
وعناه هما أبو حنش قاتل شرحبيل بن الحارث عم امرئ القيس ، وعمرو بن  
كلثوم قاتل عمرو بن عبد ، أو هما كليب ومملهل :

وأحومها السفاح ظمناً خيلة حتى وردن جبا الكلاب مهالا  
يشير إلى يوم الكلاب الأول<sup>(١)</sup> ويستمر حتى يصل إلى حرير فيقول :  
فأترن قومك يا جرير وغيرهم وأبرن من حلق الرقاب جلالاً  
وطحن حائرة الملوك بكل كل حتى احدين من السماء سالاً  
حرر الميون إلى رياح مدما جعلت لصبّة بالسيوف طلالاً

(١) قاتل حرير والأخطل ص ٢٤ .

وهذا الوصف - خرد العيون - حله حرير سمة تطلب في أهاجيه ثم يذكر  
يوم (إراب) لتصب على رجوع زعامة الهديل من هيرة التظلي<sup>(١)</sup> حتى يقول  
هدير اليزين اللذين تمتل مها يريد من هيرة لفرزاري بالكوفة وبنت الحكم  
ابن عبدل :-

ما إن تركن من لحواسر مقصراً      لا قصمت إيساقها حلقلاً  
ولقد عطفت على فرارة عطفاً      كز السبع وحس ثم بحالا  
ثم يصن بفجره الزائع إلى الشرعية انتصب على فيس<sup>(٢)</sup> و يوم حراري<sup>(٣)</sup>  
ولقد جشمت جرير أماً عاراً      ومنحت سودة أنك الجهالاً  
فانق مصانك يا حرير فاعسا      متك منك في الخلاء صلالاً  
وانهى القصيدة بتفصيل دارم على رجوع  
فأحابه حرير :-

خى العداة برامة الأطلال      رسماً تحتل أنه فاحالا  
ووصل نسيه بهاء تطلب استطراداً ، ثم أنهى على تطلب بالمعاه من  
ناحية الدين فقال :-

عبدوا الصليب وكذبوا محمد      وبجبرئيل وكذبوا ميكالا  
لا تظنن - مؤولة في تظلي      فالزبح أكرم مهم أحوالا  
وهذا البيت هو الذى أثار ثائرة الزنوج حتى هجا حريراً منهم ستيح من  
رياح مولى بنى ناجية<sup>(٤)</sup> وبعده هذا البيت السائر فى هجاء بنى تميم :

(١) نهر العاصر ص ٧٨      (٢) ص ٨٠ ومثله تطلب يومنا : الترنار الأول والمشاك  
(٣) نسيه ص ٨٩      (٤) نسيه ص ٨٨

والتعليق إذا تفتح للفري حاك أنه وتشتل الأمثالا  
أسيت يومك بالجزيرة بعدما كانت عواقه عليك وبالا  
حدث عليك حمة قيس حيلها شعثا عواس تحمل الأطلا  
مارلت تحسب كل شيء مدهم حيلاً تشد عليكم ورحالا  
ويهبجو أم الأحطل ، ويذكر يوم البشر لقس على تطلب<sup>(١)</sup> ويأخذ في  
القمر بقوه وتعالى إلى خندق وبضيف إليها قيساً ويدكر يوم دى مهدا ليربوع  
على تطلب أمر فيه الهدبل التخلي<sup>(٢)</sup> ثم عا ط الأحطل فقال : -

ولقد عطفت على حيفة عطفة يوم الأراك كثر فاشترن أنا لا  
ولقيت ربوعاً ففردت مسك يفار قسلى ما نطبق زوالا  
ويستمر في هجاء تطلب حتى يصل إلى محاشع فيهبجوها بهذا الأسلوب  
العجيب . -

أوحذت فيما غير عذر مجاشع وعمر جعثن والزير مقالا  
إلى القوي قد أير مريرها لى فدو كس إذ حدعن عقللا  
لولا الحزى قيس السواد وتطلب في اللين فكشتم أنالا  
٤ - وقال الأحطل يمدح عبد الملك بن مروان ويهبجو جريراً وقبائل  
قيس عيلان : -

عشم عليا آل عيلان كلكم وأى عدوة لم نبته على عشم  
هكذا ورد مطلع القصيدة في شرح النقائص ، وقد استظهر الشاعر عدم ترتيب  
أبياتها ترتيباً طبعياً<sup>(٣)</sup> ومع ذلك فليس ترتيب الأصل وسبه على النظام الصحيح ،

(٢) قيس الرحم ص ٩٣

(١) نقائس جرير والأحطل ص ٩١

(٣) داحم الحاشية ص ٩٧



فقد بدئت بالفجر على فئس عيلان وبوم راعط إذ كان شو تغلب مع مروان  
 فافتحر بالأخطال بذلك<sup>(١)</sup> ومدح أمية بمثل قول الأحنط : —  
 أهلوا من الشهر الحرام وأصحبوا موالى ملك لا طرب ولا غضب  
 ويظهر أن مطبخ القصيدة هو البيت الثاني عشر :  
 لعمري لقد أمرت لالكيل عاجر سائمة الخدين طاوية القرب  
 ويصف لباقة والسبر ، ويعود فيمدح عبد الملك مستطرداً منحصراً حتى  
 ينتهي إلى قوله : —

وقد حمل الله الخلافة يسهم لأيس لا عارى الجوان ولا جذب  
 واحسن أراك لله موضع حفا على رغم أعداء ومهادنة كذب  
 ويعود إلى حرب فئس وتغلب فيذكر يوم الثرثار الأول وقتل ابن الخيس  
 التعللى الحادث من طام المري في الجاهلية بأمر الهام بن المذر<sup>(٢)</sup> : —  
 له مري لقد لاقت سليم وعلم على حارب اثرثار راعية اتكر  
 وسهجو به كليب وذكر الشارح هامه وأم الباقه<sup>(٣)</sup> ويحتملها بقوله : —  
 يقولون : دبت يا حريز وراة ما وليس حريز بالهامى ولا الصليب  
 فأحاه جريز : —

أصبح ، أليس اليوم منتظري صحتي نحبي رسوم الخلق من دارة الجلب  
 نسب وافتخر في أولها ماشاء ، ثم انتفت إلى الأحنط فقال : —  
 لملك يا حبيب زير تغلب فاجر إذا مضى منها نساى شو الحرب  
 إذ صدعت قيس وحيدى بينها عصا الحرب مأوصت فيهما مع الكرب

(٢) من قصه ١٢

(١) فئس المرجع من ٩٨

(٣) من ١٠٨ وقائض حريز والقمر ردى من ٢١٨

ثم نقص على خصمه ما ادعاه في يوم المرج صال : —

ولو كنت مولى الجسر أيام راطر      شمت، ولكن لا يدى لك بالشعب  
وإن لنا غور البلاد عليكم      وماحة تحدي الطوال من المصعب  
ستعلم ما يعنى الصليب إذا غدت      كتاب قيس كالمعدة الجرب<sup>(١)</sup>  
ونقص عليه يوم الشرعية، وعرضة دون الفرزدق، وحتم نقيضه بقوله :  
قمة حرب للنصارى وديهم      وأسى الكرام العالون وهم حربي  
• — وقال الأخطا : —

حي القطان إذ رحل بكورا      رؤيتين قد رعن خدورا  
فلب ووصف ناقه مسرعاً، ثم التفت إلى حرير قال فيه .  
جلبت كليب للرهان مكداً      عند الحطاط مستقاً مغدورا  
وبعد أبيات راه بمصل عليه الفرزدق ورهطه :

لما جرى هو والفرزدق لم يكن      رفاً ولا ليدى المئين صورا  
يجرى له عدس من زيد بالقفا      وجرى بصقعة الوئيد تثيرا  
قوم هم سقوا أبك إلى الملا      جرباً وصرت مخففاً محسورا  
أرعت أن سي كليب سادة      فبحاً لذلك معشراً مذكورا<sup>(٢)</sup>

ويجده هزيمة قيس يوم (الحشاك) وقتل عمير بن الحباب السلمي وفرار  
زفر من الحارث مهروماً والتجائه إلى قرقيسية تاركا ساء هولون بغير  
حام ولا غيور، وبأسر حده الخطي يوم (إراب) أسر أهديل التخلي  
ثم من عليه .

فأجابه حرير .

رحل الخيطُ ورايلوشُ سُكورا      وحيتَ بينهمُ عليكَ بيرا  
فأطالَ السببَ ثم اقتصبَ القولَ إلى الأخطلِ ومساعدته الفرردقُ فقال :  
وعوى الأحيطلُ للمردقُ مُحيدا      هتارعا مرسَ القوى مشرورا  
وُحدُ الأحيطلُ حينَ شَمَّهَ التما      حِطَماً إذا اعترمَ الجيادُ عثورا  
وبعجر سعه ، وعصر ، فهم :  
الضاربونَ على النصارى حَزِينَةً      وهذَى لمن نبعَ الكتابِ وبورا  
اللهُ فصلما وأخرى تَغْلِبُها      لن تستطيعَ لما فصى تَغْيِرا  
وإذا وَطِئْتُكَ يا أحيطلُ وطاة      لم يَرَجُ عَظْمُكَ مَذَهَنٌ جُهورا  
أفيا لصلبِ دمارِ ترسٍ سَتَقِي      شهاءَ ذاتِ كتابٍ جُهورا  
ثم هجا تغلب وساءم هجاء فاحشا حته قوله :

قَبَحَ الإلهُ نُسَيْتَةً مِنْ تَغْلِبٍ      يَحْمَلُنَ مِنْ قِطْعِ الْعَبَاءِ خُدُورا  
لم يَحِرْ مُذْ حُلِقَتْ عَلَى أَيْبَاهِها      ماءُ السِوَالِكِ وَلَمْ تَمْسُ طَاهُورا  
إِما مَسَدَقُ بِالَّذِي قُلْنَا لَكُمْ      وَيَكُونُ قَوْلُكَ يَا أحيطلُ رُورا<sup>(١)</sup>

٦ — وقال الأخطلُ يهجو قبياً وزُقَرسَ الحارثَ ويدكر فراره يومَ الرّج

ويفتخر بقومه وبصبرهم في ذلك اليوم :

أَعَادَلَ مَعَهُ قَوْمُ الْحَرْبِ قَوْمِي      إِذَا رَأَى الْمَلِئَاتُ الْكِسَارُ  
رَبِيعَةً حِينَ تَحْتَلِفُ الْعِوَالِي      وَمَا لِي إِذْ مَدَحْتُهُمْ ائْتَهَارُ

و يستمر في فخره بالكرم ، والشجاعة ، والنحدة حتى يقول :  
 شِعيتُ النّس من أشراهم نيسٍ      وذلك عكّ من قيسٍ حُدرُ  
 أدانوا من أمتهم وذاقوا      فكيف رأيتنا صربا وصاروا  
 لعمر أيبك والأبواء تنهى      لقد مجّأك يارقرُ الفرار<sup>(١)</sup>  
 وهكذا حتى يذكر بُحَيْر بن الحارث بن عباد وقتله يوم ( واردات ) بيد  
 مهمل وكان ذلك اليوم لتعلب على بكر في حرب التّوس .

فأجابه حرير :

أتذكرهم وحاجتُك أدكارُ      وفكّك في الطمان مُستدرُ  
 فماسب غرير بوع وهو ارسهم ، ونفس وحده ، ويلحق الفرردق بالصاري :  
 لقد لحق الفرردق بالصاري      ليصرهم وليس به انتصارُ  
 ويسعد للصيب مع الصاري      وأفلح سهما وسا الحيار  
 ولاح على الفررق وقومه حتى يحتم قصيدته قوله :

ع—د رتم بالزبير وما وفيهم      فداوين بيت لها جوار  
 ما رصبت سمككم قريش      وما بعد الزبير لها اغترار<sup>(٢)</sup>  
 ٧ — وقال الأسطل :

ما زال فيما رباط الخيل مُضغاً      وفي كليب رباط الدّلّ واما  
 اسرلين يدار الدّلّ إن نزلوا      وتستريح كليب محرم الدار  
 ويهجو حريراً وقومه حتى يقول :  
 قوم إذا استمع الأصياف كلهم      قالوا لأهم : مولى على الدار

(١) مائة حرير والاحط من ١٢٧

(٢) المرجع السابق من ١٣٩

لا يَشْرُونَ بِسِلَاحِهِمْ إِذَا قُتِلُوا وَلَا يَكْفُرُونَ يَوْمًا عِنْدَ إِحْصَارِ  
هَذَا كَعَيْنٍ مِثْلًا يَوْمَ الْمُحَاضِرَةِ كَمَا كُنَّا مَعَهُ يَوْمَ ذِي قَارِ<sup>(١)</sup>  
ويوم ذِي قَارِ لَمَسَكَرَ شَاصَةً عَلَى الْأَعَاخِمِ ، وَمَذَكَرَ يَوْمَ الْكَلَابِ الْأَوَّلِ  
وَمَوْقِفِهِمْ فِيهِ ، وَأَنَسَ قَوْمَهُ دَكَرَهُمْ ، وَسَعَرَ حَرِيرًا نَمَهُ .  
فَأَجَانَهُ حَرِيرٌ :

حَبَّوْا الْقَدَمَ وَخَيُّوا سَاكِنَ الدَّارِ مَا رَكِدَتْ تَعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ إِسْكَارِ  
حَقِّ إِذَا نَسِبَ انْتَقَلَ مَقْصِبًا إِلَى الْفَعْرِ بِقَوْمِهِ مَوَارِدَةً لَمَسَرَ الْأَحْطَلِ  
وَبِأَسْلُوبِ كَأَسْلُوبِهِ :

قَوْمِي نَعِيمٌ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمُ يَسْعَوْنَ تَعْلَبُ عَنْ مُجْبُوحة الدَّارِ  
السَّارُونَ إِلَى لَمْ يَرْجِعْ قَلْبُهُمُ وَاللَّامُونَ بَلَا جِلْفٍ وَلَا حَارِ  
وَبَشِيدَ بَذَكَرَ قَبَسَ وَقَرِيشَ وَمَصْرَ ، ثُمَّ يَقُولُ :

مِثْلُ فَوَارِسُ ذِي تَهْدَا وَدَى عَجَبٍ وَالْمَعْلُومُونَ صَبَاحًا يَوْمَ ذِي قَارِ<sup>(٢)</sup>

وَوَجْهَ انْتِخَارِ حَرِيرِ بَدَى فَارَ يَرْجِعُ إِلَى فَوَارِ الرِّيسِ بْنِ عَتِيبَةَ الْإِبْرَاهِيمِ  
مِنْ سُلَاطِمِ بْنِ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ مَعَهُ مَا أُسْرُهُ ، ثُمَّ رَدَّهَ إِبِلًا مِنْ رَيْصَةٍ عَلَى  
قَوْمِهِ بَدَلًا مَا أَحْذُ سُلَاطِمَ ، وَيَذَكَرُ رَجَالَاتِ قَوْمِهِ وَمَا تَرَعَهُ ، ثُمَّ نَأْخُذُ فِي  
هَجَاءِ تَغْلِبِ :

يَا حَزَرَ تَعْلَبَ إِنِّي قَدْ وَصَحْتُكُمْ عَلَى الْأَنْفِ وَسُومًا دَاتِ أَحْبَابِ  
مَا فِيكُمْ حَكْمٌ تَرْضَى حُكُومَتَهُ فِي السَّلَاحِ وَلَا مَسْتَشْهَدِي شَارِ

ويَحْتَمِ القصيدَ مبعأ، ثم الأخطال، فكانت تقيصته موارنة لقصيدة الأخطال  
في موضوعها، وتقسيمها، وممانيتها.

٨ — وقال الأخطال :

حَفَّ الْقَطْبَيْنُ وَرَاحُوا سَكَاؤُكَ وَكُرُوا      وَأَرَاءَ بَجْتِهِمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا عَيْرُ  
وَأَحَابَهُ جَرِير :

قُلْ لِلدَّيَارِ سَقَى أَهْلًا لَكَ الْغَطْرُ      قَدْ هَمَّ شَوْقًا فَلَا تَنْفَعُ الدَّرَكُ  
وستفرد لها دراسة خاصة.

٩ — وقال الأخطال :

نَسَّ الْفَوَارِسُ عِنْدَ مَخْتَلَفِ الْقَنَا      عِدْلًا الْخَمَارُ مُحَارِبَ وَسَلُولُ  
ورمى هؤلاء باللؤم والضعف وفصل عليهم قومه :

وَإِذَا تَرَأَيْتَ الْقَسَائِلُ بَاتِمَا      فَمُحَارِبُ عِدْ أَهْبَاجَ دُولُ  
رحف الأرقام بالخمار لوردها كالسيل سال نأطحيه سيول<sup>(١)</sup>

وكان المبعأ هنا مقصوراً على هذين الحين من قبس عبلان .  
فأحابه جرير :

وَدُعْ أَمَامَهُ حَانَ سَكَاؤُكَ رَحِيلُ      إِنْ الْوَدَاعَ مِنَ الْحَبِيبِ قَلِيلُ  
سبب فيها ووصف رحلته إلى الخليفة :

اللَّهُ طَوَّقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى      وَاللَّهُ لَيْسَ لَهَا قَضَى تَبْدِيلُ  
وَلِي الْمَكَارِمَ وَالْخِلَافَةَ أَهْلَهَا      فَتَمْلِكُ نَفِيعُ وَالْعَطَاءُ حَزِيلُ

ثم التفت إلى الأخطل فجاء مكديه وقص على نعلب تيمبا ، ورمهم بالكفر  
ونبذهم بالجزية يؤدونها للسمين ثم يقول :

إن السوء والخلافة والهدى      رسمٌ لتعلب في حياة طويل  
عاقبتكم سبل النبوة فاحضنوا      بحرّى الخليفة ، والدليل ذليل  
ثم يعجزه بأمر الهذيل بن هيرة العلوي ، أسره وأرسله من السين يزيد  
ابن حديفة السعدي يوم دى هدا في بلاد بني صبة : —

مادا ذكرت من الهذيل وقدشتا      فينا الهذيل وفي شواد كهول<sup>(١)</sup>  
ثم أخذ ينقص على خصمه معاينة المتصلة بغيس وأرهاطها فقال . —  
ولقد شغنى خيل قبس منكم      فيها الهذيل ومالك وعقيل  
يشير إلى يوم الكحيل<sup>(٢)</sup> .

لولا الخبيفة يا أخيطل ما نجما      أيام دجلة شياوثة الماكول<sup>(٣)</sup>  
كذب الأخيطل ما لنسوة نذاب      حامى الدمار وما يمار خليل  
ثم سحر بفجر الأخطل بالأرافم<sup>(٤)</sup> فسأله أين كانوا يوم الرحوب (الشر) :  
أين الأرافم إذ تجرّ نساءهم      يوم الرحوب محارب وسلول  
أساؤهن أقل قوم حرمة      عند الشرب وما هن عقول  
إلى أن يقول :

أهلك قومك إذ حضت عليهم      ثم انتهت وفي الصدو دخول<sup>(٥)</sup>

(١) من المرجع من ١٨١ . (٢) خاتم حرر والأخطل من ١٨٥ .  
(٣) يشير إلى أن عبد الملك أمر الوليد ابنه أن يحمل دماء قبس وسب تهمة الحالة ، وأن  
يقتل الحجاب قتل يوم البصر من ١٨٦ .  
(٤) من ١٨٧ حاشية ٤ .  
(٥) من ١٨٨ حاشية ٥ .

وَيَحْتَمِلُهَا مَهْجَاءُ الْأَخْطَلِ وَقَوْمِهِ .

١٠ — وَقَالَ الْأَخْطَلُ .

لَقَدْ حَارَيْتَ يَا ابْنَ أَبِي جَرِيرٍ عَنُومًا لَيْسَ يَنْظُرُكَ الْمَطَالَا  
نَصَبَتْ إِلَى بِلَاسِكَ مِنْ مَعِيدٍ قَلْبِي أَوَانِ تَدَحَّرُ الضَّالَا  
وَيَتَعَالَى عَلَّ يَرْبُوعٌ ، وَيَرْمِيهِمُ بِالْمُحْوَانِ ، وَنَسَوْتَهُمْ بِالرَّجَسِ وَالْمَجُورِ .  
فَأَجَابَهُ جَرِيرٌ : —

أَجَدَّ الْيَوْمَ حَبْرَتُكَ احْتِمَالًا وَلَا نَهْوَى نَذَى الشُّرَّ الزَّيَالَا  
وَبَعْدَ مَا نَسَبَ اقْصَبُ الْكَلَامِ إِلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ : —

رَأَيْتُكَ يَا أَخْطَلُ إِذَا جَرَيْنَا وَحَرَّتِ الْفَرَاةُ كَسَتْ قَالَا<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ مَحَسَّ الْفَرْدُوقُ بَعْدَ جَهْدٍ قَالَتْ الْقَوْسُ إِذَا كَرِهَ الضَّالَا  
وَيَرْبُوعٌ تَحْمِلُ فَرَا الْوَابِي وَتَنْتَفِيزُهَا عَمْدًا طَوَالَا  
فَنَحْنُ الْأَضْلَالُونَ فَأَيُّ يَوْمٍ نَقُولُ : التَّغْلِبِيُّ رَجَا الضَّالَا  
وَبَعَثَ شَمِيمٌ ، وَحَدَفَ ، وَيَلْتَمِعُ إِلَى تَغْلِبِ :

لَقِينِمُ مَا لِحَزِيرَةِ خَيْلِ قَيْسٍ قَلَمٌ : مَا دَرَسَ رَحِمَ لَا قِتَالَا  
فَلَمْ أَرِ خَيْلَكُمْ صَبْرَتْ غَلِيْلَى وَلَا أَغْنَتْ رَجَالَكُمْ رَجَالَا  
وَيَصُورُ آثَرَ الْخُرُوقِ الْأَخْطَلِ وَأُمُّهُ تَصَوِّرُ قَيْسًا ثُمَّ يَقُولُ : —

تَقْلُوتُ مَا وَجَدْتَ أَبَاكَ بَيْنِي فَأَمَّا الْخَلْدُوقُ فَلَنْ تَسَالَا  
لَقَدْ لَاقَ الْأَخْطَلُ خَيْلَ قَيْسٍ فَأَبْرَحَ خَيْلُهُنَّ بِهِ وَمَطَالَا



أَعْلَى الْعَلِيَّةِ لَا تَطْلُعُهَا فَلَا دِيَا أُصْنَتْ وَلَا جَهْلًا  
وهو ينتهي هذه النقائض العشرون التي دارت بين جرير والأخطل خاصة  
ويلاحظ أن الأخطل كان النادى، فيها وكانت مهمة جرير الرد والنقص،  
ويلقانا بعد ذلك مناقصة ثلاثية بين جرير والفرزدق والأخطل،

— ٥ —

قنّا فيما مضى <sup>(١)</sup> إن الأخطل لما بلغه نهاجي جرير والفرزدق رُسل إليه  
مالكا إلى المراق بآتيه محرمها، وكان من ذلك أن فضل جريراً على الفرزدق،  
فلما وفد الأخطل على بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنين وسبعين هجرية رشاه  
محمد بن عمرو بن عطاء الجاشي ليغير رأيه أمام بشر بن عبد الملك فعزل ذلك  
الأخطل، وهما يشنك الثلاثة ويدخل الأخطل الحركة، ويظهر ثلاث نقائض  
تربطها معاً هذا الموقف الطارىء وبدأها جرير بقوله : —

لَمِ الدِّيارُ بِرِفْقِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا يَدِيعُ زَمَانًا بَرَّمانِ  
إِنْ رُتُّ أَهْلِكَ لَمْ يَبَالُوا سَاجِئِي وَإِذَا هَمَرْتُكَ شَعْسَى هَجْرَانِي

وكان سيهرائشاً حقاً، وقصيده قوية جميلة، أحسن لها اختيار المعر والقافية  
وبدا المناقصة مكان حراً طليفاً، وجمع في المبدأ بين الأخطل والفرزدق والبحث  
وعمر بن لُحَا التيمي وتناول موضوعاً شاملاً، فالتحم مع الفرزدق أولاً وببرة بالزير

(١) راجع نقائض جرير والفرزدق ص ٤٩١ و ٨٧٩ والأغاني ص ١١٠ و ٦٦ و ص ٨ ص ٢٢

و ٢٢ و ٣١٥ ، ونقائض جرير والأخطل ص ١٩٧ .

وجعثن وأعين بن صتيعة<sup>(١)</sup> وصم إنيه القريين وهو عبد الله بن حكيم الجاشعي  
ومحمد بن حمير وقر عنيه بقومه وذكر رجال قومه وبعض أيامهم كيوم صتيعة<sup>(٢)</sup> :

أسيت وبل أيك غدر مجاشع      ومجر جعتن ليل اليلدان  
وسيت أعين والرباب وحارم      وتواز حيث تصصل الججلان  
ما حيت كفي الثور مشيع      ميت ، عداة هومت ، غير جبان  
لما أهر على الفردق التت إلى الأخطل فضل نكرأ على تعب :

بكرأ حق بأن يكونوا مقصأ      أو أن يفوا بحقيقة الجيران  
قتلوا كنيكم بلفحة حارم      يا حرر تلأ لسم يهحن  
والعبي على الجواد غيمة      والتعليمة مهرها قلطان  
ثم وصل إلى قصاء الأخطل بيه وبين جريري من الشر فأبطل حكمه  
واحتقر دينه :

يا ذا القباية إن شراً قد قصي      ألا تحور حكومة الشوان  
فادعوا الحكومة لسم من أهلها      إن الحكومة في بني شيدن  
فبح الإله من الصليب إله      واللايين براس الرهبان  
ثم فضل عليهم قيساً بمجدها ، وإسلامها ، وأيامها على تلأ ، وبفخر  
بقومه ما شاء له الفخر :

ما زال عيص بن كليب في حنى      أشيب ألف منابت العصيان  
الصاروت إذا الكما تنارلوا      صرباً بقدر عوانق الأبدان  
حتى ينتهي معتزاً بقومه وقيس ويحتمها بقوله للأخطل :

(١) هاتر حرر والأخطل من ٢٠٢

(٢) من ٢٠٢ — ٢٠٣

ما رآه من سب تنقلب عالياً والله شرّى فوقهم نيباً  
فأقبض يدك وادخ في ناضح صعب الدرى مسع الأركان  
وقال المرزدق يردّ على جرير :  
يا س المرأة وإمحاء إذا التفت أعناقك وتماحك الخصام<sup>(١)</sup>

فلا يسب وإسما بهم على موضوعه ، ويأخذ في تفصيل تعذب والموت بها  
على جرير ويشيد بإعارة الهذيل التخلّى على ربوع يوم إراب وآثاره فيهم  
وإذلال نسائهم :

كان الهذيل يقدّ كلّ جازفة دهاء مقربة وكلّ حصان  
يقطعن كلّ مدى بعيد عولة حبّ الساع يقدر في الأركان  
وردوا (إراب) بحفيل من تعلب لجب العشي صارك الأركان  
وهكذا يستمر حتى يصل إلى الفجر بمآثر تعلب :

فاسأل تعلب كيف كان قديمهم وقديم قومك أول الأزمان  
لولا فوارس تعلب اسف وإيل دل المدو عيك كل مكان  
حدسوا من قيصر واشتوا رماحهم يوم الكلاب كأفصل البيل  
قوم هم قتلوا ابن هدير عوة عمرا وهم قسطوا على النعمان<sup>(٢)</sup>

وقد كان المرزدق هنا يفصل تعلب على فرع من نجم مسألة للأحطل على  
خصه ونكاية في قيس عيلان ، فدح تعلب وهجا جريراً . وكان من الطبع

(١) يقول إنما يكون المحقاء إذا التفت أعناقك وخذ الشاعران وجه في شعرهما  
س ٢١٣ شرح والمخاتبة  
(٢) قاتل جرير والأحطل س ٢١٢

أر يهص الأطلال تمدح بنى دارم قوم حبيبه الفردوق وهما ، جرير  
وقومه :

بكر العوادل تتدبرن ملامتى      والـسائون فكلهم يلحان  
فقد أعدت نفسه بالنسب ، والفخر شبيه ، وقرس صيده ، ثم اتصل بحصيه  
فمحب من تهجمه عليه ، وتعرضه لخصومته ، وأخذ في هجائه .

فتح الإله بنى كآيب إهـم      لا يحفظون محرم أخـبران  
قوم إذا مدح الحفين بطوبهم      لم يبرعوا بتسريح الفرقان  
أجرير إلك والذي نسو له      كأسيعة فحرت بمدح خصان<sup>(١)</sup>  
ثم يأخذ في تعصيل دارم على يروع فيندخل بين قبى تيم في سبيل  
الفردوق وقومه :

ناج لالوك وجمهرهم فى دارم      أيام يروع مسـمع الرعيان  
إخـسا كليب إلك ، إن محاشعا      وأبا العوارس مهشلا أحوان  
قوم إذا حطرت عليك فردنهم      طرحوك بين كلاكـل وجران  
ثم يسخر بنسب جرير فيقول :  
أنسيت قلبى بالكـلاب وحابس      ومكيت ويحك رقة الرواحان<sup>(٢)</sup>  
ودت تيم بالكـلاب كواهبها      باعت هناك زمانها برمان  
وهما تنتهى القائن ، ويتم عرض هذا الديوان عرسا متسرا ، فلتتركه  
إلى قطعة أخرى تكميلية .

تلك هي دراسة قيصير دراسة حصة لتكون نموذجاً متارناً للدرس هذا  
الفن دراسة تاريخية ، اجتماعية ، فنية كما فعلنا ذلك في الفصل الماضي . وهاتان  
هما قول الأخطل :

خفت القطين فراحوا منك أو بكروا وأرعبتهم نوى في صرفها غير<sup>(١)</sup>  
وقول جرير :

قل للديار سقى أطلالك المطر قد هجت شوقاً إذا نسمع النديكر<sup>(٢)</sup>  
ولما كان الأخطل هو البادي ، فإما تتخذ قيصته أصلاً ثم تطبق عليها قيصه  
حرير ، متوخين الإيجاز تاركين المقدمات التي حوت في الفصول السابقة .  
( ١ ) كان السيب هو الفن الذي يحتمل مطيع القصيدتين وينسوي عندهما  
في عدد الأبيات ، فهو طويل عندهما في مثل هذا الوصف التقليدي وهو بذلك يدل  
على تشبث وعناية بمنارة

إلا أن الأخطل يتنازع ذلك في فنه هذا ما يشاء . منها أنه أضفى عليه من  
حرياته ما جعله داهلاً ، ثم أضاف إلى ذلك احتمال لوعته أو إحسانه بالحر ، وقد  
عبى بهذه الحرف فحاده وصفها وعنتها متأثراً في ذلك بالاعشى سواء في إحلال الحمر  
ديسجة نقيصة وفي نعتيق الخمر وكرمها . ومنها تنسعه المسافرات على مذهب رهير  
ونأثرهم حتى بلغن مُرْتَمِهن ، وربما زاد على رهير ما أصابه من هذه الرحلة من  
حزن وبكاء ، ومنها ما وصف به النساء وطبيعتهن التي تقوم على الدّل والعرف  
عن الشيب ، والعش بالرجال ، مستفيداً من غيد بن الأبرص

وقد ظهرت الصفة التقريرية في أسلوب الأخطل ، رى ذلك في أحكام  
الصارة وتعميد الصورة ، وتسويج المشبه وتأكيد الفكرة ، وكثرة الأوصاف ،  
ثم نجد سببه حالصاً لم يحفظه فن آخر كالمجاء وأخيراً نخلص تحليلاً لا بأس به  
إلى مدح الخليفة حيث قال : —

وقفنا أصلاً وعُمتنا من نجائبنا      وقد نُحِيتَ من ذى حاجة سَمَرُ  
إلى أسرىء لا نعرفُنا موافقته      أعلمه الله ، فليها له العُفْرُ

أما جرير فكان في فنه هذا شاعراً عادياً ذهب مذهب الأقدمين عامة من  
الدعاء للديار بالسقيا ، وذكر للماضي ، ثم وقف عندها يودع السمر نفسه ويظهر  
إليهم من بعيد فلم يتأه من كالأخطل حتى تَعَدَّنَ وذهبت من السبل ، وكان  
أشد حزناً من صاحبه لهذا الفراق الذي شغله وأشجى قلبه حتى أجرى حواراً  
رقيقاً حول هذا الحزن الشديد : —

إنَّ المَواذِيعَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تَكْرَهُ      من دى طلوح وحانت دونها البَصَرُ  
قالوا : لعلك محزون ، فقلت لهم :      خلوا الملامة لا شكوى ولا عذر

عنى جرير بالديار التي وقف عليها ، ولكن الأخطل عنى بمن رحلوا عن  
الديار ، وكانا مقيمَيْن معاً سب الرحلة والرحيل إلى المربع بعد جفاف الديار ،  
ولعل جريراً لم يجد الأخطل حائراً لا يتبين أوان الرحلة إذ يقول : —

خَفَّ القَطِينُ فَرَحُوا مِنْكَ أَوْ كَرُوا      وَأَرَعَجْتَهُمْ نَوًى فِي صَرَفِهَا غَيْرُ

تنبه هو قَتَيْن وقت الرحيل ، وأأكده ، وبه على عدم حذوى الإشفاق  
والجرع الذي يقع فيه المحزون : —

نَادَى السَّادَى سَبِينُ لِمَى تَأْتِكُرُوا      مَعَا مُكُوراً فَدَارْتَابُوا وَمَا انْطَرُوا

حاذرت بينهم بالأمس إذ تكبروا متاً وما يبع الإشفاق والحذر  
ثم بعد حريراً يخلط بسبه هذا سجع الأخطل وقومه إذا رآ السقر من  
تعبد فلم يكسهم عاء الموصل الذي يلبسه النخليون : —

هل يصيران تحولاً إلى إدارية خيراً غير عباء الموصل احتدروا  
ثم يفتس من الأخطل هذا الشطر ويمر موقفه « يا بعد سطرهم ذاك الذي  
«طروا» هو ما سبب ، ولكنه هناك هجاء وسحرية ومع ذلك فلم يتكىء حرير  
على غيره . وبسر جرر كذلك بحال الطبع ، ورقة الأسلوب ، وإن لم يحكم منه ،  
ويسبقه تسبق الأخطل ، فسر حريرها فيه أعمال الشاعر بمضطرب السريع ،  
وسر الأخطل فيه طابع الصانع الخوذ المتند ، ومع ذلك ، فإن الطبع الشعري عند  
حرير أوضح منه عند الأخطل . . . ذلك في السبب .

( ب ) وقد ائرد الأخطل مدح الخليفة وبنى أمية ، وهذا طبعى إذا كان  
الأخطل ، كما قلنا ، شاعراً الحكومة الرسمي ، وخليفة الأمويين .

قد جمع في مدحه بين مذهبين : جاهلي قديم معروف وهو لمدح بالكرم ،  
والشجاعة ، والجن ، والحزم ، ومضاء المزينة ، مستخدماً في ذلك صوراً وعبارات  
بيانية محكمة من كناية ، وتشبيه ، وتفرع ، واستعارة ، وإسلاى ينصل بالخلافة  
وحسن السياسة ، وإخضاع الآخرين ، وسعة السلطان ، وتدبير الفتوح ، وقد ظهر  
للمذهب الثاني في ظل هذه الكلمة « أمير المؤمنين » . أما مدحه بنى أمية فقد  
ظهر فيه الطابع الإسلامى أكثر : فهم أسره ملكية يحقون بعد الملك ، ويرحمون  
إلى محمد كريم ، يعمدون على الحق ، أطهار صُبر ، حسو الخيلة ، دوو حط  
حليل لم يبطروا بهذا الملك بل أحاطوه بالرهة وفنائل الشيم .

وقد أئاد الأخطل هذا الفن حتى صار مثلاً في الحراله والإحكام والصوير

الفن وموطن الفسطة من الخلفاء ، ظهرت فيه شخصية الأخطل الفنية واضحة ولا سيما أنه قائم على معان حقيقية فالأمويون معروفون وبخاصة كبارهم بحس السياسة والحزم ومصائب العريضة والفرعة العربية القويمة ، وليس الأخطل في مدحه هذا أشعر من صاحبيه بل أشعر الأقدمين جميعاً إلى آخر القرن الأول ولم يجد لحرير مدحاً إلا ما لأبى الفجر ، فكانت من ذلك معان أصفها على قيس عيلان ، وقربش ، والأنصار ، وهي قليلة على كل حال : —

يحمي الدين يفتحواي متى حسي      تلك الوجوه التي يسقى بها المض<sup>(١)</sup>  
أعطوا حرمة والأنصار حكمهم      والله عزّ بالأنصار من نصروا<sup>(٢)</sup>  
الآيات . وهي لا تصور من اندح عند حرير إذا لم تُسق لهذا الفرص  
الرئيسي ولها في حلتها صورة جاهلية ما عدا هذا البيت في الأنصار ، ولعله رد على  
حنة الأخطل على الأنصار منذ عهد معاوية ويزيد إلى عهد الملك : —

بنى أمية قد فاضلت دونكم      أبناء قوم هو آودا وهم نصروا  
وبس هناك وجه لهوارة في باب اللدح إذا لم يشترك فيه حرير فليتركه .  
( ح ) والفجر عند الأخطل صليل هزيل لا يعتمد على عهد قديم ، ولا أصل  
حديث ، ولعله بالاستجداء ، أمسه ، فهو أولاً امتنان على الأمويين بموقفه منهم  
من الأنصار : —

بنى أمية قد فاضلت دونكم      أسماء قوم هم آودا وهم نصروا  
أحمتكم بني السحار قد علمت      علياً معدٍ وكانوا طلباً هدرُوا  
حتى استكانوا وهم يمي على مفض      والقول بقدر مالا تعد بلائز

(١) يمي قربش الطاح .

(٢) حرمة من مدرك بن الياس بن مصر . ولعله يريد مصر وأنين .



وهذا الشطر لاحظ له إدا كانت حولاته أيام البت السفاني لا المرواني  
ثم هوامسان على الرغم من قوة أسلوبه ، ثم هو ، ثانيا ، نُصيح وإيقاع ،  
فالأحطل يحذر عند ذلك من القسبة ورعيهما رُفر من الحارث ويدكر معونة  
تغلب لأمية يوم المرج ، وقتل عمير من الحذب السلي يوم الحشاك ، حتى حصمت  
قيس للحنيمة : —

ي أمة إني ناصح لكم فلا بينكم فيما رُفر  
وأتحدوه عدواً إن شاهدته وما تنيب من أخلاقه دُعر  
إن بصفية تلقاها وإن قدُمت كالقرء يكن حباً ثم ينتشر

ولعل فصل خضوع القسبة راجع إلى عندك ، فالأحطل يدعى مالبس  
حتى اضطر أخيراً إلى هذا المعنى العام : —

وما رمى بهم ساع ليدركنا إلا تقاصر عنا وهو مُبهر  
وقد أصابت كلاباً من عداوتنا إحدى الدواهي انتى نخشى وننتظر  
أما جرير فقد حلّى في هذا الضرب ووجد من مآثر قيس وتيمم مادة قديمة  
وحديثه أحسن الاعتماد عليها ، والاحتجاج بها ، ورتأخره من الأدعاء والامتنان ،  
ولعل المعر والمجهر هما فاجرير في مقيضه .

فتنحجر جرير على الأحطل صلة أيام تيمم على غيرهم كيوم (طبعة) لير نوع على  
العمان من لسنر ، ويوم (دى تحب) لير نوع على ركدة ، ويوم (الإياد) لير نوع  
على بكر ، ويوم (دى تهذا) تيمم على مطلب ، ثم يوم (البشر) لقيس على تغلب  
ويوم (ما كسين) لقيس على حُشم من تغلب ، وذلك مقابل يوم (الحشاك)  
لتغلب على قيس وقد اقتصر به الأحطل ، قال جرير : —

إِنَّا بِطَحْفَةٍ أَوْ أَنْامِ ذِي عَجَبٍ      مَعَ الْفَوَارِسِ مَا اسْتَتَّ الْقُدْرُ  
لَوْلَا فَوَارِسُ الْوَرَسِ يَرْبُوعُ بَدَى حُبِّ      ضَاقَ الطَّرِيقُ وَأُعْيِيَ الْوَرْدُ وَالصِّدْرُ  
إِنْ طَاعُوا الْخَيْلَ لَمْ يُشَوُّوا فَوَارِسَهَا      أَوْ سَارَلُوا عَانَقُوا الْأَطْلَالَ فَاهْتَصَرُوا  
هَلْ تَسْرِفُونَ بِذِي سَهْلٍ فَوَارِسَنَا      يَوْمَ الْهَذَّابِ أَيْدِي الْقَوْمِ مُعْتَسِرُ  
فَمَا مَعْتَرِ غَدَاةَ الْبِشْرِ نِسْوَتَكُمْ      وَلَا صَبْرَتُمْ لِقَيْسٍ مِثْلَ مَا صَدُرُو  
نَمَّ بِمَعْرِ قَيْسٍ ، وَجِدَفَ ، وَفَرِيشَ ، الْأَوَّلُونَ حُلَفَاؤُهُ ، وَحَدَّثَ أَهْلَ مَعْرِ  
الَّذِي بِمَعْرِ مَعَ قَيْسٍ وَفَرِيشَ ، وَأَمَّا قَرِيشٌ فَهُمْ قَبِيلُ الْخَلِيفَةِ وَالْمَوَةِ وَكَثِيرُ  
مَا احْتَكَمَ إِلَيْهِمْ شُعْرَاءُ الْقَائِمِ كَمَا قَدَمَاءُ ، نَمَّ بِمَعْرِ الْبَادِي صَرِيحاً أَوْ إِشَارَةً  
فَيَقُولُ :

قَيْسٌ وَخَدَفَ أَهْلَ الْمَجْدِ قَلْبَكُمْ      لَسَمَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ لَهُمْ حَظَرُ  
يَحْمِي الدِّينَ بِطَحْفَةٍ مِثْلِي حَتَّى      تِلْكَ الْوَحْوَةُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا الْمَطَرُ  
مَاعَدٌ قَوْمٌ وَإِنْ عَرَوْا وَإِنْ كَرَمُوا      إِلَّا افْتَحَرْنَا بِحَقِّ فَوْقِ مَا افْتَحَرُوا  
رَضِيَ عَنِ اللَّهِ ، إِنْ الْبَاسَ قَدْ عَدُوا      أَنْ لَنْ يُعَاخِرَنَا مِنْ حَلْقِهِ شَرُّ

ولعل حديث حرير عن قريش إنما كان منطوية لاحتفاء الأخطل قريش  
قبيلة سعد الملك مروان ، يدركات على كل حال ملحوظة المسكاة الدبية  
والسياسة ولا سيما بعد الإسلام وذلك قول الأخطل :

وَيْسَعِي مَن قَرِيشَ يَعْصِمُونَ بِهَا      مَا إِنْ يُوَارِزِي نَاعِلِي ثَلَبِ الشَّعْرِ

هَذَا نَقْلًا فِي هَذَا الْقِسْمِ وَجَدْنَا الْمُنَافِضَةَ تَأْخُذُ لَوْ طَرِيقاً يَكَادُ يَكُونُ  
وَطَبِئاً ، فالأخطل يني قيس عيلان عن بلاد الجزيرة محض المناقضة الاقتصادية بين  
قيس وثلاب ، وكان الحديث ، مصفاً على بن سليم حاضرة رهط مُعَمِّر بن الحباب  
قال الأخطل :

فأصحت منهم سِجَار خالية      والمُعْلِيَّتِ فالخابور فالشُرَر  
كُرُوا إلى حرَّتَيْهِم معرومها      كما تَكُرُّ إلى أوطارها النقر  
فالتفتوا وهم يعمون حِطْلهم      إلى العُرَات فقال : مُدَّ ما طرخوا

فأنى حرير تحس صاحبه فى بلاد الحريرة مقيطاً مُحَقَّقاً ، وبماه عن بلاد  
مصر أبحده وأعواره إذا كن الأخطل تعلياً من ربيعة ، قال حرير : —  
موتوا من لَبِطَةٍ فى حريركم      لن تقطعوا عن واد دونه مُصْرُ  
إلى عينك من بعد ١.٥ اسمك      بعد وما لك من تخور به حجر  
وهكذا استطاع حرير أن يظهر بالأخطل فى العصر ، وكان فيه أصيلاً بجلياً ،  
لا مدعيًا ولا محنتاً مستجدياً .

( د ) وقد شغل المصحاء حَبِيراً كبيراً فى هاتين النقيصتين وظهر فيه التحدى  
والنساب ووقف به كل لآخر بالرصاد يمشيه هو ومن ينصل به ، ونمضى الأمر  
إلى النساء ونصويرهن صوراً قبيحة شائنة فيها من سمات الفقر ، والفحش ، والخمر ،  
والندس وبك كاست دون ما وحده فى فئات حرير والعر ردف

هجا الأخطل قبس عيلا نامة واحتمل بنى سليم منها نصيب خاص ، فمرام  
بالعذر ، والصلال ، وكفر النصبة حتى رالت عنهم ونفوا من بلاد الحريرة : —

ولا لعا لنى د كوان إد عثروا      ولا هدى الله قيب من صلاتهم  
ولم يرل اسليم أمر جاهلها      حتى تصابها الإيراد والصدار  
حتى أصاب سُنْيا من عداوتنا      إحدى الدواهي التى نحشى وننتظر  
ك نوا دوى إامة حتى إذا عثفت      مهم حباتل للشيطان واشتهروا  
صُكُّوا على شارف صعبمرا كها      حصاً ليس لها هلب ولا ور

ويستمر بعضهم حتى عن قيس نفسها ويتن على الخليفة يقتلهم غير من  
الحباب السلي يوم الحثاك ويصف ما حل به سائراً شامتاً : -

يُعرفونك رأس ابن الحباب وقد أصحى والسيب في حبشومه أثر  
لا يسمع الصوت مُستكأ سامعه وليس بطلق حتى ينطق الحجر  
أُمت إلى جانب الحثاك حيمه ورأسه دونه اليحموم والصور  
يسأله الصُّبر من عتار إذ حضروا والحرن : كيف قرأك العلة الحشر

ثم يتقدم إلى زفر من الحارث الكلاني وفساد حنقه ومهاقه الذي سرعان  
ما تندو آثاره ، وذلك حين مال الأمويون إلى الصلح مع القيسية ، فراراً للأمن  
في بلاد الدولة الإسلامية ، ويدكر معه زفر من الحارث السلي ، جاهل سليم ،  
على حد تصوير الأخطل : -

بنى أمية إني ناصح لكم فلا يبين فيكم آناً زفر  
وأحمدوه عدواً إن شاهد وما ينبت من أحلافه دعر  
ولم يزل سليم أمر جاهلها حتى تمأياها الإبراد والصدور

فيتقدم إليه جرير ليحريه بذكر هذين الزعيمين القيسيين وما بالاً من تعذب  
في أيام قيس على تملب جامعاً بين القجر قيس وهجاء تملب فيقول : -

إني رأيتكم وأحق مُغصية تمحرون أن يُذكر الخفاف أو رقر  
قوماً يرثون مترح القوم عادية شعث النواصي إذا ما يطرد العكر  
فادوا إليكم صدور الخيل مُعنة نعتى الطعان وفي أعصافها رور  
كاست وقائع قلنا لن يرى أبناً من تملب بعده عين ولا أثر

وكانت طرفة اساقفة هنا هي التوجيه إذ فسر كل ما يتصل بمرور والحذف  
تفسيراً ملائماً لموقفه .

ثم بعد تحريراً يرد على الأخطل ما قال في قيس عيلان . -

صَحُّوا من الحرب إذ عصت عوارثهم      وقيسُ عيلانُ من أحلاقها الصجرُ  
ما إن سمى منهمُ ساعٍ ليدركنا      إلا تقاصرَ عنا وهو مُشهرُ  
فقال حرير : -

هَلْ أَسْكَنْتُمْ فَيَحْيَى مَعَهُ سَوَاءُ نَكَمٍ      إِذْ لَا تَبَيَّرُ وَفَقْدَاكُمْ غَيْرُ  
فَمَا مَنَعْتُمْ عِدَاةَ الْبَشَرِ يَسُوتُكُمْ      وَلَا حَصِيرَتُمْ لَقَيْسٍ مِثْلُ مَا تَصِيرُوا  
نَهْجُونَ قَيْسًا وَقَدْ حَذُّوا دَوَابِرَكُمْ      حَتَّى أَعْرَ حَصَالِكُ الْأَوْسُ وَالْأَمِيرُ  
يُبَيَّرُ نَعَبٌ مِمَّا سَكَلُ بِهِمُ الْقَيْسِيُّونَ وَيَنْصَحُ لَهُمُ بِالْعُدُولِ عَنْ مَوَدَّاتِهِمْ  
وَالْتِمَاسِ إِلَيْهِمْ .

وبلغت الأخطل إلى كليب بن يربوع وتخصى بنى عدانة البربوعيين  
بنصيب خاص من هجائه المدفع ، فيقول في الأولين : -

أَمَّا كَلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ      عَدُوٌّ تَارُطٌ إِذَا دُرُ وَلَا تَصَدَّرُ  
تُخَفُّونَ وَيَقْصِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ      وَهُمْ شَيْبٌ وَوَعِيدٌ مَا تُسَمِّرُوا  
مُلْطَمُونَ بِأَعْقَارِ الْحِيَاصِ فَمَا      يَسْكُتُ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمْ أَثَرُ  
عَلَى الْمِيَارَاتِ هَذَا جَوْنٌ قَدْ بَلَّغَتْ      بَحْرَانُ أَوْ بَلَّغَتْ سَوَآتِهِمْ هَجْرُ  
أَلَّا كَلُونَ خَشَتْ الزَّادُ وَحَدَّهُمْ      وَالسَّائُونَ يَطْلُرُ الْعَيْبُ مَا أَحْمَرُ

فرمى كليباً بالهوان ليس لهم مشاركة في تدبير الأمور ، يقصى الناس أمرهم ،  
دون أن يعرفوا منها أمراً ، دليون مؤجرون ، يحتكم قهيم بنو دارم ويستدلونهم ،  
يركيون الحير ويمشون الليل للفرقة والفجور ، بلغت سواتهم الآفاق ، محلا ،

خفيئوا الزاد لا يحصرون المتدييات حيث يجمع الأعيان وتدر الأمور

فهم حرير يرمى نبي تطلب سحر هذه الأوصاف ويزيد شؤمهم ، ولؤمهم ،

وتقاليدهم للدينية : -

أرجو لتعلم إذ غبت أمورهم	ألا تبارك في الأمر الذي اتهموا
حاتت بنو تعس إذ وصل قارطهم	حوض الكارم ، إن المجد يبتدر
كانت بنو تعس لا يعمل حذم	كالمهتكين يدي الأحقاد إددموا
صنت عليهم عقيم لم تزل بهم	حتى أصابهم بأحصب القدر
تسربوا النزم حلقاً من حلودهم	ثم ارتدوا شياث اللؤم وأثروا
رحس يكون إذا صلوا ، أداهم	فرع الواقيس لا بدرون : ما السور
الظاعون على العمياء إن طعوا	والسائقون بصر العيب ما أخبر
والأكلون حيث الراد وحدهم	والسارلون إذا وراهم الحمر

لم يكن جرير موقفاً في نقضه فلم يزد كثيراً على ما رماه به خصمه ، وكان أسوءه و المانصة هاقباً أورداً لما في الأخطال عليه ، ولم يتكرر شيئاً ذا خطر .

فإذا وصل الأخطال إلى بي عداة بن يربوع رهط وكيع من أي سود وإخوة كليب من يربوع شههم بصغار النجم الثرثرة القذرة ووصفهم بالدل ، والعل ، والقدارة وسمهم بالرحس واللدس .

وما عداة في شيء مكائهم	الحاسو الشاء حتى يفصل لشور
تنصنون يربوع ورفدكم	عند التعاهر معمور ومختقر
صفر المهي من وقود الأذخبات إذا	رد الرقاد وكب الخالب القير
ثم الإياب إلى سود مدنة	لا يستجيب إذا ما احتكت القمر

وأقسم الخمدُ حقاً لا يُخالفهم حتى يُخلف من الراحة الشعر  
ولم يسكت جرير عن ماء تطب كما لم يسكت عن معص سماتهم الاحتماعية  
من خمر وميسرة : —

ولعلبية في مُدبى عباةٍ بها بطرٌ طويلٌ وفي باعٍ لها قصر  
من كل مُحصرٍ الأبيابِ مفرها ثم الخديص بعلَى عوفه السَّكر  
انصاحكون إلى الحرير شهوته باقُبَّحت تلك أحوها إذا كُثروا  
والفرعون على التلذيز فيسيرهم بنس الحرور وبس القوم إذا جرروا  
أحياءهم شرَّ أحياء والأمة والأرض تاهط موتاهم إذا قُبروا  
ثم يحتمر نقيصته بببت كبيت الأخطل معى وإن تقبلا هذا كس الخمد وريثاً  
من أبي غداة فإن اللؤم حليف تطلب : —

« حرراً تطلب إن اللؤم حالكم ما دام في مازدين الربت يُمتصر  
( هـ ) أما عن من الشعراء في هذه المناقصة فلاحظ أن الأخطل كان حرراً  
في اختيار البحر والفاقية إذ كان هو البادى . فاضطر جرير أن يتنازع فيها ، وفي  
إمكان الأخطل أن ينفق من الوقت ما يشاء في تمييق قصيدته . عكس جرير  
الذى يجب عليه أن يسرع في الرد قبل عوات الأون ، ذلك إلى أن الفرزدق  
حر في اختيار الفتور وغفر للعدى والأساليب فلا يجد جرير شيئاً ذا خطر فيردد  
أو يولد أو يقع على أهون المانى والصَّور وذلك يحمل البادى . أقوى مكانة كما  
حدث هذا ، جرير متحلفاً لولا ما سنده من فخر ممتاز . ويبيع ذمت حرج موقف  
جرير هنا كما كان مخرجاً مع الفرزدق في الفصل الماضى ، فهو هنا فيسرد على  
شاعر الدولة وليس في مكانه معارضة السياسة التى استغلها خصمه ، بل كان عليه

محملة فيس عيلان مع اضطراب صلتها بإخلافة ، فلما صاقت عليه المذاهب نتجاً  
إلى المعر القبل يتعس من جابه . هذا هو الوضع العام لحضاه هذا معضله في  
الفصل الآتي .

و بعد هذا محل لكل شاعر مهما خواصه في بقيصته :

١ — أحسن الأخطل تقسيم قصيده وتنسيق فصولها لحداث حاله من  
الاضطراب واحتلاط القنوك كآريت ، ولكن جريراً ظهر عنده الاضطراب  
والخلط بين السبب واللعاء والفجر كما لم يحسن التخلص ولا شك أن الأخطل  
كان يحكم منه ويتأني فيه بخلاف حرير ، وربما كان للرواية أثر في اضطراب  
تقبضه كما هو واضح من حاشية هذا الدوان .

٢ — وأما عن الأسلوب ، فالأخطل صنّاع ماهر وحرير طبعي عادي ، نجد  
ذلك في اختيار الأخطل الفاظه مثل : حمة واستنيد وصنيتها ، وفي تكوين  
الجزء ، وإحكام عناصرها بالروابط ، وفي إكمال الذي وتحديد مكررة الصدمات  
والصور كما في وصفه الخرد وصفه نفسه بأنه محمور أو مصمود أو مسحور ، وفي أحده  
حبر معاني السابقين وأسمها ثم هذه الصور البديعة كالنفرع ، وتركيز المعاني في  
البيت الواحد فكان شعره دسماً

وكان جرير درس الأخطل في ذلك كله لحاء شعره حقيقاً حيلاً ، وربما كان  
أسلوبه أدخل في فن الشعر وخاصة القيب والفخر ، ونجد عنده اقتصاب المعاني  
وقلة الصور فسيه دعاء ، فتقرير ، فعدل ، فتقرير ، ثم بدل على السجية المطلقة  
غير المحكمة ، ولا شك أن الصنعة وعبادة الشعر تحمل منه أسلوباً جريلاً رصيناً



محمول الأطراف وهو أسلوب الأخطل ولكنها تحذف من حاله لقوة أثر التكبير  
وضمف سلطان لمطفة فتصمف الموسيقى تبعاً لذلك

٣ — وقد استوعبت قصيدة الأخطل أكثر فوه أو كلها فكانت ممثلة  
شخصيته اسمية ولكن قصيدة حرير قصرت دون ذلك، فدرأبنا سبب الأخطل،  
وحريراته، ومدحه، وفخره. وهجاءه، ورأبنا من جرير نبيه وفخره وهجاءه  
دون مدحه ورثائه، فكان الأخطل أوسع أفقاً وأعرض سبكاً.

٤ — وقد كان للحياة الإسلامية مظاهرها عند الشعراء موصوعياً وفنياً،  
أو خارجياً ودخياً، ومن الأصل الأول هذه الدولة الإسلامية الجديدة التي نرى  
عند الشعراء رسوماً، وحليفتها، وأسرارها، وقائلها، وهذه الأحزاب السياسية  
المؤيدة والمعارضة والتي كان لكل من شاعر بها فيها موقفه المعروف وهذه الحروب  
الإسلامية بين قبس وتقلب وقد شرحها فيما مضى، وهذه المعصيات الخريبة  
داخل القائل كما كان بين دارم وبربوع وما حالف كلا منهما.

ومن الأصل الثاني هذا الموقف بين الإسلام والعصارية وكان واضحاً جداً  
عند جرير، وينبع ذلك ذكر الرسول ورصاه على المسلمين وسخطه على الكافرين  
وحروج تلعب عن طاعته وحياتهم في بلاد الجربة يؤدون الحري فسكان  
الرسول مقيماً عند حرير وكان الخليفة سداً للأخطل، وكانت حريات  
الأخطل من فوه شيوع تناولها في يثنه مباحة فأخذها حرير نسبة لتلعب  
ويخلق من آثارها صوراً قبيحة لنساء تلعب ورجالهم.

وكلا الشعراء تأثران بقرآن الكريم مباشرة وغير ذلك وإن كان تأثر  
حرير أوضح لإسلامه، وتديبه، ورقة طمعه مدح الأخطل الصعر،

وتبين الصلاة ، والأشهر ، واقفه ، وحليفته ، ويهذب أسلوبه ، وتنتصر معانيه<sup>(١)</sup> .

وحرر بعض شعره معاني القرآن ، ويذكر السور ، ويشير إلى قصة عاد وبصفيها على نخل : —

كانت نوى نخل ، لا يعلو جدم      كأنه سكين يذى الأحفاف إذ دمروا  
صارت عليهم عقيم ما تُنظرهم      حتى أصابهم بالخاصب القدر

وذلك قوله تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما ندر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم » . ذلك إلى رقة أسلوب جرير ، ومهاجته المسيحية ، يحمل منه رجلاً مسلماً لم بالقرآن وتأثر بأساليبه .

وللإسلام أثر سلبي عند الأخطل خاصة فلم يحرز على مهاجته إذ كان دين القولة انتهى بحالهما ، ويحتس سلطانها ، ويعيش في ساح خلدائها ، فسد ذلك عليه السبيل أمام حرير في هذه النقطة .

٥ - وقد لاحظنا أثناء الدرس أن جريراً أحد من الأخطل عدة صور ، وعبارات ، ومعار ومرد ذلك استحسانها أو سق الأخطل إلى عموها ، أو لردّها عليه ، وقد يتنا ذلك أثناء الدرس ولا سيما في المعاء حين أعاد حرير في نص ما قال الأخطل في كليب بن يربوع .

٦ - وخلاصة هذا الدرس أن جريراً يتناز المعنى في هذه المناقصة امتياز الأخطل بالمدح من حيث أفراد كل هن ، وسنويان في المعاء والنسب ،

هكلاهما نال من الآخر وقومه ، وأفضح إلى درجة تساوى بها رميله وأما  
النسيب فإن شعور جرير فيه وحال أسلوبه يواريان صنعة الأخطل وتعدد صوره  
ويمتاز الأخطل بحسن التقسيم ، وتجويد الأسلوب ، وجراته كما يمتاز جرير  
بجمال الأسلوب وحفته ، وعلى كل فإن كان الأخطل أفضل من صاحبه في هذه  
المناقصة فإن ذلك لا يعد حكماً عاماً ولا حاسماً بينهما .

— ٧ —

ويمكن للدارس هنا أيضاً أن يتابع النظر في هذه النقائص بطفر بنار قيمة  
تتصل بمواقف الشاعرين ، وشخصيتيها الفنية ، وصلاتهما ، لأسر والقتائل والأحزاب  
والدولة ، وبالقدر المتى لكل من الشاعرين في هذه النقائص . مبرى ، إن صحت  
رواية أبي ندم ، أن موقف جرير كان دفاعاً إلا في بدء المناقصة فكان محروماً  
وإن دفعه إلى ذلك انضمام الأخطل إلى الفرزدق في حصرة بشر بن مروان .  
ولذلك أثره الموضوعي والفني كما سبق ، كما كان الأخطل صديق الموقف من جانب  
الدين ، والدولة ، لولا ما احتضنته الأمويون لغرض سياسي أيام معارضة القيسية  
لدولة ، كذلك يلاحظ أن جريراً ، على الرغم من دفاعه ، كان موقفاً في كثير  
من المواطن كالنونية التي هاجم بها الفرزدق والأخطل ، واللامية : —

حَتَّى الْمَدَاءِ رَامَةَ الْأَطْلَالِ رَسْمًا تَحْمِلُ أَهْلَهُ فَأَحَالَا

وفي اللامية المصنوعة : —

وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ مِنَ الْحَبِيلِ قَلِيلُ

واللامية الأخيرة : —

أَجَدَّ الْيَوْمَ جِيرَتُكَ احْتِمَالَا وَلَا تَهْوَى بَدَى الْعُشْرِ الزَّيَالَا

وعبره ذلك إلى ما أشركه مع الفردق وغيره في النقائص الكبرى

## ٨ -

وإذا رينا بين هذه النقائص وبين سابقتها التي دارت بين جرير والفردق ، استطعنا أن نخرج عدة نتائج بطون بعضها :

١ - كانت نقائص جرير والفردق أطول عمرا من زميلتهما فإذا فرضنا أنها بدأت سنة خمس وسعين وانتهت بموت جرير والفردق سنة عشرومئة كان عمرها حجماً وأربعين سنة ، أما هذه فقد بدأت سنة اثنين وسبعين وانتهت سنة خمس وتسعين بوفاة الأخطل فيكون عمرها ثلاثاً وعشرين سنة ، وكل ذلك تقدير تقريبي كما قدمنا .

٢ - ويتبع ذلك أن تكون نقائص جرير مع الفردق أكثر عدداً ، ولأنهما مع ذلك كانت أكثر أبياتاً ، وأقوى فصلاً ، وأفضل بذكر الأيام والأحداث والأوصاف ، وذلك لفحولة الشاعرين ، وفوقتهما ، ومعرفتهما لخدمة بدعائل تميم وقيس ، وقرائتهما ، وغرارة المادة التي يتفلسف منها وهي سياسة ، وعصبية ، وأيام ، وأحداث ، وصعاش ، ووقوف في مصيبي الحياة الإسلامية ودولتها . أما الأخطل ، فعلى كبر سنه كان يعيش مع قومه على هامش الدولة ، وتحت نفوذها ، ولم يكن لقومه مواقف خطيرة في سياستها العامة ، وأظهر ما كان ، أيامها مع قيس التي هيئت فترة ثم سكنت حتى قال بعض النقاد إن الأخطل لم يكن من بحار صاحبيه وإنما تعصبت له تطلب .

٣ - وكان جمع نقائص جرير والفردق مصحوباً بعندية واضحة في تمام القصائد وترتيبها ، بخلاف هذه فقد ظهر فيها الخلف والاضطراب كأن أبا تمام اعتمد على الاختيار كما فعل في حماسه ، وقد لاحظنا في هذه النقائص أن



ومع ذلك فقد امتاز شرح أبى عبيدة بكثرة لغوياته وغرارتها وإن لم تكن دقيقة دائماً ، كذلك كثرت شروح بعض العبارات عنها فى شرح أبى تمام .  
وأما الأيام ، والحوادث انسيابية ، والاجتماعية ، والقصص ، والأسباب ، وما إليها فلن يُجارى فى ذلك أبو عبيدة ، وليس أبو تمام بجاسه شيئاً ، وإن كان يرجح أنه استفاد منه كثيراً .

على أن نشرَ نقائص جرير والفرزدق كان حظها فى النشر خيراً من حظ الأخرى لتعدد أصولها ، وكثرة شروحها ، والدقة فى إصلاحها ، وتوفر طبعة من المستشرقين على العناية بها .

\*\*\*

وإذا كنت قد تركتُ النقائص الأولى وفى نفسى منها أشياء ، فإنى أترك هذه وفى نفسى منها أشياء أخرى تتصل بترتيبها ، وفنونها ، وملابساتها السياسية والاجتماعية والأدبية ، وإكمال نقصها ، وشرحها شرحاً أدبياً كافياً .  
ومن يدرى فلعل أحد الباحثين ينهض لذلك فيتم ما بدأنا ويتعقبنا فيما عسى أن يكون قد فاتنا فى هذا الباب .

# الفصل الثاني

## فن النقائض الأموية

- ١ -

نريد من النقائض الأموية هذه الخواص التي امتازت بها هذه القصائد في أرق عصورها ، ودرجة نضجها الفني في تاريخ الأدب العربي ، وقد قلنا فيما مضى إن هذا الفن بدأ حياته مع طفولة الشعر العربي ، واستقامت قباته قبل الإسلام ، حتى إذا كان عصر الحنة نشطت حياته بين مكة والمدينة خاصة ، وكان أداة إسلامية عالية الصوت ، بعيدة الأثر ، وكان في كلا الميادين طوابع الموصمية والغائية كما رأيت . فلما جاء العصر الأموي توافرت له دوافع وأغراض قوية ، وعوامل جديدة ، فبرزت به إلى مستوى ممتاز له خصائصه الفنية .

وهذه الخصائص أو الميزات بمصها خاص بهذا العصر بحيث يتفرد به ، وبعضها غالب عليه أكثر فيه ونموا نمواً عظيماً كالجليل ، والأدب المكشوف ، وتمزيق الأعراس ، وهتك الحرمات ، وسفهااتون فيه ألواناً جديدة كالسب الذي اختلط بالهجاء ، ومثله الرثاء ، والمواريث في الفخر ، وغير ذلك مما يلي . وسنحاول هنا بين الخواص العامة لهذا الفن أولاً ، ثم ميزات كل من هؤلاء الدخول ثانياً .

وقد ذكرنا في التمهيد شرائط النقائض عامة ، وطرقها المعنوية ، وكلا هذين يدخل في كيان النقائض وتكوينها الفني ، ولكننا في هذا الفصل نتقدم خطوات أخرى داخلية لتبين ما أحدثت البيئة الأموية في فن النقائض مكتفين ببعض

الشواهد معتمدين على متابعة القارىء، دراسته بالرجوع إلى دواوين القاموس التي وصفناها في الفصلين السابقين .

١ — أول ما يبدو من هذه الميراث طهور السمات الإسلامية ظهوراً أصيلاً في هذا الفن وإن كان محوله أقل تأثراً بالإسلام، وكأبه من غيرهم كشرراء الخوارج مثلاً، إذ كان من المقرر أن حريراً والعززدق علماً عشة بدوية تقرب من الحياة الجاهلية فيها شراب، ونسب، ومعاخرة، وإشادة بالأحساب الأساب، وإذكاء للحمية على تفاوت بينهما في ذلك، وكان الأخطى مسيحياً لم يكن كزمييه في هذه الخاصة . وكان التأثير متوفاً بين نصيب آى القرآن، أو أحكام الإسلام أو مسابقة روحه، والفخر به . وإسكار ما عداه كاللسيحية وشعارها، ودخست هذه اللامى في صلب الفتى فخرأ وهجاء، أو فيما لا نسهما من سيب ورثاء . وكان دخولها يبدو مضموماً واضحاً في فوس الشعراء أكثر مما رأينا في شعر البعثة الحمديية حيث كانت هذه السمات سطحية أو مصطلحات تتردد على ألسنة الشعراء لم تخرج نفوسهم تماماً بلجنتها، ولأصلها المواهب الجاهلية عديم بحيث يصعب انتزاعها أو تغييرها تماماً

فلذا رحنا نلتصق الشواهد على هذه الظاهرة وجدناها كثيرة شائعة في شعر هؤلاء الملحول، بل القرزدق في صدر قصيدة له لامية : —

إن الذى سمك السماء بى لنا بيتاً دعاغته أعرث وأطول

من قوله تعالى : « أنتم أشد حنفاً أم السماء منهاها ، رفع سمكها مساواها »<sup>١</sup>

صرحت عليك الككبوت بمسحها وقضى عليك به الكتاب الملزل



من قوله تعالى : « مثل الذين اتحدوا من دون الله آولياء كمثل الضعيفات  
اتحدت بيتاً ، وإن أوهن البيوت ليست الضعيفات لو كانوا يعلمون » <sup>(١)</sup> .  
ويقول في قصة أخرى : —

فإن التي صرّكت لودفت طعنها عليك من الأعباء يوم التحاصم  
من قوله تعالى : « ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » <sup>(٢)</sup>  
ولست بمحوذ بلعمر تقوله إذا لم تعتمد عقائد المزمع  
من الآية : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم  
الأيمان » <sup>(٣)</sup>

كما بعث الله النبي محمداً على فترة والناس مثل النهم  
من قوله تعالى في المائدة : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بينكم  
على فترة من الرسل » .

وهذه قصة الفيل يمثّلها الفرزدق في هذه النقيصة متحدثاً عن الحاج  
وطفيّاه <sup>(٤)</sup> ومما قصة ابن سيدنا روح حين عصى أباه وقال : « سأوى إلى جبل  
يمصني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله من رجم ، وحال يدهما الموج  
فكان من المفرقين » <sup>(٥)</sup> .

فما عتار الحاج حين طلى به	عنى ، قال : إلى مرتقى في اسلام
فكان كما قال ابن مويج — أرتقى	إلى جبل من حشية بناء عاصم
رمى الله جثمانه مثل ماري	عن القمل البيضاء ذات المحرم
حسوداً تسوق الفيل حتى أعادها	هباءاً ، وكأوا مطر حتى الصراحم
نصرت كنصر البت إذا سقى يله	إليه عظيم المشركين الأعاصم

(١) من ٤١ : ٤٩ . (٢) من ٦١ : ٦٩ . (٣) من ١٩ : ٢٥ .  
(٤) من ١ : ٩ . (٥) من ١٢ : ٢٣ .

ورغم الفرزدق في حصرة الحسن الصري أن شعره مشتمل على أحكام فنية؛  
فقد سأل رجل الحسن عن المرأة يصيبها الرجل في المعزى وهي ذات روج :  
أهيجل له عشيها ولم يظلمها روحها ، وكان الفرزدق حاصراً فقال : أو عاشمت  
ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن - فافقت ؟ قال الفرزدق :

وَذَاتِ حَيْلٍ أَبْكَبَ رِمَاحُهَا حِلَالٌ مَنْ يَبْقَى سِهَا لَمْ يُطَقِّ

وبحو هذه الحكاية رويت في البيت السابق :

وَسَتْ مَأْخُودٌ بَعُو تَقُولُهُ إِذَا لَمْ تَعْنِدْ عَاقِدَاتِ الْغَزَائِمِ

ذلك غير الاصطلاحات الإسلامية الكثيرة الواردة في نقائصه والإشارات  
إلى قصص القرآن الكريم ، كالصلاة والصوم والحجاب ونبعث وقصة ياجوج  
وماجوج والسمري ، ثم ما لاس الإسلام من خلافة وإمارة ، وسياسة ، ومضرية ،  
وقريش وبحوه ، وإن كان تأثره هذا غليظاً أكثر منه قنبيلاً فإنه كان كثير التحلل  
من شعائر الدين جريئاً على حدوده متهاكاً حرمانه .

وكان جرير أشد تأثراً روح الإسلام وكان لالتحامه مع الأخطل يحمل على  
المسيحية ويكر شاعرها ، فقد أشار أيضاً إلى قصة أصحاب الغيل حين أرادوا  
هدم الكعبة : —

لَمَّا رَأَوْا جَمَّ الذَّابِرِ يُصِيبُهُمْ حَسَارُ الْقُبُورِ كَافَّةِ الْأَفْيَالِ

ورمى الفرزدق والبيث بالدر إذ لا يقرآن سورة الأحبار .

إِنَّ التَّبِيثَ وَعَبْدَ آلِ مُقَاعِسٍ لَا يَفْرَأْنَ سُورَةَ الْأَحْبَارِ

وهي قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا بِالْعُقُودِ » (١) .

واقرا ربه روحه تحذ روح الإسلام ميطرة عليه ودعوانه واصحة ناطقة :  
 فبرك ربك في عشيرك نظرة وسقى صدالك موحل مذار  
 ولت قبي يد عندي كبرة ودود الحاتم من سيك صعد  
 كانت مكرمة لعثير ولم تكن يحشى عوائل أم حررة حار  
 ولقد أراك كيت أجل منظر ومع الجال سكية ووقار  
 والريح طيبة يد اسعلتها واليرض لادين ولا خوار  
 صبي لللائكة الذين نجبروا والصالحون عليك والأمر  
 وعليك من صوت ربك كلما نصب الحبيب مكيدون وعاروا<sup>(١)</sup>

فوذ اشتبك مع الأخطال شمع عسيهته وشعارها فقال من نقصة :  
 قنح الإله وجوه نعلب كلما شبح الحبيب وكبروا إهلا لا  
 عبدوا الصليب وكذبوا محمد وبخبريل وكذبوا بيكال<sup>(٢)</sup>  
 وسحر بها في نقضة أخرى فقال :  
 أبا الصليب وما رترجس نتقى شهاب دات كتاب جمهور<sup>(٣)</sup>  
 وقال :

ما فيكم حكم رضى حكومتهم في المدين ولا مستشهدين  
 قوم يد جمعوا خجهم صرخوا القلوب وحقوا غير أبرار  
 لم تدروا أمك باحكم الهى حكمت بدسها مكر من دها العارى  
 تخلي الحايص والنور الذى أكلت في حاويوى رجوم الليل مختار<sup>(٤)</sup>

(١) نقاش حرر والأخطال ٨٧

(٢) نفسه ص ١٤٢

(٣) الثقات ص ٨٤٧

(٤) نفسه ص ١٢٥

وقال :

فصيك حربة معشر لم يشهدوا      واقدر أن محمداً رسول  
 نبعوا الصلاة كمين عن الهدى      والهدى عن القرآن رسول  
 يقصى الكتاب على الصليب وأهله      ولكل من آمن آية ذبول  
 إن النبوة والخلافة والهدى      رغم لتعلب في الحياة طوبل  
 حالتم سبل النبوة فاحصوا      بجرى الخليفة والذليل دليل<sup>(١)</sup>

وابس من المقول أن يعزو الأخطال من تأثير الإسلام وكتابه الكريم وهو يأخذ عن هذه الآفة التي هدمها القرآن ، ويحيا في بيئة إسلامية تأخذ عليه أقطار دياره ، ويتلاحى مع رملاء ملهين ، ويعيش في بلاط اعداء الإسلاميين ، ويكاد يكون كرمييه لولا أصل عقيدته المسيحية مدخلت في شعره الألفاظ والمعاني الإسلامية مدحاً وهدماً في السياسة والمصيبة ، من ذلك قوله في مدح عبد الملك من قبضة :

إلى يوم تُعادى ما وافقه      أظفراء الله عينا له انظفـر  
 الخائن العمر والميمون حازه      خليفة الله يُنسقي به المظـر  
 في نعة من قریش يصوبون بها      ما إن يوازي بأعلى نبتها الشـحر  
 حُدد على الحق عياها انلما أنف      إذا ألت بهم مكروهة صدروا

وهكذا نجد في سائر الآيات كثيراً من معالم الإسلام وشئون حكومته الأموية ، ويقول لني أسد :

فما حُتت كتافكم لنبوة      واستأنفكم قد أنكرتها أمار

والحق أن الأخطل كان مضوراً بهذا المحيط الإسلامى فكان ينصر فيه ويتعدى عنه ، حتى صغت الصفة المسيحية في شعره لولا أبيات نادرة نعدّها نصّاً أثراً عكسياً لهذه الحمة الإسلامية : —

ولستُ بضائمٍ ريمضان طوعاً      ولستُ بآكل لحم الأصاحى  
ولستُ بقائمٍ أبداً أمادى      كذل القير حى على الفلاح  
ولسكى سائرهمها شتولاً      وأسعد عد منفع الصبح<sup>(١)</sup>

وقد سقت عن مهاجمة الإسلام هذه الحكومة الإسلامية التى تطله وتحميه كما منعه عن مهاجمة مصر أنها أصل قريش والأسرة الحاكمة . وهكذا رأينا الإسلام يبدو في النقائس بمظاهر شتى طردية وعكسية وكان ظهوره فيها أمراً طبيعياً ليس منه مناص .

٢ — وهماك ظاهرة قد تبدو عربية في هذه البيئة الإسلامية القوية هي الإلتفات في المجدد والإقذاع فيه إلى درجة نشئ منها النفوس ، ونسكرها الأخلاق العاصلة ، والتعاليم الدينية ، ونسعى الألسنة أن تردد بصورها وإن كانت الدراسة العلمية والتاريخية مصطرة أن تتناول كل شئ فيه حتى لا يفوتها عصر من مقومات هذا العصر الأدبية والاجتماعية ، وكانت هذه الملاحظة والمناقشة تحمل كلا من الشاعرين على الطوف في هتك حرمت الآخر ، ونهش أعراضه ، ونشيع بمحاريه ، حقاً أو تحيلاً واستعراضاً حتى لتعد هذه الصور خطوة حريئة ، وأمراً غريباً في ظل الإسلام لم تر الجاهلية مثله أبداً إلا إذا صحت أبيات مدسوسة لزهير ابن أبى سلمى ، على أنها إذا صحت كانت شأراً أدبياً في ذلك العصر القديم ، أما

في هذه الفترة فكانت المواقفة الدنيئة عنصراً هجائياً أصيلاً ولا سيما بين حرير  
والفرزدق . وإذا لاحظت بعض النقاد الأمويين خطر غزل عمر بن أبي ربيعة على  
اسماء الجعاف إذا شك أن هذا الفحش العراقي كان مسة شيعية يستحزى  
منه النساء والرجال جميعاً كان خطر الغزل العمري ناشئاً ، فيما أرى ، عن أنه  
يوقظ غرائز المرأة ، ويشير شهواتها ، وسرى الرجال باللهو والعتى . وكان خطر  
الفحش الهجائي ناشئاً عن تصوير المورثات ، واختلاق الشاعرات ، وإلحاح في  
وصفها ، وسرد تفاصيلها بلغة مكشوفة ، وأسلوب واقعي ، ليس أسلوب الجاحظ  
في الترشيح بحايه ، فعاد قبيحاً شنيعاً ، كان عمر يحجب المرأة إلى رجل ، وكان  
المحباءون يعضونها إليه ، وقد نال جعش أخت العزق وأم حرير من ذلك أذى  
كثير ، وإن ارمز إلى شيء من شواهد ذلك ، وعلى من أراد تبين هذه الصورة  
رجع إلى دواوين الفحول وثقاتهم فيها حقائق ما وصفنا ؛ هذه أم جرير يقول  
فيها الفرزدق . —

أررى تمزيك أن أمك لم تكن	إلا اللثيم من الفحول تفتحل
فصح الله مقرة في مطها	منها خرجت وكنت فيها ترحل
أنشئت بجنى أهلك هي حينة	وسها إلى قمر لفرقة يصهل
يسكى على دمن الديار وأمه	تلقو قصبه العجير وتسقل <sup>(١)</sup>

وهذه حقة امرأة من عداة من يربوع تقول فيها الفرزدق : —

وقفت لفرجني فقلت لها اركبي	يا جنى أمت وما جعت الأسفل
وكنت	.....

وتركت أمك يا حرير كأنها  
وكأنما . . . . . السباح في شيتل<sup>(١)</sup>  
ويقول في ساء بي كليب : —

سود الحاجر مئى؛ لئانها من كزيمى عبرة خلال  
يعوير محتلط للسلام كما عوت حلف البيوت كلالها إعطال  
يرفمن أرحلهم عن مفروكة من الرفوغ رحمة الأحوال  
تلقى . . . . . بعال  
يستلحن . . . . . الإزال<sup>(٢)</sup>

ولم يكن جرير دون صاحبه معاهة بل كان أشد نخسا وألمع في الإقذاع  
ورعاً نشأ ذلك عن تكائب الشعراء عليه ، وهو ان حسه ، وشدة انفعاله ، حتى  
تولد في نفسه ما بدعى ( مرَّكت النقص ) وصار لا يحصل من أحد عمرأ ولا مسبة  
فإذا هاجمه شاعر ، أو أعان عليه شخص ، أو قدده بأقد أشب فيه جرير محال به  
ونش عرضة ، ونشر محاربه أو ابتدع له منها عاشاء حياته الخصب وتصويره  
المعجب أنظر إليه يهاجم الفرزدق من ناحية ( جعثن ) —

وأفأك عذرك بالزير على مى وعمر جشكم بذات الحرم  
بات الفرزدق يستجير لنفسه وعمان جعثن كالطريق المصل  
أسمت جعثن بد يحمر برجلها وللقرى يدوسها يمشل

تهوى استها ويقول بال محاشيهم  
لو أمك بعد أكل خزيها  
في مُرمد عميق كأن . . .  
ومشوقُ نَفْسِها كعبين الأقل  
تعدّ مثل فوارسي لم تفعل  
خلّ المجازة أو طريقُ المُصلي<sup>(١)</sup>

ويقول في بني ضرار : —

إذا ما كنتَ ممسأ . . .  
ولا تمسك من أربٍ يحام  
وإن لا قيت صبأ . . .  
فلا تعدل . . . بني ضرار  
سواء ذو العامة والخمار  
فكل رجالهم رغو الحمار<sup>(٢)</sup>

ويقول في رطل العردق : —

فبح الإله بني خفاف ومرة  
من كل ألف الموارث تنقي  
فامت سُكينة للهول ولم تهم  
ودت سُكينة أن معد قومها  
بات الخزي لمن كالأحقال  
مخترق كخرد البقال  
بت الخلت يسورة الأهل  
كأت سواريه أيور يقال<sup>(٣)</sup>

وكان الأهل دور صاحبه في هذا النوع من السباب ، وعلى مرجع  
ذلك خشية أن هاجم ساء المسلمين في دولة إسلامية ترعاه ، أو يخلط مدائمه في  
الحلفاء بهذا السباب ، أو تورط في شيء لا يلائم طبعه فقلت في شعره هذه الصور  
القيحة وعدنا على نحو قوله في جرير : —

إذ كان مرلك المروث مُحجراً  
جاءت به مُعجلاً عيب سامع  
بأن المراجعة يا حلى مختار  
من دى لخاله جهم الوحد كنفار

(١) القائل ص ٢٠٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٤٩ .

(٣) ص ٢٢١ .



أَمْ لَيْسَ بِمَحَلِّ الْعَمَلِ مُقَرَّرَةً أَذْكَ لَعَلَّ لَتَسِيمِ الْجَعْلِ شَعَارٍ<sup>(١)</sup>

وعلى نحو قوله في بي عداة من يروع :-

نَمِ الْإِيَابُ إِلَى سُـ وَدِ مُدْنَسَةٍ لَا يَسْتَحِينُ إِذَا مَا احْتَنَكَتَ لُفْرٍ<sup>(٢)</sup>

ونحو قوله :-

فَلَا تَدْخُلْ بِيوتَ بَنِي كَلْبٍ وَلَا تَقْسِرْ لِمَنْ أَبْدَأَ رَحَالًا  
تَرَى فِيهِمُ الْوَامِعَ مُبْرِطًا بِكَدْنٍ . . . . . بِالْخَدَقِ أَرْجَالًا  
قَصِيرَاتُ الْخَطَا عَنْ كُلِّ بَرٍّ إِلَى السَّوَاهِ مُسَيِّحَةً عَجَالًا<sup>(٣)</sup>

وقد أدى ذلك إلى نئين أشد ما هيئت به كل قبيلة أو طائفة ، فقد روى

عن بني كليب ردهم أنهم لم يُهجو شيء أشد عليهم من قول لتبيث :-

وَكُلُّ كَلْبِيٍّ صَمِيحَةٌ وَحِيٍّ أَدْلُ لَأَقْدَامِ الرِّجَالِ مِنَ الْعَمَلِ  
وَكُلُّ كَلْبِيٍّ يَفْشُدُ أَتَانَهُ لَهُ حَاحَةٌ مِنْ حَيْثُ تُكْفَرُ بِالْخَلْلِ

ورفعت سو مجشع أنهم لم يُهجو شيء أشد عليهم من قول حرير :-

وَرَحْرَحَ حَانَ غَدَاةَ كُتَيْلٍ مَعِيدٌ مُسَكَّتٌ رِسَاؤُكُمْ بِشِيرِ مَهْورٍ

وفان حرير : ما هجينا شيء قط أشد علينا من قول الأخطل :-

مَا رَالَ فِينَا رِبَاطُ الْخَيْلِ مُطْلَعٌ وَفِي كَلْبِيٍّ رِبَاطُ الْفُلِّ وَالْعَارِ

فوم إذا استفتح الأضياف كلتهم قالوا لأهمهم : تولى على انصار

قال حرير : لأنه هجانا من وجوه شتى : أما أحدها فإنه حمل أمّا حادضا ،

(١) نقائس حرير والأخطل من ١٢٩ . (٢) من الترويح من ١٦٥ .

(٣) من ٩٩

وأما الثاني فأمرنا إياها أن تطلق النار من سيف يشوّر بها ، والثالث أن تفتح . .  
والرابع 'حمل' القرى . ورم الفرزدق أنه لم يهبج بشيء قط أشد عليهم من  
قول جرير : -

ودتْ سُكَيْةُ أن مسجداً قومها كانت سواربه أبور بهال  
قال الفرزدق : والله ما دخلتُ مسجداً قط إلا ذكرتُ هذا من قوله إذا  
نظرت إلى سواربه <sup>(١)</sup> . وكان جرير يقول عن قوله في بي تلج : -

والتملبي إذا تسحح للقرى حكت أسنّه وتمثل الأمثالا  
قلتُ لهم بيتاً لو طعن أحدهم في أسنّه لم يحكها ، وما قال جرير في  
بي غير : -

فممن الطرف إنك من نمير فلا كبا بلغت ولا كلابا  
قالوا : والله لو ددنا أننا افتديناه بأملا كما .

٣ - هذه الواقعة وذلك المبعاء العارى المكشوف بدا في عدة مظاهر : في  
هذه الألفاظ المفردة التي تدل على معانيها دلالة حقيقية سافرة لا رمز فيها ولا كناية ،  
وهذا رأياً منه في شرا الجاحظ ، وفي كتلب الحيوان حاسة ! قد وجدت هؤلاء  
الفحول يؤدّون العورات بألفاظها الحقيقية دون موارد على يختارون من أمثالها  
أدلها على الفحش وأقرها إلى الابتدال .

وفي الصور محمد المرى والسفور شبيهاً قبيحاً كما رأيت الأخطل يصف  
نسوة كليب ، وكقول جرير : -

رَأَتْ أَنَّ الْأَحْيَاطَ وَهِيَ تَتَوَلَّى عَلَى الْخَبَرِ بِرِجْلِ تَحْتَهُ عَمْرًا لَا  
تَعْلُ الْخَبَرَ نَحِيحُ أَحَدَتَهَا وَتَشْكُو فِي قَوَائِمِهَا أَمْدَلًا لَا  
مِنْ الْمَوْتِ حَسْرَةً عَلَى الْفَتَى وَهُوَ يُرِيحُ الْخَبَرَ وَلَا أَمْدَلًا<sup>(١)</sup>  
وَكَقَوْلِهِ الْبَاقِي :

وَالنَّبِيُّ إِذَا تَمَحَّجَ لِقَرَى خَلَّتْ أَسْنُهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَلُ<sup>(٢)</sup>  
وَكَاثِبَةُ الْوَاقِعِيَّةِ يَدُو أَسْيَانًا كَثِيرَةً فِي الْمَعْنَى فَمِذَا الْقَرْدُوقُ يَتَمَحَّجُ إِلَى  
عَمْرٍو بْنِ لُحَا يَعْرِفُ مِنْهُ مَثَابَ بَنِي حَمِيرٍ وَنَايُهَا يَهْجُونَ فَهَذَا أَحَدُهَا عَنْهُ  
عَمَامٌ فِي قَصِيدَتِهِ لَتِي تَقُولُ فِيهَا :

وَبَنَنْتُ دَا الْأَهْدَاءِ بِمَوِي وَدَوْنَهُ بِنَ الشَّامِ رَرَاعَاتُهَا وَقُصُورُهَا  
إِنِّي وَلَمْ أَتْرِكْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً وَلَا نَابِحًا إِلَّا أَسْتَرْتُ نَقُورُهَا  
عَوَى بِشَقًا لَا يَتَى تَحْمِيرُ وَدَوْنَهُ نَصَادِرُ وَأَحْمَالُ السَّرْ فَيَرْهُ  
وَبَنَنْتُ كَلْبًا أَمْرًا حَبِصَةً قَدَعَوَى إِنِّي وَبَارِ الْخَرْبِ تَعْلَى قُدُورُهَا<sup>(٣)</sup>

٤ — ومع هذه الواقعية كان هناك خيال حبيب يسكر الصور ، ويبالغ في  
المعاني ، ويخترع الوقائع والحوادث غير آبه بما يرفك في سبيل ذلك من كذب  
ومنون ، فمع اعتراف جورج بصلاح ( جيفن ) وغفلتها أخذته شغف بها ، وعرضها  
عرضاً قبيحاً ، ويحد المرردوق يخترع قصصاً غرامية شتى كهناك القصة التي وضعها  
على مريم القيس ( دارة خاتون )<sup>(٤)</sup> وقصة روجه حذرة بنت ربيع بن سظام  
ابن قيس الشيباني التي تزوجها على النوار وما انتهت به حياتها مما يشبه  
( لدرما )<sup>(٥)</sup> وقد عمت فيما مضى قصة حمير وأنها حدثت بسير لا حصر  
فيه ولكن انظر كيف صورها جرير ، وأطرب فيها ، وأكثر مفاخرها ،  
وشجع بها :

(١) الشاعر جرير والاحطاب ١٩٥ (٢) من المرجع ص ٨٩ -  
(٣) لتمام ص ٩٧ (٤) من ص ١٠٥ (٥) من المرجع ص ٨٣ - ٨١

سِيمُ غَمَرِ جَعْنٍ وَاحْتِيْتُمْ      أَلَا تَأْتِي فَعْرَكُ بِالْخَبَرَاتِ  
وَقَدْ دَمِيَتْ مَوَاقِعُ رُكْبَتَيْهَا      مِنْ التَّبَرُّكِ لَيْسَ مِنَ الصَّلَاةِ  
تَمَّتْ الْبَيْلَ تَلَقَّى بِسَكْنَاهَا      كَذَابِ التَّرَكُّ تَلْعَبُ بِالْكَرَاتِ  
وَحَدَّ الْمَقَرَّى بِهَا هَزَّتْ      عَلَى أُمِّ الْقَفَا وَالْيَيْلُ عَاتِ  
تَنَادَى غَالِبًا وَبَنَى عَقْلِي      لَقَدْ أَخْرَجْتَ قَوْمَكَ فِي الدَّاءِ  
وَجَدْنَا نِسْوَةً لَبَنِي عَقَالِ      بَدَارِ الْفُتْنِ أَغْرَاضَ الرُّمَاهِ  
غَوَانِ هَرٍّ أَخْبَثُ مِنْ سَحِيرِ      وَأَعْنُ مِنْ نِسَاءِ مُشْرَكَاتِ  
وَسُودَاهُ الْحُرُودِ مِنْ عَقَالِ      تَبَايَعَ مَنْ دَمَا خُذَهَا وَهَاتِ<sup>(١)</sup>

وَكُلُّ هَذَا رَدًّا عَلَى مَا صُوِّرَ بِهِ الْفِرْدَوْسُ نِسْوَةً بَنَى كَلِيبُ وَأُمُّ جَرِيرِ

إِذْ يَقُولُ : -

حَزَنَتْ إِلَى هَجَاءِ بَنَى تُجَرِ      وَخَلَيْتِ اسْتِ أَمْلِكِ لِلرُّمَاهِ  
فَأَصْرَتِي وَأَمْلِكِ حِينَ أَرْمِي      مَشَقَّ هِجَاتِهَا بِالنَّافِرَاتِ  
وَتُمَسِّي نِسْوَةً لَبَنِي كَلِيبِ      بِأَسْوَاهِ الْأَرْقَةِ مُقِيمَاتِ  
رَوَا لِمَكَّةَ بَنَتْ حَدِيثًا      مَأْجِبَتْ سَنَةَ شَرِّ الْبَيَاتِ  
بِأَحْرَاحِ خَيْثَاتِ اللَّلاقي      شَيْطَانٍ وَهَرٍّ غَيْرُ مُحْتَسَاتِ  
بِيَمْنِ فَرُوحَهُنَّ بِكُلِّ قَلْبِ      كَيْبِ السُّوقِ خُذْ مِثْقَى هَاتِ  
تَحَالُ يُطَوَّرَهُنَّ إِذَا أُبْحِثَ      عَلَى رُكْبَانِهِنَّ مَحْوِيَاتِ  
أَبُورَ انْخِيلَ قَدْ سَفَطَتْ خَصَاهَا      بِأَطْرَافِ الْمَفَاوِزِ لَاغِيَاتِ  
كَيْرُنَ وَهْنُ أَرْنَى مِنْ قُرُودِ      وَأَجْسُ مِنْ نِسَاءِ مُشْرَكَاتِ<sup>(٢)</sup>

٥ - الميل إلى الاستقصاء ، وحشد الأيام والحوادث والأسماء مما جعل النقائص سجلاً تاريخياً لصغات القبائل وأيامها وحوادثها ورحاها المشهورين وما ألم بحياتهم من مواقف كريهة مجيدة أو وصيفة دليلة ، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصلين السابقين ونحن نعرض النقائص ، وكان ذلك أمراً طبعياً ، فكل شاعر حرص على أن يحشد في حاسب قومه مسائلهم وأيامهم ومواقفهم وأحاديثهم وأن يصنع بحوارها مثالب حصمه وهزائم رهطه ومخاريبهم وجباةهم إلى غير ذلك بما تقتضيه مواقف التحدى والمفاخرة وكان علينا أن نكتفي بالإشارات السابقة ولكن لم لها بعض الشواهد الخريفة خدمة هذه الدراسة الفنية ، قال جرير في بنى ضبة أخوال الفرزدق : -

يا ضبة قد فرغت يميني فاعضوا	طائفاً وما شغل الفيون شمالي
يا صبة على أن تصيب مواسي	كوراً على حتن ورهط بلال
يا صبة إني قد طمعت بحاشيما	طخاً يزيل كجامع الأوصال
يا صبة لولا حبكم ما كنتم	غرمنا لنيل حين جد ينصال
يا صبة بكم البكار وبنى	متخبط قطم يخاف صبال
يا صبة عيركم الصميم وأنتم	تبع إذا عد الصميم توالى
يا صبة بكم استمد جشوة	مثل البكار ضمنتها الأعمال
يا صبة إن هوى الفيون أصلكم	كضلال شبة أعر الدجال <sup>(١)</sup>

وهكذا أخذ يستقصي جرير مثالب ضبة ونظمها في هذه القصيدة الطويلة ، وقال الفرزدق في ميمته مشهورة يسرد من أيام وحوادث : -

ويوم حصد الطل فيه لماري	مصمة تغاي شئون الجاهم
فنه يوم للبريكين إذ ترى	شو عامر أن غام كل سالم

وممن بدأ أحى طفل من ماله  
ونحن صرنا من شتى من حاند  
ويوم اس دي سدان إدا مورت مه  
ونحن صرنا هامة ان حوند  
ونحن قتلنا ابي هسيم وأدركت  
ونحن قتلنا من قدامة رأسه  
وعمرنا أبا عوب تركنا تلتقى  
ونحن تركنا من هلال بن عامر  
لدهما نعيم حيث حدث عليهم  
ونحن قتلنا من مصادير وماتنا

على قرزول رختي ركوض الهزائم  
على حيث تقببه أم الحاحم  
إلى اللوت أعجاز الرياح العواثيم  
يزيد على أم القراح البسواثيم  
غيرا ما ركض الذكور الصلادم  
بصدع عن يوحه مندقم  
من الخيل في صام من القمع قاتم  
نماين كمال للصور الفشائم  
مترك من رمها المزاييم  
وكن إذا يتقين غير حوائم<sup>(١)</sup>

ويأخذ الفردق في ذكر رجاله الأحاد في تقيصه اللاميه وغيرها واجداً في  
ذلك مدداً خصاً ، وفحراً عريضاً ، وحلالاً عالياً : -

بيتاً ردة محتب مناهه  
يلعون بيت محشع وبدا احسوا  
وإذا دعوت من قسيم جاني  
وإذا الربائع حاس دفعهم  
هذا وفي عدوي جرمومة  
وإذا البراجم بغروم تخاطروا

ومحاشع وتو الفوارس مهش  
برروا كنههم الجمال المنسل  
تحرله العدد الذي لا يعدل  
موحاً كنههم الحراد المرسل  
صب ما كنها ريباف عيصل  
حولى بأعل عرء لا يبر

(١) من ٢٨٥ وراجع من ٢٢٢ و ١٨١ و ٦٠٧ و ٦٢٥ و ٦٢٧ و ٧٤١ و ٧١٩ و ٨٥٢

وإذا بدختُ ورايتي يمشي بها مهيانُ أو غدس العمل وجدل  
 الأكثرون إذا بعدُ حصم والأكرمون إذ مُد الأول<sup>(١)</sup>  
 وكذلك عدد طقات الشراء القدير أورثوه الشعر<sup>(٢)</sup> ويقول حرر :  
 أسو طهينةً يعدلون فوارسي و هو خفاف ودالك ماء يعدل  
 ويد عصتُ رمي ورائي بالحصى أماء حداتي كحير الحدل  
 عمرو وسعد يا فردني فيهم دهرُ "تجوم وبادحات الأحمل"<sup>(٣)</sup>

٦ — وإذا كانت المناقصة طوية العهد ، كثيرة العدد ، فإنها تسعد المعاني  
 بسرعة وتستفرقها بحيث يبرع الشعراء ما في جُعبهم في عدد قليل منها ، لذلك  
 عمدوا إلى التكرار ، وترديد المعاني ، والأيام ، والأحداث ، فالأحطل يكرر أيام  
 قومه على قيس ، وما ترددم ، ومثالب كليب ، والفردق يفعل ذلك بالأيام  
 والرجال . وأما جرير فقد لاحظ النقاد إلحاحه على الفردق عماني الزبير ، وجمعي  
 وانقيون ، والري ، وانقي من المدينة ، والسيف وكذهبهم عدوا ذلك قصراً في  
 هجائه وصيةً في محاله ، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك ونقشه في لئيل السائر  
 ( ص ٤٩٠ بلاق ) . كذلك ردد مع الأحطل الحر ، والكفر ، والحري ، وقدارة  
 نسوة تغلب ، وهرانم رجالم<sup>(٤)</sup> .

يقول جرير في قبضه —

فبو أيام حمي كان قوي هم قوم الفردق ما استجارا

(١) نقائس ص ٢٢٨

(٢) ص ٢٢٤

(٣) ص ٢٠٠

(٤) راجع نقائس جرير ، الفردق ص ٢٢٢ و ٢٥١ و ٢٦٨ و ٢٩٨ و ٣٢٩ و ٣٨٠ و ٤١٢

و ٥٦ و ٨٥٢ و نقائس جرير و الأحطل ص ٨٧ و ١٢٨ و ١٧٤ .

فطل الفين بعد مكاح ليلي      يُطير على ممالك الشرار<sup>(١)</sup>  
ويقول في أخرى : —

لاقيت أعينَ والرَّبيرَ وحشاً      أعدلَ مُحريه عليك يقال  
ودعا الربير محاشاً ففرمت<sup>(٢)</sup>      للندر الأم آف وسيل<sup>(٣)</sup>  
ويقول للأخطال في قومه : —

عدوا الصليب وكذبوا محمد      وعبرثيل وكذبوا ميكالا<sup>(٤)</sup>  
ويقول في نقيضة أخرى : —

أبالصليب ومار سرحين تنقى      شهباء ذات كتاب حمورا<sup>(٥)</sup>

٧ - وإد كان الفخر والمجاء أهم فنون الفائن قد عسا على القصائد  
أولاً ، ثم وردا فيها محتطين نائياً بحيث نحد الأبيات للتجاوزة جامعة بين الفين  
دون فصل أو تسبق ، بل نحد البيت الواحد يجمع بين الفين ، وذلك لأن  
الفرزدق مثلاً يفخر شميم ويهجو بني كليب ثم يصح ما أثر تغب وثم أمام مثالب  
قيس وجرير وبقرون المعاني معاً ويوارن بينها ، وكذلك جرير يهجو جرير  
وقيس يهجو أماب ودارما ، والأخطال يخلط بين الفخر بقومه وهجاء قيس  
وهكذا . ثم رأينا فيما مضى أن الأخطال كان يحسن تقسيم قصيدته وتصنيفها أحياناً  
فيتأثره جرير في ذلك ، كالرائية التي مدح بها عبد الملك ، ونقصها عليه جرير .  
يقول جرير للفرزدق في مصرع قتيبة : —

فبرك أدى للخليفة عهداً      وعبرك جلتي عن وحوه الأهاتم

(١) م ٢٥٢ . (٢) م ٢٦٤

(٣) هاتفي جرير والأخطال م ٨٧ . (٤) هاتفي م ١٢٥ .



فإن وكيعاً حين حارت "محاشع" كفى شعب صدع الفتحة المتعاقم  
لقد كنت فيها يا فردق نايماً وريش الذئبى تابع للقوادم  
ندافع عنكم كل يوم عطيمه وأنت تروا حى سيف السكواظم  
أحنأ وفحراً ناسى ريد استيها ونحن نسال حرب شيب المقادم<sup>(١)</sup>

فحر يبروع ، وهجاء لمحاشع ، وفحر نايبة ، وهجاء ، ثم فحر فى حصة  
أبيات .

وهذه لصورة غير لازمة لهذه الدقة ، فقد تحتجع أبيات الفخر وحدها ثم  
أبيات الهجاء وحدها . وسكنت بعد أبيات فخر ، فأبيات هجاء ، فأبيات فخر ثم  
عودة إلى الهجاء وهكذا . وقد نجد سبباً وقصصاً خلال ذلك أوفى ديباجة القصيد  
ولكنه - بسبب قوى من الفخر والهجاء بل قد يكون أحدهما نوعاً من النقائص  
أيضاً كما قد صنفنا .

٨ - وكانت الجلالة هى الطابع الغالب على النقائص الأموية ، وإذا كانت  
الجلالة تقابل اردالة والإهمال فقد عاشر هذه المواقفة من هذه الرذالة  
ورادفعية وقوة ثبات عن طبيعة الفخر والهجاء وعن شخصيات الشعراء ولغولتهم التى  
خلقت ذروتها فى الشعر العربى على عهد الأمويين ويمكن تبين هذه الجلالة إذا وادى  
بين النقائص وبين الشعر الفخر والشعر السياسى فى هذه الفترة ذاتها ، فقد امتار العزل  
بارقة الجلالة ، وامتار الشعر السياسى بالسهولة والوضوح ثم القوة أحياناً ، وكان  
لهذه الموضوعات أثر واضح فى أساليب الشعر وعذراته وصوره<sup>(٢)</sup> ولكن يلاحظ

(١) نقائس من ٢٩٩ .

(٢) راجع تاريخ الشعر السياسى المذكور فى مواسم حومه المية . وكانه الأسلوبى يندرج  
أصله فى فصل اختلاف أساليب الشعر .

بحسب ذلك أيضاً أن هذه الحيلة كانت من طمع حرير والفرزدق والطرقح وغيرهم ، ومن صفة الأحطل وعادته الشعر ، أنه في ذلك شأن رهير وسبه والخطبة من كانوا يعدون قصيدهم في أمه ، وقصد ، وإحكمة . وهذه الملاحظة غالية فلم يحل شعر الأحطل من طمع كما لم يحل شعر أصدده من جهل ومثاقف<sup>(١)</sup> وأعلمنا لا نحتاج إلى الاستشهاد بهذه النخاسة فكل شعر القائلين شواهد على ذلك ، نحدد ذلك عند الفرزدق في مثل قوله : —

إن الذي سمك السماء بنى لنا      ست دعائه أعز وطون  
بيتاً بناه لنا للمليك وما بنى      حكم السماء فيه لا ينقل  
أحلامه نزل الخيال دراة      ونحلمنا حيث يد ما يحمل  
فادفع بكفك إن أردت بناء ما      نهاناً ذا المصنات هل يجعل<sup>(٢)</sup>  
وعند حرير في نحو قوله —

ألم نحن قد علمت مقد      عداة الزوع أجدر من تدار  
وأصرب بالسيوف إذا تلاقت      هوادي الخيل صادية حاراً  
وأهدى في الفرى وأعز نصراً      وأمنع حايماً وأعز حاراً<sup>(٣)</sup>  
وصفة الأحطل ظاهرة جداً في رأيته التي نشأ حوليات رهير بن أبي سلمى ومنها قوله : —

حشد على الحق عيافوا الحيا أئف      وإن أعتهم مكروهة صبروا  
لا يستقل ذوو الأصقان حرهم      ولا يبدق في عيادهم خور

(١) اراجع القائلين ص ٤٢٢ — ٤٢٣ عن جرير وص ٤٢٠ — ٤٢١ عن الفرزدق وقائس  
حرير والأحطل من ١٢١ - (٢) لقائس ١٨٢ ١٨٥ (٣) ص ٢٥٣

شمس' المدونة حتى يستفادَ لهم وأعظم الناس أجلاً ما يدقرو<sup>(١)</sup>

٩ - ومـ له تعالى يحتاج إلى ملاحظة خاصة ، و ، أقصد باماني هـا  
الأفكار والحقائق النظرية والواقعية ، وإلى أي حد تنصح هذه الأفكار التي  
دارت في انقائض الأموية ؟ وهل كيتها نكبي للـ هذه الدواوين الصالحة ؟  
وإذا كان هناك اختراع واقتراء فهل يجوز ذلك في هذا الباب ؟ أما عن كيتها  
فقد قد من قدس إليها كست قليلة فاضطر الشعراء إلى تكرارها ، نعم إن هذا  
التكرار كان في صور مختلفة أحياناً وليكنها صور صاغت عن انشوع الكافي  
والشجديد مقول<sup>(٢)</sup> وأما عن صحة هذه النعاني فقد رأيت حريراً مثلاً يرمي حتى  
بغير حق ، والمرتدق يشع دأه حرير شبيهاً بأصلاً ، والأحطل يحرر دأه ليست  
له ، وأما عن ذلك السهل والمناجاة فكان السوحيه يحرر بعضهم كعاني سيف ،  
وأسر حاجب ابن رزاة ، والمرتدق يحرر من الموام ، وادعاء بر بوع يوم دى فار  
ومحو ذلك على أن الكذب في الشعر لا يفسد لكل ما ادعى هؤلاء وحادوا فيه  
من جادة الصواب .

وهناك هذه الأفكار القبيحة والحكم الخاطئة ، ولا أراها كثيرة تلائم كثرة النعائس  
بل هي قليلة إلا أحياناً سائرة صارت مثلاً معروفة وإلا أحياناً مصصة حكماً قرآنية  
كقول المرتدق : -

ولست بما أخود نامو تقوله إذا لم تصد عاقدات العزائم

حتى أن الأفكار القبيحة ، والطرائف الاجتماعية ، والحقائق المقررة ، إنما كثرت

(١) نقائض حرير والأصل ص ١٥٥

(٢) راجع لسان الشاعر لاسي الأثر طبع بولان ص ٢٩٠ و ١٠١ و ١٠٢

في الشعر العربي بعد ذلك العهد وحين تقدمت الحصاره العباسية فأنتمرت أبا تمام وأبا المتاهية ، وابن الرومي ، والنسي ، والمعري وأصراهم .

١٠ - وهل كانت السواط التي شتت هذه النفاص كيم . فكانت بصفاً وحنفاً في الهجاء ، وكانت حياءً ووخاً في السب ، وكانت تحذيراً وتعالياً في القبح أكانت عواطف صادقة ؟

كان سب جرير كالأخطا طليعياً مع عفافه ، عني أنه كان بصور حب ارجل لمرأة أو هذا الشعور الإنساني الطبعي الذي يستكن في نفس الرجل نحو المرأة لذلك كان رقيقاً شجياً بخلاف سب الفرزدق فكان صنعة أو جافاً غبيظاً ليست فيه رقة جرير ولا صدقة وكذلك الأمر في الأخطا وكان لخر الفرزدق بقومه صادقاً طليعياً وكذلك لخر جرير بقومه أمام نعلاب وبيروغ أمام درام . بقي لخر جرير نفس والفرزدق نعلاب ، والمفروض أنه لا يسنج درجة سابقه في الصدق والقوة ، ولكن الذي ماث فيه الحياة موقف التحدي والملاحاة بين المتنافسين وكان هجاء جرير عاطفياً عنيما يمثل السخط الحقيقي ويؤدى هذه الرسالة التي نثته بها أهله إلى المرند بدود عنهم كل من هجأهم ، وسيأتي القول في ذلك ولكن المسألة التي يريد التنبيه عليها الآن هي أن هذه المهاجاة قد استعملت أحياناً إلى نوع من الغش الفنى والمباراة الأدبية لا عبر دون أن تنصر عن حقد أو سخط يدلنا على ذلك تلك القصة التي نقلها عن ابن جحكان<sup>(١)</sup> حين قصد ارضاعة جرير والفرزدق إلى هشام بن عبد الملك مرتدين على باقة ، فبرل جرير لقضاء حاجته فحملت الباقة فحملت قصر بها الفرزدق وقال : -

(١) ١٠٣ من ١٠٣ من وفيات الأعيان .

إلام تلعّتين وأمت تحمّتي وخير الناس كلهم أمانى  
متى تردى الرصافة تستريحى من التهجير والدّثر الدوامى  
نعم قال : الآن يحىء جرير فأشده البيتين فيقول : —

تلفتُ أهلاً تحت ابن قين إلى الكيرين وأعاس الكهم  
متى تردى الرّصافة تحرف فيها كحزبك فى المواسم كل عام

لغناء جرير ، والفردق يصحك ، فقال : ما يصحكك يا بارس ؟ فأشده  
البيتين لأولين ، فأشده جرير ، البيتين الآخرين ، فقال للفردق : والله قد  
قلتُ هذا . فقال جرير : أما علمت أن شيطاناً واحداً ؟

إذ سمعت هذه الحكاية دلت على أن الناقصة كانت فى بعض الأحيان  
تستعمل صنعة مينة كما يعمل المشارون فى الماء والملاحاة بأودويل ، دون حقد ،  
بدليل ما كان يعرف كل صاحبه ، من قيمة فنية .

١١ - وهماك قوة الحدل والتحام الشعراء بالملاحاة فى المعانى والأحداث  
وعناية كل بالاحتجاج لنفسه وبأييد وحمية نظره حتى فى الأمور المقررة التى لاتقبل  
جدلاً كصرة الرومى وأسر حاجب بن ررارة ، وهذا الحدل كان حتماً ليظهر  
كل بانصرة لنفسه ولزمطه فى هذه البيئة الثائرة الناقدة التى تلتقط كل كلمة  
يقولها شاعر ، من ذلك ما قال الفردق فى لاميته . —

إن الذى سمك السماء منى لنا بيناً دعائمه أعز وأطول  
قال له جرير : —

أخرى الذى سمك السماء بحاشاً وبى بناءك فى الخصى الأسفل  
تبتاً يحمم قينكم معانه ديباً مقاعده خبيث ادخل

وقد سبت أحرّ بيت نسي هبمت بكم تمثلي تدس<sup>(١)</sup>

ولما قال الفرزدق بيانه في ورائته اشعر : —

وهب القف تدى اللوامع إذ مصوا وأبو يزيد وذو القروح وحول<sup>(٢)</sup>

قال له جرير :

خسب الفرزدق أن تت محاشع ومنذ شمر مرقش ومنهالين

لم وصمت على الفرزدق مسمى وصع البعث جدعت ثوب لأحطان

أعادت ددت بأشمره سما إيقعا فسميت أحرّهم يكأس الأول

إني انصبت من السماء عليكم حتى احتطبك بالفرزدق من عن

من بعد صكتي أدميت كانه حرب تدفع من حذار الأجدل

ولقد وسعتك يا بعث عيسى وضفا الفرزدق تحت حد الكاكل<sup>(٣)</sup>

ولما قال الفرزدق : —

فدنى أسير من نيم وق بها رادى وجلت عن وحوه الأهانم

شفين حزارات النفوس ولم تدع عيسا تقالا في وفاء للأثم<sup>(٤)</sup>

قال له جرير :

فبورك أدى للحلية عهدك وعبرك جنى عن وحوه الأهانم

إلى وكيع حين خارت محاشع كفى شعب مدح أمتة للمواقم

لقد كنت فيها بالفرزدق تابعا ورش الذى نابع للنوادم<sup>(٥)</sup>

ولما قال ابن ميادة : —

فجرنا يا يابيع الكلام ونجرة فاصبح فيه ذو الرواية يستح

(١) التماس من ٢٩٣ -

(٢) من المرجع من ٢٠٠

(٣) من ٣١٨

(٤) من ٣٣٩

(٥) من ٢٠٩

وما الشعرُ إلا شعرٌ فس وجندف  
قال عقاب بن هانم -

الئن كاري قيس وجندف نيس  
لقد حرق الحلي اليننون فسمهم  
وما قال الأحمط :-

حتى أصابت سلبا من عداوتنا  
فأصبحت مهم سحر حالية  
كروا إلى خرتهم مبروهم  
قال له حرير :-

موتوا من العيطر عني جريرتكم  
في بيتك من عذفا لكم  
من تقطعوا نص وددونه مهر  
بخذ، ومالك من عور وخمر<sup>(٢)</sup>

وهكذا ، ولم تحس القنص الحاهلية والإسلامية الأولى من هذا الجنس إذا كان أصلا من أصول المانصة ، ولكنه حدث لم يبع من القوة ، ولدقة ، ولترص مبعه في عهد الأمويين لرق القلي ، ونشدة الحادة ، وامانة القاد والاس جميعا بهنا امن وارتقاهم الفائز به ، ذلك فوق المصبات الحادة ، والبرعت ياسية ، والمنسة الشوية التي خضع لها الشعراء .

١٢ - على أن كثرة القنص والتحام الشعراء أدّى إلى أحد الشعراء بعضهم من بعض مما يري عبارات وأبياتا ، إما استحسانا لها ، وإما ملامتها مقتضى الحال ،

(٢) قنص حرير الأحمط من ١٥٩

(١) الأغاني ج ٢ من ١٠٨ دفتر المكتب

(٣) المرجع السابق من ١٧٣

وإما لبيورتها ودوراتها على الألس وشدة تأثيرها في الأدهاس ، فجاءت حلال الكلام عرساً أو عمداً ، من ذلك اعتزال الفرزدق بالخلافة والنسوة إذ يقول :

إنا وإخوتنا إذا ماضينا      الأخشين مارلُ لتحيير  
عرفنا القبائلُ أننا أربابها      وأحقها بمنايكِ التكبير  
جعلَ الخلافةَ والنسوةَ ربنا      مينا وحرمةَ بيتِه المعمور<sup>(١)</sup>  
وقال جرير للأخطل :

إن الذي حرم المكارم تعلبنا      جعل النسوةَ والخلافةَ فينا  
مُصرُّ أبي وأبو الملوك فهل لكم      يا خزرَ تغلب من أب كأيما  
هذا ابنُ عُمى في دمشقَ خليفةً      لو شئتُ ساقكمُ إلى قطييا<sup>(٢)</sup>  
وقال الفرزدق في اعتزاله منى أسد بن خزيمعة بن مدركة بن الياس  
من مصر : —

وإذا بنو أسد رمت أيديهم      دوى ورخشع قَرْمُهم يهدير  
خشعَ الفِجالةَ تحتهُ ورأت له      فضلا على متفضلين كثير<sup>(٣)</sup>  
وقال جرير في ذلك المعنى :

وإذا بنو أسد على تحدُّوا      نصتَ بنو أسدٍ لمن وادى  
والفرءُ من سلقى كفاةً إنهم      صيدُ الرعوسِ أعرَّةُ السلطانِ  
مالت عليك حالُ غورِ نهامةٍ      وغرقتَ حيثُ تماطعُ البهرانِ<sup>(٤)</sup>  
وقال الأخطل في كليب بن يربوع :

(١) قاتل جرير والفرزدق من ٩١٢ (٢) الأعشى ج ٨ من ٦٠ دار الكتب .  
(٣) قاتل جرير والفرزدق من ٩١٤ (٤) نحه من ٩٠٩



الآكلون حيث الزاد وَحْدَهُم والسائق بطهر العيب ما الحذر<sup>(١)</sup>  
فقال جرير في بني تغلب :

والآكلون خبث الراد وَحْدَهُم والمارلون إذا وارهم تخمر<sup>(٢)</sup>  
ومحو ذلك كثير مجده من رجع إلى دواوين الغائص .

١٣ - وكان أسلوب الموارنة من سمات الغائص الأموية ، لحا إليه الشعراء  
للاحتجاج والدقة والتعدي ، والمقالة كقول الفرزدق :

أعدِلْ أحباباً لئلاً أدقة بأحساناء إلى الله راجع<sup>(٣)</sup>  
أخذاً من قول جرير :

أعدِلْ أحساناً يكرماً حُمتها بأحسانكم ، إلى الله راجع<sup>(٤)</sup>  
وقال جرير :

أحببتَ قومك بالوقيطر كيومنا يومَ الميطر بقلّة الأرحال<sup>(٥)</sup>  
وقال للأخطل :

هلا طستَ الحبلَ يومَ لقينها طمنَ الفوارسَ من نبي هفتاب  
فدعَ الحكومةَ لستمَ من أهلها إن الحكومةَ في بني شيبان<sup>(٦)</sup>

ويقول جرير للفرزدق موارناً بين موقعيهما من قبس وتغلب :

فحرتَ قبسَ واحتحرتَ بتغلب فسوف ترى أي الفريقين أرفعُ  
فأما البصري المائدون تصليتهم فأنوا وأما السكون فافلحوا<sup>(٧)</sup>

(١) قناس جرير والأخطل ص ١٦٤ (٢) نفس المرحوم ص ١٧٤

(٣) قناس جرير والفرزدق ص ٧٠٩ (٤) نفس ص ١٦٢

(٥) نفس ص ٢٠٥ (٦) قناس جرير والأخطل ص ٢٠٨

(٧) قناس جرير والفرزدق ص ١٠٦

ويقول للأخطل

أنا كليلٌ عامٌّ حزينةٌ ، تنقني بها . عليك ، وما تلقى من الدنيا أرح  
وما زال مروعاً لعدوي وجدي . حتى تسقطه الحسرة أبيض  
إذا أخذت قبسٌ عليك وخدف بأقطارها لا تدري من أين تسرح<sup>(١)</sup>  
فما سمع الأخطل هذا البيت الأجير قال : لا أين ، سدت والله على الدنيا .  
هه ، أشد قوله :

وما لك في محدي حصّة تعدها ولا لك في عوزي نهبمة أنطاح<sup>(٢)</sup>  
قال الأخطل : لا أبالي والله ألا تكون لي ، فح لي والصليب القوي ،  
ثم قال : —

وسكننا ر العراف ومحرّم وحيث ترى الفرقور في الماء يفتح  
إذا اشتدّ الدس السحابة وحدنا لما مقدحاً محدي وللدس مدح  
وإنا لمعدودون ما بين مبيح معافير عماد فالحق لي أبيض<sup>(٣)</sup>

١٤ - وكان للفتنص الأموية قيمة ممتازة ، وميزة رفيعة ، وصيت جيد عما  
كان لها في الجاهلية وصدر الإسلام وذلك لأمرنا إلى معصيا في التمهيد ،  
مهما ما كان لهذه الفتنص من صلة بالسياسة العامة للدولة الأموية إذ قامت على  
علاقات القمائل بالدولة والانتصار لها أو عليها كما مضى ، ومنها ما أحييت من  
عصبيات قبلية اشند أوارها فأعقب أياماً ، ومنافسات ، وأحداثاً خطيرة استعابها  
الأمويون فكانت عليهم وبالا كما كان بين قس وطلب وبين اليمية والبصرية  
وبين الشام والعراق والحجاز وفي داخل القمائل وقد وصحنا ذلك من قبل .

(١) الفتنص حرير وحرير من - (٢) (٣) فتنص حرير والأصل من X

ومنها ما أثار حولها من نشاط نقدي قسم العلماء والأدباء ، والمؤرخين شيعاً ،  
وجعل من شعراء النقائص أنفسهم هاداً بعضهم لبعض ، حتى شغل العصر هؤلاء  
الفحول وما أقاموا للشعر القديم من دولة ، ثم ما لا تس ذلك من مثالب أخرى  
جتماعية وخفية تراها في الفصل التالي . معنى ذلك أن النقائص الجاهلية عاشت  
في ظل الأيام ، والإسلامية الأولى عاصرت العزوات في حياة الرسول ، وأما  
الأموية أو الإسلامية الحقة فقد كانت مشغلة العصر ، وعماد حياته ، وأداة سياسته  
وصحيحة حياته الأدبية الأصيلة . فاستعفت عناية خاصة في دراستها .

## - ٢ -

وكان من الخير أن نورد كلا من جرير وصاحبيه مدرس مفصل لما لم من  
أثر خطير في تاريخ هذا الفن وصحة ، ولكنا خشينا أن يكون ذلك أشبه  
بالاستطراد الذي يحد على منيح كتابنا هذا صدقاً عن هذه الدراسة المصغرة إلى  
كتاب آخر يتناول غول القرن الأول أو شعراءه جميعاً . ومع ذلك فلا بد من  
الوقوف عند كل منهم وقعة قصيرة تتناول جانبه الفني المتصل بالنقائص ، ولعل  
ذلك أنفع لموضوعنا وأوفق لمنهجنا هنا .

ذكرنا الميزات العامة لهذا الفن الأموي ، وهي الميزات التي كانت حقاً مشتركة  
بين هؤلاء الفحول جميعاً ، ويريد هنا أن يشير إلى بعض الخواص التي امتاز بها  
كل في هذا الفن ، وما يترك بينهم فيه لنحتم بذلك هذا الفصل الثامن .

(١) ويمكن رد مقومات جرير التي أثرت في نقائصه آثاراً خاصة إلى  
هوان أسرته وفقر قومه بالإصافة إلى أسرة الفرزدق ورهطه فكان يهجر ويهاجم  
غير منكى على منكى . عليه خصمه ، فعمد إلى أحد معانيه من مثالب خصومه

عاباً لا من مآثر أهله ، فكان تلك هجاءً متحشاً معها أقدم أهلها بالمرند  
لا يكسبهم دينا سوى سب من سبهم ، فهذا شيء . وشيء آخر هو طبع جرير  
ورفته وذلك جعل شعره أقل من غامة الفرزدق أولاً ، وبستر عليه تحويده السب  
والرثاء ألعاب رميلية في هذين وصار استاد السب العربي ذلك النوع التنفيذي  
الذي يفتح به القصيد وقد تلمذ له في ذلك الباحثي . وهناك سب آخر لهذه  
الركة في السب والرثاء هو حسن إسلام جرير فقد هلت معه وأكسبه الموعظة  
الحسنة فحوز الرثاء ، ثم معه الزمى والفحور فأصابه شيء من طهارة النفس وكبت  
العاطفة الجسدية فصار بسب متأزراً رقة طمعه ، ويميله انطبع إلى المرأة ميلاً  
إنسانياً طبعاً دون حاجة ليكون كالجحش ، وهذه العاطفة المكبوتة نوعاً ما انتفى  
فيها شيء من حيل ثبته ، لذلك أسف على أن شعله المضاء عن أن يسب سبها  
تحن به المعجوز إلى شبابه ولكن حاجته إلى الرعاية والمأل حملته على المدح ،  
فدح ابن الزبير ، والحجاج وبنى أمية ، وقبلاً وغيرهم حتى يعيش مدحوظ المسكنة  
مكفىً للثبوت . هذا من الناحية العامة .

وأما من حيث صياغة القية فقد كان محافظاً أكثر من الفرزدق على سبق  
القصيدة الجاهلي ، إذ غلب عليه الابتداء بالثيب الرقيق ، وكان سببه أحياناً  
يأخذ شكلين : شكلاً خاصاً به مستقلاً يرضى به فنه ويعمد معه ، وشكلاً  
تقصياً يتصل فيه محصمه ساخراً أو مكذباً ، كما رأينا في محيل اليميتين في مصرع  
قضية من سبم إذ سب جرير لنفسه أولاً ثم أخذ تنقص على الفرزدق سببه  
المصطع . سب جرير ، إذ ، يمكن النظر إليه من وجهين : وجه جاهلي من  
حيث الابتداء به والثرامه في أغلب النفاص ، ووجه إسلامي من حيث رفته  
وعفاه ، ويشبه في ذلك دور الرمة الذي كان إسلامياً في سببه وجهياً في  
وصفه الطبيعة .

وهذا حاسب جاهلي في جرير أو أشد من الجاهلي هو يصحشه في الهجاء وهذا يمثل سطحه الذي يحمله على الساب والتعرض للمحارم وذكر العورات . ومع ذلك فقد كان من الناحية العملية صالحاً يخشى الله واليوم الآخر ، فكأن سبانه مسألة فنية يصطر إليها دون أن يكون قاتجراً أو فاسقاً لذلك هجا الفرزدق بالزنى ومحالفة الأخطل النصراني ، كما هجا الأخطل مكفراً ، وشره الحر ، وعدوله عن الإسلام ، وأكله لحم الخمر إلى نحو ذلك

وميزة أخرى عيبت على شعر جرير هي سهوة إيشائه وعدم نعله وعبادته الشعر ، فناء فنه طمياً سهلاً حميماً مكشوف العاطفة وإن لم يسلم أحياناً من الصنعة والعت ، ومن العريب أن عتته أنتح أسهل قصائده وهي نائيته في الراعى . وهذه الميزة الساقطة أ كست شعره سيورة حتى جرى على أكثر الألسنة وظفر ببعد الصيت أكثر من رميله حتى كان أشعر عند العامة كما يقول بعض النقاد ، وعلى هذا سمر الموارنة بين بيت جرير : —

أَلَمْ خَسِيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُتِدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ ؟  
وَيْتَ الْأَخْطَلِ :

تَمَسُّ الْمَدْوَةَ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهَا وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا  
وَالْحُكْمُ أَنَّ بَيْتَ حَرِيرٍ أَحْلَى وَأَسِيرَ ، وَبَيْتَ الْأَخْطَلِ أَحْلَى وَأَرْوَى .  
كذلك يمكن تفسير رواج مرثية جرير لروحته حاللة بنت سعد حتى مدب  
بها على بعض هؤلاء الفرزدق وهي النقيصة التي مطنحها :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَجَسَنِي اسْتِعَارُ وَلَزُتُ قَبِيرَكَ وَالْحَبِيبُ يَزَارُ  
وَلَقَسَدَ نَظَرْتُ وَمَا تَمْتَحُ هَضْرَةُ فِي اللَّعْدَحِيثِ تَمَكَّنَ لِلْحَفَارِ

فَإِذَاكَ رَئِيكَ فِي عَشِيرَتِكَ مَطْرَةً      وَسَقَى صَدَاكَ مَحَلَّجَةً صَدْرَارَ  
وَلَهْتَ قَلْبِي بِإِدْعَانِي كَثْرَةً      وَتَوَدُّوا التَّائِبِينَ مِنْ بَيْنِكَ صِفَارًا<sup>(١)</sup>

ونحو قوله في النسيب : —

أَلَا حَتَّى رَهْبِي نُمَّ حَتَّى الْمَطَايَا      قَدْ كَانَ مَأْنُوسًا فَاصْبَحَ حَالِيَا  
فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذَكَّرَ أَوْ تَرَى      ثَمَامًا حَوَالِي مَصِيبِ الْحَيْمِ بِأَلِيَا  
إِلَى أَنْ يَقُولَ : —

قِفَا فَاسْمَعَا صَوْتَ الْمُنَادِي لَعَلَّهُ      قَرِيبٌ وَمَا دَابَّتْ بِالطَّنِّ دَانِيَا  
إِذَا مَا حَمَلَتْ أَسَى بَيْنِي وَبَيْنَهَا      وَحَرَّةٌ لَيْسَى وَالْعَقِيقُ الْيَمَانِيَا  
رَغِبْتُ إِلَى دِي الْعَرْشِ مَوْلَى مُحَمَّدٍ      لِيَجْمَعَ شُعْبًا أَوْ يَقْرُبَ دُنْيَا<sup>(٢)</sup>  
ونحو قوله : —

وَلَوْ وَرِثْتُ حُلُومَ نَبِيِّ نَمِيرٍ      عَلَى الْمَهِرَانِ مَا وَرِثْتُ ذُبَابَا  
فَنَصْرَ الطَّرَافِ إِلَيْكَ مِنْ نَمِيرٍ      فَلَا حَكَمًا بَلَفْتُ وَلَا كَلَابَا  
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ نَوَّحِيمٍ      حَسَبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا  
أَلَسْنَا أَكْثَرَ الثَّقَلَيْنِ رَجُلَا      بِبَطْنِ مِثْيَ وَأَعْصَاهُ قَبَابَا<sup>(٣)</sup>

وهكذا يمتاز حرير رقة النسيب ، وصدق الرثاء ، وحيث الهجاء ، مع  
تخويد العنبر ، وجمال الأسلوب وجزالة .

(ب) أما الفرزدق فقد شأ في أسرة عبية ذات مآثر محمودة ، وقوم دوى  
حسب ضخم ، ورجح إلى أعلام ، وأحوال ، وآباء مذكورين ، فأنحد من ذلك  
مادة لفخره وأنحد منه معاية فامتاز بالفخر وعُرف به ، ذلك إلى سلامة موقعه

في قومه واعترازه بهم أكثر من حرير الذي أشرك معهم قيس عيلان إلى حد كبير ، فكان الفرزدق يدعى دائماً رعاة تميم والحامي وراةها ، وتجاوز به الأمر إلى أن يمتن على قومه بالدفاع عنهم وعدم وجود من بعده في ذلك حيث يقول : -

أرؤى من يقوم لكم مفاهى إذا ما الأمر جَلَّ عن العتاب  
إلى من تفرعون إذا حشوتهم بأيديكم عنى من التراب<sup>(١)</sup>

بصاف إلى ذلك حفاء طبعه وعنفوية فيه جاهلية جعلته أشد تحللاً من شعائر الدين وأميل إلى الحرية وتحدور الحدود إلى مقارفة القسوق والعصيان والفجر بذلك ، والاحتراء على المحارم فكان يمثل في حياته وشعره جانباً يقابل ما يمثله جرير ، كان صميم الأنماط غريبها ، فغم العبارات ، يتجاوز قوانين النحو المشهورة وقد تلمذ عليه المتنبى في ذلك . ثم لم يلزم هذه الديباجة الفرعية التي علبت على جرير ، بل كثيراً ما كان يهجم على موضوعه دون التقدم إليه بالنسب وإذا نسب جاء شعره جامعاً غليظاً متأثراً بروح العصر الذي لزمه ولام طبعه ، وذلك أن فسوفه ومقارفته الآثام حصل سببه حالاً من صدق الشعور وأحاله وصفاً وقصصاً وغمراً ، عكس سبب حرير الذي كان شكاة وحزناً مما هو ثمرة التقى والحرمان ، وإن اصطحق الفرزدق الجلال والوقار أحياناً كما يبا في درس ميمته . كذلك لم يزهله طبعه الجاهلي للتجويد في الرناء والعتاب وسأر المواطن اريقة وإنما أقله لأن يهدد معاوية وفتح عليه ، ويهجو بعض الخماء والولاة ويقهى شطراً من حياته مفعلاً مهدداً مطروداً ويحاطب معاوية بقوله : -

أَبُوكَ دَعَى بِأَسْعَاوَى أَوْرَثَا      تَرَانَا فِيحْتَارُ التَّرَثُ أَقَارُهُ  
فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْخُتَلَاتِ أَخَذَتْهُ      وَمِيرَاثِ حَرْبٍ جَانِدٌ لِّلْكَذَابَةِ  
وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حَاهِلِيَّةِ      عَلِمْتُ مَنِ الْمَرْءُ الْقَبِيلُ حَلَالَتِهِ  
وَلَوْ كَانَ فِي دِينِ سَوَى ذَا شَيْئَتُمْ      لَنَا حَقًّا أَوْ غَصًّا بِأَلَاءِ شَارِهِ (١)

وكل ذلك وغيره جعل شعره وقفاً على الخاصة وحرمة الذبوع والسيورة وإن لم يحرم الأمثال والأبيات لما تورة . وإذا كان جرير محافظاً على الديباجة القديمة مجدداً في سببه ورقة أسلوبه ، فإن القرطوبى كان على عكس ذلك إذ حافظ على الغريب ، وضخامة الأسلوب والتعقيد أحياناً ، ولكنه تحرر من الترام السيب ، وهناك ما يفرقة عن جرير فقد ظهر على شعره أنه شعر جهد ومثقة وقصد إلى تفخيم الألفاظ وصامتتها تحذ ذلك واصحاً في كل شعره مثل : —

ومأثرة الأعصارِ صُهبٌ كأنما      عليها من الأين الحسادُ المدوّفُ  
بدأنا سهامَ سيفٍ رَمَلٍ كَهَيْلَةٍ      وبها شاط من مِراحٍ وعَجَرفُ  
وقد علم الجبرون أن قسورنا      صوايس للأرزاق والريحُ زَفَرُفُ  
نعمَل للضيغان في الحُل بالقرى      قلدوا بمصوِّط تُسَد وتعرِفُ  
وما حُل من جهلٍ حَبِي حَلَانَا      ولا قائل بالمرورِ فيا بَعَفُ  
وما قامَ مِيا قائمٌ في مَدِينَا      فينطقُ إلا بالتي هي أَعْرَفُ  
وإلى لمن قومهم تُتَقَى المِدى      ورأبُ الثأى والجاسِبُ للمتخوفُ  
لدا المرأةُ العلياءُ والمسدَدُ الذي      عليه إذا عُدَّ الحصى يُتَحَلَفُ  
ترى الناسَ يأمِرونَ بآسِرونَ حلفنا      وإن نحنُ أومأنا إلى الناسِ رَقَرُوا (٢)



معى ذلك امتياز الفرزدق بالفجر ، وصحابة الأسلوب ، وكثرة الأيام والمآثر  
التي رددتها وجمعها حاهلي كنعاقرة ، وقد استطاع تحويد المعج ، وعرض صور  
فيبحة في أثنائه لسوء كليب وأم حريز حاصة . وهناك وصف الطبيعة وقد حل  
فيه الفرزدق ، كالأحطنا في قوله :

وماء كأن الدمن فوق حاميهِ      عاء كته من فوج الحارم  
رياح على أعطايهِ حيث تلقي      عفا ، وحلا من عهد الانتقام  
وردت وأعجار السحوم كأنها      وقد عار تاليها هجاش هاجم<sup>(١)</sup>  
ووصف الجيش في نحو قوله : —

تمون لنجران اليماني وأهله      ومحرا أرض لم تذبث مقاوله  
بمخيل الأصوات تسمع وسمة      كرر القطا لا يفتقه الصوت قائله  
لما أمره لا تعرف البنى وسعه      كثير الوعاس كل حي قبائله<sup>(٢)</sup>  
وله قصص غزلي في نقيصته : —

ألم عاين سا لمتا      برى المرصات نو أمر الحيام  
يقول فيها : —

ويص كالدمى قدبت أسرى      بين إلى الحلاء عن السيام  
ثلاث واثنتان فمن حمس      وسادسة تميل إلى الشام  
طبا ، ندلتهم اللب إلى      مكان قروهن ذرى جهم  
ترى قصب الأراك وهن حصر      يمتحن بها وعيدان الشام  
دري براد مكرن عليه عذب      وليس نكورهن على الطام

ولو أن امرأ القيس بن حُزير مدارق جُلجل رأى غرامى<sup>(١)</sup>  
وهكذا يستمر مطيلاً حتى ينتهى من قصته التى تشبه سبب عمر بن أبى ربيعة  
(ح) ولهم ميراث الأخطل الفية يحب أن نلاحظ أولاً أنه من عبید الشعر  
وصاعه وأنه امتداد لسلسلة رهير وبيهة والخطبة وأصراهم ممن كانوا يمكنون  
على لقصيد بحوثه ، ويهدئون أطرافه ، ويحدثون قصوله ، ويحسنون تقسيمه  
ويذوقون في صوره وعذاراه حتى يبدو محكما متلاحم الماحر جراً حزيناً ، وهذه  
صفات الأخطل الأسلوبية الفذة مما جاءه لا في مهرة جرير ، ولا في ضخامة  
الفرزدق ، وإنما هو أسلوب عمل في العقل وأحكامه الأمانة حتى تأثر به جرير في  
بعض نقائمه معه

فذلك أمر . وأمر آخر هو أن الأخطل تعلّق من هؤلاء القوم الذين بقوا  
على مسيحتهم ولم يبدلوا فرصت عليهم الجربة ، ولكنهم عاشوا في أكاف  
النولة الإسلامية ينافسون قبس عيلاً خاصة مناصبة سياسية واقتصادية فاحتسوا  
بالهباء وكان الأخطل واحد منهم ولما سمعوا أجاد مدح الهباء وصار شعر البيت  
الأموى أو شاعر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وبذلك ثبت لقبس أو لحظيفها  
جرير مهاجراً في سبيل هذه الخصومة وحالف عليه الفرزدق ، فأجاد المديح ، وشارك  
في الهجاء ، ولما كان يشرب الخمر فقد أجاد وصفها ولعله تلميد الأعمى وأستاذ  
أبي نواس وطبقته .

وهناك أمر ثالث صيّق على الأخطل مذاهب المهاجرة والمناخنة فخصه جرير  
من مضر أصل قريش قبيلة النبوة والخلافة التى تحميه هو وقومه ، فلم يستطع

الأخطل أن يهجو جريراً من هذين الجانبين في حين فخر عليه جرير بمصريته  
والببوة والخلافة وهجاء بتصريته وحرمان قومه مكارم السطان والإسلام  
كما أسبقنا .

وهناك عدم تورط الأخطل في الفحش والإقذاع بدرجة رميلية ، وهو أس  
واضح ، وقد يكون سببه أن الأخطل يتجه شعره إلى مدح خلفاء والأمراء فلم  
يشأ أن يخلط ذلك بكثير الهجاء ومقذعه وإن فعل ذلك أحياناً ، وإن كثر في  
مدائح صاحبه ، وقد يكون السبب أن الأخطل ، بتصريته ، لم يجرؤ على التشيع  
نساء قيس ويرى نوع المسلمات فهي ذلك حرج وعدوان على مكانة الدولة وتقديرها  
المحترمة ، وقد يكون مرجع ذلك عدم امتثال الأخطل لهذا البناء فلم يكثر منه  
توقراً ولا سباً أن مدرسته القوية لم تتورط في الفحش وإن لم تكن من هجاء مقذع  
في بعض الأحيان ، فسار الأخطل على سبيلها ولم يكثر السباب والتشيع ، عل  
أن مهاجمة الأخطل مع جرير علت عليها الرعة القليلة دون الفردية الشخصية ،  
وتلك تستدعي الأيام ، والمطالب العامة ، من حبس ، وبخل ، أكثر من استدعائها  
جرح الأعراس ، وقذف الحصنات ، وتصوير العورات بمادور بين زمييه متصلاً  
بنسوة كليب ومخاشع وبخمن وأم جرير .

كل ذلك ضيق بجناح الهجاء أمام الأخطل وقفل من معايه فاعتمد على  
التصوير الحسي ، سيمية مدرسته ، أيسد هذا المقص ، ويقض الطفر ، مادامت  
المعاني الجردة قليلة وغير مؤثرة ، لذلك نمجده يقول في بني كليب : —

قوم إذا انسبح الأصياف كلهم      فأولاً لأهمهم : بولي على النار  
أم ثيمة محل الصلح مفرقة      أدت لعطل لثيم النحل شعتر  
يوم الكلاب وقد سفت ساوكم      سوق الحلاب من عون وأبكار<sup>(١)</sup>

ثم يقول في بني ربوع :

وما البربوعُ مُحْتَضِنًا يَدَيْهِ      عَمْسٍ عَنِ بَيْتِي الْخَطِيئِي قَبَالَا  
تُسَدُّ الْقَامِ—عَاهُ عَلَيْهِ حَتَّى      يُفْتَنُ أَوْ يَمُوتَ بِهَا هُزَالَا  
فَلَا تَدْخُلْ بُيُوتَ نِسَى كَلْبٍ      وَلَا تَقْرَبْ لَهْمَ أُنْدَا رِجَالَا  
تَرَى فِيهَا لَوَامِيعَ مُبِرَّاتٍ      يَكْدُسُ . . . بِالْخَدَقِ الرِّجَالَا  
فَصَبْرَاتُ الْخَطَا عَنْ كُلِّ حَيْرٍ      إِلَى السَّوَابِ مُنْجَعَةً عِجَالَا<sup>(١)</sup>

ويقول من نقيصة :

تَاجُ الْمَسْلُوكِ وَصَهْرُ مِ دَارِمٍ      أَلْهَمَ رَبُّوعٌ مَعَ الرُّعِيَانِ  
مُتَلَفٌ وَ بُرْدَةٌ حَقِيقَةٌ      يَفِئَاءُ بَيْتٍ مَدْلَقٍ وَهَوَانِ  
يَعْدُو بِهِ نَقْلٌ مَدْمُومَةٌ      وَيَكُونُ أَكْثَرُ تَهْمَةٍ رِيقَانِ  
أَجْرِي بِكَ وَالَّذِي نَسُو لَهُ      كَمِيفَةٍ فَخَرْتُ بِحَدِيجِ حَصَانِ  
حَمَلْتُ بِرَبِّئِهَا فَلَمَّا عَوَّيْتُ      تَلَسْتُ تَعَارُضُهَا مَعَ الْأَطْعَامِ<sup>(٢)</sup>

كذلك يمتدح به نذكر الخمر معه ووصفها ، ولم يكن يأنره هذه الديباجة  
التقليدية دائماً فقد بدأ إحدى مناقصه بقوله :

مَا رَأَى صَبْرًا بِطُ الْخَيْلِ مُعْطَةً      وَفِي كَلْبٍ رِمَاطُ الدَّلِّ وَالْعَارِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَقْرَأُ رَأْيِيهِ الَّتِي دَرَسَهَا سَاحَتًا ثُمَّ لَقَرْتُ نَقِصَتَهُ :

تَبَكَّرَ الْعَوَازِلُ يَتَبَدَّرْنَ مَلَامَتِي      وَالْمَسَالُونُ فَكَلِمَ يَنْجَانِي  
فِي أَنْ سَقِيتُ شَرْبَةً مَقْدَرِيَّةً      صِرْفِي مُشْتَعَةً بِمَاءِ شَانِ  
فَطَلَّتْ أَسْقَى صَاحِبِي مِنْ رَدِّهَا      عَمْدًا لِأَرْوِيهِ كَمَا أُرْوَانِي

وذُكِرَتْ إذْ جَرَتْ الشَّيْءُ مَوْتَحَتْ شَوْقًا لَنَا رَمًا وَأَمَّ أَيْانٍ (١)  
وقد رأيت فيما قدمنا كيف أجاد مدحَ عيد الملك حتى سارت آياته فيه مثالا  
حَسَدَ عَلَيْهِ عَدُوُّ الْمَلِكِ :

الخالصُ الغمرُ واليمونُ طائرُهُ حليفةُ الله بُسِقِي بِهِ الْمَطَرُ  
الآيات (٢) .

كان الأخطل من طرار خاص يمتاز بنجويد نظمه، وإحكام مدحه، ووصفه  
الجر، واعتماد على التصوير، وتقليله من الفحش والإفداع. وكان هجاءه حريراً  
بالذلة، والفقر، وتقديم دارم على يرموع، كما كان هجاءه قبيحاً بالأيام التي كانت  
تغلب عليهم مع قلتها .

### — ٣ —

وإنما تنتهي من هذا الفصل بالموازنة بين فعول القناص الأموية في هذا  
الجانب المتصل بموضوعنا، وليس من ثمرات الموازنة دائماً أن نصل شعراً على  
آخر، إذ أن النقد الأدبي يكون توصيفاً كما يكون ترجيحاً، وربما كان التوصيف  
والوصف يُجدي على الباحث، فليس يحلو شاعر من ميرة تفضله على نظيره مهما  
تكن قيمتها، والتاريخ الأدبي حافل بروايات شتى تصور ما أثار هؤلاء الفحول  
من آراء نقدية، واختلاف بين النقاد في التقاصلة بينهم، وبيان خضوع هذه  
الآراء، للأمزجة، والعصبيات، والمواهب الذاتية والعينية حتى لم ينفق أهل مجلس  
قديم على تفضيل واحد على الآخرين

وكان هؤلاء الفحول معصم في آراء نقدية مدكورة في المراجع القديمة  
لا يعتد بها إلا إرادتها وإن بشرنا إلى أكثر ذلك فيما مضى من فصول .

وقد لاحظنا في الصفحات الأخيرة أن جريراً يمتاز بالنسب والثناء ، والأخطل بوصف الخمر ومدح الملوك ، والفرزدق بالفخر ، أما المهجاء فكان قدراً مشتركاً بين ثلاثهم ، وعنده وقف قليلاً للاحظ أن الأخطل اتصل بصاحبيه كبير السن فلم يكن في قوتها ، وكان محرّجاً فلم يستطع مجاراتها في المهجاء ، فقلت معانيه واعتمد على التصوير بسدّ به هذا القفص ، ولكنه كان مغلباً فيه على كل حال .  
وكان جرير سفيهاً سليطاً اللسان مرّ المهجاء ، وقد ساعده سهولة أسلوبه وتبرّره شعره فكانت معانيه على بساطتها تسير في الناس وتحدث آثاراً ساحرة عجيبة .

أما الفرزدق فمع كثرة معانيه وتنوعها أعوزه الأسلوب السائر السمج الذي يجعل لهجائه آثاراً بعيدة ، وصيتاً عريضاً .  
على أن فخر الفرزدق يسند هجاءه ، وهوان حسب جرير مع ثبوته الأدبي لهؤلاء الخصوم يدل على قوة شكيمته وبراعته الفنية .  
ومهما يكن من أمر فندرجو أن نتاح لنا فرصة للتوسع في هذا الدرس الفني لنقول النقائص الأمويين .

# الفصل التاسع

## قيمة النقائص الأموية

- ١ -

ماذا أفدنا من هذه النقائص ؟ وماذا أسكرنا منها ؟

هذه هي المسألة الأخيرة التي نتناولها ، بالنظر ، في هذه الفصول ، وهي أيضاً ، بحسب المنهج التاريخي لموضوعنا ، تأتي آخر ما ندرس ، إذ كانت ثمرة الدراسة التاريخية كما هي ثمرة الدراسة الفنية قد ارتقت النقائص إلى ذروتها في عهد الأمويين .

ولما كانت النقائص فناً ممتازاً في تاريخ الأدب العربي ، وشمل من عصوره ، ومادته ، ورجله ، قدرأ خطيراً ، كان من الطغى أن نأل عن قيمة هذا الفن وما خذف لنا من فوائد أو مضار .

وأول جانب ندرسه من حيث فوائده هو الجانب اللغوي .

من الأمور المقررة أن ألعاط اللغة الدائرة في عصر ما إنما هي تراث الماضي البعيد وثمره عصور سحيقة تعاقبت عليها بالزيادة ، والنقص ، والتحريف ، والتصحيف ، سواء في المعاني والألفاظ والعبارات والأساليب ، لأن كل عصر يتخذ ( مادة ) اللغة وسيلة لتعبير فيكيهما ، إلى حد ما ، بحسب أعراضه ، وبوصفي عليها روحه ، ومواهبه ، وديناه الحسية والمعنوية لتلك يجمع العصر اللغوي الواحد

خالبطاً من القديم والحديث ، ويحتج بمحوعات من الألفاظ ويميت أو يضعف أخرى حسب حاجته الكلامية .

والا كانت النقائص الأموية مهصة عتية خاصة شطت بعد فتور ، وقويت بعد ما كانت صعيقة ، واعتدت على هي الفجر والمهجة أكثر من غيرها ، كان من الطبعي أن يكثر استعمال السباب ، والبذاء ، هجاء ، وألفاظ المعاملة والتهويل والاعتزاز . فخرأ ، فهدأ شي . مدعى ، وإذا كانت ( الأحساب ) وفقاً في الجاهلية على النحلة ، وماروة ، والكرم ، والشجاعة فإن هذه ( الأحساب ) زادت في الإسلام معاني السلاء في الفتوح ، وحررة الدين ، والقربى من أسرة النبوة والخلافة ، والمشاركة في المواقف السياسية والدبية ، كذلك ( المتألب ) اتسع معناها فشملت عكس ما ذكرنا ، وكان معنى « اصبر أخاك طالداً أو مطلوباً » يفهم على حقيقته في الجاهلية ، ثم فسر في صدر الاسلام تفسيراً آخر ، ولكه عاد إلى معناه القديم في بعض البثاات الاسلاية التي أعادت الحمية الجاهلية سيرتها الأولى .

ولما كانت النقائص كثيرة العدد مديدة الطول كثرت قوافيها فاضطر الشعراء إلى إحياء قواف قديمة وحديثة سداً لحاجة نظم واستكمالاً لأبواب المناقضة والملاحاة فظهرت ثروة لغوية أكست للمعاجم مادة غزيرة ، ووصفت أمام الكتاب والشعراء والخطباء ذخيرة كلامية ناصة ، وهناك معن جديدة تولدت أثناء هذا الحوار المتواتر كوت الهوى في قول حرير : -

ولقد أرى بك ، والجديد إلى يلى ، موت الهوى وشفاء عين المحتلى<sup>(١)</sup>



وقوله : —

فما التقيَ الحَيَّانِ أُلقيتِ العِصَا      وماتَ الهوى لما أُصِيبَتْ مِقاتله <sup>(١)</sup>  
وكقول الفرزدق : —

وما تنكُّ تُبصر في طريقٍ كُتِبَ عليه مرادتان <sup>(٢)</sup>  
فلهجت بنو مجاشع بإشاد هذا البيت لظفته وصورته الساخرة المضحكة حتى  
قال جرير لابي مجاشع مشيراً إلى هذا البيت :

أعرَّكم الفرزدقُ من أيكم      وذكرُ مرادتين على حمار <sup>(٣)</sup>  
كذلك الانتفاع بعماد القرآن الكريم وأساليبه كما قدمت في الفصل الماضي .  
وقد رأينا في النقائص آثار اللهجة النحوية القديمة كقول الفرزدق : —  
إذا عجزَ الأحياءُ أن يحملوا دما      أبح إلى أجدافنا كل غارم <sup>(٤)</sup>  
في رواية لكلمة ( أجدافنا ) .

وقد وجدنا في النقائص شذوذ الفرزدق المعوى كقوله : —  
وعصَّ زمان يا بن مروان لم يدع      من المال إلا مُسحاً أو محرف <sup>(٥)</sup>  
برفع ( محرف ) مما أتى به الشاعر ، وكقوله : —  
بخير يدى من كان حدَّ محمد      وجاريه والمطلوم لله صائم <sup>(٦)</sup>  
بحر صائم ، والوجه الرفع .

(١) نفسه من ٢٤٨

(٢) نفسه من ٥٥٦

(٣) نفسه من ٢٧٩

(٤) النقائص من ٦٢٥

(٥) نفسه من ٢٤٨

(٦) نفسه من ٢٤٨

ووحدها معاظله وتعقيده الذى جعل النحير العاراً لغونة عسيرة الفهم  
والتوجيه كقولہ : —

أبى من إذا ما قيل من أمت معتز إذا قيل بمن قوم هذا المراجع<sup>(١)</sup>  
وهناك بعض الصور الفنية الجميلة التى ترد خلال المقائض كقول الفرزدق  
في ماء مرة به نجراً : —

وردت وأعبأ السحوم كأنها وقد غارت تاليها هيجان هاجم<sup>(٢)</sup>  
ولخدمة شعر المقائض وبداوة محوله حتى الفريب من اللغة ولا سيما على  
لسان الفرزدق الذى قيل فيه لولا شعره لذهب ثلث اللغة ، وقد سجلت المقائض  
أسماء ( الألبان ) العربية ، والجمالية خاصة مما دعا الشراح إلى إيراد أخبارها  
فكأن مادة للتاريخ والقصص غريزة نافعة . واستطاع النظم أن يصطبها هي  
وأسماء الأماكن ، والمدن ، والقرى ، وإلى نى أو جمع مفردا كالكوظم في  
( كاطمة ) وهكذا .

— ٢ —

ومن الحاسب الأدبى تعدد المقائض رقيقاً عظيماً للشعر القديم وخاصة المون  
التي كانت قوامها ، وذلك لأن المقائض قامت على أساس المدافعة والتحدى  
فاجتهد شعراؤها في تحويرها من حيث المعاني ، والألفاظ ، والصور ، والأساليب  
حتى كانت آخر ما انتهى إليه الشعر الإسلامى المحفوظ ، ويمكن اعتبار المقائض ،  
إلى حد كبير ، امتداداً باضجاً للشعر الجاهلى وتطوراً خطيراً له ، وربما كانت

تأريخاً للحياة الجاهلية نفسها أكثر من الشعر الجاهلي في أكثر من جهة كالأيام ، والحوادث ، وشخصيات القضاة القديمة ورجالها كما يلي ، وقد شبه هؤلاء الفحول بفحول جاهليين كالأعشى ، وزهير ، والمابغة وظهر الروح الجاهلي في شعرهم واضحاً كقول الفرزدق :

وقد علم الحـيـرانُ أن قـدورنا	صواميرُ الأذراق والريحُ رَفرَف
مُتَجَلِّلٌ للصيفان في الحل بالقرى	قدوراً بمعبوطٍ تُمْدُ وتُعرَفُ
تُفرِّغُ في شيرى كأن حفاها	حياضُ جَبِيٍّ مِثْلَها مِثْلُها
ترى حولهنَّ المعتنين كأنهم	على صنمٍ في الجاهلية عُسْكَف
وما حلَّ من جَهْلٍ حَتَّى حُلْمَانَا	ولا قاتلٍ بالعرفِ فيما يُصَفُ <sup>(١)</sup>

وقد لاحظنا أن الفحول والمجاهدين أمثالا لخواص جبلتهما أشد فنون النقائص خضوعا للاستحالة والقوة ، كانطول ، والإغاث ، والاستقصاء ، وقوة الجدل والاحتجاج .

كذلك خلعت اما النقائص ثروة نقدية ذات مذاهب لموية وأدبية ، واجتماعية ، سجلتها الكتب القديمة وخاصة أعالي أبي الفرج الأصبهاني في سير هؤلاء الفحول وغيرهم من اتصلوا بهم كدى الرُمة ، والراعي ، وإن لم يتفق النقاد على رأي حاسم في المقابلة بين جرير وصاحبيه ، فكان يونس يقدم الفرزدق على جرير مرة ، ثم يقدم عليها الأخطل مرة أخرى ، وكان الرواة يؤثرون الفرزدق والشراء يفضلون جريرا ، وأبو عمرو يفضل الأخطل وهكذا أكثر الكلام حولهم متأثرا بنقافة النقاد ومواهبهم وطروقتهم .

كذلك فطعنا من النقائص وحدها بفهم الأساليب الشعرية المختلطة التي وصفناها في الفصل الماضي ما بين شعر محكك مصنوع وشعر سهل طبعي ، وثالث فهم حليل ، وعندى أن النقائص كانت حير معرض للدراسة هذه الأساليب لأنها صورتها في أقوى صفاتها وأوصحها ما دامت المناقصة قائمة ، والموازنة يسيرة لوحدة الموضوع والأسلوب .

كذلك نجد في النقائص الفرق بين هذا الشعر الذي علفت عليه المحافظة وبين ذلك شعر الذي علب عليه التجديد وإما أقصد الشعر العربي والسياسي . كان شعر النقائص جريلاً خجلاً قريب الألفاظ وكان شعر الغزل والسياسة سهلاً مأنوساً مألوف الألفاظ ، وكانت النقائص تأخذ معانيها من الماضي كثيراً بعكس هذين فكانت معانيهما إسلامية حديثة من واقع الحياة الجارية ، وكانت النقائص مشغلة الفحول في حين شغل بالسياسة والغزل من هم دونهم مكانة وجلالاً وقد نما الغزل في الحجاز ، والنقائص في العراق ، وعذب الشعر السياسي على العراقي أيضاً .

وجد السبب في النقائص والسياسة ثابوياً ولكنه عاش سيداً في الحجاز ، ولم تحمل النقائص من السياسة ولكن العصبيات كانت أشد تأثيراً فيها ، وطبعاً لها بطابعها الجاهلي العنيف .

استطاعت النقائص أن تمتد ( المرید ) عكاظ الإسلام بمادة غزيرة هي ، فيما ينحيل إلى ، أضخم وأكثر من مادة عكاظ الجاهلية فقد كانت حقائق أدبية تعقد في المرید وينشد فيها جرير والفرزدق قنائصهما ، ويقلها الرواة وغيرهم بين الشعاعين ، وتنتظر القبائل شعر هذين فإذا به يسير في أقطار العالم العربي حافلاً بشعبيات القبائل ، والرجال ، والنساء ، والشعراء ، وقد نهض جرير والفرزدق

تمثيل قوميهما تمثيلاً قوياً ، وبالحفا عهما أشد منافع حتى قال جرير للراعي  
 واسه جبدل : « أما والله ياتن برزوع لتأتين بي نعيم بأعباء ثقال ، إن أهلي  
 ساقوا بي وراحلتني حتى وضعتني بقارعة الطريق بالمربد ، والله ما أكسبهم دنيا  
 ولا أخرى إلا لأسب من سهم من الناس ، وإن عبيداً معه أهله على رواحهم  
 من أكفاف حلص وهبؤد ينتس عبيها ليرة وأخير وأيم أقدراً لأوقرت رواحله  
 مما ساء نسوة بي نيم<sup>(١)</sup> » .

وقال الفرزدق : —

أنا ابن نعيم والمهامي وراءها إذا سلم الجاني ذماراً المحارم<sup>(٢)</sup>  
 وفي المربد انمعد كل ريباً حاصاً تناقص حوله كاسر .

مثلت النقائص ، بمكائنها هذه ، الحياة الأدبية بالفهم وأقوى جوانبها ،  
 بالشعر المحافظ القوي ، وذلك لرقى الشعر ، وسيرورته ، وصلته بالسياسة ،  
 والاجتماع ولخفاوة الناس بهذا الفن ، وتمثله أعظم نشاط في العصر الأموي ، حتى  
 إن مؤرخ الأدب الأموي إسماعيل يصطدم أول ما يصطدم شعر القهول أولاً وبثقائض  
 جرير وزميليه ثانياً .

### — ٣ —

والثقائض تصور لنا جوانب شتى من الحياة السياسية الأموية لذلك تعد  
 مصدراً تاريخياً فيها . وقد تكررت الثقائض بتمثيل ذلك منذ احتلف على ومعاوية  
 على الخلافة الإسلامية ووقف كعب بن جعيل مع معاوية يقول : —

(١) النقائص من ١٢٨ -

(٢) من ٢٢٩ -

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق له كارهونا  
وكل نصاحه مبغض يرى كل ما كان من داك دسا  
وقالوا: على إمامنا قتلنا: رصبنا ان هتدي رصبنا  
فيرد عليه النحاشي الحارثي عن علي بن يقطين:

دع معاوية مالي يكويا فقد حقق الله ما تحذرونا  
أنكم على أهل العراق وأهل الحجاز قد نصمعونا  
فإن يكره القوم ملك العراق قديماً رصبنا الذي تكرهونا<sup>(١)</sup>

وهي مناقصة نحسن لنا موقف العراق من الشام ، وعلى من معاوية ، وما  
استتبع ذلك من حرب انتهت بمحكمة التحكيم ، وظهور الأحزاب ، وفور الأمويين ،  
فإذا تقدمت الأيام وقام بالأمر يزيد بن معاوية خرج عليه ابن الزبير وبصره على  
أهل الشام الخوارج والمرحطة والشعبة ، وكان عظم الخوارج من تميم إداك فقاتلوا  
مع ابن الزبير حتى مات يزيد بن معاوية وذلك قول جرير في شعره الثاني :  
عن المنبر الشرق رادت رماحنا وعن حرمة الأركان رمت حطيمها<sup>(٢)</sup>

وأما المنبر الشرق فهو منبر البصرة حين غلب عليها سلمة بن ذؤيب الرياحي  
أيام فتنة ابن الأشعث<sup>(٣)</sup> . فلما كانت وقعة المرحج تنقص حولها اليدوية والقيسية  
بين عمرو بن محلة الكلبي ودرقر بن الحارث الكلابي كما قدما<sup>(٤)</sup> وبين  
جواس الكلبي ومعبد بن عمرو الكلابي<sup>(٥)</sup> وهي مناقصة تصور لنا موقف

(١) الأخبار الطواله ص ١٦٢ .

(٢) النقائص ص ١١٨ .

(٣) النقائص ص ١١٨ .

(٤) نقائص جرير والأخطل ص ١٧ - ١٩ .

(٥) نقص المرحج ص ٢١ - ٢٢ .

الذين مع الأمويين وموقف القيسية عليهم كما تصور لنا أن الأمويين لم يشكروا  
لدى كلب نصرهم إياهم وذلك حيث يقول جواس الكلبى : —

مَرَرْنَا لَكُمْ عَنْ مِيرِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ (يَجْهَرُونَ) إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مِثْرًا  
وَأَيَّامَ صَبْرٍ كَلَّهَا قَدْ عَسَمْتُمْ نَصَرْنَا وَيَوْمَ الْمَرْجِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا  
فَلَا تَكْمُرُوا حَتَّى مَصَّتْ مِنْ بِلَانَا وَلَا تَنْحَسِبُوا بَعْدَ لَيْلٍ تَجْبُرًا  
كذلك نذل المواقفة بين رُفْر من الحارث الكلابى القيسى وبين جواس  
الكلبى<sup>(١)</sup> على هرب رُفْر ذلك اليوم وأسفه وعزمه على معارضة الأمويين والنار  
أقتل قومه يوم المرج كما يدل على شجاعة كلب قيس عيلا ، وقد رأينا موقف  
تغلب مع مروان هذا اليوم من قول الأخطل لجرير :

وَقَدْ كَانَ يَوْمًا رَاحَظٌ مِنْ صِلَاكُمْ قَسَاءَ لَأَقْوَامٍ وَخَطْبًا مِنْ أَحْطَبٍ<sup>(٢)</sup>

وفيه قُتل الصحاك بن قيس الهمرى من قيس عيلا .

فإذا كان عهد عبد الملك وقد حبت المواقفة واشتبك فيها محولها الثلاثة  
رأيها تسجل لنا حكومة شديدة ، وصراعا بينها وبين معارضتها ، وعصيات  
تستغلها السياسة العليا وولاء وأمراء دوى سياسة خاصة ممتارة ، وصلات بالروم  
وعيرهم وعودا للحليفة مؤزرا ، وأسرة حاكمة مؤثرة حارمة . ظهر ذلك فى شعر  
الأخطل كقوله من قيسية ، فى عبد الملك :

يَعْلَوُ الْقَطَاظُ بِسِيهَا وَيَهْدُمُهَا مَسُومٌ فَوْقَ الرِّيَابِ وَالْقَتَرُ  
حَتَّى اسْتَغْلَ بِأَنْفَالِ الدَّرَاقِ وَقَدْ كَانَتْ لَهُ فِيهِمْ أَيْدٍ وَمُدْخَرُ  
لِي تَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَمْصِبُونَ بِهَا مَا إِنْ يُؤَارَى مَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ

وثبتين من هذه التقيضة أموراً سياسية أو متصلة بالسياسة إلى حد بعيد ،  
فبنو أمية أهل حزم وحصافة وحق ملكي :

لم يأنسروا فيه إذ كانوا موالية ولو يكون لقوم غيرهم أنسروا  
وهم أعداء قيس الربيعة زعامة زفر بن الحارث الكلابي :  
بنو أمية إني ناصح لكم فلا تبس فيكم أما رفو  
وأنحدوه عدواً إن شاهدته وما تقيت من أخلاقه دعر  
وقد وقف الأختل مع أمية على الأنصار :

بنو أمية قد باضلت دوكم أبناء قومهم آووا وهم نصرؤا  
أخست عكم بنو البجار قد علت علياً مديروا وكانوا طالما هدرؤا

ووقف قومه مع أمية على قيس قتلوا عير بن الحباب أسلى يوم الحشاك :  
وقد نصرت أمير المؤمنين لنا لما أنك بطن الفوطه الخبر  
يعرفوك رأس ابن الحباب وقد أضحي ولبيب في خيشومه أثر  
أمت على جاس الحشاك حيفته ورأسه دونه اليعصوم والصور<sup>(١)</sup>

ورى من القنائس الحارث بن عبد الله بن أبي دبيعة المحرومي أمير البصرة  
يهدم دارى جرير والفرزدق لتأجيهما فيلوماه ممأ ، أما الفرزدق فيخطلومه بعته :  
أحارث دارى مرتين هدمتها وكنت ابن أخت لا تخاف غوائله  
قبلك ما أعيتت كأمير عيني زباداً فلم تقدر على حائله<sup>(٢)</sup>  
وأما جرير فاحتج بكتاب الله وهجا الفرزدق وزوجه النوار :  
أحارث حد من شئت ممأ ومهم ودعنا نقر نحدأ تعد فواضله

(٢) قنائس جرير والفرزدق من ٦٠٧ .

(١) قنائس جرير والأختل من ١٥١ .



وما في كتاب الله تهديم دارنا      بتهدم ما خور حيث مداخله  
وفي مخرج منه النوار وشربه      وفي مخرج أكياره وسراجه<sup>(١)</sup>  
وهذا الحجاج الثقفي والي عبد الملك على العراق وقاتل ابن الزبير تذكرة  
القائض في قول جرير من نصيحة : —

أرى الطير بالحجاج تحرى أياها      لكم يا أمير المؤمنين وأسدا  
رجعت أبيت الله عهد نبي      وأصلحت ما كان الحبيبان أفدا<sup>(٢)</sup>  
والحبيبان عبد الله ومصعب ابنا الزبير ، وكان عبد الله نقض الكعبة لما  
وحرقت ، وأخل الحجر فيها ، فلما طهر الحجاج هدمها وبنها على بنائها اليوم ،  
وأحرق البيت ليلة مات يزيد بن معاوية .

وقد مر القول في المصنوعات الكبرى وأثرها في سياسة الدولة وتصوير  
النقائض لذلك تصويراً واضحاً ، فنقائض حرير تصور العvisية القيسية على تغلب  
أدارم وأمية أحياناً ، ونقائض الفرزدق تصور عvisية نعيم على قيس وزعة العراق  
للاستقلال عن الشام ، ونقائض الأحنف تصور تغلب على قيس ويربوع ومع  
أمية ما دامت تغلب ونسب صوالها .

وهناك الأيام الجاهلية والإسلامية التي أحصت النقائض كثرة منها ضحلة  
وقد ذكرنا منها ما يكفي في الفصول السابقة ، ونشير هنا إلى يوم صريح راحل ،  
وصعين ، وعبد الله بن خازم السلمي وفيه يقول الفرزدق : —

كأنت لم تسمع تميا إذا دعت      نعيم ولم تسمع يوم ابن خازم  
وقبلك عجبنا ابن عجلى رحمة      بأسياها يصدعن هام الجاجم<sup>(٣)</sup>

(٢) النقائض ص ٤٨٦

(١) نفس المرحوم ص ٦٨٢

(٢) نفس ص ٢٢٢

وكان صاحب حراسان قتله ابن الذورقية وهو وكيع بن عُمر القريني ،  
وذلك الشعر كان في عرض تصوير حادث قتية بن مسلم ، قتله وكيع بن حسان  
ابن أبي شؤد بن كليب ابن يربوع : —

لقد شهدت قسراً كان نصرها قتيبة إلا عضها بالأظفار  
انمضت أن أذنا قتيبة حزناً جهاراً ولم تنصب ليوم ابن حارم  
وما بينهما إلا بغيضاً رأيت إلى الشام فوق الشاحبات الرواسم<sup>(١)</sup>  
ذلك أيام هشام بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ .

وتدلنا النقائص على أن عبد الملك صالح قياً فمص الأخطل للثلك وأخذ  
يعرى عبد الملك نقيس ورعائها حتى كان من ذلك يوم البشر الذي صاح منه  
شاعر تغلب وأخذ يهدد الأمويين : —

لقد أوقع الجحاف بالبر وقصه إلى اقتر مها المشتكى والمهول  
بالا تُغبرها فريش يملكها كن عن فريش مستأز ومزحل  
ونمرز أناساً عزة بصرهم بها فحيا كراماً أو موت قُتِل  
فإن يحملوا عنهم فما من حائل وإن عظمت إلا دم القوم أنقل  
وإن تعرضوا فيها لنا الحق لا تكن عن الحق نعياناً بل الحق سأل<sup>(٢)</sup>

فمده أمثلة حربية تدل على مقدار ضئيل لتصوير النقائص عصرها النيابي  
وليس في وسع هذه الصفحات استقصاء ذلك الجانب

#### — ٤ —

وربما كان تصوير النقائص لعصرها الاجتماعي أوسع وأوفى ، ذلك لأن

(٢) نقائص حرر والأخطل من ٢٠٣ .

(١) من ٢٧٤ .

الفعول لم يرغبوا السياسة فراغ شعراء السياسة الذين ألمما بهم في غير هذا المكان<sup>(١)</sup> وإعما عاشوا حياة اجتماعية ، بدوية ، جاهلية ، تؤثر فيها العصبية القبلية والتقاليد الاجتماعية ، ولا حاجة بنا هنا إلى القول في العصبية عندما قدمنا في الفصل الأول من هذا الباب ، وحسبنا أن نذكر هذه العصبية التي فرقت بين تغلب وقيس النزاريين وجمعت بين تغلب واليمن ، والتي جمعت بين الأخطل التعلبي والفردق النخعي على جرير النخعي ففرقت بين دارم وبرسوع وكانت النقائص ديوان ذلك في أكثر نصوصها .

وكانت النقائص معرضاً اختلطت فيه التقاليد الإسلامية والجاهلية معاً ، من مفارقة ( بالمر بد ) ومفارقة<sup>(٢)</sup> يفرحها الفردق :

ألم تعلموا أني ابنُ صاحبِ صرور وعدي حُساماً سيفه وحماة<sup>(٣)</sup>  
و ينكرها عليه جرير : —

ولا يستوى عفر الكروم بصور ودو التاج تحت الزاة الثقيف<sup>(٤)</sup>  
والحجاء ، والأسرى ، والحرى ، وصلاح جرير وعفته ، وفور الفردق وسفاهه ، والصلاة ، والصوم ، والنبوة ، والخلافة ، ثم الرداءة<sup>(٥)</sup> في برسوع : —  
والردف إذ ملك الملوك ومن له عِظمُ السانع كل يوم يفضال  
والإجازة : —

لنا حوضُ الدي وساقية<sup>(٦)</sup> ومن ورث الثوبة والسكينة  
ومنا من يُحير حبيج جمع وإن خاطت عزمك خطايا<sup>(٧)</sup>

(١) تاريخ الشعر السياسي للمؤلف . (٢) النقائص من ١١٣ و ١١١ و ٩٩٩

(٣) قصيدته من ٦٢٥ . (٤) قصيدته من ٥٥٠

(٥) قصيدته من ٢٩٨ . (٦) قصيدته من ١٥٠

كذلك أشارت إلى كثير جداً من الحوادث الاجتماعية للتصلة بالسياسة وغيرها كحادثة صرب الروى المشهورة <sup>(١)</sup> ومقتل أعين أبى الوار <sup>(٢)</sup> وحيدة المالكية امرأة مقبد السكيطى مع حوط بن سفيان : —  
 حَيْدَةُ كَانَتْ لِلْفَرْدَقِ جَارَةً يَتْلَمَحُ حَوَطًا عِندَهَا وَالْمَقْطَعَا <sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى رُجِمَتْ فِي مَقَرَّةِ بَنِي شَيْبَانَ .

وهذه أحساب القبائل ومثالبها ومن بن هاتين تتبين شخصيات القبائل ورجالها ، كمسب دارم ، وقري يربوع وشجاعتها ، ومجد قيس ، وكذلك الأنساب كفضة أخوال الفرزدق ، وبيوت شيبان <sup>(٤)</sup> .

وهذه الطوائف ذات الألقاب الخاصة السائرة كقول الفرزدق : —

وَإِذَا الرِّبَاطُ جَدَانِي دَفَأَهَا      مَوْحَا كَأَنَّهُمْ الْجُرْدُ الْمُرْسَلُ  
 هَذَا ، وَفِي عَدُوِّي جُرْنُومَةٌ      صَيْبٌ مَنَاكِبَهَا نَيْسَابٌ عَيْطَلُ  
 وَإِذَا الْبَرَاكِمُ بِالْقُرُومِ تَحَاطَرُوا      حَوْلِي بِأَعْلَبَ عِزَّةٌ لَا يُبْزَلُ <sup>(٥)</sup>

الرباط ثلاثة ربيعة الكبرى ، وربيعة الوسطى ، وربيعة الصغرى ، والعدوية فكبة بنت مالك من ريد مائة هودت صدياً وزيداً ويربوعاً فميت على يديها فسبوا إليها ، والبراجم خمسة من بني حنظلة بن مالك : قيس ، وعالب ، وعمر ، وكلمة ، والظليم .

ثم الأحمال في قول جرير :

أَبْنَى قُبَيْرَةٍ مِنْ يُوزَعُ وَرَدَا      أَمَّ مَنْ يَقُومُ لَشَدَةِ الْأَحْمَالِ <sup>(٦)</sup>

(١) التفاضل من ٢٨٢ (٢) قصه من ١٢٥

(٣) من ٤٣ (٤) من ٥٨٦ — ٥٨٧

(٥) من ٦٨٦ (٦) من ٣٠٤

والأحبال من بني يربوع هم سليط ، وعمرو ، وصير ، وثعلبة ، وأسمهم السقاء الباهلية . والصيتمان في قوله : —

سَمُرُنا عليك الحرب تَتَلِي قُدُورَها مَالاً غَدَاة الصَّيْتَيْنِ تَدِيمُها <sup>(١)</sup>  
والصيتان معاوية بن مالك بن علقمة بن غزينة وأخوه : والسكلة من شعر  
القرزوق : —

وَمِ الَّذِينَ عَلِمُوا عُمَارَةَ صَرِيَّةَ فَوَهاءِ فَوْقَ شَتْوِهِ لَا تُوَصِّلُ <sup>(٢)</sup>  
عُمَارَةَ بْنِ زَيْدٍ الْعَسَى أَحَدَ السَّكَلَةِ الْأَرْجَةِ ، وَالْأَرَاقِمِ فِي قَوْلِهِ : —  
وَمَا لَقِيتُ قَيْسَ بْنَ عِيْلَانَ وَفَصَّةَ وَلَا حَرًّا يَوْمَ مِثْلِ يَوْمِ الْأَرْقَمِ <sup>(٣)</sup>  
وَالْأَرَاقِمِ هُمُ جُشْمٌ وَهْمٌ رَهْطٌ مَهْلَهْلٌ ، وَعَمْرُو بْنُ كَلْتُومٍ ، وَعَمْرُو بْنُ ثَعْلَبَةَ ،  
وَرَهْطُ الْمَدْبِلِيِّ بْنِ هُبَيْرَةَ ، وَحَنْشُ بْنُ مَالِكٍ ، وَمَعَاوِيَةُ وَالْحَارِثُ بْنُ بَكْرِ بْنِ حَبِيبٍ  
بْنُ غَنَمٍ بْنُ ثَعْلَبٍ . وَالْعَوَاتِكُ فِي قَوْلِ جَرِيرٍ . —

بَنُو الْمُجْدِ قَيْسٌ وَالْعَوَاتِكُ مِنْهُمْ وَلَذُنْ بِمَجُورًا لِلْمُجُورِ الْخَضَارِمِ <sup>(٤)</sup>  
وَالْعَوَاتِكُ مِنْ بَنِي مُسْلِمٍ مِنْهُمْ أُمُّ هَاشِمٍ وَالطَّلَبُ وَعَبْدُ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ  
وَأَسْمُهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مَرْثَةَ ، وَعَاتِكَةُ بِنْتُ فَالِجٍ بْنِ ذَكْوَانَ أُمُّ جَدِّ الرَّسُولِ . هَاشِمُ  
بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ بْنُ زَهْرَةَ جَدِّ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ أَسْمَةُ ، وَسَأَرَ الْعَوَاتِكُ أُمَمَاتُ  
الرَّسُولِ فَهِنَّ ثَمَعٌ . وَالْأَجَارِبُ فِي قَوْلِهِ : —

قَتَلَ الْأَجَارِبُ يَا فَرْدَقُ جَارِكُمْ فَكَلُوا مَرَاوِدَ جَارِكُمْ فَتَمْتَبَعُوا <sup>(٥)</sup>  
وَالْأَجَارِبُ خَمْسُ قَبَائِلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَهِيَ رَيْبَعَةُ ، وَمَالِكُ ، وَالْحَارِثُ ،  
وَعَبْدُ الْمُزَيِّ ، وَالْحَرَامُ . وَنَحْوُ ذَلِكَ كَثِيرٌ <sup>(٦)</sup>

(١) النفاثس من ١١٩ (٢) من ١٩٣ (٣) من ٣٧٣

(٤) من ٤١٣ (٥) من ٤٦٩

(٦) راجع الأكاير والأحاليمة والأفروع والأعيان والنابيس مستنابا بضمهم من ٣ ، في النفاثس

وقد رأينا كيف رمى جرير صاحبيه من ناحية الدين ، فالفرزدق ران ، يحنفُ  
النصارى ، والأخطل يسجد للصليب ، ويشرب الخمر ، ويأكل لحم الخنزير  
ويدفع الجارية ، ولا يعرف شعار الإسلام .

وأما أعيان القبائل فقد تردد ذكرهم خلال النقائص ، ومنهم الجاهلي  
والإسلامي ، فالهذيل التلي أوقع بني يربوع يوم ( يراب ) وذلك حيث يقول  
الأخطل من نقيضة : —

ولقد سماكم الهذيلُ عدالكُم      يرابَ حيثُ يقسمُ الأعلا  
في قبلي يدعو الأراقيم لم تكن      فرسانها عزلا ولا أكعلا (١)

ويقول ذا كرا أعمامه : —

أني كُتِبَ إن عمي إذا      قتل للملوك وفكك الأعلا  
وأخوها السقاح ظلما حيلة      حتى وردن جبال الكلاب بها (٢)

عماءهما قصم بن النعمان بن حش قاتل شرحبيل بن عمرو السكندى وعمرو  
ابن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، ويقول جرير : —

كدت الأخطلُ إن قومي فيهم      تلج الملوك وراية النعمان  
مهم عتية والحل وقص      والختمان ومهم الردفان (٣)

بريد عتية بن الحارث بن شهاب ، والحل بن قدامة بن نعلبة بن يربوع ،  
وقصب بن عتاب بن الحارث الرياحي ، والختمان أوس بن رياح اليربوعي ،  
والردفان عتاب بن هرمي الرياحي . وأمه عوفه وقيس بن عتاب أبنا عتاب  
ابن هرمي .

(٢) نفس المرحم ص ٣٣

(١) فائس جرير والأخطل ص ٧٧ .

(٣) النقائص ص ٨٩٧ وراجع ص ١٩٨ .

وأما الفرزدق فقد أكثر من ذكر رجاله إذ يقول : -

إن الأقرع والأختات وعالياً وأبا هنيذة دافعوا لمعالي<sup>(١)</sup>

يريد الأقرع بن حابس ، والأختات المجاشعي ، وعالياً أباه ، وأبو هنيذة  
صمصمة جده ، وهنيذة كانت تقول من جاء من نساء العرب بأربعة كأربعة  
يحل لي أن أصع نخاري معهم فلما صيرمتي ، أبي صمصمة ، وأخي غالب ، وخالي  
الأقرع ، وزوجي الزبرقان .

ويقول : -

زيد الفوارس وابن زيد مهم وأبو قبيصة والرئيس الأول<sup>(٢)</sup>

ولا ينسى جرير أسرم دا الجدين بسطام بن قيس الشيباني فيقول : -

أقنأما بين الشربة والأهلا تعنى ابن دى الجدين في سلاسله<sup>(٣)</sup>

والنقائض تدل على مقدار الثروة الضخمة التي كانت في يد الخلفاء والأمراء  
بمسا لا يسها من جوائز الشعراء ، وتعاقب القبائل والأقاليم في الثروة ، والمنافسة  
الاقتصادية بين قيس وتغلب في بلاد الجزيرة ، وهذه الأرستقراطية الأموية  
القائمة على عناصر الجلس والمال ، وهذه كلها أيضاً إشارات إلى ما يمكن أن تغذوا  
به النقائض من معارف اجتماعية واقتصادية لذلك العصر الذي أشتت فيه .

— ٥ —

وقد استدعت النقائض شروحات متعددة مصدراً حصصاً جداً لدراسات لغوية ،  
وأدبية ، واجتماعية ، وسياسية ، لا يحداً كثرتها في غير هذه الشروح وبخاصة

(١) النقائض ص ٣٦٤ . (٢) نفس ص ١٨٨ . (٣) نفس ص ٦٢٧ .

شرح نقائص جرير والفرزدق ، ولنفذ كرك لفلك أمتلة تاركين للدارس الرجوع إلى هذه الشروح .

من ذلك شرح أبيات غير أبيات النقائص حسها وذلك بيت دفر بن الحارث الكلابي : —

وقد ببث المرعى على دمن الثرى وتبقى حراوات النفوس كما هيا  
قال الأصمى : والمعنى فى هذا البيت ، بقول قد يصلح بيت الدمن بعد  
ساده وخشبه إذا غسلته الأمطار وذهب ما فيه من الوباء ، وما فى النفس من  
الحرارات لا يذهبها شيء<sup>(١)</sup> .

ومن الأمثلة فى شرح أبيات النقائص بيت للفرزدق : —

فنت أطن ابن الحبيبة أنى شئت عن الراى الكانة بالنبيل

يريد ، هذا ، جريراً بهجاء البعيث وغيره كما صنع صاحب الكانة وهو أن  
رجلاً من أسد ورجلاً من قرارة رايتين الضياء ومع الفزاري كناية جديدة ، ومع  
الأسدى كناية رثة فلم يدر الأسدى كيف يأخذها من الفزاري ، فقال له الأسدى  
أما أرى أم أنت ؟ فقال الفزاري : أنا أرى منك ، أنا علنتك الرى . فقال له  
الأسدى : فإنى أصب كمانى وتنصب كنانتك حتى ترمى فيها ، فنصب  
الأسدى كنانته فى خطر قد سميها فعمل الفزاري يرميها فيقرطس حتى أنعد سهامه  
كل ذلك يصيبها ولا يحفظها ، فلما رأى الأسدى أن سهام الفزاري قد نفذت  
قال : أصب لى كنانتك حتى أرميها فنصبها له فرمى نحو الكانة ثم عطفه  
وسدده نحوه حتى قتله ، فضربه الفرزدق مثلاً يبنى أن جريراً بهجو البعيث  
ويعرض بالفرزدق وغيره من بنى مجاشع<sup>(٢)</sup> .



فإذا ذكر ما الأيّم وأحاديثها هنا فقد ذكر القصص العربي الجامع بين الشعر  
والشعر وذكر ما قسماً كبيراً من الشعر الجاهلي والإسلامي بحث عنه كثيراً مؤرخو  
الأدب العربي .

وعند بيت الفرزدق : —

أتاني ورّحلي بالمديشة وقعة<sup>(١)</sup> لآل نعيم أقصدت كل قائم<sup>(٢)</sup>  
بسطة الشارح بإصهاب موقف القيسية ، والتميمية ، واليمينية في خراسان آخر  
عهد الوليد وأول عهد هشام سنة ٩٦ هـ وما أعقب موت الوليد من اضطراب أدى  
إلى قتل ( قتيبة ) وما تحلّ ذلك من تدبير وكيد ، وأهم من ذلك تلك الخطبة  
التي خطبها قتيبة في القبائل العربية لأنها لم تباع له فيها ومدح السند ، ولعل  
هذا الإصهاب غير وارد في مراحع تاريخية كبيرة . كذلك ذكر الشارح<sup>(٣)</sup> سبب  
التحام جرير والأنخل مسبباً . وعند قول الفرزدق : —

ومنا الذي أعطى يديه رهينة لِمَازَى مَعْدَى يوم ضرب الجاهم  
كفى كل أم ما نحاف على ابنها وعن قيام راحات لمعصم  
عشة سان لِمَردان كِلَها عَجاَبة موت باليوف لصوارم<sup>(٤)</sup>  
يفصل الشارح ما سماه حديث مسعود ، وما أعقب قتل الحسين من ندم  
يزيد ثم ما أعقب موت يزيد من قتل وهرب ابن زياد وعيث أهل العراق به ،  
وموقف مسعود بن عمرو المخاربي من حاية ابن زياد ، وقتل مسعود وما إلى ذلك  
مما يندر أو يستحيل وجوده في غير هذا الشرح

وقد أورد الشارح قصة الفرزدق مع النول وزواجه عليها والتجاءها إلى جرير  
لتضييق الفرزدق ، وقصة خدراء وموتها<sup>(٥)</sup> ونحو ذلك كثير .

(١) القاسم من ٢٤٩ . (٢) قصه من ٢٩١ .  
(٣) قصه من ٢٢٦ . (٤) قصه من ٢٢٦ .  
(٥) قصه من ٢٢٦ .

على أن شرح أى عبيدة على بآثار شعرية وثنية لشعراء وأدباء مضمورين ،  
وبأسماء بقاع ، ومدن ، وبحوم ، وجبال ، وأسفار ونحوها مما دلت عليه الفهارس .

— ٦ —

ومع ذلك كله وعيره لم تكن النقائص خيراً مطلقاً للأدب والأخلاق والحياة  
الاجتماعية الماضية والحاضرة .

وأول ما يلقانا من مساوئها هذا المهجاء الفاحش والأدب المكشوف الذى  
آدى الأخلاق ، ونال من الحرمات ، وأفصح عن العورات وصورتها صوراً  
قبيحة مزرية جعلت النقائص وصمة حنيفة واجتماعية شديدة ، فبدلاً من وقوف  
المهجاء عند نفي المحامد المروعة كالكرم والنجدة والمواهب النفسية الكريمة ،  
رأبناه يشنع بالمرأة ، ويخفضها إلى الرجل ، وينحط بها إلى درك مهين .

ومما يقل رجال النقد الأدبى من الفصل بين الأدب والأخلاق وأن مهمة  
الأدب التعبير أو « الفن للفن » فليس من شك أن مثل هذه الصور تؤذى الشعور  
بالمهذب وتنافي رسالة الأدب العظيم ، لذلك تأذى الناس بالمهجاء لأمرى خاصة  
وأصطر الخارث بن أبى ربيعة الخزيمى وإلى المصرة من قبل ابن الربير أن يهدم  
دارى حرير وافرزدن لتهاجيهما ، ولعل شيئاً من التوقر والتعافى عن الدنس  
اللتوى كان من بواعث إفلال الأخطل من الفحش فى المهجاء فصار دون زميله  
فى هذا الباب .

ومع ذلك فإن التأريخ الأدبى والاجتماعى لا يعمينا من قراءة هذه المصوص  
ووصفها استكمالاً لمهتما ، ووفقاً لموضوعها

وثانى ذلك ما أدكت النقائص من تار المعصيات الجاهلية فى ظل الإسلام  
فأثارت أحقاداً كانت كامنّة وإحشاً كانت مستترة ، ورأينا القبائل تتماحر

بالسيف واللسان ، والشعر ينشر المخازى ويُعيد الأيام الجاهلية حَذَعة . وإثم ذلك يعود كثيره إلى هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم وفرقوا بين عشائهم ، فاشتد موقف تغلب من قيس ، والبنينة من المضربة ، وكان بيت من الشعر للأخطل سبباً في وقعة البشر التي تعد من شر أيام قيس على تغلب صرخ منها الأخطل بعدما أشعلها على قومه ناراً موقدة . ومن سوء الحظ أن هذا الشعر كان يجد قبولاً في نفوس العشائر وصدى في سلوكها استجابة للحمية وامتداداً للسفاهة الجاهلية فتناذب الرجال واستخذى النساء ، وكان ذلك شراً وبيلاً .

وتأثرت ذلك أن هذه المفاخرة والمناقضة جعلت هؤلاء الفحول يلتفتون كثيراً إلى الماضي البعيد يستمدون منه موادهم فتخطوا حدود التاريخ الإسلامى إلى أيام الجاهلية وتقاليدها ونشروها ، ثم تشبثوا معها بالأساليب القديمة ، والصور البدوية ، والألفاظ الغريبة ، وعادوا بالشعر إلى الوراء أو وقفوا به محافظين لم يضيفوا عليه روح عصرهم تماماً فقد فقد عناصر التجديد القوى واستطاع شعراء الغزل والسياسة أن يسبقوهم في هذه الناحية ، فكان فن النقائض نافعا من حيث إحياء القديم والاحتفاظ بالجزالة والقوة العربية للأساليب الشعرية ، ولكنه وقف عند ذلك في أغلب الأحيان وصار شعراؤه الفحول يقرنون بالفحول الجاهليين .

# الفصل العاشر

## خاتمة

- ١ -

رأينا أن النقائص فن من الشعر خاص، له شرائطه من حيث اتحاد الموضوع والبحر والقافية وتقابل المعاني وطرق تقصها بحيث يقف الشاعر من خصمه موقف المحادة والملاحاة يريد أن يفسد عليه معانيه ويعطفر به في باب الجدل ، والمفاخرة ، والمهاجاة ، ورأينا أن هذا الفن يوجد في النثر أيضاً وإن لم تتصح فيه الخواص الموسيقية وضوحها في النظم ومثلنا له بما دار بين الكتاب والمخطباء . وكانت لنقائص الشعرية مجالاً تناول فنون الشعر العربي الغنائى وإن كان الفخر والهجاء أشدها ظهوراً .

وقد لاحظنا أن هذا الفن قديم العهد وجد منذ طفولة الشعر العربي قبل الإسلام ، وكان وجوده ، فيما استظهرنا ، نتيجة عدوى نفسية أدبية جمعت بين نفسى الشاعرين المتناقضين في مجال فنى خضعنا له فتشابهت قيثارتاهما وألحانهما وإن تخالفت غاياتهما .

وعلى الرغم من مقوماته التى ذكرناها في الباب الأول فقد عاش في الجاهلية ، أكثر ما عاش ، في ظل ( الأيام ) وبقي صحتها السائرة حتى ظهر الإسلام

فصارت العناصر من عوامل النشاط الأدبي الذي استدعته الحياة الجديدة وقامت مكة ولمدينة كل تحاد الأخرى وتنازعها النموذ والسلطان حتى سكنت مدرسة مكة ، ثم توارت في هذا التيار الجارف الذي طمّ جتج مكة واستقرار الإسلام .

وكان من الطبيعي أن يبدأ أصحاب النقائص تحت الراية الإسلامية ليس الدولة إلى الوحدة ، ودهس الأحقاد والصنائف القديمة استجابة لروح الإسلام الكريم وقد تحقق ذلك فترة أعقبتها الحرب الأهلية بين علي ومعاوية في سبيل انعلاقة فدت بشتر النقائص وإن تسكن خافقة ، أركأت ، من الدحية الفنية ، بصيصاً ضئيلاً ما لبث أن توارى في عهد معاوية الذي اجتمعت عليه الأمة لحسن سياسته ، وارتقاب هذا الجليل الإسلامي من الثمراء الذين سينهضون بفن النقائص في أرق أطواره ، ويلفون به مستوى يشعلون به الناس جميعاً ، من رُواة ، وقاد وعصا ، وحلفاء ، وأمراء ، وقنائل ، وأسر ، رجلا وساء .

وقد توارت في العهد الأموي ، كافنا ، عوامل سياسية واجتماعية وأدبية نشت النقائص ، وقوتها ، وأكسبتها سيرورة ، وحذت إليها كثرة من الثمراء ، وأحصت لسلطانها المحول حتى كثرت قصائدها ، وطالت وظهرت فيها السمات الإسلامية واضحة أصيلة ، وبعدت آثارها ، وضجت قرائح شمرائها ، فأخصب خيالهم ، ونوعت معابهم ، وتمايزت أساليبهم ، واجت فيها المزعة الجدلية قوية ذات صروب شتى ، وقامت حولها مدارس نقدية حتى عادت النقائص مدرسة الجيس الإسلامي الخديد ومشغلته في المدن والأقطار وحتى انتهت إلى ميادين القتال ، وحملت لها آثاراً قيمة ، وهبات منكرة ، أشرنا إلى أهمها منذ حين .

استمرت النقائض الأموية حامية الوطيس بين جرير وزميليه خاصة حتى إذا مات الأخطل سنة خمس وتسعين هجرية أيام الوليد بن عبد الملك بقيت حادة بين شاعري نعيم إلى أن ماتا أوائل القرن الثاني ، وأواخر عقده الأول أو بعد ذلك بقليل ، فسكنت نامة هذا الفن وانتهت حياته القوية الرائعة إلى الآن فلم يبعث من بعدهم بعثة قوية وإن بقيت شواهد تبهو في تاريخ الشعر .

أقضي على هذا الفن نهائياً ؟ وما سبب خفونه من ذلك الحين ؟

لا يمكننا البت بأن النقائض إنما توجد مرة واحدة في تاريخ الشعر العربي فقد تبعها أسباب قوية أو ضعيفة ، ولكن الذي يظهر لي أنها كن تحظى بحفاوة عظيمة أيام الأمويين ، إن لم يكن في كفاها ، ففي كينها ، وخصائصها التي شغلت بها عصرها بأكله طويلاً وعرضاً .

ترى لماذا لم يستمر هذا الفن بعد موت جرير وصاحبيه أوائل القرن الثاني ؟ قد يعود ذلك إلى أن غزوة هؤلاء أياست غيرهم من الشعراء أن يتودوا سيارتهم فسكتوا بعد موتهم كما كانوا متوارين في حياتهم .

وقد يعود إلى أن السياسة لم تؤد في حاجة إلى استغلال هذا الفن الذي مله الناس ، أو كادوا ، فلم يأخذ به الشعراء أضخم فلت .

وربما كان السبب أن هذه المصريات القرعية بين قيس وتغلب ونيهم ، وفي داخل نعيم ، قد فترت ، ولم تجد من يورثها بعد أن ماتت مصنفها ، فلم يتقدم أحد ليخلف هؤلاء القهول في هذا الميدان .

ولعل هذا الفن كان شيعاً إلى الناس لسوء آثاره وما لا به من هنات  
فاحشة زهدت فيه الشعراء فانصرفوا عنه طائعين .

وقد يكون لقفاء المريد ، وزال مجده ، وعدم العناية بالمفاخرات القبلية أثر  
في ضعف النقائض وموتها .

على أن الجيل الإسلامي من الشعراء أخذ يتقرض ، ويتقدم إلى المسرح  
جيلٌ محدثٌ متحضرٌ فيه طائفة من الموالى لم يرقهم هذا الفن البدوي الأعرابي  
الذي مضى زمنه ، فنبذته أذواقهم وتقدموا هم بطابعهم الحضري البغدادي ولا سيما  
أن الموالى لم يعرفوا هذه النعرة العربية القبلية فأنكروها وأنكروا كل عربي  
وصاح أبو نواس في وجه التقاليد القديمة .

ولعل لكل الأسباب أثرٌ في سكون هذا الفن العتيق .

وعلى الرغم من هذا انطفوت الذي أصاب النقائض فإنها ستبقى موضوع  
دراسات فنية تاريخية خصبة قيمة جداً ، يرى فيها اللغويون حاجتهم اللفظية ،  
والمعنوية ، والصورية المألوفة والفريية . ويحد الأديب أوفى مادة للدراسة الشعر  
القديم : فنونه ، وأساليبه ، وغفله ، وما يلابسه من نقد وتاريخ أدبي . وأما الرجل  
الاجتماعي فيجد في النقائض مرآة صادقة تعرض عليه صورة الأمة العربية في  
جاهليتها وإسلامها تامة الرسوم ، واضحة العادات ، بيّنة المعارف ، فيها الأخيار  
والأشرار ، والمؤمنون والجاهلون .

وليس المؤرخ السياسي غنى عن قراءة النقائض وما استلزمت من شروح  
فقد تستطيع آيات من الشعر وصف العصر الأموي وصفاً يُعجز الكتاب

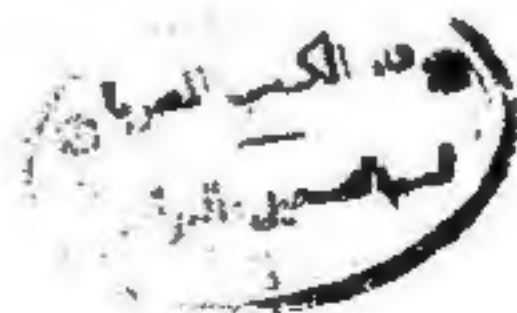
والباحثين ، وقد يجد في شرح النفاض من حوادث مفصلة وأنباء دقيقة لا يجدها في مراجع أخرى .

وقد رجوتُ ، ولا زلتُ أرجو ، أن يتاح لي أو لغيري من الجهد والوقت ما نستأنف به البحث في دواوين النفاض لتحقيقها ، وترتيبها ، وشرحها ، وحسن عرضها ، تيسيراً للانتفاع بذكرها التي لا تنهى ، ولكن من لنا بتحقيق الرجاء ، وموافاة الأمانى ؟ !

\*\*\*

أما بعد فقد طال السرى ، وانتهينا إلى حيث يحسن السكوت ، فلنترك القلم شاكرين الله على ما أعان ، راجين - وما أكثر ما نرجو - أن يكون فيما قدمنا في هذه الفصول خبز الباحثين ومتاع القارئين .

أحمد الشاذلي





والباحثين ، وقد يجد في شرح النقائص من حوادث مفصلة وأنباء دقيقة لا يجدها في مراجع أخرى .

وقد رجوتُ ، ولا زلتُ أرجو ، أن يتاح لي أو لغيري من الجهد والوقت ما نستأنف به البحث في دواوين النقائص لتحقيقها ، وترتيبها ، وشرحها ، وحسن عرضها ، تيسيراً للانتفاع بذكرها التي لا تنتهي ، ولكن من لنا بتحقيق الرجاء ، وموافاة الأمانى ؟ !

\*\*\*

أما بعد فقد طال السرى ، وانتهينا إلى حيث يحسن السكوت ، فلنترك القلم شاكرين الله على ما أعان ، راجين - وما أكثر ما نرجو - أن يكون فيما قدمنا في هذه الفصول حفز للباحثين ومتاع للقارئين .

أحمد الشايب

